

الفوج

٤٠ - ١٩



سلسلة الشیخ  
الدكتور محمد الصادق

# الفروض

في تفسير القرآن  
بالقرآن والسنّة

سورة الشجرة سورة التبلغ سورة العنكبوت

الجزء التاسع عشر والعشرون

دار النشر العلمي

للطباعة والنشر والتوزيع  
بيروت - لبنان



سورة الشعراء مكية

وآياتها سبع وعشرون ومائتان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طس (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأُ نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسِيَّاطِهِمْ أَنْبُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوْمَّ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ (٩) ﴾

تتسمى هذه السورة بـ «الشعراء» إذ تحمل آية الشعرا ، تنددوا بالذين يتبعهم الغاون ، حيث ينبع الشعر من الخربطة والغواية ، ويستخدم للإغواء والضلاله وما أكثره! ثم ومجيدا بالذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات حينما الشعر ينبع من الإيمان ويستخدم لعمل الإيمان ، وما أقله! .

الشعراء هي من الطوسيين الثلاث<sup>(١)</sup> المتشابهة في هذه الافتتاحية ، إلّا ناقص الميم في النمل.

وهيكل السورة هو السرد القصصي الشاغل جوّها في ثمانين ومائة آية ، والباقي من آياتها هي كمقدمات وتعقيبات ، والكل تؤلّف وحدة متناسبة متباينة تلتقي عند هدف واحد واتجاه فارد هو تصحيح العقيدة بزواياها الثلاث : المبدء والمعد و ما بين المبدء والمعد : من الوحي بنازله ومتزنه ، ناضرة ناظرة إلى الرسالة الموسوية في البداية ، ناحية . في ذلك التأثير العشير . منحى الرسالة الحمدية السامية ، فقد يصدق ما يروى عن رسول الهدى (ص) «وأعطيت طه والطوسيين من ألواح موسى»<sup>(٢)</sup> أو ان «الطاء» هي طور

---

(١) نور الثقلين ٤ : ٤٥ في كتاب ثواب الأعمال باسناده عن أبي عبد الله (ع) قال : من قرأ سور الطوسيين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله في جواره وكتفه ولم يصبه في الدنيا بؤس أبدا وأعطي في الآخرة من الجنة حتى يرضى وفوق رضاه وزوجه الله مأة من الحور العين ، وفي الجموع أبي بن كعب قال : قال رسول الله (ص) من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنتات بعدد كل من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد كل من كذب بعيسي وصدق بمحمد (ص).

(٢) نور الثقلين ٤ : ٤٥ عن كتاب ثواب الأعمال عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) قال قلت لجعفر بن محمد عليهما السلام يا ابن رسول الله (ص) ، معنى قول الله عز وجل «طس وطسم»؟ قال : واما «طس» فمعناه أنا الطالب السميع وأما «طسم» فمعناه انا الطالب السميع المبدئ المعيد.

سيناء . أم شجرة طوي ، والسين : سدرة المتهى ، والميم محمد المصطفى»<sup>(١)</sup> مما يجمعه أن :

«طسم»<sup>(٢)</sup> خطاب للرسول الأقدس محمد (ص) فان شجرة طوي المتشرجة عن روحه القدسية كل الطوباويات الرسالية ، وهو الناحي منحى السدرة المتهى ، إذ كان من ربه قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى ، فهو منتهى السدرة الرسالية معرفية وفي التقوى أمّا هيه ، كما وأنها من أسماء الله الحسنى والرسول (ص) نفسه القدسية منها بأعلى قمتها ، وكما يروي «نحن الأسماء الحسنى» فكما ان الله اسماء ذاتية هي صفاته الذاتية الثلاث ، ومن ثم فعليه هي فاعلياته الخلقية ، كذلك له اسماء عينية تدل عليه هي الحقائق الآفاقية محمد (ص) في أعلى قممها! وقد يلوح اليه ظاهر الخطاب من الآيات التالية لها ، ف

**طسم** إذا . تعني محمدا (ص) الطوي والسدرة المتهى ، كما تعني بضممه طور سيناء حيث الآيات الآتية تتحدث عن صاحبها موسى (عليه السلام).

وكما أن معانيها معالي ، كذلك لرميمها وألفاظها مجالي ترسمها روايات عن المصطفى (ص)<sup>(٣)</sup> وإن للقرآن ككل جلوات في مختلف المجالات ، ملقة

(١) المصدر روى عن ابن الحفيظة عن علي (ع) عن النبي (ص) لما نزلت «طسم» قال : الطاء طور سيناء . وقال الطاء شجرة طوي ...

(٢) وفي تفسير البرهان ٣ : ابن عبد الله في معاني الأخبار بسنده متصل عن سفيان بن سعيد الشوري أقول : وقد يعني أنها صورة عن السيرة الموسوية الموجة اليه في الألواح ، لا أنها هي ، حيث التعبير القرآني ، بما يحويه هو منقطع النظير عن كل سفر لكل بشير ونذير !

(٣) تفسير البرهان ٣ : ابن بابويه قال رسول الله (ص) من أدمى قرائتها لم يدخل بيته .

في إثارتها وإدارتها كل دوائر الكون تكينيا وتشريعيا ، كيف لا؟ وهي نازلة بعلم الله ، حاملة كل رحمات الله !

ثم وفي ﴿طسم﴾ رموز غريبة لم يكشف لنا عنها النقاب ، فانها بسائر الحروف المقطعة مفاتيح كنوز القرآن ، لا يعرفها حق معرفتها إلا من خطب بها ، والمذكورة منها هنا بسناد روایات في شأنها لا تصدق تماما ولا تکذب ، لأنها ليست قطيعة الصدور ولا الاختلاق ، اللهم إلا نفس الخطاب المستفاد من الكتاب ، انه (ص) هو المخاطب ب ﴿سـم﴾ فتصبح تلك الروایات قريبة التصديق ، فواجهة الخطاب فيها هي الرسول (ص) ومن يحذو حذاه وينحو منحاه .

وملماذا تذكر هذه الحروف في القرآن البيان ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ،  
إذا لم يكن فيها لهم بيان؟ .

لأن القرآن بيان لجميع العالمين ومنهم وفي قمته رسول القرآن ، فليختص به من ذلك البيان قسم من القرآن ، مهما يعمه والمعصومين من عترته وهم مستمرون لحد الآن وإلى أن يقوم قائمهم ، حيث يتمثلون فيه

. سارق ولا حريق ولا غريق ومن كتبها وشربها شفاه الله من كل داء ومن كتبها وعلقها على ديك ابيض أفرق فإن الديك يسير ولا يقف إلا على كنز أو سحر ويغفره بمنقاره حتى يظهره . وفيه عن الصادق (ع) من كتبها وعلقها على ديك ابيض أفرق وأطلقه فإنه يمشي ويقف موضعا حيث ما يقف فإنه يغفر موضعه فيه يلقى كنز أو سحر مدفون وإذا علقت على مطلقة يصعب عليها الطلاق وربما خيف فليتني فاعله فإذا رش ماوها في موضع خرب ذلك الموضع بإذن الله تعالى .

أقول : قصة الديك مشكوكه الصدور عن الرسول (ص) حيث التجربة الواقعية لا تصدقها تماما فليرجع علمه إلى قائله .

كلهم ، فليكن له نصيب في هذا الإختصاص.

وإن لسائر العالمين منها نصيب على أقدارهم وقدراتهم المعرفية في زوايا ثلات ثالثتها ما قد يتتبّه لها الذين يأتون بعدها فان «للقرآن آيات متتشابهات يفسرها الزمن».

### ﴿تَلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين﴾ (٢).

«تلک» النازلة عليك من قبل والتي تنزل عليك الآن ومن بعد ، فهي هي النازلة عليك في مثلث زمن الرسالة القرآنية بعهديها المكي والمدني ، «تلک» ككل هي ﴿آيات الكتاب﴾ : القرآن ، فهو الكتاب المفصل وهذه أبعاض الآيات إضافة للآيات إلى أنفسها : الكتاب ، اعتبارا لها أبعاضا منفردات وله مجموعا يحويها ، كما يقال أبعاضي ، وإجزاء الدار. «المبين» ما يحق إبانته من الحق المرام ، أنها من آيات الله دونها اختلاف إذ ليس فيها اختلاف ، وأنها تبين احكام الفطرة والعقل والشريعة ، وتبيّن الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يبيّن لهم انه الحق من ربهم ، فلا قصور . إذا . في إبانته ما يبيّن ولا تقصير ، مهما قصروا هم أولاء أو قصّروا بجهنمه . وقد لا يعني ﴿الكتاب المبين﴾ ما كان لدى الله قبل إنزاله أو تنزيله : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا أَعْلَىٰ حَكْمًا﴾ ، فلمن هو . إذا . مبين؟ ولا المنزل على الرسول ليلة القدر فانه ليس مبينا إلا له ، اللهم إلا ان يعني المبين له اجمالا عن المفصل ، وهذه هي آياته المفصلات حيث الكتاب يبيّن فيها معارفه تفصيل البيان والإبانة عن أيّ كان.

ف «تلک» إذا تعني كل القرآن المفصل ، فإنه آيات الكتاب الحكم النازل على الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم). وقد يعني ﴿الكتاب﴾

**الْمُبِين** ﴿القرآن ككل ، و آياتُ الْكِتَاب﴾ أبعاضه.

أم ويعني ام الكتاب عند الله فانه بشأن الإبانة للرسول وللأمة ، فهو مبين بعلاقة الأول.

وعلى الثلاثة كلها معنية ، فهذه الآيات المفصلات ، هي آيات القرآن المفصل ، وهي ككل . آيات القرآن الحكم المنزل الى الرسول ليلة القدر ، وهي آيات ام الكتاب . والكل هي آيات ام الكتاب المقدر نزوله للمكلفين الى يوم الدين دون زيادة أو نقيصة . فالقرآن حجة كافية وآية وافية تبين الحقائق لكل العقول وفي كل الحقول ، ملن ألقى السمع وهو شهيد ، كما وان نبي القرآن حجة صافية ضافية يتبنى حجة القرآن ، حجتان بارعتان تحلقان على كافة الحجج دون قصور ولا تقصير ، فلما ذا إذا البخوع؟ :  
**﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِين﴾** (٣).

البخع هو قتل النفس عمّا ، و **﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾** توحى بمدى اهتمام الداعية الرسالية في حمل الناس على الایمان ولما يسعط . ولن . إلا ما شاء الله ، فحين لا يحملهم الكتاب المبين على الایمان لعوّهم وتصليّبهم على الایمان ، كذلك . وباحرى . ليس ليحملهم الرسول المبين على الایمان بنفس السند **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾** (١٨ : ٦) .. **﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِين﴾**.

و «لعل» هنا حكاية لحال الترجي لو بقيت حالته كما هي ، والأصل في الدعوة هو تأثيرها ببقاء الداعية ، وأما أن تبخع نفس الداعية دونما تأثير للدعوة فهو دعوة فاضية بدل ان تكون فائضة! .

**﴿إِنْ نَشَاءُ نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا﴾**

### خاضِعِينَ ﴿٤﴾ .

صيغة التعبير عن الآية الرسالية التي هي لزامها «نشأ ان ننزل آية» وعن الآية المستحيلة المقترحة ﴿إِنْ نَشَأْ﴾ ف «إن» هنا دون «لو» توحى بامكانية هذه المشيئة وقوعيا ، أن تتحقق حالاً أو استقبلاً ، ومن الثاني آية قيام المهدى عجل الله تعالى فرجه حيث تخضع أعناقهم <sup>(١)</sup>.

إنه تعالى لا يشاء مبدئياً أن ينزل عليهم من السماء آية بعد آية القرآن

(١) نور الثقلين ٤ : ٤٦ في ارشاد المفید وہب بن صفی عن أبي بصیر قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول في الآية سيفعل الله ذلك بهم ، قلت ومن هم؟ قال : بنو أمیة وشیعهم ، قلت : وما الآیة؟ قال : رکود الشمسم ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر وخروج صدر وجه في عین الشمس يعرف بحسبه ونسبه وذلك في زمان السفیانی وعندھا يكون بواره وبار قومه ، وفي روضة الکافی بسنده عن عمر بن حنظلة قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : خمس علامات قبل قیام القائم (ع) الصیحة والسفیانی والحسنة وقتل النفس الزکیة والیمانی ، قلت : جعلت فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أخرج معه؟ قال : لا . فلما كان من الغد تلوت هذه الآیة : ﴿إِنْ نَشَأْ ...﴾ فقلت له : أهي الصیحة؟ فقال : أما لو كانت خاضعت أعناق اعداء الله عز وجل ، وفي كتاب الغيبة للطوسي باسناده إلى الحسن بن زياد الصیقل قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول : إن القائم لا يقوم حتى ينادي مناد من السماء يسمع الفتنة في خدرها ويسمع أهل المشرق والمغارب وفيه نزلت هذه الآیة : ﴿إِنْ نَشَأْ ...﴾ وفي تفسیر القمی عن أبي عبد الله (ع) قال في الآیة ، تخاضع رقابهم يعني بني امية وهي الصیحة من السماء باسم صاحب الأمر صلوات الله عليه ، وفي كتاب کمال الدین وقام النعمۃ بسنده متصل قال علي بن موسی الرضا (ع) في وصف القائم (غ) وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء اليه يقول : ألا ان حجة الله قد ظهرت عند بيت الله فاتبعوه فان الحق والایمان عند الأولي يفيد وهو عند الثانية غير مفید لأنه ایمان عند رؤیة البأس.

الباهرة الكافية<sup>(١)</sup> فإنه الآية الخالدة لهذه الرسالة المفتوحة للأمم بأسرها ، فليست رسالة محدودة مغلقة على أهل زمان دون آخرين ، والآية القاهرة البصرية مهما عظمت وعلت لا تلوى وتختضع إلا عنان المستكبرين زمنها حيث يشاهدوها ، ثم تبقى بعدهم قصة تروى ، وواقعاً يشهد فيستشهد به لصدق الرسالة ، فآية ﴿إِنْ نَشَاءُ﴾ وهي غير محومة تخضع عنانهم شاءوا أم أبوا ، وآية القرآن تحددهم إلى الحق ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكُفُرْ﴾ فآية التسوير محومة ، وآية التخيير غير محومة.

وهذا القرآن كتاب مفتوح وآية خالدة تمشي مع الزمن ، يستمد منها كل الأجيال طول الزمان وعرض المكان لكل جن وانسان ، مستمراً برصيده لا ينفد ، بل ويتجدد ولا يتبدّد أو يتبلّد ، فهو أمام كل حق جديد وإمام كل قديم وجديد ، فطبيعته . إذا . هي طبيعة رسالته الدائبة ، لا يحرم عن حجته أي ذي حجى ، إلا من تنازل عن حجاه ، وتروى إلى رداء ، إذا ف ﴿إِنْ نَشَاءُ نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ . وترى كيف يصح «خاضعين» خبراً عن «عنانهم»؟ علّه حال عن ضمير الجمع والخبر المذوق «خاضعة» فإن خضوع عنانهم من مظاهر

(١) نور الثقلين ٤ : ٦ في الكافي وروي ان امير المؤمنين (ع) قال في خطبة له : ولو أراد الله حل شاءه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن البلدان ومغارس الجنان وأن يبشر طير السماء ووحش الأرض معهم لفعل ، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الابلاء ولما وجب للقائلين أجور المبتلين ولا لحق المؤمنين ثواب الحسينين ولا لزمت الأسماء أهاليها على معنى مبين ولذلك لو انزل الله من السماء آية ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ولو فعل لسقط البلوى عن الناس أجمعين ...» أقول : «لو» هنا للتأشير الى القسم المستحيل من نزول آية معه وفيه وهو قول الله عز وجل «ان نشا...».

خضوعهم في أنفسهم! أو أن «أعناقهم» تعني أعناق الأجساد إلى أعناق الأرواح ، فهي اصول العقول!

أم الأعناق هنا هم رؤساؤهم الأصلاء في الضلال والإضلal<sup>(١)</sup> ! أم هم جماعات منهم ضخمة هائلة! أو ان «أعناقهم» هي مرتعة الأضلال ، تعنيها بأسها.

والقرآن آية سماوية روحية نازلة من سماء الوحي ، كافية لمن يعقل ، ولكنهم قوم لا يعقلون ، ف﴿نَشَأْ نُسَرِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المادية «آية» بصرية ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ شاءوا أم أبوا ﴿هَا خاضعين﴾ .

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُغَرِّبِينَ﴾(٥).

وهذه هي طبيعة هذا الجيل الصّلت من الناس النّنسناس أنهم لا يتذكرون بأي ذكر من الرحمن ، بل هم عنه معرضون ، إذ هم عنه عمون ، فلما ذا . إذا «نزل عليهم آية من السماء؟» اللهم إلّا عذاباً وبلاءً ، فآية السماء المخضعة الأعناق ، هي للمؤمنين نور على نور ، وللمعاذين نار على نار ، فحين تظل أعناقهم لها خاضعين ليسوا ليؤمنوا بها ، ولو آمنوا فهو إيمان عند رؤية البأس ليس ليفيدهم ، فليس الله . إذا . لينزل عليهم آية من السماء بعد آية القرآن ، حجة بعد حجة ، وإنما لجة غارقة ، أو نار حارقة.

و «محدث» تعني فيما تعنيه أن ذكر الرحمن محدث أيا كان ، إذا فكلام الرحمن محدث ، وما اسطورة القدم في كلام الله قرآناً وسواه إلّا هرطقة هراء مهما سمي به علم الكلام.

(١) وهذا الأخير يناسب زمن الرجعة حيث يرجع فيها من محض الكفر محضا ، وهم أعناق الضلاله واساطينها.

ف **﴿ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَن﴾** أيا كان هو فعله ، وليس ذاته أو من صفات ذاته حتى يكون قد يليها ، فلا ذكر إلا لمتذكرة ، ليس قبله ولا بعده ، فكما المتذكرة خلق محدث ، كذلك الذكر خلق محدث.

و «محدث» لها واجهة ذاتية هي الحدوث الذاتي فيشمل كل ذكر من الرحمن ، وأخرى نسبية تعني الحادثة الجديدة بعد القديمة ، فهو لا يرفضون محدث الذكر من الرحمن مخلدين إلى قديمه أيا كان ، كإخلاد أهل التوراة إلى التوراة رفضا لما بعدها ، وإخلاد أهل الإنجيل إلى الإنجيل رفضا للقرآن ، رغم أن الجديد من الرحمن كما القديم ، وفي الجديد تجديد وتقدير إلى ما ليس في القديم! والذي يعرض عن محدث الذكر هو . بطبعه . معرض عن قديمه مهما ترأى انه مقبل إليه.

وقد يشمل «محدث» أصله قد يليها وحديثا ، كما يشمل حديثه ، فذكر الرحمن سلسلة موصولة آخرها إلى أولها ، والإعراض عن جانب منها اعراض عنها كلها.

وقد يعني من «ذكر محدث» . فيما تعنيه . أي الذكر الحكيم التي تتلى عليهم تلو بعض ولصق بعض ، بل هو أهم الذكر وأنه ، وسائر الذكر توطئة له وتعبيد طريق! .. أم ان «ذكر محدث» تحلق على كل ذكر آفاقي وأنفسي **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحُقُّ ...﴾**

ولماذا **﴿ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَن﴾** والذكر رحمة رحيمية أيا كان؟ علّه لأن الذكر هو قضية الرحمة العامة حيث تعم كافة الأهلين له من أمن منهم ومن كفر ، ومن ثم هو لمن آمن رحمة رحيمية.

ف **﴿ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَن﴾** ككل هو رحمة رحمانية حيث يعم المتذكرة

والعرض ، وهو لمن يتذكر رحمة رحيمية.

**﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسِيَّاطِهِمْ أَنْبُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**(٦).

**﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾** بكل ذكر من الرحمن محدث أم أي ذكر **﴿فَسِيَّاطِهِمْ أَنْبُوا﴾** : أخبار هامة **﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُنَ﴾** يوم الدنيا كآية مخضعة لها ، إن في الرجعة أم قبلها ، أو يوم البرزخ الأخرى حيث يتجسد فيها ذلك التكذيب الكذيب **﴿هَلْ تُجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؟﴾**.

**﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كُمْ أَنْبَشْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ كَرِيمٍ﴾**(٧).

ألم يروا إلى ما خلق الله من شيء **﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾** فاللواو هنا تعطف إلى آية البصيرة **﴿مِنْ ذُكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٌ﴾** فان لم يتصرروا بها فليتصروا إلى آية حسية هي الأرض بنباتاتها من كل زوج كريم ، فالزوجية التي هي لزام الأرض باشياءها دليل الحاجة إلى الخالق الفرد الأحد ، و مختلف اشكال أزواجها دليل على التصميم ووحدته.

فهذه الأرض التي يعيشون عليها ، أم وسائر السبع مهما طلبت الرؤية إليها أسفارا جوية **﴿كَمْ أَنْبَشْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ كَرِيمٍ﴾** من جماد ونبات وحيوان ومن إنس وجان ، : **﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾** فكل شيء من كائنات العالم أرضية وسماوية زوج ، مهما اختلف الأزواج في كونها وكيانها ، ولا فرد حقيقيا إلا الله.

**﴿رَوْجٍ كَرِيمٍ﴾** من فرد كريم واسع الرحمة ، فكل زوج كما خلق الله وأنبت كريم ، ولا لؤم ولا شؤم إلا من أنفس الأزواج ، منها أو من نظائرها ، فالخير كله بيديه والشر ليس إليه.

**﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**(٨) **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّاجِهُ﴾**(٩).

تعقيبة مكرورة في عرض آيات كونية و أخرى رسالية تشريعية ، تتكّرّر مرات ثمان بمناسبات ثمان ، أولاها هي موقف الكفار أمام هذه الرسالة السامية ومن ثم موسى وابراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، كما وتحتم السورة بعرض الرسالة الإسلامية كما بدأ

. به.

**﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾** البعيد المدى القريب الصدى من نابت كل زوج كريم ومن كل ذكر محدث من الرحمن حيث يتجاوزان «الآلية» تدل على مزوجه وزوج كل ذكر **﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾** : المكذبين على مدار الزمن حيث يتغافلون عنها **﴿مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ﴾** يا رسول الهدى «له» لا سواه «العزيز» القاهر الغالب «الرحيم» بعباده في موضع العفو والرحمة.

**﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتْهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)**

قالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَآخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ (١٤) قالَ كَلَّا فَأَذْهَبَاهَا بِأَيْمَانِنَا إِنَّا مَعْكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأَتَيْاهَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَلَّا أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قالَ

**أَلَمْ نُرِّبِكَ فِينَا وَلِيَدًا وَلَبِثْتَ**

فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتَلَكَ نِعْمَةٌ تَنَاهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوْقِيْنَ (٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْحُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِئْنُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأُتِيهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضْاءٍ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)

قالَ لِلْمَلَائِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيهِمْ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخْاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلَيْهِ (٣٧) فَجَمِيعُ السَّحَّارَةِ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقَيْلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَّارَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَّارَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيُّونَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْكُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيمَهُمْ وَقَالُوا بِعْرَةٌ فِرْعَوْنٌ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْقَى السَّحَّارُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قَطْعَنَّ

أَيْدِيهِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَالْأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رِبِّنَا مُمْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطَمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا حَطَابِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هُولَاءِ لَشِرْذَمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا جَمِيعٌ حَادِرُونَ (٥٦) فَآخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتَبْعَوْهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَ اجْمَعَانٍ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُذْرُكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيِّهِدِينَ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَاقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَرْلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنْجَنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ (٦٨)**

تسعة وخمسون آية تستعرض معارضة فرعون الرسالة الموسوية منذ البداية حتى غرق فرعون وقومه ، عرضا لطائل الحوار بينهما ، ثم مسرح السحرة والآية الرسالية الى ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرَيْنَ﴾.

ومن ثم نرى عرضا لرسالة ابراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب (عليهم السلام) كلّا في قصص له بتلحيقه واحدة : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ﴾ تسلية لخاطر الرسول (ص) كيلا يخلد بخلده الشريف أنه بدع من الرسل في مواجهة التكذيب ، فالرسالات الإلهية هي ذات طبيعة واحدة وصاحبة عرقلة واحدة ، فعلى الداعية التصرّ في الدعوة حتى النهاية .

ولقد مضت حلقات من قصة موسى في البقرة والمائدة والأعراف ويوونس والأسرى والكهف وطه ، اضافة إلى إشارات أخرى في سواها ، وكل هذه متناسقة مع جو السورة وموضوعها الرئيسي ، والحلقة المعروضة هنا هي مسرح الرسالة المعاشرة لصرح الفرعونية الجبارية ، مقسمة إلى مشاهد متعددة بينها فجوات متناسقة .

وقصص موسى كسائر القصص القرآنية جديدة في كل مسرح رغم تكرارها موضوعيا ، لأنّها تناسب كل الأجواء المستعرضة فيها ، لولاها لكان الجو ناقصا ، فالي مشاهد سبعة هنا بين موسى وفرعون :

﴿وَإِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّثَوُنَ﴾ (١١).

ذلك النداء يتم بعد ما يكمل موسى عشر حجج في مدین بعد ما خرج إليها من مصر خائفاً يتربّب ﴿مَ جِئْتَ عَلَى قَدْرٍ يَا مُوسى﴾ (٤٠ : ٢٠) ففي ذلك القدر المقدّر ل碧وج الرسالة هكذا يؤمر.

وادرّ ذكر ﴿إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى﴾ كما ناداك ، وآواه كما آواك ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم وأهليهم وظلموا الحق ، عائشين في ثالوث الظلم ، المظلوم جوّ الحياة على عائشتها ، ففي الرسالات الإلهية سلبيات وإيجابيات ، سلباً لآلهة الأرض ثم إيجاباً لإله السماوات والأرض ، سلباً لأي ظلم من أي ظالم فإيجاباً للعدل : ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّثَوُنَ فقد اظلمت الجوّ طغواهم ، فلتتحملهم على تقواهم ، ام لا قل تقدير تصدهم عن طغواهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ (١٢) وَيَضْبِقُ صَدْرِي وَلَا يُنْطَلِقُ لِسَانِي فَارْسَلْ إِلَى هارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَبْرٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ﴾ (١٤).

أعذار أربعة يعتذر بها موسى عن ذلك الإتيان ، أنكوصاً عن تكليف الرسالة بأسره؟ وكيف يرسل الله الناكص المنتكس! أم عرضاً لحاله استنصاراً من ربِّه على عدوه؟ وعلمه بحاله يكفي عن مقاله! .

في الحق إنه عرض الحال التماساً وهو يعلم الحال ، وكما في كل دعاء واستدعاء ، و﴿فَارْسَلْ إِلَى هارُونَ﴾ برهان لا مرد له على عدم النكوص ، وإنما هو استمداد من ربِّه ان ينصره على عدوه.

وتري فرق التكذيب والقتل في سبيل الدعوة أهلاً مما يتطلب عرض الدعاء ، وهما طبيعة الحال في كافة الدعوات الرسالية؟ ففريق يكذبون

وآخرون يصدقون ، وفريق يحاولون قتل الداعية وآخرون يمانعون؟.

إنه هنا يخالف التكذيب المطلق ألا يصدق أبدا ، لا مطلق التكذيب من دأبهم التكذيب ، ويختلف أن يقتل قبل نشور الدعوة ، إذا فما هي فائدة هذه الدعوة بين تكذيبها وقتل الداعية؟!.

ثم ومن دوافع التكذيب المطلق والقتل ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ...﴾ فلنذكر **يضيق صدري ولا ينطلق لسانِي** وذلك قصور في الدعوة ، فليستمد ربه بامدادات متصلة وآخرى منفصلة ك **فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ**.

فلئن كان منشرح الصدر منطلق اللسان كان بالإمكان ان يرتد تكذيبه كيـفـماـكان ، فهو الاحتياط الرسالي حفاظا على سلامـةـ الدعـوةـ لاـ.ـ الداعـيـةـ اللـهـمـ إـلـاـ لـسـلـيمـ الدـعـوةـ وـقـاطـعـهاـ.

فقد احتاط من أن يختبس لسانه في بزوج الدعوة وهو في موقف المنافحة عن رسالة ربه ، فتبعد الدعوة ضعيفة قاصرة منذ البداية ، واحتاط من ان يقتلوه فتتوقف دعوته دون ان تجبر عن ضعفها ، وهذا هو اللائق بموسى الرسول الذي صنعه الله على عينه واصطنعه لنفسه ، ونراه مستجحا بافور دعوته.

ومـاـ لاـ بدـ مـنـهـ فيـ كـلـ دـعـوـةـ رسـالـيـةـ مـجـالـ التـصـدـيقـ وـتـحـوـالـ الدـعـوـةـ قـبـلـ قـتـلـ أوـ مـوـتـ الدـاعـيـةـ ، وـانـشـرـاحـ صـدـرهـ وـانـطـلـاقـ لـسانـهـ (١)ـ فـيـ الدـعـوـةـ ، فـلـذـلـكـ **قـالـ رـبـ ...**.  
هـنـاـ مـنـ دـوـافـعـ تـكـذـيـبـهـ مـلـطـقـ وـقـتـلـهـ **وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ...**ـ آـنـ قـتـلتـ

(١) تجد تفصيل القول في عقدة لسانه في طه فراجع.

منهم نفسا فلا يفسحون لي . إذا . مجالا للدعوة ، ومنها ان فرعون رباني وليدا ، فهو يتفرعن عن ان يسمع إلى دعوة ربيه ، المناحة لدعوه.

ولم يكن قتله القبطي ذنبا في شرعة الله ، فاما **﴿لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾** في زعمهم ، وأما المشرك الحارب فمسموح قتله ولا سيما حالة الدفاع ، مهما كان قتله في وجهة أخرى غير مشكور ، إذ آخر دعوته الرسالية عشر سنين ... وهنا يجد حاضر الاستجابة فور الدعوة :

**﴿قَالَ كَلَّا فَإِذْهَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ﴾** (١٥).

**﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرِي﴾** (٤٦ : ٢٠) **﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾** (٣٦ : ٢٠).

كلا! فلن يكذبوك إلا ومعهم مصدقوك ، كلا! لا يضيق صدرك فقد شرحناه ، ولا يحتبس لسانك فقد أطلقناه ، كلا! ولن يقتلك فقد راعيناك «فاذهبا» أنت وأخوك هارون «بآياتنا» التسع إلى فرعون وملاه «إننا» بجمعية الصفات على جمعية الرحمات «معكم» أنتما ومن اتبعكم «مستمعون» قالة فرعون وقومه ، فمجيئون في قال وحال وفعال ف **﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾** (٢٨ : ٣٥).

**﴿فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** (١٧).

هناك «أنت» إذ كان فريدا في رسالته ، فلما زود بوزير له وهو من سوله . إذا . «فأتيك» ولأن هذه الرسالة في الأصل واحدة يحملها موسى بموازرة هارون **﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** لا «رسولا» إذ لا اثنينية فيها لا في مادة الرسالة ولا في آياتها مهما كانا رسولين كحاملي هذه الرسالة **﴿فَأَتَيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولًا رِّبَّكَ﴾** (٤٧ : ٢٠).

﴿فَاتِّيا ... أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيل﴾ فلم يكن رسولا إلى فرعون وملأه . فقط .

ليدعوهم إلى شرعته ، بل ليطلب . إطلاق بنى إسرائيل عن أسرهم وتسريرهم عن حصرهم ﴿إِنَّا رَسُولٌ ... أَنْ أَرْسِلَ﴾ دون «آمن وأرسل» مما يصرح أن هذه الرسالة ليست بالفعل إلا ناحية منحى السلب ، أن يتخللى فرعون عن بنى إسرائيل فإنهم هنا محور الدعوة الرسالية ، وإن كانوا هم ايضاً تشملهم هذه الدعوة العالمية كما آمن بها السحرة.

فالرسالة الموسوية ككل هي عالمية مهما بدأت من بنى إسرائيل المضطهدرين حيث هم حجر الأساس فيها ، وكذلك فرعون وقومه إذ كانوا حجر عثرة للأساس ، ولاتت حين مناص إلا سلباً لأسرهم حتى يخلوا له جو الدعوة دون معارض مستخف لهم ، مستكير عليهم ، متفرعن فيهم ، فالسلب دوماً يتقدم الإيجاب حتى يحل هو محله من الإيغاب ، فيستتب أمر الشريعة قبولاً لها وإقبالاً إليها.

أترى ذلك القول الرسالي للطاغية كان قاسياً؟ كلّا حيث القساوة . ولا سيما من مثل موسى على سابقته معه . ليست إلا عرقلة في سبيل الدعوة ، وإنما كما في طه وسواها ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٢٠ : ٤٤).

﴿قَالَ أَمَّا تُرِبَّكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩).

أنياه وقا لا له ما حملاه : دعوى الرسالة ومادة منها سلبية ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيل﴾ وفي ذلك سلب الريوبية عن فرعون وسلب سلطنته عنملكمهم ، رسالة تخدم صرح السلطة الزمنية والروحية مع بعض ، ومن هو

فاعل هذه السلبية القاضية؟ من تربى عند صاحب السلطة وليدا ولبث فيهم عمرا ، ثم وجئوا بهم جنابه ! ثالوث المهانة فيمن أرسل لهذه السلبية القاسية القاضية .

يا رسول رب العالمين ! ﴿أَلَمْ نُرِّبِكَ فِينَا وَلِيْدًا﴾ فكيف تعارض مربيك إلى خلاف ما ربارك ؟ ﴿وَلَيْسْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِّيْنَ﴾ فأنت إذا عضو منا وقسم ضعيف من كياننا ، فكيف تتفضل علينا ؟ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ حيث قتلت منا قتيلا ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ نعمة الإبقاء إذ ما قتلناك رغم المرسوم الملكي عندنا بقتل الوالد من بنى إسرائيل ، و ﴿مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ نعمة التربية ولبثها ! و ﴿مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ بربوبيتي إذ تناستها فأجرمت فينا ، ثم أتيت رسولا إلينا تتهدم صرح ملكنا ، بل ومن الكافرين . أيضا . بربك الذي بعثك إذ كنت عندنا كأحد منا ! فكيف تواجهنا هكذا بذلك الوجه الأسود والسابقة السوداء وهو خلاف العقلية والتربية الإنسانية ؟ .

ثم وعلى أية حال كيف الفرع يفوق الأصل ويتفاضل ، وما فضلها إلا منه ؟ فكرة خطأة بين حماقى الطغيان والذين يؤصلون الموازين المادية بين كل الموازين ، متغافلين عن الأصلة الملوهوبة من الله ، فيستغربون ان وليدا بينهم عاشهم سنين يرجع إليهم رسولا من الله . ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِّيْنَ﴾ (٢٠) .

هنا يقدم موسى ثالث ثلاثة من ثالوث الاعتراضات الفرعونية النكدة ، فينكر ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ كفرا وكفرانا في كل الزوايا المعنية ، ثم يصرح ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِّيْنَ﴾ وتراه : كان ضالا حين فعل فعلته؟ وعمادا؟ فهل هو ضلال عن الإيمان؟ وهو كفر ينكره ! أم ضلال الكفران؟ فكذلك الأمر ! حيث بدل ﴿مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ إلى ﴿مِنَ الصَّالِّيْنَ﴾ ! فلا كفر له . إذا . ولا كفران

فلا عصيان!

انه ضلال عن الرسالة الحكيمية التي أوتتها بعد فعلته وخروجه إلى مدين ورجوعه إلى مصر حيث أحرر فعلته رسالته دونما علم ولا تقصد في تلك الفعلة ، أو الضالين عن الطريق حيث دخلت المدينة وما كان لي ان أدخلها<sup>(١)</sup> وأنا ملتحق في ذلك الجو المخرج ، أو الضالين عن كيفية الدفاع ، فلم آخذ الحائطة فيه حيادا عن القتل ، وذلك ضلال في بزورغ الرسالة غير عAMD ، قد اخرها إلى سنين.

**﴿فَقَرِزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا حِفْتُكُمْ فَوَهَبْتِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلْتِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢١).**

لقد وهب له ربها حكما قبل الوكرة القاتلة ، دون حكم الرسالة المعصومة العاصمة عن كل الضلالات والزلات كما في القصص : **﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَمَ وَكَذَلِكَ نَجَزِي الْمُحْسِنِينَ. وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَعَفَّرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٤ : ١٦).**

هنا **﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾** وهناك **﴿مِنَ الصَّالِّينَ﴾** لا يطاردان أنه أوتى

(١) البخار ١٣ : ٣٣ في حوار المؤمن مع الرضا (ع) قال المؤمن جراك الله يا أبا الحسن فيما معنى قول موسى لفرعون **﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ﴾** قال الرضا (ع) ان فرعون قال لموسى لما أتاها **﴿وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** لي قال موسى **﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ﴾** عن الطريق بوعي الى مدينة من مدائنك **﴿فَقَرِزْتُ مِنْكُمْ ...﴾**.

حکما وعلما فإنما ليسا هما الرسالة البعيدة عن عمل الشيطان وعن أي ضلال في سبيل الدعوة ، وقد قوبل الحكم في مواضع عدة بالرسالة والنبوة مما يجعله أعم منهما كأن منصبا إلهيا كما كان لطالوت ، ولكنه ليس ليعصم صاحبه عن كافة الزلات والضلالات ، فقد أتي حکما مع الرسالة بعد ما رجع من مدین وبنیه وبين الحکم الأول عشر سنين ، فذلك حکم رسالی ورسالة الحکم ، ليس ليضل معه بعد على طول خط الدعوة ، والأول حکم الدعوة قبل الرسالة قد يضل معه كما ضل.

ثم لم يكن ضلاله له عن الایمان ولا عن حکم الشريعة الإلهية إذ كانت الوکزة القاتلة في ذلك الاقتتال مسموها أو فرضا حسب الشريعة ، دفاعا عن نفس محمرة موحدة عن ان تحدر ، مهما هدرت نفس مشركة غير محترمة.

وهنا تقتسى الوکزة إلى أصلها المصيب المشروع فليس ضلالا ، وإلى قتلتها المخلفة عن قوتها وقد خلفت فرار صاحب الحکم عن الجو الرسالي الآتي وأجل رسالته عشر سنين ، وذلك مقصود وهذا غير مقصود ، وليس عمل الشيطان هنا إلا غير المقصود ، والمقصود هو عمل الرحمان ، فلم يكن الضلال إلا في البعد الثاني من وكرته وهي القتلة الناجحة عنها ، غير المقصود فيها ، فلم يرتكب . إذا . كمؤمن ذنبا ، وإنما ارتكب خطأ رساليا ولما يرسل<sup>(١)</sup> إذا فهو ضلال عن تلك الرسالة السامية في مرحلة ادنى منها مهما

(١) نور الثقلین ٤ : ٤٨ في عيون الأخبار يسأل مأمون الرشید أبا الحسن الرضا (ع) فيما سئل أليس من قولك ان الأنبياء معصومون؟ قال : بلى . قال : فما معنى قول موسى لفرعون : فعلتها إذا وأنا من الضالين؟ قال الرضا (ع) : إن فرعون قال لموسى لما أتاه : وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين . قال موسى : فعلتها إذا وانا من الضالين عن الطريق بوعي الى مدینة من مدائنك فقررت منكم لما خفتكم» وقد قال الله لنبيه .

كانت أعلى قمم الائمان ، وكما في رسول المدى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ في وجه وجيه من وجوهها.

وقد قال حينه ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ دون «غيري» إذ كان ظلم الانتقاد لاعجل الرسالة دون تقصد ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ سترا عن منعة الرسالة ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ حيث وفقه للفرار وظل عشر سنين في مدين ﴿ثُمَّ جَنَّتْ عَلَى قَدَرِ يَا مُوسَى﴾ (٤٠ : ٢٠) والتفصيل إلى محله. ﴿فَغَرَثَ مِنْكُمْ لَمَّا حَفَّتُكُمْ﴾ . . . ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمُونَ بِكَ لِيُقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ..﴾ (٢٨ : ٢١) «يتربّق» الفرج ، وان يعجل في آجل الرسالة ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ بعد الحكم الأول . وطبعاً . فوقه لحد ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

واما تربيتي فيكم وليدا ولبني عندكم من عمري سنين فلم تكن نعمة تمنها علي :

﴿وَتَلَكَ نِعْمَةٌ مَّنْهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيل﴾ (٢٢).

فلو لا تعبدك بني إسرائيل أسرانا وحصارا وقتلا لولائهم واستحياء لنسائهم لما اضطررت أمي أن تقذفي في التابوت ﴿أَنِ اقْذِفْهُ فِي التَّابُوتِ﴾

. محمد (ص) : الم يجده يتيمًا فآوى . يقول : الم يجده وحيدا فآوى إليك الناس ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ يعني عند قومك «فهدى» اي فهداهم الى معرفتك.

أقول : يعني ضلاله بعد القتل عن طريقه المقصودة الى غير المقصود «ودخل المدينة خائفا يتربّق» ووجه آخر ذكرناه في المتن ، فعلل هذا الوجه غير وارد عن الامام (ع) حيث يتبع من الوجوه الدلالية القرآنية احسن الوجوه! .

فاقتفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له. وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني» (٢٠ : ٣٩).

إذا فأنا صنيع الرب وريّه عندك ، حفاظا ربانيا عن بأسك وأنتم لا تشعرون ، وما كان منكم إلا قصد الانتفاع مني ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَحْذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٨ : ٩) وهذا تعبد لي من وجه آخر غير ما كان لسائر بني إسرائيل.

فأية نعمة تمنها علي وهي في كل زواياها وحواياها تعبد لبني إسرائيل؟ فالرسم الملكي بتقتيل الأبناء المستثنى في ، كان رسما لتعبدي أنا في وجه آخر ، فحتى لو كانت نعمة منك علي ، فهي ليست لتطارد نعمة الرسالة الإلهية وهي أنعم النعم ، فليست قضية النعمة من بشر لبشر نكران أو نسيان النعمة الإلهية الكبرى الرسالية ، على أن كل نعمة تصل العبد فاما هي بتقدير من الله قدّره ، ولا سيما نعمة الحفاظ على نفسي عند أعدى أعدائي ﴿يُأْخِذُهُ عَدُوُّهُ عَدُوُّ لَهُ ...﴾

فهنا لك انحدم صرح الحجاج للجاج الفرعوني صدا عن بازغ الدعوة الموسوية ، فانتقل إلى جاج آخر في صورة الحجاج :  
 ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣).

في ذلك الاستجواب العارم نرى فرعون في اعمق الحمق وسوء الأدب ، ونرى موسى يجيئه كريراً كأن لم يسمع إلى شطحاته القارصة الراقصة فندرس في هذا الحوار كيف يجب علينا ان نحاور خصومنا الظالمين فضلا عن سواهم من المسترشدين.

«ما» هنا تحوين لساحة الريوبية العالمية ، استنكارا لها زعم انه هو رب الأعلى فلا أعلى منه ، حتى يرسل رسولا إلى رب الأعلى !

إنه لا يعي عن النكبة بموسى كرسول ، يحاول القضاء على كيان مرسله رب العالمين ، وهل هو . فقط . سؤال عن الماهية؟ والصيغة الصالحة في الماهية الإلهية هي «من» دون «ما» ثم السؤال عن الماهية ليس إلا بعد الاعتراف بصاحبها وهو ناكر رب العالمين ، لمكان دعواه ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةِ إِنَّمَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ...﴾ (٢٨ : ٢٨) فقد كان دهريا لا يؤمن بالله ولا سيما المدعوه ب ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فانه من يقسم الريوبية بين أرباب عدة ارضية وسماوية ، وهو منهم كما الأصنام منهم : ﴿وَيَنْذِرُكَ وَآهِنَكَ ...﴾ (٧ : ١٢٧). فحتى لو كان معترفا بوجود الله كرب للأرباب ، فهو ناكر لكونه رب العالمين ، اللهم إلا عالما له خاصا كما لسائر الأرباب عوالم خاصة.

وقد يكون الطاغية جاما في سؤاله عن «ما» بين التوهين والاستفهام عن الماهية والكيفية ، فأتى موسى بالجواب الصالح وهو عرض الصفات الفعلية وكما يروى انه لما قال :

**﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ...﴾** قال فرعون متتعجا لأصحابه : ألا تسمعون أسأله عن الكيفية فيجيبني عن الصفات ...»<sup>(١)</sup>.

إذا فهو سؤال استنكار وتحوين لمكانة من سماه موسى **﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** وهنا موسى يضرب الصفح عن تلك المهانة مجينا عن مكانة رب العالمين ، مبينا سعة العالمين دون اختصاص بعالم دون آخر :

**﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾** (٢٤).

(١) تفسير البرهان ٣ : ١٨١ تفسير القمي قال حدثني أبي عن الحسن بن علي الفضال عن ابن بن عثمان عن أبي عبد الله (ع) قال لما بعث الله موسى إلى فرعون . إلى ان قال . : وانا سأله عن كيفية الله فقال موسى رب السماوات ...».

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّوْقِنِينَ﴾ بـأصل الربوبية الأصيلة ، فهـيـ . إـذـاـ الـرـبـوـبـيـةـ الـعـالـمـيـةـ الـخـلـقـةـ عـلـىـ  
الـكـوـنـ كـلـهـ المـعـيـرـ عـنـهـ بـ﴿الـسـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ بـيـنـهـمـا﴾ وـانـ لـمـ تـكـوـنـواـ مـوـقـنـيـنـ بـأـصـلـ  
الـرـبـوـبـيـةـ فـالـسـؤـالـ ﴿وـمـاـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ؟﴾ سـاقـطـ مـنـ أـصـلـهـ ، إـلـاـ هـزـءـ كـمـاـ هـوـ كـذـلـكـ ، إـلـاـ أـنـ  
موـسـىـ الرـسـوـلـ مـهـمـتـهـ اـنـ يـهـدـيـ الصـالـيـنـ مـهـمـاـ كـانـ سـؤـالـهـ مـتـعـنـتـاـ مـسـتـهـزـءـ .  
وـياـ لـهـ مـنـ جـوـابـ يـكـافـيـ ذـلـكـ التـجـاهـلـ العـارـمـ وـيـغـطـيـهـ ، اـنـهـ ﴿رـبـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ  
وـمـاـ بـيـنـهـمـا﴾ الـتـيـ أـنـتـ جـزـءـ مـنـهـاـ ضـئـيلـ ، كـالـذـرـةـ أـوـ الـهـباءـ بـيـنـ شـاسـعـ الـكـوـنـ وـهـائـلـهـ .  
هـنـاـ يـنـبـرـيـ الطـاغـيـةـ بـقـوـلـةـ لـاهـيـةـ لـاغـيـةـ مـلـنـ حـولـهـ ، يـسـتـنـصـرـهـمـ فـيـ القـضـاءـ عـلـىـ حـجـةـ اللـهـ

البالغة :

﴿قـالـ لـمـنـ حـوـلـهـ أـلـاـ تـسـتـمـعـونـ﴾ (٢٥).

أـلـاـ تـسـتـمـعـونـ إـلـىـ ذـلـكـ التـقـوـلـ الـعـجـابـ ، كـيـفـ يـجـرـأـ عـبـدـ مـنـ عـبـيـدـيـ أـنـ يـخـتلـقـ رـبـاـ  
لـلـكـوـنـ كـلـهـ وـيـعـلـمـيـ ضـمـنـهـ وـ﴿أـنـ رـبـكـمـ الـأـعـلـىـ﴾ ! وـقـدـ يـكـفـيـ رـدـاـ عـلـيـهـ اـدـعـاءـهـ الـجـوـفـاءـ الـخـوـاءـ !  
أـمـامـ الـرـبـ الـأـعـلـىـ أـنـهـ مـرـسـلـ إـلـيـهـ مـنـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ !  
أـتـرـىـ مـوـسـىـ يـحـيـيـهـ عـنـ لـاغـيـتـهـ؟ كـلـاـ! بـلـ يـمـرـ عـلـيـهـ مـرـ الـكـرـامـ مـسـتـمـراـ فـيـ تـعـرـيـفـهـ بـرـبـ

الـعـالـمـيـنـ :

﴿قـالـ رـبـكـمـ وـرـبـ آـبـائـكـمـ الـأـوـلـيـنـ﴾ (٢٦).

إـنـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ . رـبـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ بـيـنـهـمـاـ . هـوـ «ـرـبـكـمـ» : فـرـعـوـنـ وـملـؤـهـ ،  
﴿وـرـبـ آـبـائـكـمـ الـأـوـلـيـنـ﴾ فـانـ كـنـتـ يـاـ فـرـعـوـنـ رـبـاـ مـلـنـ حـولـكـ وـمـنـ مـعـكـ كـمـاـ تـزـعـمـ ، فـهـوـ  
﴿رـبـكـمـ وـرـبـ آـبـائـكـمـ الـأـوـلـيـنـ﴾ .

وـهـنـهـ أـشـدـ مـسـاسـاـ بـفـرـعـوـنـ وـدـعـوـاـهـ ، وـأـحـدـ مـرـاسـاـ لـاـثـبـاتـ الـرـبـوـبـيـةـ الـعـالـمـيـةـ ، مـاـ يـدـفـعـ  
فـرـعـوـنـ إـلـىـ قـوـلـةـ جـنـوـنـيـةـ تـحـنـنـ مـوـسـىـ ، وـلـيـسـقـطـهـ عـنـ عـقـلـيـةـ

الحوار ، ويجتثّ الحق عن كل دعاویه :

**﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمْ يَجِدُونَ﴾**(٢٧).

وذلك تحكّم في أصل الرسالة ، فقضاء . في زعمه . على ما يحمله من مواد الرسالة الإلهية ، ضرباً عميقاً عموماً على موسى في الصميم ، كفاحاً عن ضربته السياسية والدينية على فرعون في الصميم.

أترى موسى يقابل الطاغية بالمثل قائلاً : إن ربكم الأعلى لمجنون؟ كلاً! بل هو يمضي

في طريقه قدماً كأن لم يسمع قوله الباغية :

**﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**(٢٨).

فإن كنت أنا الرسول الجنون بسند التعريف بالريوبوبية العالمية ، فمن رب المشرق والمغرب وما بينهما ايها العقلاء إن كنتم تعقلون؟.

أمن العقل نكران خالق العقل والعقلاء ، ونكران الريوبوبية الوحيدة لهذا النظام المنستق بنسق واحد ، والمنظم بنظام فارد ، أم الجنون بعينه هو النظام من نتائج فوضى الريوبويات المتشاكسة ، واللوئام التام دون تفاوت في الخلق من آثار مختلف الريوبويات الشاسعة!.

إن المشرق والمغرب مشهدان معروضان لكل ذي بصر ونظر ، فهل ان الشروق والغروب هما من تصريحات فرعون وآلهته؟ إنه توجيه وجيه يهز القلوب البليدة المقلوبة هزا ، إثارة لمشاعرهم ، وايقاظاً لعقولهم **﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**.

ولا يخشى الطغيان ما يخشاه من يقطنة الشعوب النائمة ، كالبهم المائمة ، المحرضة إلى العقل عن الحقائق في كل حقل ، دون تبعية ببغائية قاحلة ، وتقليدة جاهلة ، ويا له من ترتيب رتيب عجيب في تعريفه برب العالمين ، ابتداء من الأثر العام : **﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**  
**وَمَا بَيْنَهُمَا﴾** الظاهر

حدثها ومربيتها ، فان ادعى قدمها فالى ما لا ينكر في حدوثه ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ حيث الإنسان مخلوق على أية حال ، ثم استدلاً لوحدة الربوبية بنظام الشروق والغروب ، كاللحجة الابراهيمية مع نمرود ، وهذه الثلاث تشتراك في التعريف بالأثار حيث الذات الألوهية وصفات الذات لا تعريف لها ذاتياً إلا بالآثار والأفعال وهي صفات الفعل.

ولما ينتهي امر الحوار إلى إيقاظ الشعب ، يترك فرعون حواره العار إلى التهديد :

﴿قَالَ لَئِنِ اخْتَدَلْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩).

وهذه نهاية الحوار من كل جبار لا يملك برهنة على جبروته ، قتلاً أو نفياً أو سجناً ، ولكيلا يوقف الجماهير فتختلف عن ملكته الجاية وسلطته العاهرة ، وأنه يزعمه الرب الأعلى ، لذلك يتناسى الآلهة الأخرى ، فـ ﴿إِلَهًا غَيْرِي﴾ يعني الرب الأعلى ، دون الأرباب الأدنين الأخرى ، فإنه كانت له آلة تعبد.

و ﴿مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ قد توحى أنه كان في ملكه من يعبد إلهاً غيره كأصل الألوهة ، الله ألم سواه ، أم كانوا في التخلف عن السلطة الفرعونية كمثل موسى.

أتراه يحييه بما أجاب خوفة من السجن؟ وهو استمرار سلفه الصالح يوسف القائل

﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾!

انه يحاول إبانة الحق المرام كما يرام ، فلا يشير إلى سجن وسواه حتى يهديه هداه ، ثم وفي نهاية المطاف يستسلم لما يجري في سبيل الدعوة والله هو المستعان على ما يصفون. وترى موسى بماذا يحب الطاغية عن تحدidente العارم ، انه يوجهه إلى وجهة أخرى

خارقة :

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْنُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠).

و «لو» هنا احتياطة عاقلة مع الطاغية ، حيث يحيل ان يكون موسى على حق مبين ، ولكن على فرض الحال ﴿أَوْلَوْ جِئْنُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ يبين حق دعوای اکثر مما باع ، ويبيّن حق الربوبية العالمية أوضح ما كان ، أهناك . أيضا . تحدّدي بالسجن وترمي بالجنون؟.

طبعا لا! وكل ذي حجي مهما تنازل عن حجاه يقول : لا ، فلنجرب الداعية هل يأتي بشيء مبين ، وهنا الطاغية يتطلب اليه ان يأتي بشيء ، واثقا انه لن يأتي بأي من شيء:

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١).

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك الرسالة ، و ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ان تحيني بشيء مبين ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ تعجيزاً لموسى (ع) كأنه من الكاذبين.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٢) وَنَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ  
﴿.﴾ (٣٣).

آيتان باهتان قاهرتان تحولان جو البلاط الفرعوني المتبلج إلى جو متجلج ، مما يحمل فرعون إلى خربطة القول ف :

﴿قَالَ لِلْمَلِأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤).

لقد شعر فرعون . وهو لا يشعر . انه خارقة منقطعة النظير في كل ما رأه من سحرته ، فأحس بضخامتها فوخامتها في وجهه أمام حاشيته ، إذ كادوا يتملقون من حوله ، فحاول التغطية بهذه التخطئة : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾!

«علیم» مكين في علمه ، ليس كالذين نعرفهم عندنا ، بل ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ ..﴾ (٥٠) فموسى هنالك في حواره الذي

الجمله «مجنون» هناك وهنا في شيعه المبين «ساحر» وقد أتم وأطم آية الثعبان واليد البيضاء ، محسوسة ملموسة ، إلى الآيات الفطرية والعقلية ، فالطاغي الذي يتنازل عن عقله وفطرته فلا تفيده البراهين ، ينفل إلى آيات محسوسة يصدقها حتى المجانين ، ولكن هذه الطاغية ليس ليسكت عن غوغائيات التهم الجارفة ، الها رفة الخارفة :

**﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجُكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ﴾** (٣٥).

فلا أنه يرى تشاولهم إلى أرضهم ، وإن هذه السلطة هي بغيتهم الأصلة الحاصلة ، يهددهم بإخراجهم من أرضهم لو اتبعوا هذا الساحر العليم ، وفي ذلك استلال السلطة الروحية : **﴿وَيَلْهَبَا بِطَرِيقِنَّكُمُ الْمُثْلَى﴾** (٢٠ : ٦٣) والزمنية المزيفة بها ، وهذه غاية الشيطنة في الفرعنة.

وقد يبدو من هذه القولة عظمة الآية مهما سماها سحرا حيث يصف صاحبها بأنه عليم ، ليس كسائر السحر ، ويبدو خوفه من تأثير من حوله فيهددهم بإخراجهم من أرضهم ، ويبدو تضعضعه وتكاويه أمام هذا الساحر العليم ! فيستمد من حوله متواضعًا متسلكا . وقد ادعى انه رحيم الأعلى . فيطلب أمرهم ورأيهم في ذلك المأزق الخطير **﴿فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ﴾** ! ومتى تراه كان يطلب أمرهم وهم له يسجدون؟.

انها شنثنة الطغاة بعد طنثنتهم حين تزل اقدامهم وتضل أحلامهم وتكل افهمهم ، فيلينون في القول بعد الخشونة ، ويتواضعون لأمرهم ورأيهم بكل مرونة بعد العرونة ، ويا له كيدا ما أشطنه في ثالوثه المنحوس : **﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾** حيث استفاد هذه التهمة من السحر ، فقد يجوز ان ينتهي بسحره إلى ذلك الحد القمة **﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجُكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾** وارض الوطن بهذه السلطة القوية المرموقة محبوبة لأهلها كأنفسهم **﴿فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ﴾**

كلام من يحرك العواطف الدفينة ويعطي على الضغائن الكامنة ، ويستحدث الحاشية الملكية على إمعان التفكير لتخليص الملك وإياه عن ذلك المأزق العميق ، فكانت النتيجة أن :

**﴿قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦) يأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلَيْهِ﴾ (٣٧).**

هنا يشير عليه ملأه أمريرن كما تطلب منهم ، وهم شركائه في فرعنته وصرح سلطته ، وأصحاب المصلحة فيبقاء كيانه **﴿قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ﴾** إمهالا إلى أجل دون عجل ، فإن هامة أمره الإلهي تقتضي ترويحا ومحاولة جماعية : **﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ﴾** المصرية أم وسواها **«حاشرين»** : جامعين **﴿يأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلَيْهِ﴾** دون سقوطهم ، بل اصطفاء للريعيل الأعلى منهم لإقامة تلك المبارزة الساحرة القاضية على هذا السحر العظيم.

لقد كان يعلم فرعون أن له ساحرين ، ولكنه اختلط عقله ، مغلوبا عليه من دهشة الموقف القاهر ، أم لم يكن يرى فائدة وعائدية من جمع السحرة لمعالجة الموقف فاستأنم حاشيته فرأوا رأيهم هذا تأجيلا للفضيحة ، وتغطية عاجلة على الموقف الحاسم.

**﴿فَجَمِعَ السَّحَّرُهُ لِمِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (٣٨).**

وهو **﴿يَوْمُ الزِّيَّةِ وَأَنْ يُخْسِرَ النَّاسُ ضُحَّى﴾** (٢٠ : ٥٩) كما قرره موسى بما تطلب منه فرعون : **﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ لَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَى﴾** (٥٨). **﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ جُنُّمُونَ﴾** (٣٩) لعلنا نتبَعُ السَّحَّرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِيَنَ

**﴾هَلْ﴾ (٤٠).**

هنا استعطاف ماكر للناس حيث لا يؤمرون ، وإنما يستأنفون :

أَنْتُمْ جُنَاحُمُونَ》 وطبعاً 《لِمِيقَاتٍ يَوْمٌ مَعْلُومٌ》 تلحيقاً بما فيه هياج الجماهير ، وتحميسهم 《لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ》 وهي الغاية المقصودة من ذلك الاجتماع الحاشر 《إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ》 و «هم» هنا تؤكد جانب الإثبات في هذه الشرطية المشككة ، وهكذا تستحوذ الجماهير المستحقة المطاوعة المجيبة لكل ناعق دون تفطّن للغاية الماكنة ، وان الطغاة يعيشون بها ويلهون ، ويشغلونها بهذه المباريات ليلهوها عما تعنيها وتعانيها من كبت دائم ، واحتياك لهم خائب ، دونها حنكة وتعقل ، سيقة لكل سائق ، سامعة لكل ناعق.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفَرْعَوْنَ إِنَّا لَأَجْرُوا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (٤٢)

هذه قولتهم لأنهم . بالفعل . عملاً قضية ضغط الموقف ، يستزيدون أجرا على رواتبهم 《إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ》 والجواب بطبيعة الحال 《نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ》 من الحاشية الملكية المتفوقة على سائر الموظفين ، وهذه هي البغية الفرعونية الباغية الغادرة ، فلذلك لا يدخل عن سؤل السحرة ، بل ويزيدهم اجرا معنويا على مادية المسؤول ، وإلى مشهد المباراة المعاكسة للمرام ، المضادة للمرام ! :

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصَبَيْهِمْ وَقَالُوا بِعْزَةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤)

تقديم الاقتراح من موسى (ع) تحدّد لهم هارع وتحدد بارع ، و 《أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ》 يستحوذ كامل قوّاتهم ، ويستحصل كل قدراتهم في هذه المباراة الخامسة الجماهيرية ، مستصغرا جموعهم المحتشدة ومعهم القوات الهائلة الفرعونية وأهل الأجل والزلقى ، ومعه ربه سبحانه وتعالى واجره والزلقى وهكذا يجب على كل داعية حق ان يستقدم ما عند داعية الباطل ليقضي

عليها من فورها ، ولو أن موسى ألقى قبلهم كان قد ألغى الموقف الجامع حيث يفر الجماهير من ثعبانه فلا يبقى مجال للمبارات ، وقد يؤكّل ما ألقاه انه سحر أعظم ، فلما ألقوا أغنى ما ألقوه بما ألقى من فورهم فغلب الحق وبطل ما كانوا يأفكون.

وليس في تطلّبه سحرهم طلب الباطل ، إذ كان يقصد إبطاله بآيته الإلهية ، وتطلّب ظهور الباطل لإبطاله حق يساند الحق.

**﴿فَأَلْقُوا حِبَالَمْ وَعِصِّيهِمْ﴾** فلما رأوها تحرك بكيدهم ، محلقة الموقف بكل رعب وإعجاب ، مما لم يسبق لهم مثيله بهذه الصورة الجماعية الهائلة ، اشتبه عليهم أمرهم واطمأنوا إلى غاياتهم المنشودة كأنما هي الآن حاصلة **﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾** فان جمع العصي والحبال لا بد وأن تتغلب في سحرها على سحر اليد والعصي الواحدة ، تقديراً ظاهراً وهم عن الحق هم غافلون.

**﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾**(٤٥).

فاللقف هو الأكل السريع ، الحاذق الخارق ، فقد أكلت الثعبان المبين كلّ ما يأفكون دونما رجع أو رجيع ، مما يؤكد أنها آية إلهية بعيدة عن السحر ، حيث السحر تخيل وذلك الواقع لا مرد له ، وغلب سحر على سحر ليس إلا غلب خيال على خيال دونما واقعية مشهودة! ومهما تشکك في واقعه مرتابون ، فليس ليتشکك فيه مهرة الفن : السحرة ، فموقفهم سليباً أو ايجاياً موقف حاسم لا ينكر له إلا من ينكر عقله وحسه. وإنما مفاجئة مذهلة غير متوقعة للسحرة ، عصى تقلب حية تسعى وثعباناً مبيناً ، هي لوحدها تلتف ما يأفكون ، دون ان تبقي لها على أثر.

**﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى﴾**

### وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ .

وترى من ألقاهم ساجدين سواهم أنفسهم؟ إنه هيبة الموقف ، فخلافا لما كانوا يأملون أدهشتهم الآية البارعة فلم يتمالكوا أنفسهم إلا تساقطا على الأرض سجدا ، حيث الحق قد لمس عواطفهم ومس شغاف قلوبهم ، هزة مفاجئة أزالت عنهم ركامات الضلال في لحظات قصار وهم كانوا قبلها هارعين إلى البغيضة الملكية الطاغية ، فتحولوا . إذا . بكمال كيانهم إلى «ساجدين» ونطقوا ألسنتهم كلمة الحق التي كانوا لها ناكرين «قالوا» قالا وحالا وفعلا آمَنَّ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٩﴾ لا فحسب الإيمان بالله الواحد ، بل وبرسالته أيضا المتمثلة في موسى وهارون رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٥٠﴾ تاركين أية روبيبة سواها .

هنا التامر الحاشد من الحاشية ، الناتج عن تلك المباراة الحاشدة ، مع كافة الصعوبات التي كلفتها حتى أفتها ، أصبح ذلك التامر هشيمًا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدا ، فتلجلج فرعون وملاهه وتبلج موسى وملاهه ، وآمن السحرة ، لحد أصبح بطن الأرض اريح لفرعون من ظهرها ، حيث استأصلت كل محاولاته ومكيداته ، فلم تبق له باقية إلا باعيةأخيرة هي شيمة كل باعية :

**﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قَطْعَنَّ أَيْدِيْكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلَافٍ وَلَا صَلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٩).**

ويكون الإيمان . أيضًا . كسائر الأمور المسيرة الميسرة بالإذن . بحاجة إلى اذن ، خلطا لعمل القلب بعمل القالب ، ولأن ذلك البليد الطاغي يدعى السلطة المطلقة على شعبه ، فلتكن قلوبهم . أيضًا . بيده .

و هنا ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ دون «به» نكایة بایمانهم انه ليس إسلاما عن قلب ، بل هو استسلام لسحر أعلى أمام ساحر علیم ایمانا لصالحه ، تحويلا للآلية إلى سحر ما وجد اليه سببا.

إنه لا يشعر قلبه ما استشعره هؤلاء من الحق ، وهم أحرى من سواهم في تمييز الآية من السحر ، ومتى كانت للطغات قلوب يفهون بها حتى يلمسو هذه اللمسات الحية الوضائة.

هنا الطاغية يشئي تکمة الاستسلام بأخری يتهدى بها . في زعمه . صرح السحر من هؤلاء السحرة ، وأنه تامر على السلطة الفرعونية : ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ﴾ ومتى كان بينهم حتى يعلّمهم ، ومتى سبق له سحر حتى يعلمه فيعلّمه ، ومهما يكن من أمر يكون له مأخذًا في هذه التهمة ، فهو أن بعض هؤلاء . وهم من الكهنة . كانوا يتولون تربية موسى حين كان وليدا في قصره ، ولكنه يعاكس تکمته الى ضدها ، إنه (ع) تعلم من هؤلاء ، فبدلا من قوله «انه لتلميذكم ..» قال ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ..﴾ ليزيد الأمر ضخامة في أعين الجماهير ووخامة في قلوبهم.

ولكن هذه الثانية كما الأولى لا تجد مجالا من القبول ، فالسحر فالتة ، والحسد متنزل أو متتحول ، فالى ثالث ثلاثة هي التهديد بالصلب القاسي الذي كان يجري بحق أعصى العصاة وابغى البغاة :

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ماذا أفعل بكم ايها الخونة المتمردون ! ﴿لَا قَطَّعْنَّ أَيْدِيْكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَبَّنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ والسلطة قاهرة والطاغية قادرة ، فلو كان إسلامهم استسلاما لكانوا يستسلمون للسلطة الفرعونية ، إذ لم تكن موسى سلطة زمنية ، اللهم إلا آية إلهية ، ولكنهم أثبتوا دون آية ريبة أن ایمانهم واقع دون مماراة ، لا مرد له ولا تحويل.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبِّنَا حَطَابِانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥١).

«قالوا» بـأجمعهم «لا ضير» لنا فيما تحدّدنا إذ ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ انقلاباً تاماً لنا

، طاماً لكياناً ، فلا مجال لك فينا ، ولا رجعة لنا إلى ما كنا :

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قاضٍ إِنَّمَا تَنْهِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيغْفِرَ لَنَا حَطَابِانَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّخْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى. إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيِي﴾ (٢٠ : ٧٢ - ٧٤)

﴿وَمَا تَنْقُمُ مِنَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبِّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَرِّاً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (٧ :

١٢٦). اجل «لا ضير» في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ، ولا في تصليبنا أجمعين

﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ عن حماة هذه الأدنى ، فلا مطعم لنا إذا ولا مطعم إلا ﴿أَنْ يَغْفِرَ

لَنَا رَبِّنَا حَطَابِانَا﴾ طول حياة التكليف حتى الآن ، ﴿يَغْفِرَ لَنَا﴾ لـ ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

حيث سبقنا في هذه المباراة غيرنا في الإيمان ، بل وسبقنا المؤمنين في صمود الإيمان.

فيما لله ، يا لروعة الإيمان وضوئته إذ تشرق في الصماoir الحية ، وتفيض على القلوب

المستعدة فتسكب الطمأنينة في نفوس نفيسة في أعماقها ، مهما كانت بخيسة خسيسة في

أوحاقها لفترة . مهما كانت طويلة . من أوقاتها ، فترتفع بسلامة من طين إلى أعلى علّيـنـ.

فلما تصل النفوس إلى هذه القمة المرموقة يوحى إلى الرسول ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ..﴾ .

وهنا يسدل الستار على موقف السحرة المهددون به إلى فرار موسى ومن معه إلى

جانب البحر :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (٥٢).

أتري فرعون طيق على السحرة المؤمنين ما أوعدهم؟ لا إشارة له! ولو كان لبان كحدث هائل في تاريخ الرسالات ، قتلا وصلبا جماهيريا لخشدا كبير من السحرة! والجحّ آنذاك ما كان يسمح أو يفسح مجالا لهذه القتلة الهائلة ، فإن غلب الحق في تلك المبارزة أوقع على فرعون وملئه أثقل الوقعات ، فكيف يجرأ على هذه العملية الفاتكة بحق الكبراء من قومه الخصوص ، وقبل أن يلاحق موسى ومن معه؟! وطبيعة النقم على الفرعونية الجبارية تقتضي التصريح بهذه القتلة لو حصلت ، تأكيدا لإيمان من آمن من قومه ، وتبييدا للفعلة الفرعونية الطاغية!.

قد تلمح ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ انهم هم السحرة المؤمنون حيث حققوا حق العبودية لله ، ام . ولا قل تقدير . انهم منهم ، ف «عِبَادِي» هم بنوا إسرائيل والسحرة المؤمنون ، بل وجموع آخرون من دخلوا في زمرتهم في الردح الفاصل من الزمن بين المبارزة والإسراء إلى جانب اليم ، فلم يكن موسى الرسول وأخوه بمن معهما من المؤمنين سكتا لا ينطقون فلا يدعون إلى الله طول هذه المدة وهم على بينة قاضية شاهقة بين الجماهير!.

فقد كان الإيمان لموسى مثلثة الزوايا ، السحرة بطبيعة الحال ، وجماعة آخرون من القبط ، وجماعة من بني إسرائيل ، قد يشملهم كلهم آية يونس التالية للمسابرات ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرَيْةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى حَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَتِهِمْ أَنْ يَقْتَنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٥٣ فحبس فرعون من آمن بموسى (ع) في السجن حتى أنزل الله عز وجل عليهم الطوفان والجراد والقمل والصفادع والدم فأطلق عنهم فأوحى الله عز وجل إلى موسى «أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ».

أترى «من قومه» تعني . فقط . قوم موسى الإسرائيليين؟ وقد آمن له السحرة أفضل إيمان في هذه المباراة ، وهم أفضل من سواهم إيماناً إلا قليلاً من بني إسرائيل المخلصين! أم هم قوم فرعون من السحرة ومن تابعهم؟ وبعد الضمير يبعده! وقد آمن مع موسى جم غفير من قومه مهما آمن له معهم آخرون!

أم هم القومان وضمير الغائب هنا له مرجعان ، فقد آمن موسى ذرية من قوم فرعون هم السحرة ومن تابعهم ، وذرية من قومه نفسه ﴿عَلَى حُوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ﴾ كأصل المخافة و«مَالِئِهِمْ» القبط المترفين ، والاسرائيليين العملاء لهم حفاظاً على مكانتهم في عمالتهم الخاوية ، وهكذا يكون دوماً فرقة الایمان ، انهم هم المستضعفون الذين لا يحسبون بشيء أمام الطغاة والكبار ، المترذلون في حسبائهم ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعْكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ (٢٦ : ١١)! ومن هنا يعبر عن المؤمنين له بقوله مهما كانوا قبطاً ، حيث الایمان الموحد يزيل الفوارق القومية : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بَيْوَتًا وَاجْعَلُوا بَيْوَتَكُمْ قِبْلَةً...﴾ (٨٧). وقد تعم بنو إسرائيل في هذا المجال غيرهم من المؤمنين ، ام انه تعبير عن الكل باسم الجل تغليباً ﴿وَجَاؤُنَا بِنَيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَخْرَ...﴾ (٩٠).

وعلى اية حال يؤمر موسى بعد نجاحه في المباراة ان يفر بقومه سرياً ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ أتراهם لم يكونوا متبعين طول هذه المدة إلا لما أوحى إلى موسى؟ اجل ولكن اين إتباع من إتباع ، فهم كانوا متبعين ملاحقين وهم يتحملونه إذ كان محمولاً ، ولكنهم الآن متبعون استئصالاً لهم عن بكرتهم.

**﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هُؤُلَاءِ لَشَرِذَمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا جَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ (٥٦).**

لقد أسرى موسى بعباد الله ليلا نحو اليم بسرعة خارقة بارقة ، وسمع فرعون بهذه المكيدة النابغة ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ إِلَيْهِ الْمَدَائِنِ﴾ المصرية ككل «حاشرين» يجمعون الناس ليسمعوهم تالية الدعایات ضد الرسالة الموسوية وأتباعها :

«إن هؤلاء» الشاردون «لشذمة» : جماعة منقطعة عما يصلحها ، مطرودة عن مجتمعنا ، بقية بالية باقية من بنى إسرائيل «قليلون» عدة وعدة. «وانهم» على قلتهم وعلتهم ﴿لَنَا لَغَائِطُونَ﴾ من سوء صنيعهم بين شعبنا ودعايائهم المضللة فيهم.

﴿وَإِنَا جَمِيعٌ﴾ مجتمعون ، في سلطتنا زمنيا وروحيا «حاذرون» عما يصطدمها روحيا وزمنيا «شاكون في السلاح»<sup>(١)</sup> ، لذلك فانا نتبعهم فنقضي عليهم إزالة للفساد وإصلاحا للبلاد.

ذلك كيد فرعون وملأه ليقضى قضاء حاسما على شذمة قليلة مغيضة له ، ولكن الله يعكس امره ضده :

﴿فَأَخْرَجَنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا<sup>(٢)</sup> بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩).

كيف وهم خرجوا متبعين ، ينسب الله خروجهم إليه؟ حيث قدر في خروجهم إخراجهم ، وفي اتباعهم موسى ومن معه إخراجهم ، «كذلك» فعلنا بهم ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (٦٠).

(١) تفسير البرهان ٣ : ١٨٣ : تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله «لشذمة قليلون ... وَإِنَا جَمِيعٌ حاذرون» يقول : مؤداه في الأداة وهو الشاكبي في السلاح.

اتبع الجمع الحادر الغادر شرذمة قليلة «مشرقين» حالة الإشراق ، وطبعا بسرعة أكثر منهم حتى يلحوظهم لحد الترائي ، والمعركة المصيرية بالغة الذروة والضراوة ، والمشهد قريب إلى النهاية ، فموسى ومن معه أمام اليم ليست معهم سفن وزوارق يجتازون بها ، وقد قاربهم فرعون بجيشه الجبار شاكو السلاح ، مستعددين بكل قواهم للقضاء عليهم ولم يبق هنا أمل للضفة المؤمنة إلا المعية الربانية وقد أدركتهم كما وأهلكت الآخرين.

**﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجُمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرُكُونَ﴾ (٦١).**

إن هي إلا دقائق ونحن مدركون ، فقد بلغ الكرب مداه ، هجمة الموت الممجية الهائجة ولات حين مناص ، وفات يوم خلاص ، فإما خوضا في اليم فغرقا ، أم نظر هنا كما نحن فحرقا! والترائي هو التقارب والتداي لحد يصبح كل بمرأى الآخر ، وإن لم ير بعضهم بعضا بموضع كمثار العجاج ، ورهج الطراد ، فالمراد هو تقارب الأشخاص ، لا . فقط تلاحظ الأحداث وكما يقال في حين متقاربين تراءى نارهما.

**﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينَ﴾ (٦٢).**

كلا! لا إدراك لو كان لكم إدراك ، ولا هلاك إلا لعدونا إن كنتم مؤمنين **﴿كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي﴾** معية العلم والنصرة ، لا يفارقني عند المهالك ، ولا يتخلى عنِّي في المعارك ، فلا يذلني أو يضلني ، بل «سيهدين» بخارقة ربانية كما هداني في المبارزة ، وفي كل ما هو آت ، إن ربِّي دعاني لهذه المسيرة فهو الذي يكلائني ويرعايني <sup>(١)</sup> ، وإن لم ير بعضهم بعضا بموضع كمثار

(١) نور الثقلين ٤ : ٥٥ في مناقب ابن شهر آشوب ابراهيم بن أدهم وفتح الموصلي قال كل واحد منهما كنت أسيح في البدية مع القافلة فعرضت لي حاجة ففتحت عن القافلة وإذا أنا بصبي يمشي فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت له : إلى أين؟

العجاج ، ورهج الطّراد ، فالمراد هو تقارب الأشخاص ، لا . فقط . تلاحض الأحداث وكما يقال في حين متقاربين تتراءى نارهما.

**﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣).**

لقد هدأه ربه بما أوحاه **﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾** ويا لها من عصى تحمل آيات عظيمة ما أعظمها في مباريات بين موسى وفرعون «فانفلق» البحر فلقتين وفرقتين **﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾** وانشق بين فرقي الماء طريق يبس : **﴿لَا تَخَافُ دَرِكًا وَلَا تَخْشِي﴾** (٢٠ : ٧٧) **﴿وَجَاؤْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ..﴾** (١٠ : ٩٠) فالفرق هو الجزء المنفرد منه ، والطود هو الجبل الشاهق في السماء ، فقد أصبح البحر خندقا فيه طريق يبس مستو وطرفاه جبلان شاهقان من الماء ، ويا لها من آية باهرة قاهرة ، فانفلاق ماء البحر ككل آية ، والطودان بطريق الممر آية ، وبقاء البحر كحالته هذه حتى دخل فرعون بجنوده آية ف **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (٦٧) !.

إذا فما هي حيلة فرعون ، هل يقف باهتا ساخطا بعض عليه الأنامل من الغيض؟

وهو يراه أقدر من موسى ومن معه وهم يعبرون الخضم الملتهم :

. قال : أريد بيت ربي ، فقلت : حبيبي انك صغير ليس عليك فرض ولا سنة ، فقال : يا شيخ ما رأيت من هو أصغر مني سنا مات ، فقلت : اين الزاد والراحلة؟ فقال : زادي تقواي وراحتي رجالاي وقصدني مولاي ، فقلت : ما أدرني معك شيئا من الطعام؟ فقال : يا شيخ هل تستحسن ان يدعوك انسان إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟ قلت : لا . قال : الذي دعاني إلى بيته هو يطعمني ويسقين »أقول والصي كان علي بن الحسين (عليهما السلام) كما ذكر في أواسط هذا الكلام على طوله واختصر منه ما ذكر.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ .<sup>٦٦</sup>

«وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتباعهم فرعون وجندوه بغيا وعدوا حتى كأنها جادة جادة لهم إلى المقصود ، طريق مكشوف يعبرونها ، وهذا هم واصلون إلى جانب البحر ، فليغمر الغيض بغمر الغيض ليفعل فعلته التي يروم ، ولكن :

﴿إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنَتْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَنْهَا إِسْرَائِيلُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩٠ آتَاهُنَّ وَقْدَ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٩١ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِمَا نَكَرْتَ لِتَكُونَ لِمَنْ حَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ .<sup>٩٢</sup> (١٠ : ٩٢).

الإزالف هو التقرب ، والآخرين هم فرعون ومن معه أجمعين ، فقد قرب الله فرعون والذين معه إلى بحر الهالك ، وأنجى موسى ومن معه من البحر الهالك والبحر هو البحر والماء هو الماء ! ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ لما دخلوا البحر ، عن آخرهم ، وبطبيعة الحال لم يغرقوا إلا حين طم البحر أو لهم آخرهم ، وقد تعني «أزلفنا» إزالف بعضهم إلى بعض ككومة واحدة ، وإزالفهم إلى موسى ومن معه ، إلى إزالفهم إلى البحر فازالفهم في خضمّه هالكين .<sup>(١)</sup>

(١) نور الثقلين ٤ : ٥٣ في الخرائج والخرائح ان عليا (ع) قال : لما خرجنا إلى خيبر فإذا نحن بواطن ماء فقدرناه فإذا هو اربعة عشر قامة فقال الناس يا رسول الله (ص) العدو من ورائنا والوادي أمامنا فكان كما قال أصحاب موسى إنا لنذرُونَ فنزل (ص) ثم قال : اللهم إنك جعلت لكل مرسل عالمة فأتنا قدرتك ثم ركب عبرت الحيل والإبل لا تندى حوارتها ولا أخلفها.

وقد ينسب الله إزلافهم إلى نفسه المقدسة لأنه هو الذي كادهم بما جعل في البحر طريقاً ييساً فطمع فرعون وجنوده لاجتيازه ، ثم رجعوا إلى حاليته الأولى فغرقوا أجمعين ، فهم لم يكونوا يقدمون على غرقهم بذات أيديهم دون ريب ، لو لا هذه المكيدة الربانية.

**﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ﴾**  
.(٦٨).

**﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾** الذي حصل في تلکم المباريات من آيات «لَايَة» وعلامة قاطعة قاصدة لمن يحنّ إلى إيمان «و» لكن **﴿مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** و «هم» هنا قدر اليقين هم فرعون وملئه ، ومعهم بنو إسرائيل ، فقد آمن من الأولين السحرة وقليل سواهم ، كما آمن من الآخرين قليل ، وقد يبرهن لهذه القلة الرهيبة الثانية **﴿وَجَاءُونَا بِتَنَزِيلِ إِسْرَائِيلَ الْبُخْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلَهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** (١٣٨ : ١٠).

ثم وفي واجهة عامة عدم الایمان من الأكثريّة الساحقة أو المطلقة كان ضابطة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي ، اللهم إلا زمن الدولة الحقة العالمية للقائم المظفر المهدى (عليه السلام) ، **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾** لا يغلبهما تغلب الكافرون وتقلبوا في البلاد «الرحيم» بعباده المؤمنين كواقع ، وبكل عباده في حقل الدعوة الجماهيرية **﴿فَمَنْ شاءَ فَلَيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلَيَكُفُرْ﴾**.

**﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً إِنْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرُ لَهَا**

عاكِفينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْعَوْنَكُمْ أَوْ يَضْرُوْنَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِي (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ (٨٠) وَالَّذِي يُمْسِيْنِ مُمْسِيْنِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي حَطِيَّتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَحْقِنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانًا صِدْقًا فِي الْأَخْرِيْنَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبَعَّثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأَرْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَرُزِّرَتِ الْجَحِيْمُ لِلْغَاوِيْنَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢)

مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبَكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجِئْنُوكُمْ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْحُرُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعَيْنَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

﴿وَاثْنَ عَلَيْهِمْ نَبَأً إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩).

خبرنا ذا فائدة عظيمة لقبيل الایمان من ابراهيم ، فانه عاش منذ طفولته جو الشرك ، وبدل أن يتآثر . كما هو طبيعة الحال . أثر أثرا عميقا وأرجف صرح الشرك بوحدته رغم جمعه .

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٧٠).

تلك التلاوة المباركة على المشركين الزاعمين انهم ورثة ابراهيم على دينه القديم ، تنديدة شديدة بضم ، انه خالف آباء وقومه إلى الهدى ، وأنتم تخالفون ابراهيم وشرعته إلى الردى ، فأنتم إذا خلف متخلفوون فيماذا

تفتخرن؟.

فإلى حلقة الرسالة الإبراهيمية إلى قومه الألداء ، وحواره الصارم معهم في قوة الأداء ، وهنالك حلقات أخرى من صورة هذه الرسالة الوضاءة وسيرتها في البقرة والأنعام وهود وابراهيم والحجر ومريم والأنبياء والحج ، كلّ تناسب جو السورة بما تتطلبه الدعوة القرآنية .. وهنا اختصار دون احتصار لمحاجته أباه وقومه ولكلّ تفصيل في محالها من السور.

**﴿إِذْ قَالَ .. مَا تَعْبُدُونَ﴾** وهنا لـ «ما» دورها في تجهيزهم بعبادتهم غير العاقل ، ويتساءلهم عن ماهيتها لكي يركز حواره على جوابهم عنها ، وهذه طريقة حسنة في الحوار ان تتبني ما عليه محاورك فتبني عليه محاورك سنادا إلى ما يعترض به.

**﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرُ لَهَا عَاكِفِينَ﴾** (٧١).

«أصناماً» من مختلف المواد ننحتها «فنظر» دوما أحيان العبادة «لها» دون سواها «عاكفين» عكوف العبادة وعبادة العكوف من يسمون أناسى أحياه لبث غير ذات الأرواح.

وفي «نظر» غير الداخلة في صميم الجواب اظهار لصميم عبادتهم لها بكل ابتهاج تثبيتا للجواب.

**﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾** (٧٣).

فسمع السؤال عن سؤل ، ثم نفع منهم لكم أو ضرّ ، هذا هو أقل ما يتتوفر لإله يعبد ، فان كانت صماء لا تسمع كما هي ، فهل تملك نفعا أو ضرّا دون ان تسمع لحاجة ، فإذا «لا» كما هي فعبادتها . لاغية! حيث العبادة تعني حرمة المعبد وحاجة إليه طلب نفع أو دفع ضر ، وهذه العبادة خاوية

عن كل معانيها ومحاذيقها.

هنا يخسر قومه وأبواه عن إجابة قاصدة عاقلة إلى ما تعودوه من قوله لاغية :

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذِيلَكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤).

لا حجة لنا فيما نعبد إلا تقاليد الآباء ، ولكن : ألم يكن الموحدين من أنبياء وسواهم من آبائهم ، فهم تاركوهם ، ثم هم على آثار المشركين منهم يهرونون ، ثم السؤال ينتقل إلى آباءهم المشركين ، وليس الجواب إلا نفس الجواب ﴿لَنْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذِيلَكَ يَفْعَلُونَ﴾ فليصل إلى الأب الأول أول الموحدين ، فلما ذا تركتموه على أبوته الأولى ، إلى المتخلفين من ولده المشركين ، ترجيحاً للمفضول على الفاضل؟

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا

﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧).

فقد عبد شطر من آباءكم الأولين رب العالمين ، وعبد آخرون سواه ، «أفرأيتم» نظراً إلى كيان العبودين إلها وسواه؟ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ جميعاً ﴿إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ عداء للفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وللعقلية الإنسانية وما دونها ، ولأية مرحلة دانية من الإدراك ، فإنهم كلهم بعبوديهم من المربوبين لرب العالمين.

فالاستثناء . إذا . متصل ، حيث الآباء الأولون لم يكونوا جميماً من المشركين ، وفي ذلك الانضمام تأشير عشير أن آباءكم الأقدمين لم يكونوا كلهم مشركين ، ثم ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ جمع بين العابدين والعبودين ، الجدد والأقدمين ، إشارة إلى أن القدمة بمجردها ليست دليل القبول ، فليخلط القديم والجديد ، وليقبل منهما القابل للتصديق.

ثم وعباده الله بعباديه أقدم من سوى الله عابدين ومعبودين ، إن كانت القدمة دليلا يتبع ، فالأب الأول . آدم (ع) . كان موحدا داعيا إلى التوحيد ، ثم الذين معه وبعده من الموحدين

وترى كيف تشمل «عدو» الأصنام وهي لا تشعر كما اعترف به عابدوها؟ علّها العداوة الآجلة يوم الدين حيث ينطقها الله كما قال : ﴿كُلَا سَيِّكُفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا﴾ (١٩ : ٨٢) .

أم والعاجلة حيث العداء ذاتية بين المعبد بغير حق والعبد العاقل مهما لم يشعره الصنم ، أم لأنه سبب الضلال فعدو وإن لم يشعر ، أم لأن في المعبد من دون الله عمالء كالطواحيت؟ والجمع أجمل فانه اشتمل.

وإنما أفرد «عدو» رغم جمع الأصنام ، حيث العداوة هنا واحدة وفي اتجاه واحد ، كما ﴿هُمُ الْعُدُوُ فَاقْتُلْهُم﴾ (٤ : ٦٣) .

فأنتم وصفتم أصنامكم بما وصفتم ، وارتكتستم كما ارتكتستم ، فتعالوا معى لتعرفوا ﴿رَبَ الْعَالَمِينَ﴾ الأقدم في كونه معبدا ، والمالك لبراهين الألوهية الحقة :

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِيْنِ﴾ (٧٨) و﴿الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِ﴾ (٧٩) و﴿إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ﴾ (٨٠) و﴿الَّذِي يُيَثِّنِي مُمْكِنِينِ﴾ (٨١) و﴿الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين﴾ (٨٢) .

أبواب ثمان لمعرفته تعالى عدد أبواب الجنة ، لا يتركها إلا كل ذي جنة :

١ - ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ فهل الخالق أجرد بأن يعبد أم المخلوق؟ يقدم

خلقه نفسه لأنّه أقرب آية وأثنّها وأنقذها دليلاً على خالقه (١)

## ٢ - ﴿فَهُوَ يَهْدِي﴾ لا سواه ، حيث الهدایة الكاملة الشاملة تقتضي كامل القدرة

والعلم وشامله ملئ يهدي ، فقد انشأني من حيث يعلم وأنا لا أعلم ولا من سواي من أنشأه ، فهو العالم بسُؤلي لا سواه ، والعارف بجالي وما لي وكل ما لي لا سواه «فهو» إذا «يهدين» إلى ما خلقني لأجله ، وقد هداني فطرياً وعقلياً وحسياً إليه ، وأراني آياته في الآفاق وفي نفسي ﴿أَوَمْ يَكُفِّ بِرِبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؟ هناك «خلقني» هو محور المعرفة ،

(١) الدر المنشور : ٥ . عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا توضأ العبد لصلاحة مكتوبة فأسဉغ الوضوء ثم خرج من باب داره يريد المسجد فقال حين يخرج : بسم الله الذي خلقني فهو يهدين هداه الله للصواب . ولفظ ابن مرويـه . لصواب الأعمال ﴿وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِنِي﴾ أطعمه الله من طعام الجنة وسقاـه من شراب الجنة ﴿وَإِذَا مَرْضَتْ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ شفاء الله وجعل مرضه كفارة لذنبـه ﴿وَالَّذِي يُمْسِنِي ثُمَّ يُحْبِيَنِ﴾ أحـيـاه الله حـيـاة السـعـادـاء وأـمـاتـه مـيـة الشـهـداء ﴿وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَعْفُرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين﴾ غـفرـ الله خـطاـيـاه كـلـها وإنـ كانتـ اـكـثـرـ من زـيدـ الـبـحرـ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وهـبـ الله له حـكـماـ وـالـحـقـهـ بـصـالـحـ منـ مضـىـ وـصـالـحـ منـ بـقـيـ ﴿وَاجْعَلْنِي لِسَانًا صِدِّيقًا فِي الْآخِرَةِ﴾ كـتـبـ في وـرـقـةـ بـيـضـاءـ انـ فـلـانـ منـ الصـادـقـينـ ثـمـ وـفـقـهـ اللهـ بـعـدـ ذـلـكـ لـلـصـدـقـ ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ جـعلـ اللهـ لـهـ القـصـورـ وـالـمـنـازـلـ فـيـ الجـنـةـ . وـفـيـ تـقـسـيرـ الـبـرهـانـ ٣ـ : ١٨٤ـ . اـبـنـ بـاـبـويـهـ بـسـنـدـ مـتـصـلـلـ عـنـ الصـادـقـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ (عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ) قـالـ : سـأـلـتـهـ عـنـ قـولـ اللهـ عـزـ وـجـلـ : ﴿وَإِذَا ابْنَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُ﴾ وـذـكـرـ الـحـدـيـثـ فـيـماـ اـبـتـلاـهـ بـهـ رـبـهـ إـلـيـهـ أـنـ قـالـ : وـالـتـوـكـلـ بـيـانـ ذـلـكـ فـيـ قـولـهـ : الـذـيـ خـلـقـنـيـ إـلـيـهـ . يـوـمـ الدـيـنـ . ثـمـ الـحـكـمـ وـالـانتـمـاءـ إـلـىـ الصـالـحـيـنـ فـيـ قـولـهـ : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يـعـنىـ بـالـصـالـحـيـنـ الـذـينـ لـاـ يـحـكـمـونـ إـلـاـ بـحـكـمـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـلـاـ يـحـكـمـونـ بـالـأـرـاءـ وـالـمـقـايـيسـ حـتـىـ يـشـهـدـ لـهـ مـنـ يـكـونـ بـعـدهـ مـنـ الـحـجـجـ بـالـصـدـقـ بـيـانـ ذـلـكـ ﴿وَاجْعَلْنِي لِسَانًا صِدِّيقًا فِي الْآخِرَةِ﴾

ثم ﴿فَهُوَ يَهْدِينَ ..﴾ وما بعدها من التدبير تتمحور الخلق ، تفريعا للتدبير على الخلق ، وان الخالق هو المدير لما خلق لأنه الخالق ، وهم لزام بعض فطريا وعقليا وواقعيا ، وليس الفصل بين الخالق والمدير ألا عضلا للخالق عما خلق وهو به أعرف وعليه أقدر ، وإعطاء التدبير لغير الخالق وهو مخلوق كسائر المخلوق ، لا يسطع على تدبير نفسه فضلا عن الآخرين . و «يهدين» بصيغة المضارعة بعد خلقني الماضي ، اشارة إلى استمرارية الهدایة في كل حلقاتها ما دام الكائن كائنا ، كما الهدایة تعم كل شئونه بل وكل شيء وكما في جواب موسى لفرعون : ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٢٠ : ٥٠).

٣ . ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي﴾ كفالة حانية حامية عن جوعتي وهي سؤال الجسم ، فكيف لا يكفل سؤال الروح ، والهدایة تشمل كل سؤال بسؤال ودون سؤال ! ٤ . «ويستعين» فمادة الإطعام والسكنى هي من خلقه ، ومعرفة الحصول عليها هي بحد ذاته .

٥ . ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فالمرض مني لمكان «مرضت» والشفاء منه والدواء منه وعلم الأدواء والإدواء منه مهمما كان هنالك أطباء ، فإنهم بعلومهم منه ، وقد يمرض الله لما قدمت أيدينا ام لإصلاحنا فهو منا .

٦ . ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ كما خلقني ، فلا يحيي إلا الخالق مهمما كانت للموت ظاهرة الأسباب .

٧ . «ويحيين» ليوم الحساب ، يوم تنتفع الأسباب وتحار دونه الألباب .

٨ . ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَايَاتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ لا سواه ، إذ لا

غافر إلا إيات حيث المعصي والمطاع . كإله . ليس إلا إيات .

وقد جمع ذلك التعريف العريف برب العالمين إلى ربوبيته المادية الروحية ، وإلى الهدى المادية الهدى المعنوية ، وإلى ربوبية العاجل ربوبيته في الآجل ، جمعا بين المبدء والمعاد وما بين المبدء والمعاد ، وذلك هو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ل يوم الدنيا ويوم الدين ، أما أنتم ف﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ دون ان تحمل أيها من هذه المواصفات الثمان التي هي لزام الربوبية والعبودية ! فأئن تؤفكون؟ إفكا آلة دون الله تريدون؟ .

ولماذا بالنسبة لغفر الخطيئة «أطمع» دون قطع رغم وعده تعالى للمؤمنين ، دون سائر ما ذكر من قبل ؟ لأنها كلها مقطوعة غير منوعة حسب سنة التكوين ، ولكن الغفر يوم الدين ليس سنة قاطعة ف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٤ : ٤٨) . وهل ان ابراهيم كان مخطئا وهو نبي حتى يطبع غفره يوم الدين؟ .

إنه يقوله قبل حكمه الرسالي الذي يتطلب العصمة المطلقة ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ فلعل له خطيئة قبل عصمة الرسالة ! أم إنه تطامن وتذلل أمام رب قصورا عما يناسب ساحته تعالى ، وعلى منه طلب الغفر لأبيه وهو قبل حكمه الرسالي .

ثم هذا لسان حال المقربين وقائهم تذليلا لساحتهم وتبجيلا لساحة رب العالمين فـ «حسنات الأبرار سيئات المقربين» ثم وتعلينا للمخطئين كيف يجب عليهم ان يستغفروا الله . وما هو دور «لي» في ﴿يَغْفِرَ لِي خَطِئَتِي﴾؟ عليه سلب لوسيط الشافع فانه غفر للشافع كوسيط ، وكذلك سلب لانتفاعه تعالى بغيره ، واما «لي» .

ولماذا **يَوْمَ الدِّين** وظرف الغفر الصالح هو يوم الدنيا؟ علّه لأن الغفر يوم الدين هو المهم في غفر الخطايا ، والبرزخ ليس محل الغفر ، والغفر يوم الدنيا قد تلحقه خطيئة أخرى ، ولكن الغفر يوم الدين هو الكاسح الماسح غبار الخطيئة بأسرها.

هنا يسأل الخليل بمحض ربه الخليل زادا لراحلة الدعوة الرسالية ، عاجلا وآجلا إذ نجح

في ذلك الاختيار :

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحُقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

وقد يجمع الحكم المستوهب هنا تحكيم الأحكام الفطرية والعقلية والعملية ، إلى الحكم بالحكمة الرسالية ، حيث الحكم أعم من الرسالة ، وإطلاقه هنا يعمها وسواها من حكم يستحكم عرى الدعوة الإبراهيمية الشاملة ، ولحد الإمامة بين المرسلين نسبيا.

وقد يعني **الْحَقِيقَى بِالصَّالِحِينَ** إضافة إلى يوم الدين ، لحوقه بكم يوم الدنيا ، ان يكون من زمركم وهم الرعيل الأعلى من المقربين ، نوح وموسى وال المسيح وخاتم النبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد يعني من **هَبْ لِ حُكْمًا** كمال القوة النظرية المستكملة بقوة الوحي ، ومن **الْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ** كمال القوة العملية وكما بالنسبة لمن جعلهم الله أئمة وهو منهم **وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ**

الخيرات ...» (٢١ : ٧٣).

**﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤)**

وقد استجاب له دعواته ، فالأخيرة نجدها في مريم ﴿فَلَمَّا اعْتَزَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلَّا جَعَلْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيْهِ﴾ (٥٠).

**﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾** هنا هو لسان صادق مصدق مصدق حالاً وقولاً وأفعالاً ، و

«الآخرين» هم حملة الرسالة الأخيرة ، محمد (ص) كرأس الزاوية ، وسائر الأئمة من ولده كسائرها <sup>(١)</sup> وقد تعني ما تعنيه آية الصافات ، كمريم ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨) والزخرف : **﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَّةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** (٢٨) وطبعاً كبعض المصاديق الصالحة <sup>(٢)</sup> ودعاء من ابراهيم تستمر طيلة حياته المنيرة وحتى بناء البيت وهو في أخريات عمره : **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرَّنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً﴾**

(١) راجع تفسير الآية في سورتها وفي تفسير البرهان ٣ : ١٨٤ تتمة الحديث السابق عن الصادق (عليه السلام) .. بيان ذلك في قوله «**﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾**» أراد في هذه الأمة الفاضلة فأجابه الله وجعل له ولغيرة من الأنبياء «**﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾**» وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) وذلك قوله : **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيْهِ﴾** ...».

وفي ملحقات أحقاق الحق ٣ : ٣٨٠ في الآية «**هو علي** (عليه السلام) عرضت ولايته على ابراهيم (عليه السلام) فقال : اللهم اجعله من ذريتي ففعل الله ذلك» أورده عدة من أعلام القوم منهم الحافظ أبو بكر ابن مردويه في كتاب المناقب كما في كشف الغمة ٩٤ روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ... ومنهم المير محمد صالح الكشفي الترمذى في مناقب مرتضوي ٥٥ نقلًا عن ابن مردويه عن الباقر (عليه السلام).

(٢) راجع تفسير آية الزخرف للحصول على تفصيل المعنى.

لَكَ .. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ .. ﴿٢٩﴾ (٢ : ١٢٩).

وقد يلمح ﴿لسان صدق في الآخرين﴾ أن من الأولين ومن بعدهم كاذبين بحقه ، كما اليهود والنصارى ينسبون إليه ما هم يعتقدون من ضلالات في حقل المعرفة والعمل ، وأما محمد (ص) فهو لسان صدق له في الآخرين ، استمرارية لدعوته الرسالية ، وإفصاحا بكيان ابراهيم كأفضل الموحدين.

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةَ جَنَّةِ النَّعِيم﴾ (٨٥).

وهم ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (١٩) و (٦٣) و (٣٩) : ٧٤) والمؤمنون حقا : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّزْكَةِ فَاعْلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا ... وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٣ : ٢ - ١١) والعاملون الصالحة بآياتهم : ﴿... وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا هَذَا ... وَنُؤْدُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧ : ٤٣) و (٤٣ : ٧٢).

وهل هي ميراث عن الله ﴿وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣ : ١٨٠) يرث ولا يورث ! أم ميراث عن صالحين؟ وهم أنفسهم من ورثة جنة النعيم!

إنها ميراث لهم عمن ليسوا بداخلها حيث طغوا وما اتقوا ، وابراهيم يستدعي بعد ما دعى أن يصبح من أهل الجنة ، وطبعا من أئمتهم وكما كان يوم الدنيا .  
ويَا للتواضع والإشفاق من التقصير ، ويَا للخوف من تقلب المصير ،

ان مثل الخليل يطلب من الخليل ان يجعله من أهل الجنة ، على علو محتده!

**﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٨٦**

وقد يكون ذلك النطلب من خطيباته ، غير المحرمة في شرعة الله ، حيث لم يصب فيها واقع الأمر كما استدركه له ربه ﴿وَمَا كَانَ اسْتَغْفِرًا إِلَّا إِلَيْهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ (٩ : ١١٤) واستثنى من الأسوة به ذلك الخطإ ، غير القاصد ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ... إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ ..﴾ (٤ : ٦٠).

وعلى الموعدة هي المفهومة من قول أبيه **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾** كما شرحناه في مريم ، وذلك الاستغفار كان في بداية عمره ومفتتح أمره قبل حكمه الموهوب ، ثم لم نسمعه يدعوا في خاتمة أمره وعمره إلا : **﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ﴾** (٤١ : ١٤) دون ابوي ، وقد تبرأ من أبيه منذ دحر طويل ، فوالده . إذا . غير أبيه كما فصلناه في حاله.

وقد تلمح **﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** الى ضلاله المحروم قبل موعدته التي أخرجته عن حتمه ، والضال المتحرى عن الحق ليس كالمتجري على الحق ، فيدعى للأول دون الأخير. وذلك من حنانه في الدعوة لمن هو كوالده في شأنه التربوي ، مهما كان مشركا ولكنه **﴿... وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾** أصبحت كوعد له بالإيمان فسلم عليه ووعده الاستغفار **﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾** (٤٧ : ١٩).

وقد ييدو من **﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾** انه كان قبل موته ، وقد تبين له خلف وعده وأن لم يكن **﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾** ليجد مجالا للتفكير ، وانا مجالا مليا كيلا يسمع دعوة الحق ثم لكل حادث حديث.

فبطبيعة الحال لم يكن هذا الدعاء فور تركه أباه ، وإنما بعد مليّ أم لها اوتي حكما  
فتبن له انه عدو الله .

**﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ**

**سليمٌ ٨٩**

وكيف «لا تخزني» بعد **﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَبِّةِ جَنَّةِ النَّعِيم﴾**? إنه دعاء وليس هو في واقعه حتى يتقدم سلبه على إيجابه ، ثم هو مع إيجابه دعاء على تحفّف من سلبه ، وهذه قضية أدب العبودية حيث يحصر النصرة في الله ، فإذا لم ينصره في الدنيا أو الآخرة خزي ، وكما كان يدعو رسول المهدى (ص) في صلاته «اللهم لا تخزني يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

وليس من الخزي المطلوب سلبه دخول آزر في الجحيم ، إذ لم يكن والده وقد تبرأ منه قبل موته ، فرواية الخزي مخالفة لكتاب الله وساحة الرسول (ص) بريئة من أمثلها<sup>(٢)</sup>.

ثم **﴿إِنَّ الْخُزْنِيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ٢٧﴾** فكيف يستسلبه ابراهيم عن نفسه؟ ان الخزي . وهو عدم النصر من يؤمل منه النصر . قد يكون طاما في دركاته فهو للكافرين كما السوء ، وقد يكون جانبيا

(١) الدر المنشور ٥ : ٩٠ . اخرج احمد عن رجل من بنى كنانة قال صليت خلف النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) عام الفتح فسمعته يقول : ...

(٢) في الدر المنشور . اخرج البخاري والنسائي عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قال : يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة يقول له ابراهيم : الم اقل لك لا تعصي؟ فيقول أبوه : فال يوم لا أعصيك ، فيقول ابراهيم : رب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال : يا ابراهيم ما تحت رجليك؟ فإذا هو بذيخ متلطف فيوخذ بقوائمه فيلقى في النار .

لتقصير أو قصور وهو يعم سائر المؤمنين ، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وابراهيم يدعو بما يدعو ولما يؤت حكما ، وهو على تخوف من عاقبة حاله يوم الدين ، فلأن ﴿تَوْمَ يُبَعْثُونَ﴾ هو ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ فلا ناصر . إذا . إلا الله .

وهل الآية ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ...﴾ إلى سبعة عشر آية هي من تتمة دعاء ابراهيم؟ وهو بعيد كل البعد عن حالة الدعاء ، ان تشمل على تفاصيل لا صلة لها بالدعاء إلا تعريفاً لمن لا يعرف ! فهي . إذا . من كلام الجليل يلحق بها دعاء الخليل ، تكملاً للمعرفة في هذه الإذاعة القرآنية .

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ﴾ إذ ليس هنالك مال ، ولا ينفع يومئذ مال الدنيا بما هو مال لزوال المجال ، ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ حيث تقطع هناك كل الصلات : ﴿فَإِذَا نُفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٣ : ١٠١) . ﴿وَلَقَدْ جِئْنُوكُمْ فُرَادًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْتُمْ مَا حَوَلَنَّكُمْ وَرَأَةً طُفُولَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْغُبُونَ﴾ (٦ : ٩٤) .

اجل انه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ...﴾ . ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فينفعه ماله الذي قدمه في سبيل الله ، وبنوه الذين رباهم على شرعة الله ، فان كان له مال وبنون فاستثناء متصل ، وإن لم يكن له مال ولا بنون فقد يكفيه قلب سليم ، فاستثناء منقطع ، والجمع بينهما أجمل وأكمل ، حيث المال المتصروف في الله ، والبنون الصالحون ، هما في الباقيات الصالحات : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِيَّةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١٨ : ٤٦) فهناك النفع ينحصر في قلب سليم بخلافاته مهمما لم يكن لصاحبه مال ولا بنون ، وينحصر عن قلب غير سليم مهمما كانت لصاحبه اموال وبنون .

اجل ﴿يَقْلِبُ سَلِيمٍ﴾ من كل نائبة وآئبة عائبة ، من كل مرض وغرض ، ومن كل حب وهو إِلَّا الله ، وليس نفع الشفاعة أيضا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى اللَّهُ فَ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٢١ : ٢٨).

فالقلب «السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه ، وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط ، وإنما أراد بالرهد في الدنيا لتفزع قلوبهم إلى الآخرة» (١).

«سليم من حب الدنيا» (٢) فان حب الدنيا رأس كل خطيئة ، فـ «صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لأن سلامة القلب من هوا جس المذكورات تخلص النية لله في الأمور كلها ...» (٣).

وان سلامة القلب يومئذ تنفع بقدرها فانها درجات ، كما ان عتامته تضر بقدرها فانها دركات ، والنيات والأعمال الصالحة هي من خلفيات سلامة القلب عما يربنه ، وتزيده سلامة ، كما الأفعال والنيات الطالحة تزيده عتامة ، فكل خير أو شر من الإنسان هي صادرة من قلبه ، فواردة إلى قلبه ، فهو مورد كما هو مصدر.

(١) نور الثقلين ٤ : ٥٨ في اصول الكافي القمي عن أبيه عن القاسم بن محمد عن المنقري عن سفيان بن عيينة قال سأله عن قول الله عز وجل : ﴿لَا مَنْ أَتَى اللَّهُ يَقْلِبُ سَلِيمٍ﴾؟ قال : السليم ..» وفيه في آخر قال قلت له : ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعا؟ فقال : التواضع درجات منها ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يجب أن يأتي الى أحد إلا مثل ما يؤمن إليه ، إن رأى سيئة درأها بالحسنة ، كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين».

(٢) المصدر مجمع البيان وروى عن الصادق (عليه السلام) : ...

(٣) المصدر عن مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) : ... قال الله تعالى : ﴿يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهُ يَقْلِبُ سَلِيمٍ﴾.

فَلَأْن «القلوب أئمة العقول والعقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء» فصاحب القلب المدعى سلامته ، غير الصالح في اعماله ، كاذب في دعوه ، وقلبه مقلوب عن الهدى ، مغلوب بطوع الهوى ، وليس الإيمان . وهو حالة القلب . إلّا قرينا بصالح العمل ، وكما نرى قوله تعالى في كل القرآن .

٩١ ﴿ وَأَرْلَفْتِ الْجَهَةَ لِلْمُتَقِينَ ۚ ۹٠ وَرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۚ ۹٢ ﴾

**يَوْمَ يُبَعَثُونَ ..** ﴿١﴾ وأزلفت الجنة وقررت للمتقين ، الذين كانوا من عذاب رهم

مشفقين ، ﴿وَتُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ حيث كانت كامنة في الغاوين ، فتبزر بما برز وليوم الدين ،  
واما الجنة فهي قضية فضل الله ، مخلوقة بأرضها قبل يوم الدين ، ولكن الجحيم تصلى بما  
يردها أهلوها من الغاوين ، فلذلك الجنة تزلف والجحيم تبرز : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ . وَإِذَا  
الْجَنَّةُ أُزْلَقَتْ﴾ (١٣ : ٨١) . ﴿وَأَزْلَقْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَقْبِلِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٥٠ : ٣١) فهنا إزالف

التقريب لغير بعيد ، وهنالك تبريز التسعير حيث يحشر كلّ بعيد.

٩٣ ﴿وَقَيْلَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۚ ۹۲ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾

و «لقد ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَذْعُونَ ﴿١٠﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ ﴿٣٠﴾».

مِنْ قَبْلٍ وَظَرُوا مَا هُمْ مِنْ حَيْصٍ (٤١ : ٤٨).

وذلك سؤال التقرير والتأييد بما كانوا يعبدون ، وظلوا عليهما عاكفين ، وهم ضلوا

عنهـم وقت الحاجـةـ الحارـقةـ ، فـ هـلـ يـنـصـرـونـكـمـ هـنـاكـ؟ـ أـوـ يـنـتـصـرـونـهـ لـأـنـسـهـمـ حـينـ

يغذبون؟ لقد ضل عنهم كيالهم كالهة ، وحين يierz لهم كونهم فهم معهم معديون ، اللهم إلا

الصالحون من الملائكة والنبين ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مِنَا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾

(٢١ : ٤٠).

واما الطالحون ف ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (٢١ : ٩٨) .  
 ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ (٤٣ : ٣٩) :  
 ﴿فَكُبَكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ٤٤ وَجَنُودُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ﴾ ٩٥ .

ثلاث منحوس هم صلاء النار ، الأصلاء فيها : (١) إبليس بجنوده أجمعين (٢)  
 العباد (٣) المعبودون من دون الله أصناما وسواها إلا المتقين ، ومهمما لم تشعر الأصنام  
 عبادتها ولا عذابها ، ولكن العاوون العابدون يضاعف لهم العذاب إذ يرون آهتهم يعذبون .  
 والكبكة هي الانكباب مرة بعد أخرى على الوجه ، و «هم» هم المعبودون ،  
 «والغاوون» هم العابدون ﴿وَجَنُودُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ﴾ هم المضللون من الجنة والناس ، لا  
 فحسب «ذريته من الشياطين» (١) اللهم إلا أن يعني ذرية الشيطنة ، فالشياطين . إذا . هم  
 أعم من الإنس ، أجل ! إنهم على كبکتهم يوم الدنيا يلقون على وجوههم في النار يوم الدين  
 ، ويكوننا نسمع الآن من جرس اللفظ هنا جرس الكبكة هناك في النار ، لفظ يصور بجرسه  
 معناه .

هنا لك تبرز لهم آهتهم التي أهتهم بعد ما ضلوا عن الوهتهم وإلى مسرح الحوار بين  
 العابدين والمعبودين :

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ٩٦ ثَالِثٌ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٩٧ إِذْ نُسَوِّيُّكُمْ بِرَبِّ  
 الْعَالَمِينَ﴾ ٩٨ .

(١) نور الثقلين ٤ : ٥٨ في أصول الكافي بسند متصل عن محمد بن سالم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :  
 جنود إبليس ذريته من الشياطين .

«قالوا» الغاوون المشركون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِّمُونَ﴾ مع بعض ، طواغيت وأصناماً «تالله» الذي لا إله إلا هو «إن كنا» بتأكيد أكيد ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ غارقين في خضمّه ﴿إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تسوية جاهلة ، ظالمه قاحلة ، فانها في كل حقولها ضلال مبين يبين ضلاله.

فكل تسوية بالله ، في ذاته او صفاته أو أفعاله ، في عبوديته واحترامه كمعبد ، في حرمة قلبية أو طقوس قالبية ، كل ذلك ضلال مبين ، بين إشراك جلي أو خفي أو عصيان. ف «اعلم ان من شبه ربنا الجليل بتباين أعضاء خلقه ، وبتلasmus حقوق مفاصله ، المحتسبة بتديير حكمته ، إنه لم يعقد غيب ضميره على معرفته ، ولم يا شهد قلبه اليقين بأنه لا ند له ، وكأنه لم يسمع بتبرير التابعين من المتبوعين وهم يقولون : ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فمن ساوي ربنا بشيء فقد عدل به ، والعادل به كافر بما تنزلت به محكمات آياته ونطقت به شواهد بياته ، لأنه الله الذي لم يتناه في العقول فيكون في مهبة فكرها مكيّفا ، وفي حواصل هويات همم النفوس محدوداً مصراً ، المنشئ اصناف الأشياء بلا روية احتاج إليها ، ولا قريحة غريبة أضمر عليها ، ولا تجربة أفادها من موجودات الدهور ، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور» (١).

وترى كيف ﴿نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهم كانوا يعبدونكم دون الله؟ على القصد من التسوية في اصل العبادة ، فكما الله يعبد كذلك كنا نعبد أصناماً كأنها الله. ثم التسوية بين الله وخلقه محظور في كل الحقول المعرفية والعبودية والطاعة والاحترام ، إن كانت تسوية واقية فضلal مبين ، وإن كانت

---

(١) التوحيد للصادق خطبة علي (عليه السلام) يقول فيها : ايها السائل اعلم ...

ترجি�حاً لغيره عليه فإن شررك إلحاد أم إلحاد.

والتسوية إن كانت قاصدة فإشراك أو إلحاد جلي ، وإن كانت جاهلة فإشراك خفي ،  
فمن يسجد أو يركع لغير الله معصوماً وسواء ، كما يركع ويسلام لله ، فان كانت عبودية  
 فإشراك جلي ، وإن كانت احتراماً فخفى.

ومن يقول لو لا فلان لما نجحت ، فقد سوى بالله سواه ، أو قال إن شاء الله وشاء  
فلان فكذلك الأمر ، أو كتب اسم الله ردفع أسماء من سواه ، قاصداً تسويتها به وغير  
قاصد ، فهو . على أية حال . في ضلال ، مهما اختلفت دركاته ، من فسوق ، إلى شرك  
خفى ، إلى شرك جلي ، وإلى إلحاد في الله .

اجل وكل تسوية بالله قاصداً وسواء ، إنما ضلال مبين ، فإنها تسوية بين الفاضل  
والمفضول ، أم وانحس منها وأنكى ترجيح للمفضول على الفاضل .

**﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ . ٩٩**

ويكون المشركين الغاوين ليسوا هم من المجرمين ، أم يعنون بهم اصول الإجرام من جنود  
إبليس الذين أضلواهم .

**﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ . ١٠٠**

عند الله ، لا العبودون من دون الله ولا المجرمون ، و «شافعين» بدليل «شافع» تلمح  
أنهم على علم من شافعين هناك يشفعون للبعض من أهل الجحيم وهم موحدون ،  
فيتحسرون على حرمانهم ووجود من سواه من المعذبين <sup>(١)</sup> .

---

(١) في المجمع وفي الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) .

﴿وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ﴾ ١٠١

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٤٣ : ٦٧) وحتى لو كان هناك صديق فليس حميمًا ، ولو كان حميمًا فهناك الصلات منقطعة ، فإنه ﴿يُوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهُ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠٢

«لو» تحسّر لما يرونـه من المستحيل ﴿أَنْ لَنَا كَرَّةً﴾ إلى حـياة التـكـلـيف ﴿فـنـكـونـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ﴾ : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لـعـادـوا لـمـا هـوـا عـنـهـ وـإـنـمـا لـكـاذـبـوـنـ﴾ (٦ : ٢٨).

﴿إِنَّ فـي ذـلـكـ لـآـيـةـ وـمـا كـانـ أـكـثـرـهـمـ مـؤـمـنـينـ ١٠٣ وـإـنَّ رـبـكـ هـوـ الـعـزـيزـ الرـحـيمـ﴾ ١٠٤ .

﴿إِنَّ فـي ذـلـكـ﴾ العـرـضـ الفـسـيـحـ الفـصـيـحـ لـقـصـةـ اـبـرـاهـيمـ وـقـومـهـ «لـآـيـةـ» لـهـؤـلـاءـ الـمـشـرـكـينـ زـمـنـكـ يـاـ رـسـولـ الـهـدـىـ ﴿وـمـا كـانـ أـكـثـرـهـمـ مـؤـمـنـينـ﴾ مـهـمـا توـاتـرـتـ عـلـيـهـمـ آـيـاتـنـاـ الـبـيـنـاتـ ﴿وـإـنـ رـبـكـ﴾ الـذـيـ رـبـاكـ بـخـاصـةـ الـرـبـانـيـةـ ﴿هـوـ الـعـزـيزـ﴾ الـغـالـبـ الـقـادـرـ عـلـىـ الـغـادـرـيـنـ «الـرـحـيمـ» بـالـمـؤـمـنـينـ ، فـلـاـ تـأـسـ عـلـىـ الـقـوـمـ الـكـافـرـيـنـ ، وـلـاـ تـيـأسـ مـنـ رـحـمـةـ رـبـكـ الـعـزـيزـ الـرـحـيمـ.

. وـآلـهـ وـسـلـمـ) يـقـولـ : إـنـ الرـجـلـ بـقـوـلـ فـيـ الـجـنـةـ : مـاـ فـعـلـ صـدـيقـيـ؟ وـصـدـيقـهـ فـيـ الـجـهـنـمـ، فـيـقـولـ اللـهـ : اـخـرـجـوـاـهـ صـدـيقـهـ إـلـىـ الـجـنـةـ فـيـقـولـ مـنـ بـقـيـ فـيـ النـارـ ﴿فـمـا لـنـا مـنـ شـافـعـيـنـ وـلـاـ صـدـيقـ حـمـيمـ﴾ .  
ورـوـيـ بـالـإـسـنـادـ عـنـ حـمـرـانـ بـنـ أـعـيـنـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ : وـالـلـهـ لـنـشـفـعـنـ لـشـيـعـتـنـاـ ثـلـاثـ مـرـاتـ حـتـىـ يـقـولـ : ﴿فـمـا لـنـا مـنـ شـافـعـيـنـ وـلـاـ صـدـيقـ حـمـيمـ ..﴾ .

﴿كَذَّبُتْ قَوْمٌ نُوحُ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي  
 لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٠٨) وَمَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا  
 عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعْتَ الْأَرَذُلُونَ  
 (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ  
 (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ  
 لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّي إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَّا  
 وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَجْبَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَسْحُونِ (١١٩) لَمْ أَغْرِقْنَا  
 بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْرَهُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الرَّحِيمُ (١٢٢)

ثمانية عشر آية تستعرض دعوة نوح الرسالية حوارا مع قومه بصورة خاطفة منذ البداية

حتى غرقهم أجمعين :

### ﴿كَذَّبُتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ . ١٠٥

«قوم» في لفظها مؤنث تصغيرها قومية ، يجوز في فعلها المقدم الوجهان ومن الثاني :

﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ وهي كالظرف وال مجرور ، تعم حين انفرادها القبيلين ، وحين تنضم إلى نساء تعني قبيل الرجال ، كما ﴿قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ تلحقها ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ﴾.

ف ﴿قَوْمٌ نُوحٍ﴾ هم كل المرسل إليهم نوح ، وهو أول من دارت عليه الرحى من أولى العزم الخمسة ، وقصة نوح تقصّ في سور عدّة<sup>(١)</sup> وتختص بها سورة واحدة ، مما يشي إلى بالغ الأهمية في عرضها في هذه الإذاعة العالمية القرآنية ، كقصة موسى وابراهيم والمسيح محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وترى كيف ﴿كَذَّبُتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾؟ ولم يأت في سائر القرآن إلا تكذيبهم .

فقط . نوها لا سواه !

علّه لأنه تكذيب لسلسلة الرسالات ككل ، فان مقاهم هو مقال تكذيب الرسالة بأسرها ، وان تكذيب رسول واحد ثابت الرسالة بآياتها هو تكذيب للرسالات كلّها ، ولا سيما الرسالة الأولى وهي مفتتح ولادة العزم ، أم لأنه «مكت نوح ألف سنة إلا خمسين عاما لم يشاركه في نبوته أحد ، ولكنه قدم على قوم مكذبين للأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم

<sup>(٢)</sup> ..

(١) كالأعراف ويونس وهود والمؤمنون ، والخاصة به سورة «نوح».

(٢) نور الثقلين ٤ : ٦٢ في كتاب كمال الدين وقام النعمة باسناده إلى محمد بن الفضل عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) حديث طويل يقول فيه .

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ . ١٠٦

«إذ قال» هنا كظرف لذلك التكذيب الجماهيري ، تؤيد أن تكذيبه كان تكذيبا للمرسلين ، مهما سبقه تكذيبهم من قبل.

وتلك الأخوة هي الأخوة في الإنسانية وفي المواطنة ، فلا بد أن تنجر إلى الأخوة في حق الإنسانية من هداها ، طردا لرداها ، ومن حق الأخ على الأخ ان يحاول في هداه وقد فعل نوح وبليسان الأخوة الحانية ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فيما تبغون وأنتم تطغون؟ و ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ في بزوغ الدعوة ما يزعزفهم عن تقاليدهم الجاهلة ، و يجعل إلى قلوبهم منفذًا للاستماع إلى الدعوة الرسالية ، تخوفا من الواقعة الموعودة ، إذ هم ليسوا على علم مما هم عليه. ولأن تقوى الله لا بد لها من صورة كما لها من سيرة ، فوسیط الرسالة هو لزامها على أية حال ، وكأنه يجيب بعدينه عن سؤال كيف تقوى الله؟

﴿إِنَّ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ . ١٠٧

أمين على رسالة الله إليكم ، فلا تجحدون في خيانة في تلك الأمانة حالاً وما لا وأفعالاً ، وكما لمستوه مني حتى الآن ، إذ ما خنتكم كخلق الله ورسلاً إليكم من الله ، فكيف أخونكم في رسالتي لكم من الله؟ وهنا يعود مرة ثانية يأمرهم بتقوى الله بذريعة الرسالة :

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ . ١٠٨

«أطيعون» في : كيف يتقوى الله ، فإني أحمل رسالة الله بكل امانة ،

فمكث نوح ... وذلك قوله : ﴿كَذَّبُتْ قَوْمٌ نُوحٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني من كان بينه وبين آدم إلى أن انتهى إلى قوله : وان ربكم هو العزيز الرحيم . وقال فيه ايضا : فكان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة آباء كلهم أنبياء ، وفي روضة الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن محمد بن الفضل عن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله.

ثم ولا أكلفكم على رسالتي . بكل صعوباتها ومتوياتها ومنحنياتها . اجرا ، مما يزيد لي تصديقا :

**﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . ١٠٩**

وعدم سؤال الأجر أو قبوله سنة مستمرة طول خط الرسالات ، مما يسهل الإقبال إليها دونها صعوبة وتتكلف ، فالركن الأول لها هو الإيجابي : **﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾** والثاني هو السلبي : **﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾** فالدافع لتصديقها واقع ، والمانع عنها غير واقع ، فما بقي هنا إلّا القبول ، وبطبيعة الحال لا يدعي الرسول ما يدعوه دون برهان مبين يقطع كل الأعذار ويقنع الأفكار .

**﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ . ١١٠**

يكسر هنا الأمر بتقوى الله وطاعته هو كرسول الله ، لتكرار الدافع لها ، وهو السلب إلى الإيجاب ، وهذه ثلاثة ثلاثة في أمر التقوى ، مما يدل على أنها هي المحور الأصيل في كل شرعة إلهية ، حيث تجتمع فيها كل الأصول العقائدية والفروع العلمية ، من واجبات ومحرمات تجمعها تقوى الله وطاعة الرسول في الله .

وذلك خلاف ما عهده الناس من الكهان وقسم من رجال الأديان من استغلال الدين لابتزاز الأموال بشتى الأساليب ، فدعوة الله الحقة متجردة عن كل أجر إلّا من الله . وخلاف عهد آخر لهم من النساء المتزينين بزي الدعاء إلى الحق وهم في الحق على باطل نكد ، فلكي يلتصقوا باطلهم إلى قلوب الناس لا يطلبون أجرا بل ويصرفون أموالا طائلة ويرخصون الجنس ، ويقدمون كل ألوان المشتهيات الحيوانية ، لكي يجلبوا أنظار الناس إلى ما يدعون .

ولكن رحالات الله ، الدعاة إلى الله ، هم متجردون عن كل هوى إلّا هوى الله ، وعن كل أجر إلّا من الله ، متزودين بآيات الله البينات ، واقعين متصلبين في وجهاتهم الدعائية لا تحركهم العواصف ولا تزيدهم القواصف.

والمهم في دعامي الرسالة الحقة الأمانة ثم الأمانة ، وليس عدم سعوان الأجر إلّا قاطعا للأعذار المادية بعد قطع الأعذار المعنوية ، فليس . إذا . مستقلا بجنب الأمانة ، ولذلك تأخر عنها تأكيدا للتصديق.

فالرسول الأمين الذي يطلب أجرًا لا يتوقف في دعوته لا سيما والأكثرية الساحقة من المهتدين فقراء ، وغير الأمين وإن دفع أجرًا بديل طلبه إيه لا يدعو إلّا إلى النار ، فليكن الرسول جاما بين الأمرين ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ .  
 ﴿قَالُوا أَنَّمُنْ لَكَ وَاتَّبَعْكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ ١١١ .

﴿فَقَالَ الْمُلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعْكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُلُنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (١١ : ٢٧).  
 نعم «الأرذلون» ﴿أَرَادُلُنَا بِادِي الرَّأْيِ﴾ المعروفون عندهم بحساب الهوى وفيهم الدنيا الرذيلة ، إلّا مال لهم ولا منال ، فلو كانت دعوتك حقة لاتبعك الأعلون ، ذوي الحنكة المتحضرون ، فلتـما اتبـعك الأرذلون عرفـنا أن دعـوتك رذـيلة لا تحـمل أـية فـضـيلة .  
 أم إنـ كانت دعـوتك حـقة فـلتـطرـد التـابـعين الأـرـذـلـونـ حتى يـفسـحـ لنا مجـالـ اـتـبـاعـكـ ، حيثـ التـسوـيةـ بيـنـاـ وـبيـنـهـمـ ضـلالـ مـبـينـ .

لكـنـ «ـالأـرـذـلـونـ»ـ فيـ مـيـزـاهـمـ المـتأـرجـفـ اللـعـينـ هـمـ السـابـقـونـ دـوـمـاـ إـلـىـ الرـسـلـ ،ـ أـخـفـاءـ فيـ قـبـولـ الـحـقـ لاـ تـشـقـلـهـمـ وـتـقـعـدـهـمـ عـنـهـاـ أـغـالـلـ الشـرـوـاتـ وـالـطـنـطـنـاتـ وـالـكـرـيـاءـاتـ وـالـمـصـلـحـيـاتـ الـقـائـمةـ عـلـىـ الـأـوـضـاعـ الـمـزـيفـةـ .

فإيمانهم الموعود شريطة طرد المؤمنين : «الأرذلون» في حسابهم هو خلاف متن الإيمان وقضيته ، حيث يوحّد بين قبيل المؤمنين ، فلا أكرم عند الله منهم إلّا اتقاهم ، ولا فوارق بينهم إلّا تقاهم ، فهي التي توحّد صفوفهم ، وهي التي تميز بينهم بفضلها . هنا نجد الجواب الحاسم من نوح في حلقات أربع كل واحدة تكفي حسماً لعدتهم

الغادر :

**﴿قَالَ وَمَا عِلْمِيٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١١٢ .**

فإن كانت «الأرذلون» حالتهم السابقة على الإيمان ، فما علمي بأعمالهم السابقة؟ وإنما المعلوم عندي حالتهم الحالية وهي الإيمان ، وذلك هو المطلوب منهم الآن أيًا كانت أعمالهم السابقة.

وحتى لو كانوا محاسبين برذالة سابقة . ولا يحاسبون . «يغفر لهم ما سلف» بایمانهم الخلف ، ف :

**﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ١١٣ .**

ولست أنا المحاسب ، فما أنا إلّا رسول الإيمان إلى أيّ كان ، فحين تؤمن جماعة مهما كانت حالتهم السابقة رذيلة ، كيف أطربهم ، وما حسابهم عند الله إلّا حسناً يسيراً فليس . إذا . **﴿وَمَا عِلْمِيٌ ... إِنْ حِسَابُهُمْ﴾** إلّا تنازلاً في الحوار ، أن ليس على حساب لو أنهم محاسبون بما كانوا يعملون ولن ! ثم وما على إلّا البلاغ المبين فقبولاً لإيمان من أقبل دون أية محاسبة.

**﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٤ .**

فبأية حجة أطرد المؤمنين وما أحمل إلّا رسالة الإيمان **﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ** (٢٩) ويا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُكُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) .. وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرْدِي

أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ (٣١) .

وهذه سنة رسالية دائبة : جذب المؤمنين وطرد المعاندين ، فكيف . إذا . أطرب المؤمنين ؟ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشَّيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٦ : ٥٢)

أطربهم ثم أطري الكافرين المتطاولين المستكبرين !؟ .

﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ١١٥ .

«نذير» من عذاب أليم «مبين» سبب النذارة ومادتها ، فكيف أطرب المنذرين المؤمنين لرغبة المتأففين المستكبرين ، فان هي . إذا . إلا رسالة الظلم والاستكبار ! . ولقد قلت لكم من ذي بدء ﴿إِنِّي لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ وتلك . إذا . خيانة في الرسالة أن أطرب المؤمنين ، ونقضا لصالحها إلى مصلحية الجمع لجم غفير من المستكبرين وهم كاذبون ، بذلك يثبت نوح جداره هذه الرسالة الأمينة أنها لا تخضع لرغبات الأقوياء الأغوياء ، وإنما الحكم الله جذبا للأبراء الأنقياء .

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ١١٦ .

هذا جواب العاجز اللعين إذ يتفلل من الحجة . إذ يراها عليه لجة . إلى التهديد ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ عن دعوتك ودعaitك ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ وقد كان الرجم أشد عقوبة للمخالفين ، فقد بدأوا بحوار ، ثم طلبوا منه أن يأتيهم بما يعدهم : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَارَنَا فَأَتَنَا إِمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١ : ٣٢) وآخر المطاف ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ !

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَّا وَلَخِنَّي وَمَنْ

### ١١٨ . مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

عرض حال معلومة عند الله ، ولكنها موقف الدعاء تعرض فيه كل حالة بقالة متواضعة ، ولأن تكذيب الرسالة راجع إلى تكذيب المرسل فنوح هنا في ذلك العرض يتطلب إلى ربه أن يعالج موقفه الرسالي بفتح منه ونجاهة له ومن معه من المؤمنين ، مما يلمح أنهم هددوا بالرجم كما هو ، وقد يشير إليه ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ من رجم أو يحكم له بالرجم. «فافتتح ..» أحکم بيّني وبينهم حکما قاطعا وأمرا فاصلا ، يفتح الباب لمبهم بعد ما استصعب رتاجه ، وأفضل علاجه ، ويقال للحاكم : الفتاح ، لأنه يفتح وجه الأمر بعد اشتباهه واستبهام أبوابه ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ يفتح بعلم ويعلق ما انغلق ويفتق ما ارتنق.

وهذا الفتح هو بطبيعة الحال واقعه المميز بين الفريقين وفيه نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين دونما اقتراح لنوعية الفتح استسلاما لأمر ربه ، فليس فتحا في حكمه شرعة لأنه كان واقعاً منذ الدعوة ، بل ومنذ بزغت شرعة في هذه البسيطة.

وقد فتح الله بينه وبينهم بعد روح بعيد من الزمن ، حيث الدعوة كانت ألف سنة إلا خمسين عاما :

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَسْحُونِ ۖ ۱۱۹ ۷۳ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ۷۰﴾ .

ولقد كان فلكه مشحونا بشحنات الحيوان من مختلف أجناسها ، ومن الذين آمنوا معه و «المجهز الذي قد فرغ منه ولم يبق إلا دفعه» <sup>(١)</sup>.

(١) في كتاب كمال الدين وروضة الكافي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في «الْفُلْكِ الْمَسْحُونِ».

وهذا إجمال جميل سريع يصور النهاية الأخيرة للمعركة المصيرية بين صفة الإيمان والكفر في فجر البشرية تقريراً غزيراً لمصائر المعارك التالية للبشرية إلى يوم الدين ، ألا فاعتبروا يا أولي الأ بصار !

**﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ ۲۱ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ . ۲۲ .**

تلخيص مكرر في ختام العرض لهذه الدعوات الرسالية ، بنفس الصيغة السابقة في عرض خاطف لمقابلة الكفار للرسالة الإسلامية ، ولموسى وابراهيم من قبل ، ثم لهود وصالح ولوط وشعيب ، آيات مكررات تعرض لهؤلاء المناكيد الأوغاد **﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** هنا وعبر التاريخ الرسالي **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾** الغالب على أمره غير مغلوب «الرحيم» بالمؤمنين.

**﴿كَذَّبُتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ۚ ۲۳ (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ ۲۴) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ ۲۵ (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۚ ۲۶) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيٍ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ۲۷ (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۚ ۲۸) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۚ ۲۹ (إِذَا بَطَشْتُمْ**

بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ (١٣٠) فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمْدَكُمْ إِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢)  
 أَمْدَكُمْ بِإِنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَغَيْوَنَ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ  
 (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا حُلْقُ الْأَوَّلِينَ  
 (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ  
 (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)

تأتي قصة عاد اربع وعشرين مرة في سور عدة ، في نجمها توصف بالأولى (٥٠) مما يدل على انه اثنان ، ولا خبر لنا عن الثانية ، حيث الآيات كلها تتحدث عن الأولى ، مما يدل على أنهم كانوا اظلم واطغى ، لحد أنسوها الأخرى.

وهنا تكرر المقالة البازاغة بداية الدعوة الرسالية مرات خمس ، تدليلا على وحدة الرسالات دعوة ومغزى ، مهما اختلفت في أحکام جزئية حسب المصالح الوقتية أما هيـه ، وهنا بعد عرض الرسالة . كما أسلفنا تفسيرها . ينـدد هـود بـقومـه في نـيرـات (١) :

(١) في كتاب كمال الدين وروضة الكافي مسندـا عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر محمد .

## ﴿أَتَيْبُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ ١٢٨

والربيع هو المرتفع الرائع : فكانوا يبنون بكل مرتفع من الأتالل والجبال والغابات ، ام مرتفعات صناعية «آية» قصرا يشي بعظمهم وصغر الآخرين «تعبثون» آية الربيع مختلف العبث : إسرافا في زخرفات البنيان زيادة عن الحاجة الحيوية الالزمة بحسب الفقراء المعوزين ، الذين قد لا يجدون أ��واخا فيها يسكنون ، وكما يروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : «ان كل ما يبني وبال على صاحبه يوم القيمة إلا ما لا بد منه» (١).

. ابن علي الباقي (عليه السلام) في حديث نوح ان الله تبارك وتعالى باعث نبيا يقال له هود وانه يدعو قومه إلى الله عز وجل فيكتذبونه وإن الله عز وجل يهلكهم بالربيع فمن أدركه منكم فليؤمن به ولبيتعه فان الله تبارك وتعالى ينجيه من عذاب الربيع ، وامر نوح ابنه سام ان يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة ويكون يوم عيد لهم فيتعاهدون فيه بعث هود وزمانه الذي يخرج فيه ، فلما بعث الله تبارك وتعالى هودا نظروا فيما عندهم من العلم والایمان وميراث العلم والاسم الأکبر وأثار علم النبوة فوجدوا هودا نبيا وقد بشرهم أبوهم نوح به فأمنوا به وصدقوا واتبعوه فنجوا من عذاب الربيع وهو قول الله عز وجل : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودٌ﴾ وقوله : ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَفَقَّهُونَ﴾.

(١) في المجمع . الخبر المؤثر عن انس بن مالك ان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) خرج فرأى قبة فقال : ما هذه؟ فقالوا له أصحابه : هذا الرجل من الأنصار ، ، فمسك حتى إذا جاء صاحبها فسلم في الناس أعرض عنه وصنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب به والأعراض عنه فشكى ذلك إلى أصحابه وقال : والله إن لأنكر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ما ادرى ما حدث في وما صنعت؟ قالوا : خرج رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فرأى قبتك فقال : من هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسوها بالأرض فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ذات يوم فلم ير القبة فقال : ما فعلت القبة التي كانت هاهنا؟ قالوا : شكى إلينا صاحبها اعراضك عنه فأخبرناه فهدمنها فقال : إن كل ما يبني وبال على صاحبه يوم القيمة إلا ما لا بد منه.

وتظاهرا وتفاخرا في ذلك التكاثر حيث تبدو هذه القصور من بعد كأنها علامات ،  
تعلم بما مكانة أصحابها تطاولاً ومقدرة ومهارة .

فآية العبث بنيانا إماذا هي آية الرعونة والترف واللامبالات في الحياة ، وكأنهم خلقوا  
عبشا ليعيشوا عابثين .

فالعبد في آية ظاهرة من مظاهر الحياة هو آية التجاهل عن واقع الحياة ومسيرها  
ومصيرها ، والتغافل عن مسؤولياتها تجاه الله وخلقه .

وكيف يسمح الشري لنفسه ان يبعث بالبنيان والملابس والماكل والمناكح ، على عيون  
العرّل من ضروريات الحياة من البائسين المعدمين !؟

**﴿وَتَخْلُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخَلَّدُونَ﴾ ١٢٩ .**

المصنع من الصنع وهو إجاده الفعل ، فالمصنع هي المكائنات الجيدة الخصينة حفاظا  
عن آية إصابة أرضية أو سماوية ، من قصور حجرية أتاهيه ، كالمنحوتة في الجبال وكأنها  
تحلدهم في الحياة أكثر من آجالهم المقدرة لهم .

ذلك ، وإنما اتخاذ المصنع لدفع كيد العدو ، أو السارق أمّاذا من مصالح حيوية عاقلة  
فليس بذلك الممنوع ، بل مسموح منوح .

**﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ﴾ ١٣٠ .**

فالبطشة الجبارية هي الظلمة المستكبرة ، وأما المدافعة اعتداء بالمثل فهي الحق العدل  
لكل مهاجم عليه في أي ناموس من نواميسه الخمس أم نواميس الآخرين المحترمين ، ولكنهم  
غلاط متجربون دونها تحرج في بطشتهم ، هجوما بدائيا أو دفاعيا .

**﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ ١٣١ .**

تقوى عن كل مظاهر الطغوى ومعالمها ، وطاعة لرسول الهدى فيما

يفعله أو يقوله عن الله.

**﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمْدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ ١٣٣ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾**  
**﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٣٥**

إمدادات ربانية في تسهيل الحياة ، تقتضي شكورا ، فكيف تطعون فيما أمدكم ، وتسطون بها على عباد الله ، فان لم تخذروا حاضر العذاب ف **﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾** إذا متم بحالكم البئساء **﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** بربخا ويوم الدين.

أتراهم اتعظوا بهذه العظات البالغة؟ وهي لا تصل إلى قلوب مقلوبة غليظة جاسية؟  
**﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَظَتْ أُمٌّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ١٣٦**

**﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنَّهُرُكُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** وهنا **﴿مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾** قد تلمح إلى أن الوعاظين كانوا عدة ، عرضيا يرأسهم هود؟ أم طوليا قبله وبعده في مثلث الزمان. أم وحتى ان لم يبعث إليهم إلا هود فهم يمقاهم هذا يكتشفون عن حالمهم تجاه الرسالات كلها : **﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ ..﴾** فتكذيب هود بهذه المثابة هو تكذيب المرسلين أجمعين.

**﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣٧**

«إن هذا» الذي تعظ به **﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾** من الوعاظين ، أساطير مكرورة طوال الزمن ، وأكاذيب لصق بعض وتلو بعض.

أو «إن هذا» الذي نحن عليه «إلا خلق» آباءنا «الأولين» فنحن على آثارهم مهتدون ، وما نحن بتاركي خلقنا وهي تراث الأولين.

وقد يعنيهما «هذا» فإنحما من مقال الكافرين بالرسالات ، وبناء عليه :

﴿وَمَا لَنَّا مُعَذَّبِينَ﴾ . ١٣٨

رغم ما تعدهنا الوعود المكرورة من الوعاظين الوعادين.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكُنَا هُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٣٩

العزيز الرحيم . ١٤٠

عرض خاطف لمصيرهم الحالك في مسيرهم الحالك ، يطوى فيه أطغى طغاة التاريخ

وتطفى آيات كل ربع لهم ومصائرهم وكل نعيم لهم ، إلى عذاب مقيم !

﴿كَذَّبَتْ تَمْوِيدُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَقَوَّنَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى

رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتَتَرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعَيْنَ (١٤٧) وَرُزُوعٍ

وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَحِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِنَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ

(١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)

قَالُوا إِنَّا

أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَنْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)  
 قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ  
 يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً وَمَا  
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْغَفِيرُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

«ثُمُود» هم اخوان عاد في الطغيان ورعونة الحياة ، يتباهاون في دورهم اللعين وكورهم المهيئ ، ودعوة صالح الرسالية هي نفس الدعوات ثم التنديد :

﴿أَتُرِكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ . ١٤٦

«ما هاهنا» مشرح فيما هاهنا ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ...﴾ وقد اختص «ونخل» من بين شجرات الجنات لأنها أهمها ثمرة وإنتاجا ، وكانوا يهتمون بها أكثر من غيرها ، والطلع هو الطالع من النخلة كنصل السيف في جوفه شاريخ ، والهضيم هو اللطيف من قولهم فلان هضمى الحشا أي لطيف البطن وأصله التقصان من الشيء كأنه نقص من انتفاخ بطنه فلطفت معاعد خصره ومنه ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

وهو اليانع البالغ ، والذي إذا مسّ تهافت من كثرة مائه ورطوبة أجزائه .

فهو النضيج الذي أرطبه ثراه وهذه هي أفضل حالة لطلع التخل بدخول بعضه في بعض فكأن بعضه هضم بعضا لفتر تكاففه وشدة تشابكه.

﴿وَنَجِحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ ١٤٩

الفره هو الأشر ، فالغاره هو الأشر البطر ، والبيوت الجبلية هي الفرهة المرحة ، يبعث بها حياة الفرح والمرح.

﴿أَتَرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ من متعة الحياة وشره اللامبالاة ، في جنات وشهوات

«آمنين» من بأس الله الذي هو لا محالة آت؟

أتظنو انكم ﴿فِي مَا هَاهُنَا﴾ ترکون لحيونة الحياة ، في كل دعة ورخاء وكل متع الحيوانات؟ «أتترکون» لا يردعكم فوت ، ولا يزعجكم موت.

لمسات موقظة تجذبهم إلى التقوى ، ابعادا عن الطغوى ، ولكنها لا تلمس تلك القلوب المقلوبة ، الجافة الجاسية ، إذ لا تصفع لها ولا تلين بها.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ١٥٠ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ١٥٢ .

فطاعة التقوى هي طاعة الله وطاعتي كرسول من الله ، وطاعة الطغوى هي طاعة من سوى الله ولا سيما المسرفين في التخلّف عن الله وعن شرعه ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ساعين في إفساد الحياة الأرضية في كل جنباتها الإنسانية بل والحيوانية ، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أبدا.

فأصحاب الأمر والإمرة على طوائف ثلاث ، مصلحون لا يفسدون وهم الدعاة إلى الله معصومين وسواهم ، إلا خطأ من سواهم ، ومصلحون قد يفسدون ، أو مفسدون قد يصلحون ، وهم نحسون حسب دركات

إفسادهم ، ومبتدئون لا يصلحون وهم المسرفون في إفسادهم ، و ﴿أَنْهَى الْمُسْرِفِينَ﴾ ليس . فقط . ما يقابل النهي ، حيث الطاعة المنبهة لا تخص هذا الأمر ، بل والنهي المسرف أخرى ان ترك طاعته ، كما النهي عن المنكر يتقدم الأمر بالمعروف ، واما الأمر هنا فعلهم وشأنهم وإمرتهم وأي أمر منهم بفعل أو ترك أم ماذا؟.

واختصاص ترك الطاعة هنا لا يحصر النهي في طاعة أمرهم ، فطاعة الأمر غير المعصوم صاحبه ، أو المأثور ، هذه منهية على أية حال ، ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾ هنا قضاء حاسم على الأمر الفادح الفاضح كأولى خطوة صالحة إلى الله ، ومن ثم الخطى الأخرى التي تتبع الخطوة الأولى ! تركا لطاعة من سوى الله ككل ، إلا رسول الله ، وكل من يحمل عنه ما حمله حليما تقينا ، لحد يعتبر أمره أمر الله وكما عرف به الله .

فليس من صالح الدعوة الرسالية حمل الشاردين كهؤلاء البعيدين على الشرعة ككل ، واما يؤمنون في البداية وينهون ، في أوليات العقائد والأخلاق والأعمال ، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَنْهَى الْمُسْرِفِينَ﴾ تكفل هذه البداية دونما إفراط ولا تفريط .

﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمَسَحَّرِينَ﴾ ١٥٣ ما أنت إلا بشّر مثلنا فات بآية إن كنت من

الصادقين . ١٥٤

لقد حصروا كيانه الرسالي في السحر : ﴿إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمَسَحَّرِينَ﴾ ولماذا؟ لأنهم حصروا كيأنهم أنفسهم في الشهوات المضللة ضد الرسالات ، وبطبيعة الحال ليست ردة الفعل ونبرة القول ل «إنما» الضلال وجه «إنما» الهدى إلا ﴿إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمَسَحَّرِينَ﴾! . إذ ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَّرٌ مِثْلُنَا﴾ تريد أن تتفضل علينا ، وتزري المماثلة في أصل البشرية مما يحيل الرسالة إلى البشرية

لحد يجتنن رسول البشر ، أفاليسـت هـنـالـك تـفـاضـلـات بـيـنـ قـبـيلـ الـبـشـر ، يـجـعـلـ لـلـفـاضـلـ جـدـارـةـ فيـ كـيـانـ يـحـلـقـ عـلـىـ المـفـضـولـين ، وأـفـضـلـ التـفـاضـلـاتـ هيـ الرـبـاطـ الروـحـيـ بـيـنـ الإـنـسـانـ وـرـبـهـ ، عـلـمـياـ وـتـرـبـوـيـاـ لـحـدـ العـصـمـةـ بـمـرـاتـبـهاـ ، فـهـلـ المـعـصـومـ بـعـصـمـةـ إـلهـيـةـ لـاـ تـحـقـ لـهـ الرـسـالـةـ إـلـىـ الـبـشـرـ ، لـحـدـ يـرـمـىـ إـلـىـ السـحـرـ وـالـجـنـونـ ، مـاـ هـذـ إـلـاـ تـذـلـلـ لـسـاحـةـ إـلـاـنـسـانـيـةـ وـحـطـاـ منـ سـماـحـتـهـ لـحـدـ لـاـ تـلـيقـ حـمـلـ رـسـالـةـ إـلـهـيـةـ إـلـىـ نـفـسـهـاـ ، فـلـيـكـنـ الرـسـولـ مـنـ غـيرـ جـنـسـهـاـ أـمـ تـبـقـيـ ضـالـاـ بـلـ رـسـولـ!ـ . وـإـنـاـ شـبـهـةـ تـخـالـلـ لـلـبـشـرـيـةـ الـمـتـفـلـتـةـ الشـرـيرـةـ كـلـمـاـ جـاءـهـاـ رـسـولـ ، اـنـاـ لـاـ تـسـتـأـهـلـ اـنـ يـؤـتـيـ خـبـرـ السـمـاءـ وـهـيـ عـائـشـةـ الـأـرـضـ ، تـغـافـلـاـ عـنـ الـقـيـمـ الـمـوـدـوعـةـ خـلـيـفـةـ الـأـرـضـ ، وـانـاـ مـوـهـوبـةـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـاـتـصـالـ بـالـمـلـأـ الـأـعـلـىـ وـهـيـ مـقـيـمةـ الـأـرـضـ.

تبـقـيـ هـنـاـ آـيـةـ تـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ الـاـخـتـصـاصـ ، فـلـيـطـلـبـ بـهـاـ مـدـعـيـ الرـسـالـةـ قـبـلـ رـمـيـهـ بـالـسـحـرـ ، وـلـكـنـهـمـ عـكـسـواـ الـأـمـرـ ، تـقـدـيـمـاـ لـتـهـمـةـ السـحـرـ عـلـىـ ﴿فـاـتـ بـاـيـةـ إـنـ كـنـتـ مـنـ

**الـصـادـقـينـ** :

﴿قـالـ هـذـ نـاقـةـ لـهـاـ شـرـبـ وـلـكـمـ شـرـبـ يـوـمـ مـعـلـومـ ١٥٥ـ وـلـاـ تـمـسـوـهـاـ بـسـوـءـ فـيـأـخـذـكـمـ عـذـابـ يـوـمـ عـظـيمـ﴾ ١٥٦ـ .

﴿هـذـ نـاقـةـ اللـهـ لـكـمـ آـيـةـ فـذـرـوـهـاـ تـأـكـلـ فـيـ أـرـضـ اللـهـ وـلـاـ تـمـسـوـهـاـ بـسـوـءـ فـيـأـخـذـكـمـ عـذـابـ الـلـيـمـ﴾ (٧٣ : ٧) ﴿وـأـتـيـنـاـ مـئـودـ النـاقـةـ مـبـصـرـةـ فـظـلـمـوـاـ إـنـاـ مـرـسـلـوـاـ النـاقـةـ فـيـتـنـةـ لـهـمـ فـارـتـقـيـهـمـ وـاـصـطـرـبـ﴾ (٥٤ : ٢٧) هذه النـاقـةـ نـفـسـهـاـ آـيـةـ إـذـ خـلـقـتـ دونـ ولـادـةـ مـتـعـوـدـةـ ، وـكـيـفـ خـلـقـتـ هـيـ آـيـةـ؟ـ أـحـرـىـ بـنـاـ أـلـاـ نـخـوـضـ فـيـهـ ، فـنـكـتـفـيـ بـهـاـ قـالـهـ اللـهـ ﴿نـاقـةـ اللـهـ لـكـمـ آـيـةـ﴾ .

ثـمـ وـتـقـاسـمـ الـشـرـبـ وـهـوـ نـصـيبـ الـشـرـبـ سـوـيـاـ ، آـيـةـ أـخـرىـ ، كـيـفـ

تشرب ناقة بمفردها كشرب جمارة الناس المرسل إليهم صالح؟! وقد تكون نبعة الشرب آية ثالثة كما يروى<sup>(١)</sup> وهل ان هذه الآية المبصرة ابصرتهم؟ كلاً وهم عمي لا يصررون : ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِين﴾ . ١٥٧

والعقر هو إصابة الأصل والقعر ، وهو بالنسبة للناقة النحر المستحصل نحوها خمرا الآية الرسالة ، وأخذنا لشربها ، وأكلنا لحمها ، «فاصبحوا» بعد ذلك وحين رأوا العذاب «نادمين» ولات حين مناص ، وترامهم عقوتها كلّهم؟ وهذا خلاف النص في آية القمر ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَر﴾ (٢٩) .

مهما كانت الشمس تعمه وسواهم كسائر آيات العقر : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَاهَا﴾ (٤) ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ مُتَّغَعِّبًا دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّام﴾ (١١) : ٦٥ . وذلك بعد عقرهم الناقة وتحديهم صالحا بإتيان العذاب ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا مَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاهِنِين﴾ (٧) ، ذلك لأنّهم شاركوا عاقرها إذ نادوه فتعاطى منهم سيفا فعقرها كما في آية القمر ، فهم كلّهم مشاركون في درك عن درك ، وقد عد عاقرها . فقط . أشقي الأولين

(٢) .

(١) مجمع البيان وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال : انه أول عين نبعث في الأرض هي التي فجرها الله عز وجل لصالح فقال : لها شرب ولكن شرب يوم معلوم .

(٢) نور الثقلين ٥ : ٥٨٧ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) من أشقي الأولين؟ قال : عاقر الناقة قال : صدقت فمن أشقي .

«ايها الناس إنما يجمع الناس الرضى والسخط وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عمده بالرضا فقال سبحانه ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِين﴾ فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة الحماة في الأرض الخوارة»<sup>(١)</sup>.

وقد نستلهم من «عقروها» أن كل مشارك في ظلم أو معاون ظلماً يجمع معه في إثمه ، كل حسب دوره الفعال في الجريمة ، وحتى في النية.

**﴿فَأَخْذَهُمُ الْعَدَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينٌ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ ١٥٩﴾ الرَّحِيمُ**

تعقيب مكرور بصيغة واحدة لمصير المكذبين ، ولعله ان بصيغة الرسائلات واحدة كصيغة المكذبين بها ، سلسلتان متعارضتان في هذه المعركة المصيرية إلى يوم الدين.

**﴿كَذَّبُتْ قَوْمٌ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُوْنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥)﴾**

. الآخرين؟ قال : قلت لا أعلم يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : الذي يضررك على هذه وأشار إلى يافوخه.

(١) نهج البلاغة عن الامام امير المؤمنين علي (عليه السلام).

وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِينَ (١٦٨) رَبِّنَا نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) لَمْ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦٥

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ﴾ تنديد شديد بإتيانهم ، و ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قد تتعلق بالآتين ، أنكم أنتم المخصوصون بهذه العملية النكراء بين العالمين : ﴿مَا سَبَقَكُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٧ : ٨٠) وأخرى بالآتين ، فقد تلمح . إذا . ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ دون «الناس» عالم الجن ، وان قومه منهم كانوا كما الإنس يأتون الذكران منهم ، والمعنيان . عليهما . معنيان وكلّ وجه ، مهما كان الثاني أوجه.

﴿وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ١٦٦ .

وترى «من» هنا بيانية تبين ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾؟ والصيغة الصالحة لها ﴿أَزْوَاجُكُمْ﴾ أو «المخلوقة لكم»!

أم تبعيضية تعني عضو الجنس من الأزواج؟ وصيغتها السائعة لها «فروج أزواجكم»! إنما قد تعنيهما بياناً وتبعيضاً ، والثاني لا يخص القبيل ، بل والدبر ايضاً مهما كان الأصل الصالح هو الأول ، ولو كان إتيان أدبارهن محظوراً لما اختص التنديد بإتيان الرجال ، وأما إذا اختص الرجل إتيان زوجه بدلها تاركاً للآخر ففيه بحث آخر قد نفتى بالتحريم لأنه خلاف مصلحة الولادة الخاصة بإتيان القبيل.

وقد تلمح «ربكم» ان قضية الريوبية الخلقية ، المقتسمة الناس إلى قسمين الرجال والنساء ، اختصاص إتيان الجنس بالنساء ، وأما الرجال مع الرجال لواطاً أمّا هو ، أو النساء مع النساء مساحةً أمّا هي ، فذلك تعد عن طور الخلقية وحكم الفطرة ومصلحة الولادة المقصودة بالزواج ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ صالح الريوبية ، عادون قضيته الفطرة السليمة ، عادون الحق المشترك بين الرجلة والأنوثة إلى المحAns.

فالخطيئة المنكرة التي عرف بها قوم لوط المجرمون هي الشذوذ الجنسي بإتيان الرجال شهوة من دون النساء : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ ذُوْنِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٢٧ : ٥٥) . ﴿... بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (٧ : ٨١) ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرِ ...﴾ (٢٩ : ٢٩).

فذلك الإتيان المتختلف جهالة وإسراف وتعدي عن طور الفطرة الإنسانية وخلقتها ، وقطع لسبيلها التناصلي أو العائلي !.

واما إتيان النساء شهوة قبلًا أو دبراً أما ذا؟ فلا محظور فيه لأنهن خلقن

للرجال : ﴿نِسَاؤُكُمْ حِرْثٌ لَّكُمْ فَأُتُوا حِرْثَكُمْ أَئِ شِئْتُمْ﴾ (٢ : ٢٢٣) مهمما كان أصل الحرش هنا الولادة الحاصلة بالمقاربة العادية ، ولكن الأخرى ايضا هي على هامش الحرش ، كما التفرج في حرش الزرع هو على هامش الحرش ولكن الأشبه الحرمة.

فقد برأ «ربكم» الذكر للأنتى والأنثى للذكر ، وفطر كلا منهما على الميل إلى قسيمه الإنسان تحقيقا للحكمة العالية الربانية في امتداد الحياة الإنسانية من طريق التناслед ، فكلما يدفع لتعطيل التناслед كأصل ، هو خارج عن أصل الحل ، سواء أكان لواطا أم مساحقة ، أو عادة سرية ، أو إتيان حيوان أو إفراغا للمني أو استعمال واسطة أمّاهيه من السبل القاطعة للنسل ، اللهم إلا في موارد استثنائية إلا المنصوص على حرمتها إطلاقا كالأربعة الأولى ، أم أحيانا كإفراج المني عن الزوجة الدائمة دون رضاها ولا محظور ، أو الإفراج دائما عن القبل ، أم إتيانها دبرا كذلك مهمما كان برضاهما ودون محظور ، فانها تخرج بذلك عن كونها حرثا عن بكرتها.

ومن المحظور تعقيم الرجل أو المرأة بالوسائل المصطنعة وسوها ، إلا إذا لزم الأمر ترجيحا للأهم على المهم.

فكمما ان إتيان الذكور لواطا لا يرمي هدف صالح ، ولا يحقق غاية إنسانية ، كذلك إتيان النساء النساء ، والعادة السرية ككل ، وعلى الهامش منع التناслед بأية وسيلة كانت.

وهنا في ﴿أَتَأْتُونَ .. وَتَذَرُونَ﴾ لحة لامعة لحرمة المذكورات على اختلاف دركاتها ، فمبالغة ترك الزوجة بإتيان غيرها محظور ، مهمما كان المذكور هنا اللواط لشدة المحظور.

وفي إهلاكهم لفعلتهم لحة إلى عذابهم المستحق بها وهو القتل كما هو الثابت في باب الحدود ، وما كان جوابهم عن ذلك التنديد الشديد القريرين

بيان الحكمة إلا أن :

**﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرِجِينَ﴾ . ١٦٧**

إخراجا من قرية الدعوة بكل إtrag ، دون عودة إلا بانتهاء الدعوة : **﴿فَمَا كَانَ حَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتُكُمْ إِنَّمَا أَنَّاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾** (٥٦ : ٢٧) ، ويتبين هنا ان آل لوط . وهم لوط والمؤمنون به أقارب وأغارب . كانوا يشاركونه في الدعوة ، وكما لحت لها **﴿مِنَ الْمُخْرِجِينَ﴾** دون «مخرا» تهدیدا لاستصال جذور الدعوة عن القرية بأصلها وفصلها ، ثم الجواب :

**﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْأَقْلَائِنَ﴾ . ١٦٨**

مقالة تظهر البراءة القاطعة عما كانوا يعملون ، أبراءة في القلب حيث هدد بالإخرا؟ لو كانت هكذا لما **﴿قَالَ إِنِّي ..﴾** ! بل هي استمرارية لقالة النهي والتنديد ، ثم استنصر من الله تعالى :

**﴿رَبِّنَجِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ . ١٦٩**

و «اهلي» هنا ليسوا هم . فقط . أقاربه وأنسبائه بل هم الأهلون للنجاة من المؤمنين معه ، أقارب وأغارب ، ولذلك لم يستثن عجوزه في الغابرين ! وليس **﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** (٥١ : ٣٦) لتدل على أهلية النسب والسبب فحسب ، حيث الحالة الكارثة في القرية التي كانت تعمل الخبائث تقتضي جمعية المسلمين معه في بيت واحد وهم قلة قليلة ، ثم عجوز البيت ما كانت من المسلمين .

**﴿نَجِي وَأَهْلِي﴾** من مسئوليات وخلفيات ما **﴿يَعْمَلُونَ﴾** أداء لواجب الدعوة دون تساهل وتغافل ، ونجاة من أن يمسوا أهلي بسوء ما يعملون ، فإنهم هارعون إليه دوغما تمييز كما هرعوا إلى ضيفه المكرمين زعما منهم أنهم

غلمان ، ونجاة من ان يشملهم عذابهم بينهم  
 ﴿فَتَجْنِيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ١٧٠ .

«نجينا ...» من ثالوث العذاب ، وقد صرخ بثالث ثلاثة وهو استئصالهم عن بكرتهم و

:

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ ١٧٢ .

دليل على أن النجاة ليست فقط عن التدمير ، بل وعن كلما كان يخاف منهم ، و «عجوزاً» هي امرأته المتخلقة عن شرعته وهداه ، والغابر هو الماكت بعد مضي ما هو معه ، وكانت هذه العجوز ماكتة في كفرها بعد مضي ما معها من الدعوة الرسالية.

ف «الغابرين» هنا هم الماضون في كفرهم دون رجوع : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَةُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٢٧ : ٥٨) لأنها . رغم كونها امرأة لوط . كانت من الغابرين رغم ملاصقة الدعوة طيلة حياة الزوجية.

وترى كيف ﴿دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ وهم غير أهله أجمعين وفيهم نساء لسن يقتربن ما اقترف الرجال ، وأطفال من القبليين غير مكلفين؟.

النساء البريءات من هذه الوصمة ما كن البريءات من الإدمان على الشرك والتکذيب بالرسالة ، فليشملهن مطر العذاب ، وأما الأطفال فليس تدميرهم مع الكبار . إن دمروا . عذاباً وكما سائر العذاب استئصالاً وتدميراً ، الشاملة للمذنبين والبريءين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ١٧٣ .

إنه مطر سوء وليس مطر الماء الحير ، لأنهم منذرون ومتصلبون على

الكفر : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِحْلٍ﴾ (١٥ : ٧٤).

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةَ الْمُؤْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَابْنِيَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَادِيرِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

يَوْمَ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)

تأتي ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَة﴾ في أربع هذه منها ، و «الأيكة» شجر مختلف ، وأصحاب الأيكة نسبوا إليها وهي غيبة ورفة من الأشجار كانوا يسكنونها وهي بلدتهم ، ورسولهم شعيب فimen أرسله إليهم من أهل مدین وهم الأصلاء وهؤلاء فروع ف ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (٧ : ٨٥) إذ كان منهم ، وهنا ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ دون «أخوهم» إذ لم يكن منهم <sup>(١)</sup>موقع مدین بين الحجاز وفلسطين حول خليج العقبة.

ولقد كانوا محسرين الناس ، يبخسونهم أشيائهم ، عاثين في الأرض إفسادا ، فلذلك بزغت الدعوة الأخلاقية من صالح وفقا لحالتهم البئية كما هي سنة الرسالات المستمرة. فهنا أوامر ونواهي ثلاثة في ناحية هذه الدعوة المصلاحية ، بعد ان طمأنهم برسالته الأمينة :

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ . ١٨١

فالكيل بين واف وطفيف وزائد ، إيفاعه واجب ، وطفيفه محظوظ ، وزائد راجح ، وهنا أمر بواجب الإيفاء ونفي عن محظوظ التطفيف والإخسار ، ولأن

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٤ : ١٦٣ وفي الحديث ان شعيبا أخا مدین أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة.

الكيل يخص المكيل فامر ثان يخص الموزون :

﴿وَنُوا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ١٨٢.

وهو الميزان أيا كان ، واستقامته هو اعتداله في الوزن ، وقد يكون القسطاس مستقيماً والوزن غير مستقيم ، فليكن «المستقيم» وصفاً لكلا الوزن والقسطاس ، ثم ونحي بحلق على كل إخسار وبخس كيلاً أو وزناً أَمْ أيا كان في المعاملات الجماعية اقتصادية وثقافية وسياسية وأخلاقية أمّاهيه :

﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ١٨٣.

والبخس هو النقص ، و «أشياءهم» تعم كل أشياءهم في خمس التواميس وملحقاتها : نفساً وديناً وعقلاً ومالاً وعرضاً ، فالبخس إياها محظوظ ، وتركها تخرب أيضاً محظوظ ، ومحاولة التعاون في كمالها راجحة أَمْ واجبة ، فإن إخسار الكيل واعوجاج القسطاس وبخس أشياء الناس إفساد ، والعبرة في الأرض إفساداً وهو السعي فيه لإفساد على إفساد ، في أية ناحية من واجب الصلاح والإصلاح من التواميس الخمس.

فالإفساد الاقتصادي له دور هام بين سائر الإفساد ، ينهى عنه كما ينهى عنها في سائر الشرائع الإلهية ، إصلاحاً للحالة المعيشية التي تلعب دوراً عظيماً في صالح الناس ، وإبعادهم عن شر النسناس الخناس.

وأخيراً يستجيش شعيب مشاعر التقوى في نفوسهم كما بدأ ، تذكيراً لهم بخالق الخلق

أجمعين :

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالْجِبْلَةَ الْأَوَّلَيْنَ﴾ ١٨٤.

«الجبلة» هي الخلقة المحبولة المطبوعة بطبع الفطرة التي فطر الناس عليها ، فهي كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، فمهما تحرك

من الإنسان أي من أشياءه عقلا وعلما وجسما ، فالفطرة الإنسانية ثابتة كحججة بالغة لا تزول.

فالمؤمنون من الأوّلين كانوا يتقوّن ، والمتخلّفون منهم عن شرعة الله هم المتخلّفون عن جبلتهم فلما ذا قفوا آثارهم ، فأنتم على آثارهم تحرّعون؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۚ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَطُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٨٥

صيغة مطردة مكرورة بين المكذبين برسالات الله ، كأنّهم تواصوا به ! شيطنة مدروسة مدسوسية بينهم كشريطة تدار على أسماع الدعاة إلى الله.

ولا فحسب التكذيب ، بل والتحدي بأن يأتوا بعذاب الله إن كانوا صادقين :

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨٧

﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فلست أنا ولا أنت ، وهو أقدر أن يأتكم بعذاب ، وما أنا إلا رسول لا أقترح على ربّي أصل العذاب ولا كمّه ولا كيفه ﴿إِنَّا عِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ ٤٦ : ٢٣ .

فحتى إن لم يأتكم عذاب لم يدل ذلك على كذبي في رسالتي ، فانها رسالة وليس ألوهية تقتضي القدرة على إتیان العذاب ، ولا وكالة عن الرب أو نيابة تستدعي استجلاب العذاب.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٨٩

هنا عذاب يوم الظلّة ولدين الصيحة : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا تَجَنَّبُنَا شُعْبَيْنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ

**جاثمين** (١١ : ٩٤).

إذا فيوم الظلة هي غير يوم الصيحة كما أن اصحاب الأیکة هم غير أهل مدین مهما كانت الرسالة إليهم واحدة فما هي . إذا . الظلة؟.

يقال هي السحابة المطلة عليهم المظلة ، وهم يحسبونها مظللة حيث أخذتهم حرّ خانق حانق يكتم الأنفاس ويقتل الصدور <sup>(١)</sup> ، ثم تراهم هذه السحابة الظلة فاستظلوا بها فوجدوا لها بردا ، فإذا هي تُنطر عليهم نارا ، أم صاعقة مجلجلة تفزعهم فدميرهم تدميرا <sup>(٢)</sup> ، وعلى أية حال ليس هنا في النص إلا **«يَوْمُ الظَّلَّةِ»** ولا بد أنها ظلة سماوية كما **«نَتَفَنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظَلَّةٌ»** (٧ : ١٧١) ولكنها ظلة تدمير وذلة و **«إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»** توحى بأنه كان شعبة من عذاب الجحيم <sup>(٣)</sup>.

ذلك شطر من قصص الرسل والرسل إليهم ، السبعة ، وما واجهوهم من التكذيب ، وقبلها كلها **«تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ»** وهذا في الختام :

(١) نور الثقلين ٤ : ٦٤ عن تفسير القمي «عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ» قال : يوم حر وكائم.

(٢) المصدر في «يَوْمِ الظَّلَّةِ» بلغنا والله اعلم انه أصحاب حر وهم في بيوتهم فخرجوا يتلمسون الروح من قبل السحابة التي بعث الله عز وجل فيها العذاب فلما غشيمهم أخذتهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين وهم قوم شعيب .

(٣) في الدر المنشور ٥ : ٩٣ عن ابن عباس في تفسير يوم الظلة : أرسل الله عليهم سوما من جهنم فأطاف بهم سبعة ايام حتى أضجهم الحر فحميت بيوبهم وغلبت مياههم في الآبار والعيون فخرجوا من منازلهم ومحلتهم هاربين والسموم معهم فسلط الله عليهم الشمس من فوق رؤسهم فتغشتهم حتى تقلقلت في جحاجم وسلط الله عليهم الرمضاء من تحت أرجلهم حتى تساقطت لحوم أرجلهم ثم انشأت لهم ظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها يستغيثون بظلها حتى إذا كانوا تحتها جميعا أطبقت عليهم فهلكوا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه .

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ  
 مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوْمَّ يَكُنْ لَهُمْ  
 آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأُهُ  
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ  
 حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيهِمْ بَعْثَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ  
 مُنْظَرُوْنَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَنْعَنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ  
 مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَغِّعُونَ (٢٠٧) وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا  
 مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي  
 لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيغُونَ (٢١١)﴾

إِنَّمَا عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخَرَ فَتَنَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)  
وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ  
عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَكَ حِينَ  
تَقْوُمْ (٢١٨) وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) هَلْ أَنْتُمْ كُمْ عَلَى  
مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْسَرُهُمْ كَاذِبُونَ  
(٢٢٣) وَالشُّعْرَاءُ يَتَسْعِئُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَمْ تَرَ أَهْمَمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّمِّ  
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا  
مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيِّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . ١٩٢

فقد يعني الضمير الغائب **﴿الْكِتَابُ الْمُبِينُ﴾** : القرآن ، أم ويعني فيما يعني رسول القرآن ، و «تنزيل» بديلا عن «المنزل» علّه للتدليل على انه كله منزل منه تعالى كأنه هو التنزيل ، تنزيلا من عليا الروبية إلى دنيا العبودية ، ومن علي الغيب إلى ظاهرة الشهود للمربيين ، فليس تنزيلا من مكان عل إلى مكان دان ، وإنما من مكانة عالية إلى اخرى دانية ، دنو الخلق عن الخالق مهما كان قلب الرسول العظيم (صلى الله عليه وآلها وسلم) ، والناس كلهم فقراء إلى الله وهو الغني الحميد الكبير المتعال العلي العظيم والقاهر فوق عباده ، فرحماته رحمانية ورحيمية ليست إلا تنزيلا من علو الروبية إلى دنو العبودية. والتنزيل هنا تشمل مرحلتي : الإحکام في انزاله دفعيا ، والتفصيل في تنزيله تدريجيا ، وهو فيهما إحداث حديث الذكر **﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّثٌ﴾** وليس إبراز العلم الأزلي حتى يكون قد ياما كما الذات وصفات الذات.

وإضافة التنزيل إلى رب العالمين للتأشير إلى انه يحمل روبيته العالمية الكافلة ل التربية العالمين إلى يوم الدين ، دونما نظرة وحي آخر يكمله أو ينسخه خلاف سائر الوحي . ليس القرآن تنزيل الروح القدسي الرسالي ، ولا الروح القدس على قلبه ، فهذا وسيط الوحي وذلك مهبطه ، وليس تنزيلا إلا من رب العالمين كما يراه صالحًا للعالمين.

**﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ**

. ١٩٥ **﴿مُبِينٌ﴾**

**﴿نَزَّلَ بِالْوَحْيِ الْأَمِينِ الرُّوحُ الْأَمِينِ إِلَى الرَّسُولِ الْأَمِينِ ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾**

دون . فقط . سمعك ، فمنزل القرآن هو قلبه المكين : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ (٢ : ٩٧) . و «به» هنا هو القرآن المفصل المنزل نجوما ، دون الحكم النازل عليه ليلة القدر ، والسر النازل عليه ليلة المعراج ، إذ لم يكن هنا وهناك لوحيه أي وسيط : ﴿فَلَنْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رِتَاكَ بِالْحَقِّ لِتُشَيَّثَ الدِّينَ آمَنُوا وَهُدُى وَتُشْرِى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦ : ١٠٢) ولا صلة لتشييت المؤمنين إلا بما يسمعونه منه من الوحي المفصل دون الأسرار المستسرة الخاصة بساحة الرسالة.

ودلالة اخرى ﴿بِلسانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وليس القرآن الحكم بلسان عربي أو سواه ، فضلا عن «مبين».

فجبريل الروح الأمين القدس نزل بالروح القرآن المفصل على قلبه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ايضا الروح القدس الأمين ، فالنازل والمنزل والمنزل روح قدس أمين ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، وتراه كيف ﴿نَزَّلَ .. عَلَى قَلْبِكَ﴾ والقرآن المفصل بما يحمل من ألفاظ تسمع لا بد منزله من أذن أو سمع؟ فهل انه نزول المعنى دون لفظ كيلا يحتاج إلى أذن؟ والقرآن يعني كلما لفظ والمعنى ، فالمعنى دون لفظ لا يقراء وإنما يلهم ، وليس الملهم قرآنا ينزل حيث القراءة تخص اللفظ ! : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ﴾.

فنازل الوحي إلى قلبه أعم من القرآن حيث يعم حكمه الذي لا يقراء ومفصله الذي يقراء .

أجل وللقلب سمع هو أسع من سمع الأذن كما له بصر ، وليس سمع الأذن إلا ذريعة لسمع القلب كما بصر العين ذريعة لبصر القلب ، وللقلب ان يسمع أو يصر دون وسيط كما ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ دونما وسيط.

وَكَيْفَ لَا وَ«الْقُلُوبُ أَئْمَةُ الْعُقُولِ وَالْعُقُولُ أَئْمَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَفْكَارُ أَئْمَةُ الْحَوَاسِ وَالْحَوَاسُ أَئْمَةُ الْأَعْضَاءِ» فَالْقَلْبُ إِمامُ الْأَئْمَةِ فَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُ بِهِ الْحَسْ وَهُوَ فَقَطُّ . مَأْمُومٌ غَيْرٌ إِمامٍ ! وَكَيْفَ لَا ؟ وَمِنْ لِزَامَاتِ الْوَحْيِ أَلَا يُسْمِعُهُ إِلَّا مَنْ يُوحِي إِلَيْهِ ، فَلَوْ كَانَ يَحْمِلُ الْفَاظَاتِ صَوْتِيَّةً . وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ جَاهِرَةً حَتَّى يُسْمِعَ . لَكَانَ يُسْمِعُهُ غَيْرُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَقَدْ كَانَ يُوحِي إِلَيْهِ بِمَرَأَيِّهِ وَمَسْمَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَهُوَ يُسْمِعُ وَهُمْ لَا يُسْمِعُونَ ، وَإِنَّمَا يَرَوْنَ كَانَهُ يَغْشِي عَلَيْهِ مِنْ وَطَأَةِ الْوَحْيِ ! وَكَانَ يَنْفَثُ فِي رُوعِهِ قُرْآنًا وَسَوَاهُ مِنْ وَحْيٍ<sup>(١)</sup>.

فَلَا يُسْمِعُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّ النَّازِلَ إِلَى قَلْبِهِ هُوَ الْمَعْنَى . فَقَطُّ . وَالْأَلْفَاظُ هِيَ مِنْ صَيَاغَتِهِ فَ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ ..﴾ (٧٥ : ١٨) ! وَاسْخَفَ مِنْهُ أَنَّ الْقُرْآنَ بِلِفْظِهِ وَمَعْنَاهُ مِنْ مِنْشَاتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الْمُلْقَاهُ مِنْ رُوحِهِ الْأَمِينِ إِلَى قَلْبِهِ الْمَكِينِ ، إِذَا ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ (٤٩ : ١١) فَإِنَّمَا ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ..﴾ وَهُوَ ﴿الْتَّنْزِيلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فَهَلْ أَصْبَحَتْ رُوحُهِ الْأَمِينِ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى قَلْبِهِ؟!

لِيْسَ النَّصُّ «قَرَأَ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَيْكَ» أَمْ «نَزَّلَ بِهِ عَلَيْكَ» حَتَّى يَحْتَمِلَ قِرَاءَتَهُ عَلَى سَمْعِهِ وَإِنَّمَا ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ وَهُوَ عَمْقُ الرُّوحِ حِيثُ تَنْفَادُ بَنُورُ الْوَحْيِ ، وَلَا بُدُّ لِلْقَلْبِ مِنْ نُورَانِيَّةٍ تَامَّةٍ طَامِةٍ اسْتَعْدَادًا لِنَزْوَلِ الْوَحْيِ الْقَمَةِ الْأُخْرَيِّ ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِينٍ﴾ :

﴿نَزَّلَ .. لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِينٍ﴾ فَالْمَنْزَلُ هُوَ الْقُرْآنُ

(١) الدَّرْ المُشَوَّرُ ٥ : ٩٤ . اخْرَجَ أَبْنُ أَبِي شِيفَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

العربي المبين ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ والغاية من ذلك الإنزال ان تكون من المنذرین ، ولک اختصاص أن إنذارك ﴿بِلسانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ أبین من سائر كتابات الوحي عربية وسواها ، لو كان هناك قبل القرآن كتاب وحی عربی! ، و «عربی» هو الواضح المعرب عن معناه ، و «مبین» : يیین الألسن ولا تبینه الألسن»<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٩٦.

هل «انه» : القرآن ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾؟ كما و ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحْفِ الْأُولَى﴾.

صُحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (٨٧ : ١٩)؟ إذا فالقرآن نسخة عربية عن العهدين ، وليس وحیا يستقل عن زیر الأولین ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا يعقل ان محمدا (صلی الله علیہ وآلہ وسلم) . وهو اعقل العقلاه . يدعی کذبا انه يستقل في وحی القرآن ليستغله في شرعاة مبتدعة جديدة يدعیها أفضلي ما قبلها ، ثم يصرح ان القرآن نسخة عربية عن العهدين ، هدما لما بناه وهدرا لما تبناه ، لتطول ألسنة علماء العهدين الناقمين

(١) نور الثقلین ٤ : ٦٥ في اصول الكافي علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن الجمال عمن ذكره عن أحدهما عليهما السلام قال سأله عن قول الله عز وجل «بِلسانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» قال :

(٢) كتاب المداية المطبوع بمعرفة المسلمين الأمر يكن بمصر سنة ١٨٩٨ ص ٤ ج ٢ وكتاب «القرآن والكتاب» للاستاذ حداد البيروي تحت عنوان : هل بين القرآن والعهدين اتصال ونسب؟ قائلا : هنالك تصاريح من القرآن ان بينه وبين العهدين اتصال ونسب حيث : التوراة إمامه وهو في زیر الأولین وهو تفصیل وتعربی للكتاب المقدس وهو آیات بینات في صدور الذين أوتوا العلم وهم علماء أهل الكتاب ويجب ان يقتدي محمد في قوله بالكتاب وأهله وإذا شك فيه فليسأل أهل الكتاب ليعلمهوا! ثم يحتاج لكل بآیة او آیات على حد زعمه نأی علىها بجوابها بطیيات آیاتها وكما فصلناها في كتابنا «المقارنات».

عليه ، ودون ان يأتي بشيء جديد للمشركين!

ثم واقع الحال في العهددين ، المتوفرة فيما التناقضات والمضادات للواقع وبين آياتهما ، دون القرآن الذي لا اختلاف فيه ، ثم اختلاف الموضع بينه وبينهما تكميلاً لنقص أو نقضاً باطل ، وحتى في العرض القصصي ، ذلك الواقع المتهافت بينهما وبين القرآن يبطل فرية انه نسخة عربية عن العهددين.

ثم المشركون الموجهة إليهم . في الأصل . هذه التوجيهات ، لم يكونوا ليؤمنوا بالأصل المزعوم للقرآن فضلاً عن الفرع القرآن! فكيف يقول لهم ولماذا؟ إنه نسخة عربية عن العهددين. وكذلك الكتابيون حيث يعترون : فإذا لست على شيء جديد ، فلتكن لنا تبعاً وكيف ترجوا أن تتبعك؟.

ثم وكيف يصرح أولاً : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ .. ثم ينافقه بـ ﴿إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ إذا فلم يوح اليه ، إلا إلى الأولين وهو راسم رسومهم في هذا القرآن.

ثم ﴿أَوَمْ يَكُنْ لَّهُ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ١٩٧ عطاها على ﴿إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني دليلاً ثانياً على استقلال وحي القرآن عما أوحى إلى الأولين ، ولو كان علماً لهم انه نسخة عربية لزير الأولين لكن هدماً لبرهان القرآن امام الكتابيين والمشركين بما ﴿يَعْلَمُهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ !

أم «انه» : القرآن ببشرارة له بوحيه بلسان عربي مبين ، ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ وكذلك رسول القرآن؟ وهذا واقع لا مرد لهما حرفت عن جهات اشراعها. وبالنسبة لبشرى القرآن : ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ إِنْكُمْ لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلهَةً أُخْرَى ... الدِّينَ آتَيْنَاكُمْ﴾

**الكتاب يَعْرُفُونَ كَمَا يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** ﴿٦ : ٢٠﴾ ، وكما جاء في كتاب اشعيا نبأ هذا الوحي العربي وإليكم الأصل العبراني نصا (٢٨ : ١٤ - ٩) :

«ات مى يوره دعاه وات مى يا بين شموعاه غكمولي محالاب عتيمى مشادايم كى صولا صاو صولا قولا قاو زعير شام زعير شام ١٠ كي بلعجي شافاه وبلاشون أحرت يدبر إل هاعام هذه ١١ آشر أمر إليهم زئت همنوحاه هانيحو لعايف وزئت همرجعاه ولا آبوء شموع ١٢ وهاياه لاهم دبر يهواه صولا صاو صولا قولا قاو زعير شام ١٣ لاخن شمعوا دبر يهواه أنشي لا صون متشلي هاعام هذه آشر ييرو شalam» ١٤ :

«من ترى يعلم العلم ومن يفقه في الخطاب المقطومين عن اللبن للمقصولين عن الثدي ٩ لأنه أمر على أمر على فرض على فرض هنا قليل وهناك قليل ١٠ لأنه بلهجة لكانه بشفاه عجمية وبسان غير لسانهم «العربي» يعني «العربي» يكلم هذا الشعب ١١ الذين قال لهم هذه هي الراحة فأرجعوا الرازح وهذه هي الرفاهية فأبوا ان يسمعوا ١٢ لذلك سيكون كلام الرب لهم امرا على امر امرا على أمر. فرضا على فرض ثم فرضا على فرض هنا قليلا وهناك قليلا. لكنكي يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء فيحطموا ويصطادوا فيؤخذنوا ١٣ لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال المهزء ولادة هذا الشعب الذي في أورشليم» ١٤ .<sup>(١)</sup>

(١) الدر المثور ٥ : ٩٤ . اخرج ابن مردويه عن عبد الله بن سلام قال : كان نفر من قريش من أهل مكة قدمو على قوم من يهودبني قريطة لبعض حوائجهم فوجدوهم يقرؤن التوراة فقال القرشيون ماذا نلقى من يقرأ تورانكم هذه المؤلاء أشد علينا من محمد وأصحابه فقال اليهود : نحن من أولئك براء أولئك يكذبون على التوراة وما انزل الله في -

فهذه الآيات البينات بشارارة جميلة للقرآن ونبيه انه يكلم هذا الشعب الاسرائيلي بغير لغتهم «كي بلعجي شافاه» بلسان اعجمي . غير لسانهم ... ، ثم وبالنسبة للرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عشرات من البشارات سجلناها في «رسول الإسلام في الكتب السماوية» ويقول عنه القرآن : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢ : ١٤٦).

فالقرآن بنبيه والمواصفات القرآنية والرسالية الحمدية ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ على تحرّفها<sup>(١)</sup>

: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ...﴾ (٧ : ١٥٧) .  
 ﴿أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٩٧) .

الواو هنا عطف على آية القرآن نفسه وفيه الكفاية عن آية آية ، ثم آية ﴿إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ لا فحسب للكتابين بل وكذلك للمشركين ، حيث البشارة به فيها ملحمة غيبية تدل على انه من غيب الوحي على الرسول الأمين.

فان لم يكن لهم . كتابين ومشركين . آية بنفسه وببشراته في زبر الأولين ﴿أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأحرار ، غير المحرفين الكلم عن مواضعه ، إذ لم ينسوا حظا عما ذكروا به.

أم وكل علماء بني إسرائيل قبل نزول القرآن مهما كفر به بعضهم إذ

. الكتب إنما أرادوا عرض الدنيا فقال القرشيون فإذا لقيتموهם فسوّدوا وجوههم وقال المنافقون ما يعلمه إلا بشر مثله وأنزل الله : وانه لتنزيل رب العالمين . الى قوله . : وانه لفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ يعني النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وصفته ونعته .

(١) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» ص ١٠٨ - ١١٠ .

إنه ﴿بِلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ لا يشير قوميّتهم ، و﴿إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ..﴾ يعلمه علماء بني إسرائيل ، فقد تمت عليهم الحجة وطمت الحجة.

﴿وَلَوْ نَرَلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٩٩ .

«لو» هنا تحيل تنزيله على بعض الأعجميين ، أعربياً ينزل على اعجمي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلْسَانٍ قَوْمَهُ لِبَيْنَ لَهُمْ﴾ (١٤ : ٤) واختلاف لغة النازل عن لغة الرسول عرقلة في الدعوة ، ونقص في الدعاية ، ومثار للنكاية ، فعذر للمعنيين بالدعوة الرسالية . أمّاعجمياً على أعمامي؟ وهو نقص في اللغة حيث العبرية قمة بين اللغات والوحى الأخير قمة بين سائر الوحي ، فليكن بلسان عربي مبين .

ثم والعرب الألداء وهم مبتدئون الدعوة ومنطلقها ما كانوا ليؤمنوا به ، فليكن عربياً منزلاً على عربي .

﴿وَلَوْ نَرَلْنَاهُ عَرَبِيًّا أَوْ أَعْجَمِيًّا عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ أصلًا أو ترجماناً ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ حيث النخوة العربية وقوميتها المتعرقة فيهم كانت تصدهم عن أن يؤمنوا به : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآنٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّى أُولَئِكَ يُنَادِيُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾

(٤٤ : ٤١) .<sup>(١)</sup>

اجل و «لو نزلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب وقد نزل على العرب فآمنت به العجم فهذه فضيلة العجم»<sup>(٢)</sup>.

**﴿كَذِلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۚ ۲۰۰ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾**

**﴿۲۰۱ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْءِ الْأَوَّلِينَ ۖ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ۝﴾**

**﴿كَذِلِكَ نَسْلَكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۖ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ حَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۖ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ**

**﴿بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلَّوْا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۖ لَقَالُوا إِنَّا سُكِّرْتُمْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْخُورُونَ﴾** (١٥)

**﴿: ١٠ . ١٤ ) «كَذِلِكَ» الْقَوْمِ الْقَوْمِ «نَسْلَكَهُ» : القرآن . إنفاذًا ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾**

قطعاً لكافة الأعذار القومية والإقليمية واختلاف اللغة أماهية ، وسرداً لكافة البراهين القاطعة

لوحى القرآن داخلية وخارجية ، ولكنه ليس ليسلك في هذه القلوب المقلوبة ف **﴿لَا**

**﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** تخيراً منهم رغم بارعة الحجج إلا عند رؤية البأس : **﴿حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾**.

و **«كَذِلِكَ»** البعيد بعيد «نَسْلَكَهُ» : عدم الإيمان بالقرآن رغم ناصع البرهان **﴿فِي**

**﴿قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾** طبعاً عليها وختماً : **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾**<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع تفصيل البحث عن الآية إلى سورتها.

(٢) نور الثقلين ٤ : ٦٥ في تفسير القمي في الآية قال الصادق (عليه السلام) : ...

(٣) فهنا مراجع لضمير العائب في نَسْلَكَهُ : قرأنا وتكلذينا به وایمانا به ، والأولان صالحان معنوياً والأخير لا

يصلح كما بنياه.

وهذا السلك هو من مخلفات السلك الأول المواجه بالتكذيب جزاء وفaca ، ومن مخلفات السلك الثاني : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ هنا في الرجعة أو قبلها ، ام في البرزخ والأخرى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا آمَنَّا ... فَلَمْ يَكُنْ يَنْقَعِدُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٠ : ٨٥) ، فلا تعني ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ سلك الایمان فان الله ليس ليحمل المكذبين على الایمان ، ولو حمل على ایمان فكيف ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ..﴾ ؟ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (١٠) . (٩٩) :

«فيأيتهم» ذلك العذاب الأليم «بغة» دون إخبار ولا إمهال ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ به و «لا يشعرون» الایمان بالقرآن.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ . ٢٠٣

إنظارا لكي نؤمن به ، ولات حين مناص ، وقد فات زمن الخلاص.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ . ٢٠٤

فقد كانوا يستعجلون بعذاب الله الموعود للمكذبين تحديا على النبيين ، استهتارا واغترارا بما لهم من متع الحياة الدنيا ، وهم بذلك الاستعجال العossal يكدرؤن خاطر النبي الأقدس محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم).

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعِنُونَ﴾ . ٢٠٧

فقد «رؤي النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) كأنه منتحر فسألوه عن ذلك فقال : ولم؟ ورأيت عدوـي يلونـ أمر اـميـ من بـعـدي فـنزلـتـ : «أـفـرأـيـتـ ...» (١).

---

(١) الدر المـثـور ٥ : ٩٥ . اـخـرـجـ ابنـ أـبـيـ حـاتـمـ عنـ أـبـيـ جـهـضـمـ قالـ رـؤـيـ ...

فلقد كان يغمه متعهم خوفة على شرعته وأمته ، إمرة من لا يؤمن ولا يؤمن <sup>(١)</sup> على المسلمين ، فطمأنه ربّه أن أيديهم قاصرة عن القضاء على شرعة الله ، مهما كانت طائلة في متع الحياة الدنيا ، فان للحق دولة وللباطل جولة ، وسوف تزول كل المتع عن الكفار في دولة القائم المهدى (عج) <sup>(٢)</sup>.

**﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ٢٠٨ ٢٠٩ دُكْرٍ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾**

«منذرون» هنا تأثير إلى تواتر الإنذار بحق المهلكين «ذكرى» لهم عن غفوتهم فطرياً وعقلياً ، فان مواد المهدى مرتكزة في الفطر والعقول ، ولا يعني بعث الرسول كأصل إلا «ذكرى» لمن استغفلوا عن دلائل الائمان ، ايقاظاً لأصول المهدى ، ثم الفروع تتبعها واردة على قضايا الفطر والعقول.

**﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾** في ذلك الإهلاك ، و «كنا» هنا تستأهل أصل

(١) نور الثقلين ٤ : ٦٥ في الكافي بسنده متصل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال أري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في منامه بنى امية يصدعون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقرى ، فأصبح كبيباً حزيناً قال : يا جبرئيل إني رأيت بنى امية في ليلي هذه يصدعون منبري من بعدي يضللون الناس عن الصراط القهقرى فقال : والذي بعثك بالحق نبياً إني ما اطلعت عليه فعرج إلى السماء فلم يلبث ان نزل عليه بما من القرآن يومنسه بما قال : **﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَّعَنَاهُمْ سَيِّئَاتٌ...﴾** وانزل عليه : **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدْرِ...﴾** جعل الله ليلة القدر لبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) خيراً من الف شهر ملك بنى امية.

(٢) تفسير البرهان ٣ : ١٨٩ محمد بن العباس بسنده متصل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : خروج القائم (عليه السلام) **﴿مَا أَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾** قال : هم بنو امية الذين متعوا في دنياهم.

كينونة الظلم في الله سبحانه وتعالى ، إذ لا دافع له إليه ، ولو كان لم يظلم لأنه عدل حكيم ، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، خوفة من القوي أن يغلبه ، أو يساميه في القوة ، وكل ذلك مسلوب عن ساحة قدسه سبحانه.

﴿وَمَا تَنَزَّلْتُ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۚ ۲۱۰ ۚ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونَ ۚ ۲۱۱ ۚ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوفُونَ ۚ ۲۱۲ ۚ﴾

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ﴾ . ﴿وَمَا تَنَزَّلْتُ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۚ﴾ عن الملائكة الأعلى ، ردًا على المتطاولين على الذكر الحكيم انه ﴿تَنَزَّلْتُ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۚ﴾ .

﴿وَمَا تَنَزَّلْتُ ۚ﴾ ببرهان القرآن نفسه انه ليس نازلا إلا بعلم الله ، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ : الشياطين أن ينزلوا به ، والابتغاء هو قبول البغي الطلب ، فحتى لو طلب من الشياطين ان يتزلوا بالقرآن ﴿مَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ قبولاً لذلك الطلب ، فان قلوبهم مقلوبة عن المهدى مملوءة من الردى ، فأئن لهم ان يحملوا بذلك القلوب المظلمة وحي القرآن؟.

ثم ﴿وَمَا يَسْتَطِعُونَ ۚ﴾ لو حاولوا في قبول ذلك التنزيل ، ان يقبلوه ، لـ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوفُونَ ۚ﴾ : ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلِأِ الْأَعْلَى وَيُقْدَرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ ذُحُورًا وَهُنَّ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ ...﴾ (٣٧ : ٩).

فإذا كانوا عن السمع معزولين فلا يسمعون مهما تسمعوا ، فكيف يحملون الوحي .  
بقلوبهم المقلوبة . إلى قلوب النبيين؟.

وحتى لو ساغ لهم سمعه وحمله بقلوبهم ف ﴿مَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ سماحاً لذلك الحمل العظيم لأنهم غير مأمونين ، إذ يخلطون الحق بباطل يهودونه ، رغم خالص الوحي الذي يحونه! إذ ﴿مَا يَسْتَطِعُونَ ۚ﴾ حمله خالصاً وأداءً كما حملوه قضية غلبة الشقاوة عليهم لـ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ ۚ﴾ للحق الناصح «المعزولون» ومن الشروط الأصلية للتنزيل بالوحي سمعه في قراره نفس

ال وسيط.

فلو تنزلت به الشياطين على ذلك النبي الأمين وهو يلعنهم ليل نهار ، لكن أخرى ان تنزل به على أولياءهم نقضا لما يدعوه من وحي الرحمن ، وكيف تصبح الشياطين بهذه القدرة الخارقة أرحم بعدهم من أولياءهم وأنعم ، وهم يحاولون دائمًا نقض الوحي ونقصه ، تعبيدا لطرق الشيطانات.

ف **﴿وَمَا يَسْتَطِيُونَ﴾** بارزة كالشمس في راية النهار إذ ما تزلوا به على أولياءهم ، **﴿إِنَّمَا عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾** ظاهرة كالنار على المنار ، فلو لم يكونوا معزولين لأنّوا بهم مثله وأخرى لأوليائهم ، فلا يرد أن ذلك البرهان دور مصحح ، حيث التصديق ب «لا يستطيعون» . معزولون» منوط بتصديق القرآن انه وحي الرحمن ، كما ان هذا التصديق منوط ب «لا يستطيعون» . معزولون»؟ حيث الانزعال وعدم الاستطاعة باهر واقعيا إذ لم يأتوا بهم مثله إلى أولياءهم مهما حاولوا واحتالوا! إذا :

**﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَنَجُّونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾** ٢١٣

ولماذا تدعوا مع الله إلهًا آخر وهو حسبك الكافي ونعم الوكيل؟ وذلك النهي الصارم ليس صدًا عن اقتراحه اشراكا بالله ، واعترافه بغير الله ، وإنما هو استئصال لآمال المشركين ان يرکن إليهم ويميل بغية ايمانهم ، ام تقليلا لثورة كفرهم.

ثم **﴿فَتَنَجُّونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾** تنبية عالية للمؤمنين أن الداعي مع الله إلهًا آخر يعذّب ولو كان هو الرسول العظيم ، فضلاً عن دونه من المؤمنين!

والقول إن التكليف لا يعني في نفيه وإثباته إلا نفي النقص الحاصل واثبات الكمال غير الحاصل ، والرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بالغ ذروة الكمال فكيف ينهى عن الشرك ويؤمر بلزمات الإيمان والرسالة.

إنه مردود بان العصمة لا تناهى الإختيار ، ولا حد . كذلك . للكمال ، وان تكليف السلب والإيجاب لا يلزم اقتراف المنهي عنه وترك المأمور به ، بل هو كأصل إعلام بحكم الله ، وإعلان للأمة بمرادات الله ، وان الرسول يحمله كرسول إلى الأمة بعد ما يحمله كمكلف من سائر المكلفين .

### ﴿وَانذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٢١٤

وهنا انتقاله في النذارة من نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عشيرته الأقربين ، ومن ثم إلى سواهم وإلى العالمين أجمعين ، وهي طبيعة الحال في الدعوة الصالحة الرسالية ، أن يبدأ الرسول بنفسه وذويه الأقارب ، ثم الأغارب ، حيث الأقربين هم الحملة الأولى للرسالة بعد الرسول ، وفي تركهم إلى سواهم حجة على الرسول : كيف ترك ذويه واتجه إلى سواهم ، ويكان في دعوته غضاضة لا يقبلها ذووه! وهم اعرف به وبدعوته فلو كان حقاً لما تركوه ، ولتعلم العشيرة الأقربون أنه لا تنفعهم قربتهم منه شيئاً إلا بالإيمان .

فلما نزلت هذه الآية بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم جمع أهله فقال : يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ثم التفت إلى فاطمة فقال : يا فاطمة بنت محمد أنقذني نفسك من النار فإني لا أغنى عنكم من الله غير أن لكم رحمة سأبلها ببلاها»<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المثور ٥ : ٩٦ . اخرج ابن ماردين عن انس قال لما نزلت : وانذر عشيرتك الأقربين بكى ... وفيه ٩٧ . اخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن ماردين وابو نعيم والبيهقي في الدلائل من طرق عن علي (عليه السلام) قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وانذر عشيرتك الأقربين ، دعاني رسول الله .

وقد يؤشر ذلك الأمر انه كان في بداية الدعوة ولما يتسع نطاقها ، كما  
 ﴿فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٥ : ٩٤) فانتفاض لتحقيق الأمر فنفض يده  
 من أمرهم ووكلهم إلى الله ، وبين لهم مرارا وتكرارا ان قربتهم له لا تنفعهم ولا تغنى عنهم من  
 الله شيئا ، كيف ولا تنفعه رسالته لو

. (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا علي ! إن الله أمرني أن انذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت  
 أني مهما أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصممت عليها حتى جاء جبرئيل فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما  
 تؤمن به بعذبك ربك فاصنح لي صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واجعل لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني  
 عبد المطلب حتى أكلهم وابلغ ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوه لهم وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا  
 أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو هلب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم  
 فجئت به فلما وضعته تناول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بضعة من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي  
 الصفحة ثم قال : كلوا باسم الله فأكل القوم حتى خلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم والله أن كان الرجل الواحد  
 ليأكل ما قدمت لجميعهم ، ثم قال اسق القوم يا علي فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وایم الله ان  
 كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يكلمهم بدره أبو هلب إلى الكلام  
 فقال : لقد سحركم أصحابكم ففرق القوم ولم يكلمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما كان الغد قال يا  
 علي ان هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول ففرق القوم قبل ان أكلهم فعدلنا بمثل الذي صنعت  
 بالأمس من الطعام والشراب ثم اجمعهم لي فعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربيه فعل كما فعل بالأمس  
 فأكلوا وشربوا حتى خلوا ثم تكلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم أحدا  
 في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله ان أدعوكم اليه فأياكم  
 يوازري على امري هذا؟ فقلت : . وانا أحدهم سنا . انا ققام القوم يضحكون .  
 أقول وقد أخرج القصة باختلافات بسيرة مع المخاوز على أصلها جم غفير من المحدثين (راجع الدر المنشور  
 وجامع البيان ونور الثقلين والبرهان وبخار الأنوار).

لم يأتمر أمر ربه وهو في القمة المرموقة! .

### ﴿وَاحْفُضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . ٢١٥

خفض الجناح هو ابلغ اللين والرفق والاضعة والحنان ، تصورا عن الطائر إذ يخفض جناحه إذ يهبط ، ويختضنه حين يختضن أفراخه ، وكذلك يؤمر الرسول حين يهبط عن سماء الوحي برسالة الأرض والسماء ، ان يخفض جناح الرحمة لأفراخه المؤمنين به ، من أقارب وأقارب ، دونما مارات أو ماشة مع المكذبين الأقارب ، أم طرد للمؤمنين الأغارب ، أم ترجيحا بين من آمن للأقارب ، وانما ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكما الطائر لا يطير عن أفراخه ولا يغيب في الحالات الحرجة ، كذلك أنت يا ايها الطائر القدسي الرسالي دم على افراخك المؤمنين : ﴿وَاحْفُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (١٥ : ٨٩)

وقد كان خافض الجناح لهم على ما كان من بعضهم من جفاوة ، فلا يواجههم . إذا . إلا بكل حنان وحفاوة ، بل وبالنسبة لغير المؤمنين ايضا علهم يؤمنون.

### ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ . ٢١٦

وترى ضمير الجمع في «عصوك» راجع إلى الكفار فقط؟ وهم أبعد مرجعا! والبراءة لا تخص عمل الكافر ، بل والأصل فيها كفره في قلبه حيث يختلف تحالفه في عمله! أم هو راجع إلى ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على قربها مرجعا؟ وكيف يواجه الرسول المؤمن الفاسق بتلك البراءة ومن شروطات النهي عن المنكر لين الكلام بالحكمة والمواعظة الحسنة.

علّه راجع إليهما ، والبراءة . إذا . يخص ما يعملون ، إذ لا براءة من المؤمن نفسه إن كان فاسقا.

أم ان «ما تعملون» هي نفسه «ان عصوك» والعصيان يعم الجوانح

إلى الجوارح ، بل وعيان الجوارح هو من مخلفات عصيان الجنانج ، إن كفرا فأعمال كافرة ، وإن فسقا ففاسقة ، ف **﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾** في الكافر يعم قلبه و قالبه ، وفي المؤمن الفاسق عمله إلى تخلفه في قلبه أو نيته .

ثم «إني بريء» في مواجهة الكافر تختلف عنها أمام المؤمن ، والبراءة من العصيان هي قضية الرسالة ، والمجاهرة بها هي من آخريات المطاف في النهي عن المنكر ، وقد تلمح الآيات التالية أن المحور هنا في «ان عصوك» هم الكفار وعلى هامشهم عصاة المؤمنين.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٢١٧ الَّذِي يَرَكِ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقْلِبَ فِي السَّاجِدِينَ

٢١٩ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٢٢٠

و ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ تلبيقة مكرورة طوال السورة في عرض الامان والكفر ، فـ«العزيز» أمام الكافرين و «الرحيم» أمام المؤمنين ، فـ«توكل» في كل المجالات الرسالية ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ولا يهمك بعد ماذا يحصل بعد ان تطبق أمر الله في دعوتك فانه : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في صلاتك وفي الدعوة الرسالية <sup>(١)</sup>. «يراك» بعين العلم والقدرة والعناية فلا تفلت عن رؤيته ، إذ لا يلتفت عن رعايتك.

بِرَأْكَ حِينَ تَقُومُ ، وَتَقْلِبَكَ فِي السَّاجِدَيْنَ ﴿٢﴾ مِنْذَ كُنْتَ فِي أَصْلَابِ طَاهِرَةٍ وَأَرْحَامٍ

مطهرة ، وحتى رسالتك وإلى ارتحالك إلى رحمة ربك (٢) فهل ترى ان

(٤) نور الثقلين ٦٩ القمي حدثي محمد بن الويلد عن محمد بن الفرات عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية : الذي يراك حين تقوم «في النوبة» **وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ** قال : في أصلاب النبيين .

(٢) المصدر. روى جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) و في الدر المنشور ٥ : ٩٨ . أخرج ابن مardonيه عن ابن عباس قال سألت .

الله يتغافل عن تكون حياته قياماً لدينه ، وتقلبه فيها سجوداً **في الساجدين**.

وقد يعني **تَقْلُبَكِ فِي السَّاجِدِينَ** إلى ما عنده ، أنه كان يرى في صلاته من خلفه كما يرى من بين يديه ، تقلب العلم والرؤية للساجدين وهو في الساجدين ، وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : «لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فاني أراكـم من خلفـي كما أراكـم من أمامـي ثم تلا هذه الآية»<sup>(١)</sup>.

. رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فقلـت باـبي أنت وامي اـني كنت وآدم في الجنة؟ فتبسمـ حتى بـدت نواـجـذه ثم قال : اـني كـنت في صـلـبه وهـبـط إـلـى الأرض وـاـنـا في صـلـبه ، وركـبت السـفـينة في صـلـبـ أـبـي نـوحـ وقدـفتـ في النـارـ في صـلـبـ أـبـي اـبـراهـيمـ لمـ يـلـتقـ اـبـوـايـ قـطـ عـلـى سـفـاحـ لـمـ يـزـلـ اللهـ يـنـقـلـنـيـ مـنـ الأـصـلـابـ الطـيـةـ إـلـى الأـرـحـامـ الطـاهـرـةـ مـصـفـىـ مـهـذـبـاـ لـاـ تـتـشـعـبـ شـعـبـتـانـ إـلـاـ كـنـتـ فيـ خـيـرـهـاـ قـدـ أـخـذـ اللهـ بـالـبـيـوـةـ مـيـثـاقـيـ وـبـإـلـاسـلـامـ هـدـانـيـ وـبـيـنـ التـوـرـةـ وـإـلـإنـجـيلـ ذـكـرـيـ وـبـيـنـ كـلـ شـيـءـ فيـ شـرـقـ الـأـرـضـ وـغـرـبـهـاـ وـعـلـمـنـيـ كـتـابـهـ وـرـقـيـ بـيـ فيـ سـمـائـهـ وـشـقـ لـيـ مـنـ أـسـمـائـهـ فـذـ وـالـعـرـشـ حـمـودـ وـاـنـاـ حـمـدـ وـوـعـدـنـيـ أـنـ يـجـبـونـ بـالـحـوـضـ وـأـعـطـانـ الـكـوـثـرـ وـاـنـاـ أـوـلـ شـافـعـ وـأـوـلـ مـشـفـعـ ثـمـ اـخـرـجـنـيـ فيـ خـيـرـ قـرـونـ اـمـتـيـ وـأـمـتـيـ الـحـمـادـوـنـ يـأـمـرـوـنـ بـالـمـعـرـوـفـ وـبـيـنـهـوـنـ عـنـ الـمـنـكـرـ. وـرـوـاهـ فـيـ الـبـرـهـانـ ٣ـ : ١٩٢ـ عـنـ اـبـنـ بـابـوـيـهـ عـنـ جـابـرـ قـالـ سـئـلـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) .. مـثـلـهـ وـرـوـيـ بـطـرـقـ كـثـيرـةـ. وـفـيـ تـفـسـيرـ الـبـرـهـانـ ٣ـ : ١٩٢ـ الـقـمـيـ قـالـ حـدـثـيـ مـحـمـدـ بـنـ الـولـيدـ مـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـفـرـاتـ عـنـ أـبـيـ جـعـفـرـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) قـالـ : الـذـيـ يـرـاكـ حـيـنـ تـقـومـ وـتـقـلـبـكـ فـيـ السـاجـدـيـنـ قـالـ : فـيـ أـصـلـابـ النـبـيـيـنـ.

(١) المـصـدرـ . اـخـرـجـ مـالـكـ وـسـعـيـدـ بـنـ مـنـصـورـ وـالـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ وـابـنـ مـرـدـوـيـهـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ قـالـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) هـلـ تـرـوـنـ قـبـلـيـ هـاـهـاـ فـوـ اللـهـ مـاـ يـخـفـيـ عـلـيـ خـشـوعـكـ وـلـاـ رـكـوـعـكـ وـاـنـيـ لـأـرـاكـ مـنـ وـرـاءـ ظـهـرـيـ وـفـيـ اـخـرـجـ اـبـنـ مـرـدـوـيـهـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ فـيـ الـآـيـةـ قـالـ : كـانـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) إـذـ قـامـ إـلـىـ الصـلـاـةـ رـأـيـ مـنـ خـلـفـهـ كـمـاـ يـرـىـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـأـخـرـجـهـ مـثـلـهـ عـنـ مـجـاهـدـ.

أم وكل تقلباته وتحولاته الحيوية في الساجدين وهم كل المؤمنين معه ، والآية تحمل مربعة المعاني أدبياً ومعنوياً.

﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ ٢٢٢ يُلْقِيُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ٢٢٣﴾ .

أجل إن الشياطين لا تنزل إلا على الشياطين وهم كل أفال أثيم ، دون المؤمنين الصادقين ، ولا سيما المخلصين : ﴿قَالَ فِعْرَاتُكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصُونَ﴾ (٣٨ : ٨٣).

والإفك هو قلب الخبر إلى غير واقعة ، فالأفال هو المقلب ، والأثيم هو الفعال لكل اثم وقيح ذميم.

﴿يُلْقِيُونَ السَّمْعَ﴾ تسمعا واستراقا دون سماع صادق مسموح ، فلذلك : ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ فيما ينقلون عن الملأ الأعلى.

ولأن «السمع» تعم المصدر والمفعول ، ف مصدره يعني إلقاء التسمع إلى الملأ الأعلى ، ومفعوله يعني إلقاء ما سمعوه منه إلى شياطينهم ، ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ في تسمعهم وإسماعهم ، وقد يعني يلقون . إلى ما عنده . ﴿كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ﴾ . ﴿يُلْقِيُونَ السَّمْعَ﴾ إلى هؤلاء الشياطين دونعا ثبت فيما يسمعون ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ فيما ينقلون ، وحتى القليل الصادقين في سمعهم إنما ينقلون ما يسمعون من الكذب ، ونقل الكذب كذب مهما كان صدقا في النقل. وفي صيغة «يلقون» لحة باهرة أنهم كانوا يسمعون بسمعهم دون أنفسهم بعقوتهم وقلوبهم ، ففي إلقاءهم سمعهم إلغاءه بانقطاع صلته عن نفوسهم ، ولا سيما ﴿كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ﴾ يحوّلون أسماعهم إلى الشياطين بغير حساب ، ومثله كـ ﴿يُقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ . «إذ تلقون بأسنتكم» عنابة إلى

إلغاء الألسنة والأسماع عن الرباط بالعقل والأفكار ، يقول ويسمع دون تعقل وتفكير.

وإذا كان ﴿أَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يعني كلا الملقيين والملقى إليهم ، سقط القول : كيف ﴿أَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ والشياطين كلهم كاذبون فيما يقولون أو ينقولون ، مهما خلطوا صدقًا إلى كذبهم؟ حيث الأكثر يعني الملقي إليهم فيما ينقولون.

ولأننا لا نجد إفكًا ولا إثما في هذا النبي الكريم ، ولا كذبا في قرآن العظيم ، فليس إذا مما تنزل به الشياطين ، فصدق القرآن بوحيه الأمين ، هو من القضايا التي قياسها معها دون حاجة إلى برهان آخر ، بل هو البرهان لكل برهان ، والشاهد لكل حق.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ . ٢٢٤

جواب آخر عن فرية أخرى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿شاعِرٌ نَّرَّصُ بِهِ رِّيبَ الْمُسُونَ﴾ (٥٢ : ٣٠) يخيلي بشعره إلى الناس كل ما يقوله كأنه حق يوحى إليه ، حيث الشعر باب من السحر.

**وترى من هم الشعراء؟ وما هو الشعر؟**

الشعر لغويًا من الشّعر : الدقة واللطفة في الإدراك ، ويقال لما يقابل النثر حيث يجمع إلى لطائف المعاني وحقائقها لطائف الأوزان ودقائقها ، وقد يضل المعنى الحق بين الأمرين فيفضل ، ويقال لكل واحد أيضًا شعر ، معنى دقيق دون وزن الشعر ، وزن الشعر دون معنى دقيق ، والجامع للأمرتين هو الشعر المطلق وأحد هما مطلق الشعر.



«والشعراء» من النوع الأول هم غاون و ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ حيث يذهبون في أقوالهم المذهب المختلفة ، ويسلكون الطرق المتشعبة ، يهبون مع كل ريح ، ويطيرون بكل جناح ، فيرتكبون أي جناح ، تابعين لكل قائد ، ومجيبين لكل ناعق ، سلسوال القياد لمن يجرّهم ، متصرفين في وجوه الكلام من مدح وذم واستزادة وعتب وغزل ونسيب ورثاء وتشبيب ، أودية متشعبة وسبل مختلفة في الشعر فيها يهيمون :

﴿أَلَمْ تَرَ أَهْمَّ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَهْمَّ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٢٦ .

الهيمان هو الذهاب على وجه الاسترسال دونما حساب ، كما وهيمان الحب هو المسترسل ، منه فوصفهم بالهيمان فرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في أقطارها ، والإبعاد في غایاتها ، والهيمان صفة من صفات من لا مسكة له ولا رجاحة معه ، فهي مخالفة لصفات ذي الحلم الرزين ، والعقل الرصين. ومن طبيعة الشعراء استرسال القول دون حساب في كل الوديان ، «وفي كل مذهب يذهبون»<sup>(١)</sup> ، وفق الانفعالات المسيطرة عليهم تحت وقع الدوافع الأحيانية والمؤثرات المصلحية الآنية.

يهيمون في كل الوديان حقا وباطلا ، ويتلونون بكل الألوان حسب المصلحيات الوقتية ، والشهوات الأصلية والجانبية ، فلذلك ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ أمثالهم ، ثم : ﴿وَأَهْمَّ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ نفاقا عارما بين أقوالهم المفرطة والمفرطة ، وبين أفعالهم ، إذ

(١) نور الثقلين ٤ : ٧٢ القمي في قوله جل ذكره : «أَلَمْ تَرَ أَهْمَّ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» يعني : يناظرون بالأباطيل ويجادلون بالحجج المضلين وفي كل مذهب يذهبون وأهم يقولون ما لا يفعلون؟ قال : ...

يعيشون في عالم من الخيالات والشهوات ، فيؤثرونها على واقع الحياة والواقعيات ، فيلقون القول مستسلين دونما ضابطة أو رابطة إلّا ما تهواهم أنفسهم «يعظون الناس ولا يتعظون ، وينهون عن المنكر ولا ينتهون ، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون» (٥٢).

طبيعة الإسلام وهي الواقعية المطلقة والحقيقة المرسلة لا تلائمها طبيعة الشعراء الخياليين المأمين في كل واد ، حيث الإسلام يحرّض على تصديق الحقائق وتحقيقها ، دون تحرّب منها إلى وهميات ، وليس معارضته الإسلام للشعر والشعراء إلّا في هذين البعدين البعيدين عن الواقعية المطلوبة : ﴿أَكُنْمِ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَكُنْمِ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وما من خلفيات عدم الإيمان وعدم الثبات على خط الحق والواقع الصاب.

واما الشعر المستقر على الحق ، المتبنّى إبطال الباطل وتحقيق الحق النابع عن الإيمان ، بعيد عن التخيالات والوهنيات وعن كل تفريط وإفراط ، فلا يعارضه الإسلام بل ويحرّض عليه.

فكما يقول الرسول عن الشعر : «إإن يمتليء جوف أحدكم قيحا خير له من إن يمتليء شعرا» (١) ، كذلك هو يقول جوابا عن : ماذا تقول في الشعراء؟ : إن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما

(١) الدر المنشور ٥ : ٩٩ . اخرج ابن أبي شيبة واحمد عن أبي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) إذ عرض شاعر ينشد فقال النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : ...

ينضخونكم بالنبل»<sup>(١)</sup> وقال (صلى الله عليه وآلها وسلم) لحسان بن ثابت أهـج المشركين فإن جبريل مـعـك»<sup>(٢)</sup> وقال : «ان من الشـعـر حـكـمة»<sup>(٣)</sup>

وكما الله يقول : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيِّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ٢٢٧

مواصفات اربع تستثنى من الشعراء ، الموصوفين بها ، وهي الامان وعمل الصالحات وذكر الله كثيرا والانتصار من بعد الظلم ، والرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) يتلو آية الاستثناء على أصحابها<sup>(٤)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٧٠ المجمع عن الزهرـي قال حدثـني عبد الرحمنـ بنـ كعبـ بنـ مـالـكـ انـ كـعبـ قالـ ياـ رسولـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) ماـذاـ تـقولـ فـيـ الشـعـرـاءـ؟ـ ...ـ

(٢) الدر المـشـورـ ٥ : ١٠٠ . اـخـرـجـ اـبـنـ مـرـدـوـيـهـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـةـ قـالـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) ...ـ

(٣) المـصـدرـ اـخـرـجـ اـبـنـ سـعـدـ وـابـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ عـنـ البرـاءـ بـنـ عـازـبـ قـالـ :ـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ :ـ ...ـ وـفـيـهـ اـخـرـجـ عـنـ اـبـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ عـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ عـنـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ قـالـ :ـ اـنـ مـنـ الشـعـرـ حـكـمـاـ وـاـنـ مـنـ الـبـيـانـ سـحـراـ .ـ

(٤) الدر المـشـورـ اـخـرـجـ عـنـ أـبـيـ حـسـنـ سـالـمـ الـبـرـادـ قـالـ :ـ مـاـ نـزـلـتـ ﴿وـالـشـعـرـاءـ...ـ﴾ـ جاءـ عـبـدـ اللهـ بـنـ رـوـاـحـةـ وـكـعبـ بـنـ مـالـكـ وـحسـانـ بـنـ ثـابـتـ وـهـمـ يـكـوـنـ فـقـالـواـ :ـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ لـقـدـ اـنـزـلـ اللـهـ هـذـهـ الـآـيـةـ وـهـوـ يـعـلـمـ أـنـاـ شـعـرـاءـ أـهـلـكـنـاـ؟ـ فـاـنـزـلـ اللـهـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ـ فـدـعـاهـمـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ فـتـلـاهـاـ عـلـيـهـمـ ،ـ وـفـيـهـ اـخـرـجـ أـمـهـدـ وـالـبـخـارـيـ فـيـ تـارـيـخـهـ وـأـوـبـ يـعـلـىـ وـابـنـ مـرـدـوـيـهـ عـنـ كـعبـ بـنـ مـالـكـ اـنـهـ قـالـ لـنـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ اـنـ اللـهـ قـدـ اـنـزـلـ فـيـ الشـعـرـ مـاـ اـنـزـلـ فـكـيـفـ تـرـىـ فـيـهـ؟ـ فـقـالـ :ـ اـنـ الـمـؤـمـنـ يـجـاهـدـ بـسـيفـهـ وـلـسـانـهـ وـالـذـيـ نـفـسـيـ يـبـدـهـ لـكـافـماـ بـوـجـهـهـمـ مـثـلـ نـفـجـ النـبـلـ .ـ

هنا ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ يعني في شعر وسوah ليذهب بفضاضته ، كما ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ يجعل الشعر ذريعة للانتصار لمن ظلم ، ولا تخص «ظلموا» ظلما شخصيا بالشاعر ، أم وبن يحبه وأكثر من نفسه كالرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ومن يحذو حذاه ، أو وبآخرى أحب من كل محبوب وهو الله ، هتكا لساحة الألوهية أو الرسالة أو الإمامة أو الایمان أم أيما كان من ظلم حيث يرجع إلى الشاعر فهناك ﴿انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ دون إفراط أو تفريط وإنما جزاء وفاقا.

وقد «قيل يا رسول الله ان أبا سفيان بن الحرت بن عبد المطلب يهجوك فقام ابن رواحة فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ائذن لي فيه ، قال : أنت الذي تقول : ثبت الله؟ قال : نعم يا رسول الله ، قلت : ثبت الله ما أعطاك من حسن \* ثبيت موسى ونصرًا مثل ما نصرًا (١)

(١) الدر المنشور ٥ : ١٠٠ . اخرج ابن سعد عن البراء بن عازب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ... قال : وأنت يفعل الله بك مثل ذلك ثم ثب كعب فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ائذن لي فيه فقال : أنت الذي تقول : همت؟ قال : نعم يا رسول الله قلت : همت سخينة ان تغلب رجلا فليغلبني مغالب الغلاب \* قال : أما ان الله لم ينس ذلك لك ثم قام حسان الحسام فقال يا رسول الله ائذن لي فيه واحرج لسانه اسود فقال يا رسول الله ائذن لي فيه فقال : اذهب الى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وايامهم وأحسابهم واهجم ومعك جبريل.

وفيه اخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ليلة وهم في سفر ابن حسان بن ثابت فقال لبيك يا رسول الله وسعديك قال أحد فجعل ينشده ويصغي إليه حتى فرغ من نشيده فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : لهذا أشد عليهم من وقع النبل.

اجل وحماية اعراض المسلمين هي تلو حماية عقيدة التوحيد والرسالة والإمامنة وقد أمر بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(١)</sup>

فهؤلاء الكرام ليسوا داخلين في الوصف العام للشعراء حيث امتلأت قلوبهم من عقيدة الأيمان واستقامت حياتهم على منهجه ، فلا يعملون إلا الصالح ولا يقولون إلا الجميل ، فتظهر سلبية اليمان «لا إله» وایجابت «إلا الله» في نثرهم وشعرهم.

والمذكورون هنا قد نافحوا عن العقيدة في إثبات المعركة المصيرية الضاربة مع الشرك على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فاذن لهم ان يهجوهم.

وهذه ضابطة سارية ان الشعر حين ينبع عن التصور الإسلامي والعقلية الإسلامية السامية ، يعتبر من الأعمال الصالحة اليمانية . وأحيانا في قمتها.

**﴿... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ٢٢٧**

**﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَابُ الْأَشْرُ﴾ (٤٥ : ٢٦)** والمستقبل المفهوم من أداته هنا

ليس بذلك بعيد في القيامة الكبرى فحسب ، بل في البرزخ والرجعة وقبلهما ايضا ، فإن الله يجازي الظالم هنا كما يجازيه في الأخرى ، مهما كان فيها الأوفي .

. وفيه اخرج ابن سعد عن مدرك بن عمارة قال قال عبد الله بن رواحة قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف تقول الشعر إذا أردت ان تقول بأنه يتعجب لذاك؟ قلت : انظر في ذاك ثم أقول ، قال : فعليك بالمشركين .

(١) المصدر اخرج ابن سعد عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من يحمي اعراض المسلمين؟ فقال عبد الله بن رواحة : انا و قال كعب بن مالك : انا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنت تحسن الشعر وقال حسان بن ثابت : انا فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهجم فان روح القدس سيعينيك .

فقد ختمت السورة بمثل ما ابتدأت به : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَّأْتِهِمْ أَبْيُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُنَ﴾ ، و «منقلب» مصدر ميمي واسم زمان ومكان ، فهو الانقلاب نفسه وزمانه ومكانه كما كان ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَيَلَا﴾.

و «آل محمد حقهم» في بعض الروايات لا تعني أنها كانت في القرآن ثم حذفت ، بل هي تفسير تطبيقي بأبلغ مصاديق الظلم! ولا يعني «آل محمد» إلا محمداً وآلـهـ عليهم السلام ، أمـهـ هـمـ فـحـسـبـ كـمـصـدـاقـ أـهـمـ ثـانـ بـعـدـ مـحـمـدـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ). وقد تلى الرسول (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) الآية كما هيـهـ<sup>(١)</sup> بـرواـيـةـ اـهـلـ الـبـيـتـ فـليـسـ إـلـاـ هـيـهـ حـسـبـ القرـاءـةـ المـتـوـاتـرـةـ انـ الـظـالـمـينـ سـيـعـلـمـوـنـ مـنـقـلـبـهـمـ عـلـمـ الـيـقـيـنـ وـحـقـهـ وـرـدـ العـذـابـ وـلـاتـ حـيـنـ مـتـابـ.

(١) تفسير البرهان ٣ : ٢٩٤ . ابن بابويه قال حدثنا محمد بن علي ماجيلويه قال حدثنا علي عن أبيه عن علي بن معبعد عن الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) من أحب أن يتمسك بي ويركب سفينـةـ النـجـاةـ بعدـيـ فـلـيـقـتـدـ بـعـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ (عليـهـ السـلـامـ) وـلـيـعـادـ عـدـوـهـ وـلـيـوـالـ وـلـيـهـ فـانـهـ وـصـيـ وـخـلـيفـتـيـ عـلـىـ أـمـتـيـ فـيـ حـيـاتـيـ وـبـعـدـ وـفـاتـيـ وـهـوـ أـمـيـرـ كـلـ مـسـلـمـ وـأـمـيـرـ كـلـ مـؤـمـنـ بـعـدـيـ قـوـلـهـ قـوـلـيـ وـأـمـرـهـ أـمـرـيـ وـنـحـيـ خـيـيـ وـتـابـعـهـ تـابـعـيـ وـنـاصـرـهـ نـاصـرـيـ وـخـاذـلـهـ خـاذـلـيـ ثـمـ قـالـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) : من فارقـ عـلـيـاـ (عليـهـ السـلـامـ) بـعـدـيـ لمـ يـرـيـ وـلـمـ أـرـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ وـمـنـ خـالـفـ عـلـيـاـ (عليـهـ السـلـامـ) حـرـمـ اللـهـ عـلـيـهـ الـجـنـةـ وـجـعـلـ مـأـوـاهـ النـارـ وـمـنـ خـذـلـهـ اللـهـ يـوـمـ يـعـرـضـ عـلـيـهـ وـمـنـ نـصـرـ عـلـيـاـ (عليـهـ السـلـامـ) نـصـرـهـ اللـهـ يـوـمـ يـلـقـاهـ وـلـقـنـهـ حـجـجـتـهـ عـنـ الـمـزارـلـةـ ثـمـ قـالـ : الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ اـمـاـ اـمـتـيـ بـعـدـ اـبـيـهـمـاـ وـسـيـداـ شـبـابـ اـهـلـ الـجـنـةـ وـأـمـهـمـاـ سـيـدـةـ نـسـاءـ الـعـالـمـينـ وـأـبـوهـمـاـ سـيـدـ الـوـصـيـبـيـنـ وـوـلـدـ الـحـسـيـنـ تـسـعـةـ أـئـمـةـ تـاسـعـهـمـ الـقـائـمـ منـ وـلـدـيـ طـاعـتـهـمـ طـاعـيـ وـمـعـصـيـتـهـمـ مـعـصـيـتـيـ الـلـهـ أـشـكـوـ الـمـنـكـرـيـنـ لـفـضـلـهـمـ وـلـمـضـيـعـهـمـ لـحـقـهـمـ بـعـدـيـ وـكـفـىـ بـالـلـهـ وـلـيـاـ وـكـفـىـ بـالـلـهـ نـصـيـراـ لـعـتـرـتـيـ وـأـئـمـةـ اـمـتـيـ وـمـنـقـلـبـهـمـ ﴿وـسـيـعـلـمـ الـذـيـنـ ظـلـمـوـاـ أـيـ مـنـقـلـبـ يـنـقـلـبـونـ﴾.



سورة النمل مكية

وآياتها ثلاثة وتسعون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوْقَنُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَرَّا هُنْ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَشَّالَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيهِ (٦) ﴾

تنسمى هذه السورة باسم قهرمانتها : «النمل» المنقطعة النظير ذكرها في الذكر الحكيم ، وقولا يخرج العادة الجارية ان الحيوان لا تنطق ، بلـى وكما ﴿ قَالَتْ مَلَةٌ ... فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا .. ﴾! وانها من الطواسين الثلاث

وتنقصها عن أخيها «م» المذكورة في الشعرا و القصص.

## ١. تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ

«تلك النازلة في مثلث الزمان من الآيات المفصلات هي آيات القرآن» وهو جملة الآيات وهي أبعاضه وكتاب مبين علّه النازل عليه ليلة القدر من حكمة دون تفصيل ، فانه يبين تفصيله في هذه الآيات ، وهو أم الكتاب لدى الله ، فانه يبين محكمه للرسول ثم تفصيله إلى العالمين.

وعلّمَ عبارة أخرى عن القرآن ، فإنه مبين نفسه بنفسه ومبين رسالة من جاء به ، أم  
وهونبي القرآن حيث «كان خلقه القرآن» وكما يقال عنه «أنا القرآن والسبع المثاني وروح  
الروح بل روح المعانٰي» كما و **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ** وكتاب حياة الرسول الرسالية  
مبين إشاراته ولطائفه وحقائقه ، إبانة علمية وواقعية ، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) تفسير  
واقعي للقرآن مع ما يفسره علمياً.

اجل «تلك» البعيدة المدى ، القرية المهدى ، من حروفها الرمزية ك «طس» وآياتها  
البيانات المبينات ، هي آيات القرآن المقرؤ على أسماع العالمين من إرسالية رسالية عليا  
لخاتم المرسلين وكتاب مبين .  
هدى ويسرى للمؤمنين ٢

ليس ﴿هُدَىٰ وَبُشْرَىٰ﴾ بل هو ككل بحاته وما هيته ﴿هُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ، فلو ان للهدي والبشرى المصدرتين مثلاً واقعياً لكان هو القرآن لا سواه ، فانه خالص المدى والبشرى . ولماذا . فقط . «للمؤمنين»؟ وهو «هدى للناس . و . للعالمين» أجمعين ! إنه «بشرى» دون ريب . فقط . للمؤمنين ، إذ لا يبشر الكافرون وإنما هم المنذرون ، وأما «هدى» فهو هنا تعنى «هدى» في مثلثها : هدى أولى

هي طبيعتها لحاملاها ، حيث يتحرى عن هدى الله فيصل إلى القرآن وهو قمتها ، وهدى ثانية هي حصيلة الأولى حيث يعيشها في القرآن تخلقا به علميا ومعرفيا وعمليا ، ثم ثلاثة هي حصيلة الإيمان بالقرآن والتدبر في آيه الكريمة.

ف «هدى» هنا «للمؤمنين» هي على غرار وقرار **﴿هُدَىٰ لِّلْمُتَّقِينَ﴾** ، فالقرآن هدى في مثالها للمؤمنين المتقيين **﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ﴾** وأما الذين في قلوبهم زيف فليس لهم هكذا هدى ، وإنما دلالية وهم لا يتحرونها ، وهي في كل زواياها وحواياها . ولا سيما الزاوية القمة . حقيقة عميقة ضخمة ، فإنه ليس . فقط . كتاب تفلسف ونظر بل هو في أصله كتاب القلوب والأنفس : **﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًاٰ بَلِيجًا﴾** (٤ : ٦٣) فيسكب هداه على قلوب المهددين ، حيث يتلقونه بالإيمان واليقين ، وكلما كان القلب أندى والرؤاد أهدى ، أدرك صاحبه من هداه أندى وأهدى.

ليس مفتاح تفهم القرآن . فقط . الصالحات المكرورة ، وإتقان الأدب لغويًا ونحويا ، بل هو القلب المفتوح ، الفاضي عمّا سوى الله ، الفائض بنور معرفة الله ، فلن تفتح كمز القرآن . بعد المفاتيح الظاهرة . إلا بمفتاح الإيمان ، إذا فهو **﴿هُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** على قدر إيمانهم وايقاظهم بوحي القرآن.

وليس المؤمنون هم الذين يؤمنون . فقط . بقلوبهم فلا يظهر في اعمالهم ، عبادة الله وخدمة وعونا لعباد الله ، بل هم :

**﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ﴾** ٣ .

هنا يتوسط كل ما بين المبدء والمعاد عمليا بين المبدء : «للمؤمنين»

فان قمة الایمان هي الایمان بالله ، والمعاد : ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ﴾ جمعا بين الأصول القمة والفروع القمة ، فالصلة هي القمة بين الواجبات العبادية ، والزكاة قمة بين الواجبات الخلقية.

ولماذا ﴿هُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ بدلا عن أحصرها «وبالآخرة»؟ لأن الایمان بالبدء ، الظاهر في التصديق بالوحى ، الناتج عنه إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، هو الدافع للإيقان بالآخرة ، كما الإتيان بها يدفع إلى أعمال الایمان ، فلا يؤمن بالآخرة إلا المؤمن بالله وبوحى الله دون سواه ، فإذا لا بدء لا مجال للمعاد ، وإذا لا وحي فما هي فائدة المعاد؟! كما الإيقان بالآخرة هو الذي يشغل بالهم بعد سائر الایمان ، ويصدّهم عن جموع الشهوات الطائشة ، حيث يغمر أرواحهم بتقوى الله وينظفها عن طغوى اللهو ، ويقابلهم تماما :

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ ٤ .

غير المؤمن بالآخرة ، مهما كان مؤمنا بالله . على زعمه . اعماله . بطبيعة الحال . سيئة ، ومن سوء حاله على سوء أعماله ﴿رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ . فهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، هنا ﴿رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ نسبة الفعل الى الله ، وفي غيرها ﴿فَرَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ ..﴾ (٦ : ٦٣) وكيف يضيق الله الى نفسه فعلة الشيطان؟ وهو إغواء والله منه براء؟ إذ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَغْوِيَتِنِي لَأُرِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٥ : ٣٩)! انه تعالى يزيّن لهم سوء أعمالهم سلبيا ألا يصد الشيطان عن تزيينه ، وايجابيا انه يزيغ قلوبهم بما زاغوا : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَرَأَيَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ كما ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى شَعْرِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ عِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢ : ٧).

﴿فَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ لذلك التزيين ، حائزين عن الهدى ، مائزين إلى

الردى ، عمى البصيرة بما تغامضوا عنها ، وقد تصبح النفس البشرية عمها عن اعمالها السيئة حين تخوض اللذات ولا تؤمن بالآخرة ، والنفس مطبوعة على حب المللذات ، فتوجيها لها إلى حسنات ما لم تكتد بآيات الله ورسالاته البينات.

فكمما النفس الانسانية مستعدة للاهتداء إن تفتحت لدلائل الهدى متحركة عنها ، كذلك هي مستعدة للعلم والعمى إن طمست منافذ الإدراك فيها : ﴿أَفَمِنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنَاً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ..﴾ (٣٥ : ٨).

فالإيمان في أصله قيد الفتى ، والإيمان بالأخرة بعد الإيمان بالله هو الزمام الذي يكبح نزوات النفس وشهوتها ، تضمننا للقصد والاعتدال في الحياة الدنيا ، ليضمن الفلاح في الأخرى ، فالناكر للحياة الأخرى يظن الفرصة الوحيدة المتاحة له هي الحياة الدنيا ، ففترzin له كل الشهوات والنزوات كغنائم يعتتمها فيها فيميد فيها ويعمه ..

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَحْسَرُونَ﴾ ٥.

﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ليس هو الظلم في الحساب . وعوضا بالله . ف ﴿لَا يُظْلَمُونَ فَيَلَا﴾ وإنما هو الحساب الدقيق الذي لا يقي على أثر ، دون سماح فيه عن كبيرة ولا صغيرة ولا تحفيض ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَحْسَرُونَ﴾ :

﴿قُلْ هُنَّ نُنَيِّكُمْ بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٨ : ١٠٤).

﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ﴾ (٦) «لتلقى» تلقيا دون وسيط يكدره ،

إنما يلقيك الروح الأمين كما يتلقاه من رب العالمين ، تلقيا حكيمـا ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ وعليما «من لدن

عليهم».

وانه ليس . فقط . تلقيا للسمع ألفاظه وانا هو تلق للقلب حيث يتفاءد به بنور الوحي : ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ ..﴾ (٢٦ : ١٩٣).

إذا فكما الملقي للقرآن حكيم عليم ، كذلك الملقي يصبح به حكيمًا عالیما ، والروح الأمين الوسيط حكيم عليم ، وهمًا في الله الأصيل ، وفي الملقي والملقي به فرع ظرفا صالحًا لتلقیه.

ومن ذلك الظرف . كأصل . اللقیا المعرفیة والعبودیة حيث التلقی تلقن بلقاء في تکلف وصعوبة ، فان تطهیر القلب لحد يصلح لتلقی القرآن صعب مستصعب لا يحتمله أحد إلا محمد (صلی الله علیه وآلہ وسلم) ، أن يصعد قلبه في لقاء ربه إلى أعلى القمم الممکنة لمن سوی الله ، و ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيِّم﴾ دون «الله» ام سائر صفاته ، قد تلمح الى ان ذلك التلقی انا هو بتلقیة حکیمة علیمة ربانية ، فالقرآن يحمل علما وحكمة ربانية ، فليلق ظرفا حکیما عالیما ، ولیكون نورا نازلا على نور ، وكما وسيط وحیه نور ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء .

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آتَيْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ آتِيْكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَضَطَّلُونَ﴾ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُرُوكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يا مُوسى

إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَتَّرَ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَيْ مُدْبِراً وَلَمْ يُعْقِبْ يَا  
مُوسى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيِّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي  
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكِ فِي جَيْلِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ  
وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِخْرُ مُبِينٍ (١٣)  
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنَّفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُّوا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

حلقة سريعة من الرسالة الموسوية تلقيا للوحي من النور النار في الشجرة ، تدليلا على

ان تلقي القرآن ليس بدعا من تلقي الوحي ، فمن كان في ريب منه فلينذكر :

**﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنْسَتُ نَارًا سَآتِكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيْكُمْ بِشَهَابٍ قَبْسٍ  
لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ . ٧.**

هنا «اهله» لا تعني . فقط . زوجته بنت شعيب ، بل ومعها غيرها من ولد وسواهم

لمكان **﴿سَآتِكُمْ .. تَصْطَلُونَ﴾** والجمع ولا سيما المذكر منه

لا يؤتى به لواحدة.

**﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ..﴾** وحقيقة الإيناس هي الإحساس بالشيء من جهة يؤنس بها ويسكن إليها ، ويأله من إيناس بعد الإياس في قر الليل المظلم بوعثاء السفر ، وفي خبر انه في رجوعه من مدين ضل الطريق في ليلة ظلماء <sup>(١)</sup>.

وقد كانت النيران تونق في البرية فوق البرية فوق المرتفعات هدي السالكين في الليالي ، فظنها كأنها منها ، دون تأكيد فيها حيث **﴿آنَسْتُ نَارًا﴾** ولا تنافيه **﴿إِذْ رَأَى نَارًا ..﴾** (٢٠) : (١٠) حيث الرؤية قد تكون إيناسا دونما اطمئنان ، فلذلك **﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ آتِيكُمْ شِهَابٍ قَبَسٍ ..﴾** تردا بين «خبر» على خبر السماء ، وبين **﴿شِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾** : استيقادا بصلة شهاب قبس مقتبس من النار ، فالشهاب هو الشعلة الساطعة من النار المشتعلة ، والقبس هو المقبس منها.

وعلى «لعلكم» هنا تختص بـ **﴿آتِيكُمْ شِهَابٍ قَبَسٍ﴾** فعندئذ **﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾** وأما «خبر» فـ **«سَأَتِيكُمْ ..﴾** كأنه متتأكد هنا من خبر السماء في النار ، ام مطمئن اليه أكثر من اصل النار ، وقد ذكرت في طه كما هنا وبعكس الترتيب : **﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلَّي آتِيكُمْ مِنْهَا بَقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾** فقد تختص «لعلي» بالأولى ، ثم «أو أجد» دون «نجد» . **﴿عَلَى النَّارِ هُدًى﴾** خارجة عن «لعلي» كأنها متتأكد ام راجحة مطمئنة ، ثم النص **﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ..﴾** دون «إننا» ولو كانت هي

(١). نور الثقلين ٣ : ٣٧٣ عن الباقي (عليه السلام) في «آتِيكُمْ مِنْهَا بَقَبَسٍ ..» كان قد اخطأ الطريق.

النار المرئية لأي رأء لرأته اهله معه! وهذه ترجيحة اخرى لما ذكرنا ، ان الهدى الرسالية هي الراجحة ، بل لأنها كانت هي المترقبة لموسى وبعد تأجيل ذلك الردح بعيد من الزمن ، فيخبر . إذا . بهذه الفروسيّة اللامعة :

﴿سَاتِكُمْ مِنْهَا بَخِرَ﴾ هنا ، و ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ . وكما فصلنا . في طه!.  
 ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٨).  
 هنا ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ وفي طه ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا ...﴾ وهم تجاوبان في معنى : حضر عندها ، ثم هنا ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ...﴾ وفي طه ﴿... نُودِي يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ...﴾ فقد كانت النداء من الشجرة المباركة الريتونة الحلقة عليها نار النور ونور النار : كما في القصص : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾<sup>(١)</sup> في الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٣٠).

﴿... نُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ...﴾.

وترى ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو الله سبحانه وتعالى ، بذاته المقدسة المتعالية عن الحدّ والمكان؟ و «بورك» الرامية إلى حادث البركة على من في النار تبعده عن ساحته تعالى ، تقربيا إلى من باركه الله في هذه النار ، كما و ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تسبحه وتنتزهه عن ان يحل في نار أو نور هي من مربوبيه وهو رب العالمين ، فقد متى المتي ليس له متى ، وممكن المكان وليس له مكان!

ام ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو من ظهر سلطانه وقدرته ورحمته في النار؟ ولا يعبر عن سلطانه ورحمة ب «من»! ولا تحلى قدرته في شيء ، نارا ام غير نار! فلا تعني ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ لا ذاته سبحانه ولا صفاته ، حيث البركة هي منه

إلى خلقه ، فكيف «بورك»؟ ومن هو الذي باركه؟ أم بارك نفسه ما لم يكن باركها من ذي قبل! ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾!

قد يعني ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ روح القدس ، المبارك هنا بحمل الوحي الرسالي لموسى ، فـ«من حوالها» هو موسى حيث بورك بذلك الوحي.

أم ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو موسى بن معه من وسيط الوحي أم ليس معه ، حيث «أتهاها» فحصل في جو النار ، فـ«من حوالها» هم الأنبياء الإسرائييليون الذين بوركوا بوحي السماء وهم مدفونون حول الواد المقدس ، في القدس وما حوالها.

وعلى أية حال فلا تخلوا هذه البركة الخاصة في «بورك» عن وسيط الوحي ومن أوحى إليه ، والمحور الأصيل هنا هو موسى ، دون ذات الله او صفاتة تعالى ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عن هذه الشطحات الزور والغرور !

إنما نور كانت تتراءى نارا قضية ظلم الليل وعدم وضح الوحي فيه ، نور وقاده خلقها الله على الشجرة المباركة في الواد المقدس ، ولقد مضت هذه البقعة في سجل الوجود في الكيان الرسالي مباركة مقدسة بتجلّي الوحي الموسوي فيها ، تلقيا لوحى التورات كما ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ .

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٩.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْجُعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوئِ. وَأَنَا اخْتَرُوكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحِي ...﴾ (٢٠ : ١٣). .. نُودِيَّ مِنْ شاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ :

«إني أنا ربك . الله رب العالمين . العزيز الحكيم» تلمع كمجموعة ان

صيغة النداء كانت تشملها كلها ، فمثلت التعبير مطوي فيها ، وفي كل مجالة من عرضها تأتي ما تناسبها من هذه الثلاث.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَنْرَزُ كَاهْنًا جَانُ وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعِقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخْفُ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَ الْمُرْسَلُونَ﴾ . ١٠

«لدي» هنا تعني لدنية القرب في القمة المعرفية الرسالية ، إذ يلقى فيها الوحي ، لا فحسب العلم والقدرة إذ يشملان كل كائن أيا كان وأيان ، و «جان» هي الحياة الصغيرة الناعمة ، فقد اهتزت عصاه بشكلة كأنها جان على كبرها حية تسعى ف ﴿وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعِقِّبْ﴾ خوفة منها ، فإذا بخطاب رب العزة ﴿يَا مُوسَى لَا تَخْفُ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ولقد كان من حقه أن يخاف جان العصا ولما يتقدم من رب الأمان وألا يخاف ، إذ كانت عصاه سلاحه الذي يدفع به ، فإذا هي حية تسعى ، فلا قرار . إذا . إلا الفرار من عصاه المقلوبة من أمنه وتؤمنه إلى بأسه ، وقد ظلم نفسه من ذي قبل : ﴿رَبِّ إِنِّي طَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ..﴾ .

وترى ان «لا تخف» إخبار عن واقع يستغرق كل المسلمين قضية الرسالة وأفهم «لدي»؟ فلما ذا خاف موسى هنا . وقد بدأت رسالته بالوحى الرسالي . من آيته الرسالية؟ وذلك تكذيب لما أخبر الله به ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَ ..﴾ أو تكذيب . لكونه رسول الله! لأنه لم يكن «لدي»؟ وهو لدى الله في موقف الوحي الرسالي بأية من آياته! أم لم يكن حينه من المسلمين؟ وهو رسول بسند الوحي وآية الرسالة ، ام ان هذه الضابطة مخصصة في موسى؟ وهي آية عن التخصيص! ولو خصصت فلما ذا إذا «لا تخف» سانا إلى نفس الضابطة : ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَ الْمُرْسَلُونَ﴾ .

عله داخل في المستثنى : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ : انتقاما قبل الرسالة :

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨ : ١٦).

فقد ظلم نفسه من قبل دونما تقصير ثم بدل حسنا بعد سوء غفر له ربها ، إذا فقد

يكون من :

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١١.

فهو بعد غفره تعالى لا يخاف لدى الله فيما يأمره به الله مهما ظهر جانا أو ثعبانا ، بل هو من الآمنين : ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ مهما كانت قبل ﴿مِنْ ظَلَمَ﴾ ولكنك بذلك بعد حسنا بعد سوء ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، ف «لا تخاف» المعلل بـ ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ هناك ، وب ﴿لَا يَخَافُ لَدَيِّ الْمُرْسَلِونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ..﴾ هنا ، نحي عن خوفه من ظلمه لمكان غفره تعالى ، وكأنه خليل إليه الجان المحول عن عصاه ، عساه جزاء عن ظلمه ، غضا عن غفره وتعالي تطامنا وتذللها.

وانقطاع الاستثناء هنا لا يرجع إلى معنى صالح فإنه «لا يخاف .. إلا من ظلم ثم غفر» وليس للمغفور له أن يخاف كما ليس لغير الظالم ان يخاف ، فاما الخائف هو الظالم غير المغفور له وهو خارج عن نص الآية.

وقد يقال ﴿لَا يَخَافُ .. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ﴾ ولما يغفر له ، فلا يخفف ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟ ولكن حصر الخوف لدى الله بن بدل ، حسر له عمن ظلم ولم يبدل وهو أحقر أن يخاف لدى الله !

ف ﴿إِنَّ لَا يَخَافُ لَدَيِّ الْمُرْسَلِونَ﴾ اخبار حال كونها إنشاء لسلب الخوف لدى الله عن ساحة المسلمين ، وحتى من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ، فهو إذا من الآمنين ، ليس له ان يخاف لدى الله بعد ذلك الغفر الأمين.

ويا له من مسرح الخوفة المولية له مدبرا دون تعقيب ، إذ ألقى عصاه فإذا هي تدب وتسعى بسرعة هائلة كأنها جان ، فأدركـت موسى طبيعة الانفعالية ، وهزـته هزـتها المفاجئة التي لم تك تخطر ببال ، وهو في تلك الحال المباركة ﴿بُورَكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ فيجري في جريه مولـيا دون تفكير في الرجوع ، فـيأتيه النداء الحنون المنون ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَ الْمُرْسَلُونَ ..﴾ وهذه ضابطة شاملة انه انا يخاف لدى الله «من ظلم» ثم لم يبدل حسنا بعد سوء ، وهـلا يخاف غير الظالم الله كما لا يخاف لدى الله؟ طبعا يخاف الله ويخشـاه حيث الخوف والخشـية من الله هـما قضـية الـضـعـةـ الكـامـلـةـ أـمـامـ اللهـ ، فـ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَ﴾ لا تنفي إلاـ الخـوفـ عـماـ يـخـيفـ منـ الـكـائـنـاتـ الـمـخـيـفـةـ كـحـيـةـ الـعـصـاـ أـمـاـذاـ؟ـ جـزـاءـ الـظـلـمـ ،ـ فـاـمـاـ اللهـ فـ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مَنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾ بالله ، العارفين قدر الله.

خوف وخشـية عن الله هـما قضـية الـعـلـمـ بالـلـهـ ،ـ وـخـوفـ لـدىـ اللهـ اـمـ سـواـهـ عـماـ سـوىـ اللهـ هوـ قضـيةـ عـصـيـانـ اللهـ ،ـ فـ«ـمـنـ خـافـ اللـهـ أـخـافـ اللـهـ مـنـهـ كـلـ شـيءـ وـمـنـ لـمـ يـخـافـ اللـهـ أـخـافـهـ اللـهـ مـنـ كـلـ شـيءـ»<sup>(١)</sup>.

فقدـ كانـ يـخـافـ مـوسـىـ لـمـ ظـلـمـ نـفـسـهـ ﴿وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَآخَافُ أَنَّ يَقْتُلُونَ﴾ (٢٦) : ﴿فَأَرْسَلْنَا مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّبُونَ﴾ (٣٤) (٢٨) ، وهذاـ خـوفـ منـ غيرـ اللهـ قضـيةـ الـانتـقاـصـ بـجـنـبـ اللهـ.

ثمـ هـنـالـكـ خـوفـ منـ اللهـ قضـيةـ الـعـلـمـ بالـلـهـ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيًّا﴾ (٧٦) (٢٠) أـمـ خـوفـ فيـ اللهـ حـفـاظـاـ علىـ شـرـعـةـ اللهـ : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ حِيَاةً فَانْبُذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ (٨) (٥٨).

(١) عـيونـ الأـخـبـارـ عـنـ الـإـمـامـ الرـضاـ (ـعـلـيـهـ السـلامـ).

فهنا خوف صالح وخوف طالع وعونان بين ذلك ، وموسى ينهى عن العوان ، وكلنا منهيون عن طالعه الى صالحه.

والآن بعد ذلك الحنان من رب المنان ، وقد اطمأن موسى الى أمن الحضور ورحمته

يؤمر مرة ثانية بآية أخرى :

**﴿وَأَدْخِلْ يَدَكِ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾**

**﴿إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ١٢ .**

لماذا «في جيبك» دون كمك الداخلة يدك فيه دونها حاجة إلى إدخال؟ عله لم يكن له كم فليدخلها في جييه ، ام ليتأكد انها أصبحت **﴿بَيْضَاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾** وإلا فعلها كانت في كمه ، ومنذ فترة قصيرة بيضاء من سوء برص ، فلا يجديه نفعا : «وأخرج يدك من كمك»! .

ثم **﴿فِي تِسْعَ آيَاتٍ﴾** هل تعني كل الآيات الموسوية وهي أكثر منها؟ كلا ، وإنما هي التي **﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾**<sup>(١)</sup> دون الباقية الخاصة ببني إسرائيل كما فصلناها في الأسرى على ضوء : **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ...﴾**<sup>(١)</sup> (١٠). ولم يأت هنا بعديد الآيات التسع إلا ثنتين والسبعين الأخرى مسرودة في الأعراف؟ حيث التركيز على قوة الآيات وها نوجдан من اقواها لنعرف المكذبين بما ما أغواهم.

وقد تعني **﴿فِي تِسْعَ آيَاتٍ﴾** اليد والعصا ، حيث التسع كلها ظهرت

(١) والتسع هي : ١ - اليد البيضاء ، ٢ - ثعبان العصا ، ٣ - الطوفان ، ٤ - الجراد ، ٥ - القمل ، ٦ - الصفادع ، ٧ - الدم ، ٨ - ضرب الأموال بنقص وطمس وأخذهم بالستين ، ٩ - فلق البحر .  
الآيات الخاصة ببني إسرائيل هي : ١ - ننق الجبل ، ٢ - تفجير اثنى عشرة عينا ، ٣ - المن والسلوى .

منهما ، إذا فهموا التسع في الأصل وكل التسع فروعها.

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ١٣**

ولماذا «هذا» و «آياتنا» تتطلب «هذه»؟ علّه لأنّما قولتهم الهاتكة لها دون قول الله ، فهم تغامضوا عن عديد الآيات ، وحتى عن أنها آية إلهية ، فلم يعتبروها إلا شيئاً وأمراً ما غير خارق للعادة ، رغم أنها مبصرة لمن ابصر إليها وبها ، ولكنهم كانوا قوماً عميّن فـ **﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** لا ريب فيه حيث يبيّن سحره للناظرين ، وقد سبق لهم المسرح العظيم من صراع السحرة مع موسى في محشر الناظرين ، وثبت للساحرين أنفسهم أن ما جاء به موسى آية بينة من رب العالمين !

ولماذا مبصرة ، وكل آيات الله مبصرة؟ علّها توصيفة تأكيدية لفرقة وتبينية لآخرين ! أم أن الآيات غير المبصرة حسياً أبعد عن الحجة وان كانت اقرب إلى المحجة واثبت ، وآيات موسى كلها مبصرة.

ولماذا «مبصرة» والإبصار إنما هو للناظرين؟ علّها مبالغة في وضوحها كأنّما هي التي تبصر الناظرين لشدة لمعانها ، فتجلب الناظر لينظر إليها ، إذا فهي مبصرة في ذاتها ، دون حاجة إلى دافع آخر ، لكنّها خارقة للعادة بینة لا غبار عليها.

**﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنفُسُهُمْ طُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾**

. ١٤ .

هؤلاء الأغاد المناكيد **﴿جَحَدُوا بِهَا﴾** : الآيات المبصرة «و» الحال انهم **﴿اسْتَيْقَنْتُهَا أَنفُسُهُمْ﴾** حيث تجاوزت أبصارهم إلى عقوبهم ، وشملت أنفسهم اللهم إلا قلوبهم المقلوبة عن المهدى ، المليئة من الردى ، **﴿جَحَدُوا بِهَا﴾** لا عن اقتناع أو شبهة فيها أو ريبة تعترى بها ، وإنما **﴿طُلْمًا وَعُلُوًّا﴾** جداً بالستتهم

رغم استيقان أنفسهم ، حيث القلوب قاسية لا تحن إلى هدى مهما استيقنت النقوص .  
ف «أنفسهم» هنا لا تشمل قلوبهم ، فان ظنها فضلا عن استيقانها يحمل أصحابها  
على التصديق .

وقد يلمح هنا الاستيقان دون الإيقان إلى استثناء قلوبهم عن أنفسهم ، فقد كانت حواسهم وافكارهم وعقولهم ومعها فطرهم تتطلب إيقان قلوبهم لأنها ذرائع الإيمان والإيقان ، ولكنهم **جَحَدُوا بِهَا** **بِالسِّنْتَهِمْ وَسَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ** **بِسَائِرِ ادْرَاكِهِمْ** **تَغْافِلًا** عنها وتجاهلا عن طلبها ، «ظلمما» بأنفسهم وبالحق والذرائع الموصولة اليه ، فقد ظلموا حواسهم إلى فطرهم وفكيرهم وعقولهم ، وتنازلوا عن استيقانها لقلوبهم ، «وعلوا» على الله ورسله برسالاته ، فذلك الظلم الفاتح عبد طريقهم إلى علوّهم ، فصدوا منافذ الهدى عن قلوبهم ، وفتحوا مسالك الردى إليها فختم الله عليها بما ظلموا وعلوا! .

هذه الآيات البصرة كانت مستيقنة تطلب اليقين ، ثم وحواسهم بسائر ادراكاتهم  
كانت تستيقن هذه الآيات طلباً ليقين القلوب ، ولكنهم ﴿جَحَدُوا إِهَا ... ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾  
تنازلاً وتغافلاً عن كل ادراكاتهم وحتى الحسية الحيوانية ، فهم أصبحوا أنزل من الحيوان وأنذل  
وأضل سبيلاً ، حيث تحلىوا عن كافة الإحساسات والنفسيات الإنسانية وحيوانية! .  
وذلك هو أسفل دركات الجحود بالحق (١) «فانظر» عبر التاريخ ﴿كَيْفَ كَانَ

(٤) نور الثقلين ٧٥ : بسند متصل عن أبي عمر الزبيري عن أبي عبد الله (عليه السلام) : أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل ، قال : الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه فمنها كفر الجحود على وجهين . إلى قوله . : واما الوجه الآخر .

**عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** نظراً إلى مهالكهم بما ظلموا وعلوا ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فقد أفسدوا ذات أنفسهم ، وأفسدوا بذلك البلاد ومستضعفها العباد! .  
**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوِدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ**  
 المُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوِدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمُنَا مَنْطَقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ  
 شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَخُشِّرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ  
 يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَكَوْا عَلَىٰ وَادِ التَّمْلِ قَالَتْ تَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا التَّمْلُ اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا  
 يَحْطِمُنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْرَعْنَى  
 أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالَّدَىٰ وَأَنْ أَعْمَلَ

. من المحظوظ على معرفة وهو ان يتجحد الماجد وهم يعلم انه حق قد استقر عنده وقد قال الله عز وجل : وبحسبنا  
 بما واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ..

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى  
الْمُهْدَهْدَهْ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَا عَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا دُجَّهَهُ أَوْ لِيَأْتِيَهُ سُلْطَانٌ مُّهِينٌ  
(٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحْطِ بِهِ وَجَعْنَتَكَ مِنْ سَيِّئِاتِنَا يَقِينٌ (٢٢) إِنِّي  
وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْنَا وَقْوَتَهَا يَسْجُدُونَ  
لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)  
أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحُبَّةَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥)  
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)  
إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَا ذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمُلْأُ  
إِنِّي أُلْقَى

إِلَيْكِتَابُ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلُوْعَلَىٰ وَأُتُونِي  
 مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ أَفْتُوْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ (٣٢)  
 قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْنِي مَا ذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ  
 الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ  
 إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَمْبُدُونَنِي مَالِ فَمَا آتَيْتَنِي  
 اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِنَهُمْ بِخَيْرٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ إِلَّا  
 وَلَنُنْهِرِ جَنَّهُمْ مِنْهَا أَذْلَّهُ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَوُأَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ  
 يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيَكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ  
 لَقَوْيٌ أَمِينٌ (٣٩)

قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَيْتَهُ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقْرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوْنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فِيمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَجَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَهْنَادِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَّ أَهْكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا اذْخُلِي الصَّرْخَ فَلَمَّا رَأَهُ اللَّهُ حَسِيبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ ساقِيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُهَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرِ قَالَتْ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)

عرض حافل ملوك سليمان وسلطته الروحية الرسالية مع الجن والأنس والطير فهم يوزعون ، في حلقات من حياته المنقطعة الناظير مع الطير والنمل وملكة سبيا ، تبرز سلطته الملكية بجانب سلطانه الرسالي ، تبيينا لعدله في

سلطانه الجامع غير الجامع ، قصصا حافلة بحركات ومشاعر ومشاهد ، نبراسا ينير الدرج على الرعماء في كل حقل كيف يجب عليهم رعاية الرعايا والتجنب عن الخطايا :

**﴿وَقَدْ آتَيْنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾**

المؤمنين ١٥

«لقد» تأكيدان اثنان لوهبة العلم الربانية ، و «آتينا» في جمعية الصفات تاكيدة ثلاثة تلمح لمختلف صنوف العلوم الربانية ، الممكن ايتاءها للصالحين الخصوص ، ثم «علماء» منكرا تأشير إلى فخامة ذلك العلم ، كما و «آتينا» تشير إلى انه ليس مما يحصل بتحصيل متعدد ، بل هو إشراق رباني الى قلوب الطاهرين على قدر الفاعليات والقابليات «علماء» ومعرفة بالله يتبع العقيدة الصالحة والعمل الصالح «علماء» يعلم صاحبه مصدره ، متوجهها إلى الله ، منفقا له في مرضات الله ، مقرريا له إلى الله ، دونما صد لقلب عن الله ، زائغا عن مصدره وموارده ، لا يشم إلا شقاوة ، لأنه منقطع الصلة صادرا وواردا ، وبعيدها عن النور مادة.

وهنا نعرف موقف الواو في **﴿وَقَالَا ...﴾** كأنها عطف على محدوف معروف من «علماء» هذا ، وهو العقيدة الصالحة والعمل الصالح : **﴿آتَيْنَا ... عِلْمًا﴾** . فاعتقدوا وعملا به **﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ ...﴾** فذلك الحمد باللسان يتبع الحمد بالجنان والأركان ، شكرها على عطية الملك المنان ، و «فضلنا» ليس فقط في مجرد العلم ، إذ لا فضل في مجرد عن أماته ، بل هو الذي قال الله عنه **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْغَلَمَاءُ﴾** . : بالله و **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقُكُمْ﴾** علم التقوى والتقوى في العلم ، جناحان يطير بهما العبد الصالح إلى قمم المعرفة والكمال.

ثم وليس «فضلنا» هنا . فقط . بما علمنا مجردا عما يرام منه مادة وفاعلية ، بل «فضلنا» بما يفضل عبادا على عباد وقمه التقى ، و ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعقيبة رقيقة على ذلك التفضيل في علم وسواه ، انه في العبودية والإيمان ، دون العلم الفاضي عندهما ، وانما هو الفائض منهما ، الصادر عندهما ، والوارد موارد الحق المرام فيهما.

ولقد أشير إلى العلم المؤتى لداود في ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخَطَابَ﴾ (٢٠ : ٣٨) ولسليمان ﴿فَفَهَمَّنَا هَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٢١ : ٧٩) فهما المؤتيان حكما وعلما ، يشملان قمما معرفية عالية فضلا بما على كثير من عباده المؤمنين.

اجل وهم من القلة القليلة بين ﴿عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : ﴿أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ، وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤ : ٥٦) فتلك الثلة وهذه القلة هم القلة القليلة ﴿مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومن فضل داود المشار إليه بـ «فضلنا» : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاؤِدَ مِنَ فَضْلِهِ يَا جِبَالُ أَوَّيِ مَعْهُ وَالظَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (١٠) ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (٣٤ : ١٢).

فقد كان داود يرتل مقاطع من الزبور فيتجاوب به ذرات الكائنات من حوله ، مما يدل على العبودية العريقة القمة ، وسليمان المسخر له الريح والجبن والإنس بأمر الله قضية طاعة الله كما قال الله : عبدي أطعني حتى أجعلك مثلثي انا أقول للشيء كن فيكون ، أجعلك تقول للشيء كن فيكون!

لذلك لما «سأل رجل رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) عن أفضل الأعمال فقال : العلم بالله والفقه في دينه وكررها ، عليه ، فقال : يا

رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) اسئلتك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل»<sup>(١)</sup>.

**﴿وَوَرَثَ سُلَيْمَانُ دَاؤِدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مِنْ طَيْرٍ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ**

**هذا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ١٦**

«ورث» هنا لا تعني ارث النبوة ، بل هو هنا المال ، فالنبوة ليست لتورث لأنها وهبة إلهية كما هنا **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾** فالله هو الذي علم سليمان كما علم داود

فلا مجال لأرثه عنه بعد ما آتاه الله ، إلا تحصيلا لحاصل ومن غير مصدره!

فالمال يورث بما فرضه الله كضابطة لا تستثنى : **﴿بُو صَيْكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ..﴾** إرثا

دون تحصيل ، ثم العلم غير الرسالي قد يورث ولكنه بتحصيل كما «العلماء ورثة الأنبياء»

تعلما منهم ، ولكنهما النبوة لا تورث إذ لا تحصل بتحصيل ، وإنما هي وهبة إلهية لا تنتقل

من نبي إلى نبي ، بل هي عطية ربانية لمن يشاء : **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو**

**الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** فطالما العلم مصدق مجازي هامشي للإرث ، فالنبوة غير داخلة في ميراث

ولا مجازيا<sup>(٢)</sup> فكيف يختص هنا الإرث بالنبوة توجيها لغضب فدك

(١) تفسير روح البيان ٦ : ٣٢٦.

(٢) اللهم إلا مجازا بعيدا وضمن سائر الميراث ، يعني ان الله تعالى أورث نبيا مثل النبوة السالفة ام فوقها ام دونها ، وبين النبوة والميراث عموم من وجه ، فقد يكون ابن نبيا دون أبيه أو يكون الأب نبيا دون ابنه فلا ميراث هنا وهناك أو يكون الأب والأبن نبيين ولكن النبوة الثانية ليست في الحق ارثا من الأولى إلا بمجاز بعيد عن حقيقة الإرث ومجازه القريب.

وحتى إذا عم الإرث النبوة إلى المال فليس ليختص بغير المال على أية حال.

البتولة الزهراء (عليها السلام) سناداً إلى مختلقة مخالفة لكتاب الله «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة»! وكما يروي الحاج ب بهذه الآية واضرابها عن الزهراء سلام الله عليها بين جماهير المسلمين في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الخليفة أبي بكر<sup>(١)</sup> :

(١) وقد أخرجت بألفاظ تالية : «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» «.. يؤذني ما آذها وبغضبني ما أغضبها» «.. يقبحها ويسيطني ما يسيطها» «.. يؤذني ما آذها وينصبني ما أنصبها» «.. يريني ما رابها ويؤذني ما آذها» «.. يسعفي ما يسعفنا . و : «فاطمة شجنة مني يسيطني ما يسيطها ويقبحني ما يقبحها» «فاطمة مضعة مني فمن آذها فقد آذاني» «.. يقبحني ما قبضها ويسيطني ما بسطها» «.. يسرني ما يسرها».

آخر على اختلاف ألقابها أئمة الصحاح السنت وعدها أخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد  
والمعاجم وإليكم جملة من رواها : ١ - أبو محمد ابن عبيدة الكوفي المتوفى ١٩٨ كما في الصحيحين. ٢ - ابن أبي  
 مليكة ١١٧ في رواية البخاري ومسلم وابن ماجة وابن داود وأحمد والحاكم. ٣ - أبو عمر بن دينار المكي ١٢٥  
 كما في صحيح البخاري ومسلم. ٤ - الليث بن سعد المصري ١٧٥ كما في استاد ابن ماجة وابن داود وأحمد.  
 ٥ - أبو النضر هاشم البغدادي ٣٠٥ مسند أحمد. ٦ - أحمد بن يونس اليربوعي ٢٢٧ كما في صحيح  
 مسلم وستن أبي داود. ٧ - الحافظ أبو الوليد الطيالسي ٢٢٧ صحيح البخاري. ٨ - أبو المعمر الهذلي ٣٣٦  
 صحيح مسلم. ٩ - قتيبة بن سعيد الفقي ٢٤٠ مسلم وابو داود. ١٠ - عيسى بن حماد المصري ٢٤٨ . ١١ - ابن  
 ماجة. ١٢ - أحمد بن حنبل ٢٤١ في مسنته ٤ : ٣٢٢ و ٣٢٨ . ١٣ - البخاري في صحيحه ٥ : ٣٧٤ .  
 مسلم ٢٦١ في صحيحه ٢ : ٢٦١ . ١٥ - ابن ماجة في سنته ١ : ٢١٦ . ١٦ - أبو داود في سنته ١ : ٣٢٤ .  
 ١٧ - الترمذى في جامعه ٢ : ١٧٠ . ١٩ - الترمذى في نوادر الأصول ١٨ . ٣٠٨ . ١٨ - النسائي في خصائصه ٣٥ .  
 ٢٠ - النيسابورى في المستدرك ٣ : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ . ٢١ - الغدیر ٧ : ٢٣١ . ٢٣٥ .  
 وإلى (٤٩) شخصا ذكرهم العلامة الأميني في الغدیر :

«أَفْعَلَى عَمَدْ تِرْكَتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهُورَكُمْ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ تَبارَكْ وَتَعَالَى :

**﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاؤِدُ﴾** قال عز وجل فيما اقتضى من خبر يحيى بن زكريا **﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثِنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبَّ رَضِيًّا﴾** وقال عز ذكره **﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** وقال **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾** وقال **﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ حَفًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** وزعمتم ان لا حظوة لي ولا ارث من أبي ولا رحم بيننا ، افخخصكم الله بيأية أخرج نبيه منها؟ أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولىست وأي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) **﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾**? أغلب على إرضي ظلما وجورا **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**.

ورواية أبي بكر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ،» مضروبة عرض الحائط لمخالفتها نصوصا من الكتاب ، فانها معللة عدم اليراث بالنبوة ، **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاؤِدُ﴾** واضرارها تورث الأنبياء بعضهم عن بعض ! اضافة إلى المتواتر عن

(١) بحار الأنوار ج ٦ نقلها عن كتاب «بلاغات النساء لأبي الفضل احمد بن أبي طاهر قائلأ ائها من المشهورات بين الفريقين وفي كتاب الاحتجاج روى عبد الله بن الحسن بسانده عن آباءه عليهم السلام انه لما اجمع ابو بكر على منع فاطمة فدك وبلغها ذلك جاءت اليه وقالت له : يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ان ترث أباك ولا ارث أبي لقد جئت شيئا فريا ، أفعلى عمد ترکتم كتاب الله ...

الرسول في فاطمته أن أذاها أذاه ورضاه رضاه وقد تأذت ووُجِدَت من فعلة الخليفة<sup>(١)</sup>.

ذلك ارث المال ، واما الحال فلا ارث فيها وهي المذكورة قبل ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاؤَدَوْلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا ..﴾ وكذلك بعد في قسم من قضائها ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. وَأَوْتَيْنَا .. إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

ولو كانت هذه مما ورثه داود لم يكن للواو مجال في «وقال» بل الصحيح إذا : قال ،  
ام : فقال ..

﴿.. وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ..﴾.

هنا نعرف ان للطير منطقا ، فليس الإنسان هو الحيوان الناطق بين الحيوان ، ولكن  
كيف تنطق الطير وماذا؟ إن علمه بحاجة إلى تعليم رباني يختص بأمثال سليمان من آتاهم الله  
علماء.

(١) في نور الثقلين ٤ : ٧٥ في كتاب المناقب لابن شهر آشوب وذكر مسلم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وفي حديث الليث بن سعد عن عقيل عن ابن عروة عن عائشة في خبر طويل تذكر فيه ان فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأل ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) القصة . قال : فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت ولم يؤذن بها أبو بكر يصلى عليها.

واخرج البخاري في باب فرض الخمس ٥ : ٥ عن عائشة ان فاطمة (عليها السلام) ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) سألت أبو بكر الصديق بعد وفات رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ان يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) مما أفاء الله عليه فقال لها ابو بكر : ان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قال : لا نورث ما تركنا صدقة . فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فهجرت أبو بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت.

أقول : ما تركنا صدقة قد تعني ان ما تركناه صدقة لا نورثها ، لا وما تركناه غيرها.

وهل ان الطير ايضا علّمت منطق سليمان إذ كلمته هدهد في حوار؟ طبعاً نعم! وإنما  
فكيف عرفت مقال سليمان ثم أجابت «فَقَالَ أَخْطُبْ إِمَا لَمْ تُحْكِمْ

واخرج في العزوات باب غزوة خيبرة ٦ : ١٩٦ عن عائشة قالت : ان فاطمة (عليها السلام). الى ان  
قالت . : فأبي ابو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه  
حتى توفيت وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة أشهر فلما توفيت دفنتها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن  
بها أبو بكر وصلى عليها.

واخرج مثله مسلم في صحيحه ٣ : ٧٢ واحمد في مسنده ١ : ٦ ، ٩ والطبرى في تاريخه ٣ : ٢٠٢  
والطحاوى في مشكل الآثار ١ : ٤٨ والبيهقي في سننه ٦ : ٣٠٠ . وكفاية الطالب ٢٢٦ وتاريخ ابن كثير  
٥ : ٢٨٥ وقال في ٦ : ٣٣٣ : لم تزل فاطمة تبغضه مدة حياتها ، وذكره بلفظ الصحيحين الديار بكري في  
تاريخ الخميس ٢ : ١٩٣ .

ولقد بلغت من موجدهما انها أوصت بان تدفن ليلاً وان لا يدخل عليها احد ولا يصلى عليها ابو بكر  
فدافنت ليلاً ولم يشعر بها ابو بكر وصلى عليها علي وهو الذي غسلها مع اسماء بنت عميس : (طبقات ابن سعد  
رسائل الجاحظ ٣٠٠ . حلية الأولياء ٣ : ٤٣ . مستدرك الحاكم ٣ : ١٦٣ . طرح الترشيب : ١ : ١٥٠ . اسد  
الغاية ٥ : ٢٥٤ . الاستيعاب ٣ : ٧٥١ . مقتل الحوارزمي ١ : ٨٣ . ارشاد الساري للقسطلاني ٦ : ٣٦٢ .  
الاصابة ٤ : ٣٧٨ . ٣٨٠ . تاريخ الخميس ١ : ٣٢٣ .)

وقال الواقدي كما في السيرة الخلبية ٣ : ٣٩٠ ثبت عندنا ان علياً كرم الله وجهه دفنتها رضي الله عنها  
ليلاً وصلى عليها ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بما أحدا .

ومن جراء تلك الموجدة منعت ان تدخلها يوم ذاك عائشة كريرة أبي بكر فضلاً عن أيها فجاءت تدخل  
فمنعتها الأسماء فقالت . لا تدخلني ، فشككت إلى أبي بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله  
(صلى الله عليه وآله وسلم) فوقف ابو بكر على الباب وقال يا اسماء ما حملك على ان منعت ازواج النبي (صلى  
الله عليه وآله وسلم) ان يدخلن على بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد صنعت لها هودج العروس؟  
قالت : هي امرتي ان لا يدخل عليها أحد وامرتي ان اصنع لها ذلك . راجع (الاستيعاب ٣ : ٧٧٢ . ذخائر  
العقبي ٥٣ . اسد الغابة ٥ : ٥٢٤ . تاريخ الخميس .

به» إلا انه ليس لزامه ان المهدد تفهمت لغة الإنسان من سليمان ، فالذى علم منطق الطير يعلم نطقها ويعلم كيف ينطق معها نطقها ، و **«عَلِمْنَا مَنْطَقَ الطَّيْرِ»** تشمل النطق بلغتها بحسب تفهّمها لغته ، بل لا فكاك بين ان يفهم منطقها وبين أن ينطق بها .  
وكما «علمنا ..» تشمل العلمين سمعاً وتكلماً ، كذلك «الطير»

١. كنز العمال ٧ : ١٤ . شرح صحيح مسلم للسنوسى ٦ : ٢٨١ . شرح الآبي لمسلم ٦ : ٢٨٢ .  
أعلام النساء ٣ : ١٢٢١ .

وقد اخرج ابن قتيبة والحاخط ان عمر قال لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة فانا قد أغضبناها فانطلقنا جميعا فاستأذن على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليها فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلاماً عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم ابو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) والله ان قرابـة رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أحبـي اليـ من قرابـتي وإنـك لأـحبـي اليـ من عائـشـةـ ابـنـيـ ولـودـدتـ يومـ مـاتـ أـبـوـكـ مـتـ ولاـ أـبـقـيـ بـعـدـهـ أـفـتـرـانـيـ أـعـرـفـكـ وـاعـرـفـ فـضـلـكـ وـشـرـفـكـ وـامـنـعـكـ حـقـكـ وـمـيرـاثـكـ مـنـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) أـلـاـ إـبـيـ سـعـتـ أـبـاـكـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) يـقـولـ : لـاـ نـورـثـ مـاـ تـرـكـناـ فـهـوـ صـدـقـةـ ،ـ فـقـالـتـ :ـ أـرـأـيـكـمـاـ اـنـ حـدـثـكـمـاـ حـدـيـثـاـ عـنـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) تـعـرـفـانـهـ وـتـفـعـلـانـ بـهـ؟ـ فـقـالـاـ :ـ نـعـمـ فـقـالـتـ :ـ نـشـدـتـكـمـاـ اللـهـ مـتـسـمـعـاـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) يـقـولـ :ـ رـضـاـ فـاطـمـةـ مـنـ رـضـایـ وـسـخـطـ فـاطـمـةـ مـنـ سـخـطـیـ فـمـنـ أـحـبـ فـاطـمـةـ اـبـنـيـ فـقـدـ اـحـبـنـيـ وـمـنـ اـرـضـيـ فـاطـمـةـ فـقـدـ اـرـضـانـيـ وـمـنـ أـسـخـطـ فـاطـمـةـ فـقـدـ اـسـخـطـنـيـ؟ـ قـالـاـ :ـ نـعـمـ سـعـنـاهـ مـنـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) قـالـتـ :ـ فـانـيـ اـشـهـدـ اللـهـ وـمـلـائـكـتـهـ أـنـكـمـاـ أـسـخـطـتـمـانـيـ وـمـاـ اـرـضـيـتـمـانـيـ ،ـ وـلـنـ لـقـيـتـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) لـأـشـكـونـكـمـاـ لـيـ ،ـ فـقـالـ اـبـوـ بـكـرـ :ـ اـنـ اـعـذـ بـالـلـهـ تـعـالـىـ مـنـ سـخـطـهـ وـسـخـطـكـ يـاـ فـاطـمـةـ ،ـ ثـمـ اـنـتـحـبـ اـبـوـ بـكـرـ يـكـيـ حـتـىـ كـادـتـ نـفـسـهـ اـنـ تـزـهـقـ وـهـيـ تـقـولـ :ـ وـالـلـهـ لـأـدـعـونـ عـلـيـكـ يـيـ كلـ صـلـاـةـ أـصـلـيـهـاـ ،ـ ثـمـ خـرـجـ باـكـيـاـ فـاجـتـمـعـ النـاسـ الـيـهـ فـقـالـ هـمـ :ـ بـيـتـ كـلـ رـجـلـ مـعـانـقاـ حـلـيلـتـهـ مـسـرـورـاـ بـأـهـلـهـ وـتـرـكـتـمـونـيـ وـمـاـ أـنـاـ فـيـهـ لـأـ حـاجـةـ لـيـ يـيـ بـيـعـتـكـمـ أـقـلـوـنـيـ بـيـعـيـ .

تشمل سائر الطير دونما استثناء ، مهما بزرت المدهد في ذلك المسرح.

وهل إن ﴿مَنْطِقَ الطَّيْرَ﴾ هنا تختص علمه بمنطقها بين سائر الحيوان؟ فكيف علّم منطق النملة! لأنّها كانت من طيرها فتشملها «الطير»؟ ولا يقال لذوات الأجنحة منها طير !

أم لأن النملة اختصت بهذا النص بين الحيوان غير الطير ، فلم يعلم منطق سائر الحيوان إلّا النملة؟ .. ليس لنا إلّا متابعة النص ، فقد علّم منطق الطير والنملة ثم لا ندري هل علّم منطقا آخر ام لا؟ اللهم إلّا أن تلمح ﴿وَأُوتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ و ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ شيء من العلم بمنطق سائر الحيوان بل وسائر الكائنات<sup>(١)</sup> وشيء من الملك والملك.

اجل ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا تعني البعض الذي يعرفه الكلّ علماً فطرياً أو تعلماً ، وإنما «أوتينا» كعطاء خاص رباني كما ﴿أَتَيْنَا دَاؤَدَ وَسَلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ فذلك المؤتي له من كل شيء ، شيء من العلم الخاص والقدرة الخاصة أمّا هيه من المخبأ تحت ستار الغيب ، لا يعلّمها إلّا من علمه الله ، و ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ حيث يبين اختصاص الفضل على سائر العالمين ، إذ لا يناله أحد إلّا بما يؤتّيه الله لا سواه.

إلّا أن هنا فرقا بين ﴿عَلِّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرَ﴾ و ﴿أُوتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(١) المجمع روى الواحدي بالإسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال : أعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ، ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والأنس والشياطين والدواب والطير والسباع وأعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة التي سمع بها الناس وذلك قوله ﴿عَلِّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرَ وَأُوتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ .

حيث الأول تلمح انه علم منطق الطير ككل ، والثانية لمكان «من» التبعيض تختص علمه وقدرته بالبعض ، فقد علّم . إذا . بعض المنطق من سائر الحيوان وسواها ، كما أويت البعض غير العلم كما العلم ، وليس منطق الطير كلّ ما يسمع منها ، فقد يكون صوتنا دون معنى كما قد يكون منا ، وقد لا يكون صوتا نسمعه كما في النمل واضرابها ، فما يناله الإنسان من الصوت انما هو عدد محدود من الارتفاع الصوتي وهو كما يقال ما بين ستة عشر ألفا إلى اثنين وثلاثين ألفا في الثانية ، والخارج منها في الجانبين خارج عن حدود سمعه ، وقد تنطق الطير أو سائر الحيوان دون صوت ، وإنما بإشارات تلغافية أو الرادار كما نراها من النمل وسائر الحيوان ، فلا يختص المنطق بما له صوت ، بل يعممه مسموعا لنا وسواه ، ام رمزا لا يسمع ، والنطق هو إبراز ما في الباطن باللة ظاهرة لسانا وسواه ، و ﴿عَلِمْنَا مَنْطَقَ الطَّيْرِ﴾ تعم مثلث النطق. اجل وللطير منطق كما لكل حيوان حيث الكل امم كما نحن : ﴿وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطْبَرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَفْتَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَمُمِّلِّئُ إِلَيْهِ رَبَّكُمْ يُخْشَرُونَ﴾ (٦ : ٣٨).

ذلك! لصورة التفاهم بينها لإدارة الشئون الحيوية لها ، وليس للإنسان التعرّف إلى منطقها مهما حاول وزاول ، لأنّه من الأسرار الربانية يعلّمها من يشاء! .

وحين يعلم سليمان منطق الطير ويؤتى من كل شيء فباHarry الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والأئمة من آلـ الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ، أخرى بهم ان يعلّموا منطق الطير ويؤتوا من كل شيء <sup>(١)</sup> فإنهم أئمة

(١) نور الثقلين ٤ : ٧٧ في الخرائق والجرائح قال بدر مولى الرضا (عليه السلام) ان إسحاق بن عمار دخل على موسى (عليه السلام) فجلس عنده واستأنذ عليه رجل من .

. خراسان فكلمه بكلام لم اسمع بمثله كأنه كلام الطير ، قال اسحق : فأجابه موسى (عليه السلام) بمثله ولغته إلى أن قضى وطره من مسائله فخرج من عنده فقلت : ما سمعت بمثل هذا الكلام! فقال (عليه السلام) : هذا كلام قوم من أهل الصين وليس كل كلام أهل الصين مثله ثم قال : أتعجب من كلامي بلغته؟ فقلت : هو موضع العجب! قال (عليه السلام) : أخبرك بما هو اعجب منه ان الامام يعلم منطق الطير ونطق كل ذي روح خلقها الله تعالى وما يخفى على الإمام شيء.

أقول «لا يخفى على الإمام شيء» قد يعني لغة كل شيء لا كل شيء من كل شيء فإنه خاص بالله الذي لا يعزب عن علمه شيء.

وفيه عن المناقب لابن شهر آشوب محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سمعته يقول :

**﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾** أقول : وهذا يؤيد تبعيض العلم وكل شيء من كل شيء.

وفيه عن بصائر الدرجات بسنده عن الثمالي قال كنت مع علي بن الحسين (عليهما السلام) فانتشرت العصافير وصوتت فقال : يا أبا حمزة أتدرى ما تقول؟ قلت : لا قال : تقدس رحما وتسأله قوت يومها ثم قال : يا

**﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾**.

وعنه عن زارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عباس : أن الله علمنا منطق الطير كما علم سليمان بن داود ، ومنطق كل دابة في بر وبحر. وفي تفسير البرهان ٣ : ٢٠١ محمد بن المحسن الصفار في بصائر الدرجات بسنده متصل عن محمد بن جعفر عن أبيه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : استوصوا بالصنائع خيرا يعني الخطاـف فانه آنس طير الناس بالناس ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : أتدرؤون ما تقول الصناعية إذ هي ترغـت تقول **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** حتى تقراء ام الكتاب فإذا كان في آخر ترجمتها قالت ولا الضالـنـ.

أقول : والروايات في ائمـمـ علموا منطق الطير وأتوا من كل شيء عـلـىـ متواتـرةـ.

سليمان ومن فوقه من النبيين ، وما هم بعالمين كل شيء خلافا لما يروى <sup>(١)</sup> وترى «علمنا وأوتينا» . وهو شخص . أهي من سنة الرعونة والكبارياء في الملوك؟ وسلام من أفضل الصالحين! قد يعني نفسه وأباه داود ، أم ومن معه من النبيين وسائر المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، وكما ﴿آتَيْنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾.

وقد تلمح «علمنا وأوتينا» برجاحة الإعلان بما أنعم الله أو اختص بكرامته ، كما ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِيثٌ﴾ شرط ألا تمازجه رعونة وكبارياء فان الله منها براء ، بل هو هنا إعلان رسالي تدلilia بذلك العلم على رسالته الى الناس ، فليس فقط تحديانا بنعمة ربه راجحا غير واجب.

فقد أذاع سليمان هذه العطية الربانية للناس تحديا بنعمة الله دون مباهاة ولا تنفّج على الناس ، وكما يدل عليه بتعقيبه ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

وليس منطق الطير وسائر الحيوان . ككل . بالساذج الحيواني دون العقول الإنسانية ، وكما النملة والمهدد تبرزان هذه الحقيقة ، ان لها معارف كما

. وقد يعني ان علمهم عليهم السلام أوسع من علمه كما عن نفس المصدر عن الفييض بن المختار قال سمعت أبي عبد الله (عليه السلام) ، ان سليمان بن داود قال : «عُلِّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» وقد والله علمنا منطق الطير وعلم كل شيء ، أقول : ولكن الكل نسي لا يعني ككل ما يعلمه الله ، وانما البعض الأكثر شولا مما علم وأوتى سليمان.

(١) المصدر عن بصائر الدرجات احمد بن محمد بن خالد عن بعض رجاله عن أبي عبد الله (عليه السلام) وتلا رجل عنده هذه الآية ﴿عُلِّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فقال ابو عبد الله (عليه السلام) ليس فيها «من» انما هي «أوتينا كل شيء» أقول : انه مضروب عرض الحائط لمخالفته توادر القرآن وكما في روایات العرض.

للإنسان ام وقد تكون أصفعى وأوفى ، وأنها تسبّح بحمد رحمة كما نسبّح ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَالَةً وَتَسْبِيحَةً﴾ (٤١ : ٢٤) ﴿وَلَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيْحَهُمْ﴾ (١٧ : ٤٤) <sup>(١)</sup>.

وإنما الميزة البارزة للإنسان بين سائر الحيوان هو التقويم الأحسن فيه قلباً وقلباً ، وانه لا يقف لحدّ ، فله التكامل الى قم علياً من الكمال وأعلى من الملائكة المقربين ، وللحيوان . ككل . مقام محدود ، وحتى بالنسبة للحيوان الذي يتكمّل وقليل ما هو ، وان الكمالات الإنسانية روحية وسواها

(١) نور الثقلين ٤ : ٧٨ . المناقب عن تفسير الثعلبي قال الصادق (عليه السلام) قال الحسين بن علي عليهما السلام : إذا صاح النسر قال : يا ابن آدم أعيش ما شئت آخره الموت ، وإذا صاح الغراب قال : ان في البعد عن الناس أنسا . وإذا صاح القبر قال : اللهم العن ببعضي آل محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإذا صاح الخطاف قرء الحمد لله رب العالمين ويمد الصالين كما يمدّها القارئ . وفيه في مناقب أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وسبع عصافير تصحن قال : تدرّي يا با حمزة ما يقلن؟ قلت : لا . قال : يسبّحن ربِّي عز وجل ويسألن قوت يومهن . وعن بصائر الدرجات بسنده عن فضيل بن يسار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كنت عنده إذ نظرت إلى زوج حمام فهدر الذكر على الأثنى فقال لي : أتدرّي ما يقول؟ قلت : لا . قال يقول : ياء سكني وعرسي ما خلق الله أحب إليّ منك إلا أن يكون مولاي جعفر بن محمد . وفيه بسنده عن سليمان من ولد جعفر بن أبي طالب قال : كنت مع أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في حائط له إذ جاء عصفور فوق بين يديه وأخذ يصبح ويكتثر الصياح ويضطرب فقال لي : يا فلان تدرّي ما يقول هذا العصفور؟ قال قلت : الله ورسوله وابن رسوله اعلم قال : إنما تقول ان حية تزيد ان تأكل فراخي في البيت فخذ معك العصا وادخل البيت واقتلي الحية ، قال : فأخذت النبعة . وهي العصا . ودخلت إلى البيت وإذا حية تحول في البيت فقتلتها .

تبني المساعي على قدرها ، والحيوان أوتيت المعرفة بالله غريزيا في كل وظائفها ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ !.

﴿وَحُشِرَ لِسْلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ . ١٧

الحشر هو إخراج جماعة عن مستقرهم بازعاج ودفع جماعة ، وهكذا يحشر الجنود المتفرقون في مختلف مستقراتهم لهدف الغزو ، أو عرضهم أمام قائدهم أَمَاذَا؟ ، والإيزاع هو المنع ، وهنا الحبس عن تفرقهم وحشرهم ان «يحبس أولئك على آخرهم»<sup>(١)</sup> . فقد أصبح جنوده من الأقسام الثلاثة محشورة مع بعض ، دون سماح لهم بالتفرق والرجوع إلى مستقراتهم لفترة مقصودة فيما أهمه.

و «من» هنا بعض الجن والإنس والطير ، فلم يكن الكلّ بأسرهم جنوده ، فمن يبقى بعدهم اجمع حتى يحاربهم؟ أيحارب الحيوان الوحش أو الملائكة أَمْن هم؟ ولم يتتجاوز ملكه ما يعرف الآن بفلسطين ولبنان وسوريا والعراق إلى ضفة الفرات! والشيطان . وهو من الجن وزعيم مردة الشياطين . لم يكن من جنوده ، ومنهم محاربون له معارضون : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنْهَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ (٢ : ١٠٢) ، ثم الشياطين العمال لم يكونوا كلهم من جنوده ، بل ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ (٣ : ٣٨) ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَقُولُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً ذُونَ ذِلْكَ وَكَنَّ هُمْ حَافِظِينَ﴾ (٤ : ٢١) (٨٢) ومنهم من لم يطلع عليهم كملكة سبيا حتى أخبره المهدد! ثم الطير وهي البلايين

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٢ القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية ...

البلابيين لم تكن لتحشر عن بكرتها ، ومنها الملابين من المداهد ، وهو يقول عند تفقد الطير ﴿مَا يَلِي لَا أَرِي الْهُدْهُدَ﴾ فهو هدهد خاص بين كل المداهد ، كان من الطير المشحورة ، ام هو صاحب هذه النبوة الخاصة في هذا الحشر بين عدد من المداهد.

إذا فجندوه من كل صنف من الثلاثة هم النخبة الصالحة لحرب أعدائه من محاري الجن والإنس ، المكافحين فيها ، وكيف يأمن شياطين الجن في الحرب وهم إدغال وإخلال؟! وأخيراً كيف بالإمكان ان يسافر بذلك الحشد الهائل من كل الجن والإنس والطير حتى يأتوا على واد النمل ، وهو من الوديان الصغيرة المناسبة لطبيعة حال النمل؟!.

**﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالُوا نَمَلٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٨**

لقد سار الموكب الملكي الرسالي مصيره **﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْل﴾** ، وترى اين **﴿وَادِ النَّمْل﴾** ولها وديان في مختلف الأرض؟ فلو كان وادياً كسائر الوديان لكان حق التعبير «وادياً للنمل»! فقد تعني **﴿وَادِ النَّمْل﴾** وادياً خاصاً مميزاً عن سائر الوديان لجمهورية النمل العجيبة بين جمهوريات الحيوانات (١) وقد ألفت لها كتابات ومنها حياة النمل.

ومما يزيد ذلك التمييز اختصاصاً **﴿أَتَوْا عَلَىٰ﴾** دون «مرروا بـ» أو «مرروا بـ» مما يلمح انه إتيان قاصد دونما صدفة غير مقصودة.

(١) تبلغ اصناف النمل ألفاً وتزيد ، وكل صنف يمتاز عن غيره بعيشه ، وكل جمهورية من هذه الجمهوريات لها ملكة او أكثر ذات جناح ، وقد تتألف قرية النمل من نصف مليون نملة ..

ولأن مملكة سليمان كانت فلسطين الواسعة وال伊拉克 ، فقد يكون ﴿وَادِ النَّمَل﴾ واديا في فلسطين<sup>(١)</sup> وما يدرينا اين هو منها؟ وكيف هو؟ والنص مقتصر على ﴿وَادِ النَّمَل﴾.

فبصرت به نملة من النمال فارتاعت لذلك الحشد الحافل ، وخففت على قومها ان تدوسهم جنود سليمان فتحطّمهم على غفلة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فأهابت بهم ان ﴿أَذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ..﴾ وقد تلمح ﴿لَا يَحْكِمُنَّكُم﴾ وهو الكسر انما تعني فيما تعني كسرهم عن كيان العبودية انعطافا الى زينة الدنيا كما يروى<sup>(٢)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٢ عن تفسير القرمي في الآية فانه قعد على كرسيه وحملته الريح فمررت به على واد النمل وهو واد ينبع فيه الذهب والفضة وقد وكل به النمل وهو قول الصادق (عليه السلام) ان الله واديا ينبع الذهب والفضة وقد حماه الله بأضعف خلقه وهو النمل لو رامته النجاشي ما قدرت عليه.

أقول قصة حمله على كرسيه هنا تناقض ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا﴾ الدالة على إتيانه بجنوده وكيف تحمله الريح على كرسيه وجنوده مشاة؟ وأما قصة إنبات الذهب والفضة فيما لا نصدقها ولا نكذبها فهي مردودة الى قائلها. وفي البحار ١٤ : ٩٤ يه باسناده الى حفص بن غياث عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال : ان سليمان بن داود عليهما السلام خرج ذات يوم مع أصحابه يستسقي فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها الى السماء وهي تقول : اللهم انا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك فلا تحلكنا بذنب بني آدم ، فقال سليمان (عليه السلام) لأصحابه : ارجعوا لقد سقيتم بغيركم.

(٢) بحار الأنوار ١٤ : ٩٢ ن. ع بسند متصل عن داود بن سليمان الغازى قال : سمعت علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليهم السلام في قوله عز وجل : فتبسم ضاحكا من قوله . قال لما قالت النملة ﴿يَا أَيُّهَا النَّمَلُ اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ..﴾ حملت الريح صوت النملة إلى سليمان وهو مار في .

أجل ﴿قَالَتْ نَمَلٌ﴾ فهل قالت بصوت ناعم أسمعه الله سليمان ولا يسمعه أي انسان؟! حيث العدد في الارتفاع الصوتي للإنسان محدود ليس ليسمع ادنى منه ولا أعلى ، ام قالت بالتلغراف اللاسلكي أو جهاز الرادار المودع في قرنيها ، فهي تبادر الخواطر بتلك الوسائل العجيبة ، فتفهم قوتها هو من خوارق العادة للإنسان في بعدي مادة الحاطرة وإيصالها دون صوت ، والبشرية اليوم مهما وصلت الى استخدام الرادار اللاسلكي في نقل الأقوال ، لم تصل حتى الآن الى حد نقل الخواطر دون أية وسيلة صوتية ، وحتى إذا وصلت اليه يوماً ما فليست لتفهم خواطر الحيوان ايّا كان ، فإنه من تعليم الملك المنان! .

وعلى نملة هذه هي الملائكة في واد النمل ، كما يلمح لها تأنيتها . أو الخطيبة الممثلة لها فخاطبت النمل خطاباً العجيب :

﴿يَا أَيُّهَا النَّمَلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ .

وياماً لمساكن النمل من أتعجب في هندستها وتنظيماتها ، وهل أتاك نبأ البيوت التي تتخذها تحت الأرض وتجعل لها أعمدة وبجوات متسعة :

. الهواء والريح قد حملته فوقف وقال على النملة ، فلما أتى بما قال سليمان : يا أيتها النملة اما علمت اني نبي الله واني لا اظلم أحدا؟ قالت النملة : بلـى قال سليمان : فلم حذرتبـهم ظلمـي وقلـت ﴿يَا أَيُّهَا النَّمَلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ قالت النملة : خشيت ان ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بما فيبعدوا عن الله تعالى ذكره . وفي العلل : فيبعدون غير الله تعالى ذكره ، وفي العيون : فيبعدون عن ذكر الله تعالى ، ثم قالت النملة : هل تدرـي لم سخرـت لكـ الـ رـ يـحـ منـ بـيـنـ سـائـرـ الـ مـلـكـةـ (ـ الـ مـلـكـةـ)ـ قالـ سـليمـانـ :ـ مـاـلـيـ بـهـذاـ عـلـمـ ،ـ قـالـتـ النـمـلـةـ :ـ يـعـنـيـ عـزـ وـجـلـ بـذـلـكـ :ـ لوـ سـخـرـتـ لـكـ جـيـعـ الـ مـلـكـةـ كـمـاـ سـخـرـتـ لـكـ هـذـهـ الـ رـيـحـ لـكـانـ زـوـالـهـ مـنـ يـدـرـكـ كـزـوـالـ الـ رـيـحـ ،ـ فـحـيـئـنـدـ تـبـسـمـ ضـاحـكـاـ منـ قـوـلـهـاـ .ـ أـقـوـلـ :ـ وـلـلنـظـرـ فـيـ بـعـضـ فـقـرـاتـهـ مـجـالـ إـذـ تـخـالـفـ الـقـرـآنـ أـمـ لـاـ تـوـافـقـهـ .ـ

( صالات ) في كل بحيرة أبواب مفتوحة إلى حجر صغيرات تسكن فيها ، وآخر تخزن فيها الحبوب والغلال وبينها الطرق والمسالك والشوارع بحيث تهتدي بها إلى أعلى الأرض وتحتمع من تلك البيوت وبجواها وحجراتها وأعمدتها قرى كاملة ذات بيوت كثيرة .  
والأغرب من ذلك أنها قد تملك عدة قرى كأنها مستعمرات تصل بينها بطرق كما تفعل الأمم المتقدمة وتصل بين مستعمراتها بالسكك الحديدية .

وهي لا تقتصر على فن واحد من العمارات ، فقد تبني بيوتا فوق الأرضية كما تحتها ، من أوراق الأشجار والأغصان وقصور الخشب المتساقطة من الأشجار العتيقة وتبني مساكن وترى أمم الناظر كأنها آكام ما بين عشرة أقدام إلى خمسة عشر قدما ، ويكثر ذلك تحت شجر الصنوبر ، ثم نوع ثالث من مساكنها تتحت من الأشجار العتيقة بيوتا كما نتحذ نحن من الجبال بيوتا <sup>(١)</sup> .

(١) للاطلاع إلى إجمال من حياة النمل راجع إلى ما جمعه الشيخ الطنطاوي في تفسيره الجوهر ، مما وصل إليه العلم حتى الآن ، وما جاء فيه أن النمل تفعل فعل الملوك فتدبر وتسوس كما يسوس الحكام ، فتراه كيف يتخذ القرى تحت الأرض ولبيتها أورقة ودهاليز وغرفات ذوات طبقات منعطفات ، وكيف تملأ بعضها حبوبا وذخائر وقوتا للشتاء ، وكيف تجعل بعضها بيوتها منخفضا مصوبا تجري إليه المياه وبعضها يكون حولها مرتفعا لغلا يجري إليه ماء المطر . ومن حكمة النمل أن الحبوب المخزونة عندها إذا أصيبت بماء المطر تنشرها أيام الصحو فيقطع حبة القمح نصفين ويقشر الباقلا والعدس والشعير ويقطع حب الكربزة أربع قطع كيللا تنبت ، مما وصل إليه الإنسان بعد تجارب عدة ! .

#### ذكاء النمل :

ومن عجائب تدبير النمل أنه رأى رجل أن النمل يتکاثر على شجرة في حقوله فعمد .

وهناك عجائب أخرى في حياة النمل قد يقتضي سردها مؤلفات عدة ، ثم لا نصل

**إلى كل اسرارها وكما قال الله ﷺ *وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ***

. إليها وحفر حولها وملاً الحفرة ماء وظن انه نجا منها وبات ليلا خالي البال منشرح الصدر مطمئنا على شجرته الغالية فأصبح فرأى الورق مغطى بالنمل ونظر الحفرة فوجدها مملوءة بالماء ، وبينما يتفقد السبب إذ رأى اوراقا متراصة على سطح البركة من شاطئها الى جذع الشجرة والنمل يمر عليها كأنها قنطرة الى حيث تطلع على تلك الشجرة !

ومن عجائب كدحه في عمله الجبار انه قضى عالم من علماء الرومان طول حياته في التتنظر في حال النمل فشاهد نملة تستغل طول يومها فحسب ما حفرته وبنته في ذلك اليوم نسبة الى جسمها وشغل الإنسان وجسمه فوجد انما لو كانت رجلا مشتغلًا هذا الشغل لكان يحفر خليجين كل منهما طوله اثنان وسبعين قدما وعمقه ٤ اقدام ، وأخذ هذا الطين وصنع منه آجرا وبنى به اربع حيطان على الأربع الجوانب للخليجين كل حائط من قدمين الى ثلاثة ارتفاعا ، ونحو ١٥ بوصة سمكا وغالظا ويدعك تلك الحيطان من الداخل فتصير ملساء وكل هذه الأعمال بلا مساعد آخر في النهار كله مع ان الأرض مملوءة بالأعشاب الصغيرة والأخشاب والأشجار وجنوبيها الهائلة والأرض وعرة المسالك فيها آكام من الردم ! سبحان الخالق العظيم .

#### قوية النمل :

وقد تبلغ قوة نملة أقوى من إنسان ٣٠٠٠ مرة وكما يروى عن المستر ، د. دى بو ، العالم الطبيعي انه قال : رأيت نملة تحمل حصاة من أسفل العaramة إلى أعلىها فوزنت النملة والمحصاة وزنا دقيقا بادق الموازين وقسمت ارتفاع العمارة فوجدت بعد الحساب ان الرجل لكي ينافس النملة في رفع الأثقال يجب ان يحمل حملا وزنه نصف طن ويصعد به ٢٥ درجة من درجات السلام الاعتيادية ، وقد أكد احد عار في طبائع النمل انه إذا كان رجل يزن (١٥٠) رطلا وله قوة بالنسبة الى وزنه كقوية النمل لاستطاع ان يحمل على ظهره قاطرتين من اكبر قاطرات السكل الحديدية من غير ترنيح .

وقد روى الأستاذ رفون ان في افريقيا نوعا من النمل يسمى (بول دوج) يستطيع ان يمشي واثبا وكل وثبة نحو قدم ، فإذا رام الإنسان ان يجاريه وجب ان يثبت الوثبة الواحدة نحو ١٤٤ قدما .

**يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رِقِّهِمْ يُحَشِّرُونَ ﴿٦﴾ . (٣٨)**

---

#### حشم النمل :

ومن عجيب حياة النمل بقره وهو نوع من البعوض النباتي المائل الى الخضرة وهو كثير في الجنائن فالنمل يقتصر هذا البعوض وياخذه إلى عشه ويحميه ويغذيه ، وهذا البعوض يفرز مادة لزجة يستطيعها النمل والعجب انه لا يفرزها ما لم يدغده النمل بخرطومه وقد حاول دارون ان يجعل بعوضة تفرز عسلها إذ دغدغها فلم تفرز شيئاً فلما اطلق عليها نحلة دغدغتها فأفرزت العسل.

#### النمل جراح :

وهل خطر لك ان النمل جراح حاذق ، ففي البرازيل نوع من النمل القاطع للورق يحسن الجراحة كأمهر جراح فمتي جاءت اليه نحلة تقاسي من جرح خطرا يستدعي بعض الجنود الاختصاصيين ثم يضم شفتني الجرح معاً ويأمر الجندي ان يمسكهما معاً بفكيه ويقيى هذا مسکاً بحاجة الى ان يحيطهما الجراح على طول الجرح بواسطة خيوط يفرزها من نفسه!.

#### جبانة النمل :

ومن اغرب الأمور للنمل انه يدفن موته في مقبرة خاصة وذلك ان بعض النملات ترفع الجثة بواسطة خراطيتها وتتبعها النملات الأخرى في موكب جليل وتسيير جميعاً خارج الورك الى مكان معين تدفن فيه موتها!.

#### قرى النمل :

وقرية النمل تتشكل من ستة عشر قسماً : ١ - باب القرية ، ٢ - مدخل القرية ، ٣ - مكان الحرس لمنع دخول الغريب ، ٤ - أول طبقة لراحة العمال في الصيف ، ٥ - الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف ، ٦ - مكان تناول الطعام ، ٧ - مخزن الأقوات ، ٨ - ثكنة الجنود ، ٩ - الغرف الملكية حيث تبيض فيه ملكة النمل ، ١٠ - إصطبل لبقر النمل مع علفه ، ١١ - إصطبل آخر لحلب البقر ، ١٢ - مكان لتفقد البيض عن الصغار ، ١٣ - صغار النمل وببيضه ، ١٤ - صغار التمر ، ١٥ - مشتى النمل وبيمه جبانة لدفن الموتى ، ١٦ - مشتى الملكة. وقد وردت روايات في عجائب شأن النمل ، يراجع فيه الى المفصلات كالبحار وسواء.

﴿.. قَالَتْ نَّمَّةٌ يَا أَيُّهَا النَّمَّلُ اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ﴾ . ١٨

خطيبته متآمرة في شعبها تنادي من تحت إمرتها حفاظا عليهم من التحطّم ، سياسة قيادية حيادية للنمل الخارج عن مساكنها للحاجة المعيشية ﴿اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُم﴾ عن بكرتكم ، كي ﴿لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ﴾ ثم حفاظا على كرامة سليمان وجنوده وهي تعرفهم كما هم ، تعقب على نداءه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إذ لا يرون ما تحت اقدامهم ، فلا يحطمونكم عمدا وعداء ، وإنما غفلة لا شعورية! وقد تعني ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جنوده دون نفسه ولكنّه لا يناسب إضافة سليمان إلى جنوده في «لا يحطمونكم». وأعجب بنملة من النمل تبرهن نداءها الحيادية بأن ذلك الحشد العظيم من الإنس والجن والطير «لا يشعرون» وهي النملة تشعر تحطيمهم لا عن شعورهم!

أدرك سليمان قاله النملة وهشّ لها وانشرح صدره بما كما يهش الكبير العادل الحنون للصغير الذي يحاول النجاة من أذاه ، دون ان يضرم أذاه :

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ..﴾ تبسمة ضاحكة ، فرحة بما عرف ، وتعجبما ما

تعرّفت وقالت ، وكيف تبسم ضاحكا وهو دون الضحك آتيا قبله ، فلا تبسم حال الضحك كي تصح ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾؟ عله لأنّه ظاهر بحالة التبسم وهو ضاحك ، حفاظا على سؤدد الملك ، تبسمما يخفى ظاهر الضحك فيه إلى باطنـه ، كيلا يجلب انتشار جنوده كيف يضحك سليمان لا من شيء يضحكه؟ إذ لم يسمع قاله النمل إلا سليمان.

لقد شعرت النملة عصمة سليمان واعتصام من في إمرته من جنود ، لحد لا يحطمون النمل قاصدين ، فضلا عن حطم الإنس ، فما لأنـاس . بعد . لم يشعروا أن الأنبياء

معصومون؟! وترى النملة أرادت بما قالت الحذار عن حطم النمل بحياتها المادية ، ام حيويتها المعنوية إذ خافت هي على النمل . إذا رأت سليمان وجنوده في تلك الحشمة العالية . أن تتأرجف عما هي عليها فتقع في كفران نعمة الله ، وكما تلمح له قالة سليمان : ﴿أَوْزِغْنِي أَنْ أَشْكُر ..﴾ . وتحطيم الحيوية اخطر من تحطيم الحياة؟ ام هي مريدة كلا الأمرین ، لا ندري ..

وهنا ندرس ان تحطيم النمل وأي حيوان غير مسموح في شرعة الله اللهم إلّا دون شعور ، فليشعر الإنسان في مشيه ألا يحيط دون مبرر ، جويا أو بريا أو بحريا ، وكما ندرس كف الأذى عن كل حيوان ، بل ونبات ، حالة الإحرام وفي حرم الله ، فنتمرّن هكذا حتى نعيش غير محطّمين الضعفاء أيا كانوا وأيان حتى النبات والحيوان فضلا عن الجن والإنسان .

﴿فَتَبَسَّمَ صَاحِكَا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِغْنِي أَنْ أَشْكُرِ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٩ .

«فتَبَسَّم» تبسم الفرحة بهذه النعمة الناعمة أن علم منطق النمل ، فاستفاد منه التحذر عن تحطيمها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مما يشعرون أن علينا أن نشعر وندرك من حولنا وتحت أقدامنا ، فلا نتمشى تحطيمًا غافلاً لذى روح ، فضلاً عما فوقه من تحطيم في تقصد . والإيزاع هو الحبس عن التفرق ، حبس الأول إلى الآخر والآخر إلى الأول وهو هنا حبس طاقاته كلها في خدمة الله ، وهكذا إيزاع للشكر ليس . بطبيعة الحال . إلّا بطريقة الوحي والإلهام ، حيث الإنسان . أيا كان . لو خلي وطبعه ، لا يستطيع أن يجند كل طاقاته وامكانياته

في سبيل شكر نعم الله كما يحق ويليق بساحتة.

فسلیمان هنا يتطلب الى ربه ان يلهمه شكر نعمته ، اضافة الى ما تدعوه إليه فطرته وعقليته وشرعته ، شکرا إلهاميا ليس فقط من مقوله الألفاظ ، وليس الشكر . كذلك . قاله للفظ ، بل هي حكاية عن واقع الشكر بجانحة أو جارحة ، فقد تعني ﴿أَوْزِعُنِي أَنْ أَشْكُرَ ..﴾ هنا ما تعنيه ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِإِنْرِبِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٢١ : ٧٣) ، ثم ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا ثُرَضَاهُ﴾ كخلفية لذلك الإيزاع الحبس الإلهام ، أو هو مصدق عملی للشکر بعد مصادقه الروحي ، فإيزاع الشکر هنا يخلق على الشاکر بكل كونه وكیانه ، وكأنه الشکر بعينه ، بقلبه وقلبه ، ولا يتيسر ذلك الشکر التام الطام إلا بإلهام من الرحمن ﴿فَبَأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَدِّبَانَ﴾ ! ﴿أَوْزِعُنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ...﴾ وهي الوحيدة : لمكان نعمتك . النعمة الرسالية ، معرفية وعملية ، ولحد ﴿عِلْمَنَا مَنْطَقَ الطَّيْرِ﴾ . ومنطق النمل وسائر الحيوان! وكذلك التي ﴿عَلَى وَالِدَيَ﴾ : والدي داود حيث أُوتى ما أُوتى من ملك النبوة السامية ، ووالدتي إذ ولدتني من والدي بكل طهارة ونزاهة ، دون ما تتقوله التوراة المحرفة ، إن سليمان ولد من امرأة أورياد التي اغتصبها منه داود وحاشاه<sup>(١)</sup> وهو هبة الله لداود

(١) ففي صموئيل الثاني الاصحاح ١١ «وكان وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جدا . فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بشباع بنت اليعام امرأة أورياد الحشبي . فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها . ثم رجعت الى بيتها وجلبت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت اين حبلني .

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاؤَدْ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٨) . ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لِزُلْفَى وَحُسْنَةٌ مَآبٌ﴾ (٤٠)

(٤٠) فهل إن الهبة الإلهية يولد من امرأة ذات بعل يغتصبها داود؟!

اجل وان سليمان هو من المشهود لهم بما نقول : وشاهد انك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدحومات ثيابها» وما هذه الفريدة الوقحة التوراتية المزورة إلا تسترا لأهلها وراءها فيما يفتعلون من دعارات وافضاحات ، وسلامان المفترى عليه يستوزع ربه شكر النعمة الغالية على والديه كما عليه ، ومنها عرض براءته في هذه الإذاعة القرآنية ، قضاء صارما على هذه التهم المزورة.

﴿أَنْ أَشْكُرْ ... وَأَنْ أَعْمَلْ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ دون ما لا ترضاه مهما أنا أرضاه ، وإنما

﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فسلامان الذي يستوزع شكر نعمة الله ، ليس ليقف على حالة الشكر وقالته ، بل و ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ جمعا لشكر العمل إلى شكر الحالة والقالة.

. فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل الي اوريآ الحبي . فأرسل يوآب اوريآ الى داود . فأتى اوريآ اليه فسأل داود عن سلامه يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب . وقال داود لاوريآ انزل الى بيتك واغسل رجليك . الى ان يقول في احتياله على اوريآ . اجعلوا اوريآ في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت .. الى قوله : فلما سمع امرأة اوريآ انه قد مات اوريآ رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيتها وصارت له امرأة وولدت له ابن ..».

هذا! وفي إنجيل متى ١ : ٦ . ان داود الملك ولد سليمان من اوريآ!

لا فحسب بل داود نفسه ايضا كما في المزمير ٥١ : ٥ : هانذا بالإثم صورت وبالخطيئة حبت بي امي!

**﴿... وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾** هنا وفي يوم الدين ، فتراء يضرع إلى ربه بعد ملكه ونبوته بنعمته ان يدخله في الصالحين ، وهكذا تكون الحساسية المرهفة بتقوى الله وخشيتها ، والتشوف والتشرف إلى رضاه ورحمته في الآونة التي تتجلى فيها نعمته تعالى عليه. واللاحظ في ذلك المسرح من دعاء سليمان والتتجاءه انه لا ترهيه زهوة الملك ورعونته ، خلاف كل من يزدهي من الملوك والزعماء بكل زهوة وزهرة ، فهم يسطون كلما ازدادوا سلطة وقوة ، وسليمان يزداد تطامنا في عبوديته وشكر النعمة الربانية عليه قائلا : رب اعزني . كأنه غير موزع : ان أشكر . كأنه غير شاكر : وأن اعمل صالحا ترضاه . كأنه تارك أو مقصر : وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين . كأنه ليس من الصالحين ، حين يتغوف على نفسه من غلب النعمة ان تنقلب عليه نعمة ، ملتجيها إلى ربه مستدعيا أن يشتبه على الروحية الرسالية ويزداد .

**﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْمُهْدَهَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ٢٠ لَا عَذَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ٢١**

«الطير» هنا هي مختلفها من جنوده المحسورين معه في مسيرته ، ولما **﴿تَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾** كما تفقد الإنس والجن من جنوده ، فلم يجد المهدأه **﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْمُهْدَهَ﴾** مما يلمح انه واحد منتخب من المهدأه ، ام قائد في جيش المهدأه ، وتعريفه باللام يخصصه بالتفقد ، إما لوحدة في شخصه ام شخصيته القيادية <sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنشور ٥ : ١٠٥ . اخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : ذكر لنا ان سليمان أراد ان يأخذ مفارزة فدعا بالهدأه وكان سيد المهدأه ليعلم مسافة الماء وقد كان اعطي من البصر بذلك شيئا لم يعطه شيء من الطير لقد ذكر لنا انه كان يبصر

والتفقد هو تعرّف فقدان الشيء حين فقده لماذا فقد ، ولمكان «الطير» ككل لم يكن تفقده يختص بالهدّد ، بل يشمل جنود الطير كلها ، فلما لم ير الهدّد من بينها **﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْدَهُ ..﴾** ما يدل على ان سائر الطير كانت حاضرة لديه وهو يراها . بما فيها سائر الهدّاد المجندة . إلا أن تعني غيّب آخرون من **﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾** . ولكنه هنا يعني الهدّد الخاص ، المعين لنوبته في ذلك العرض .

وقد يلمح ذلك التفقد لدى اليقظة والدقة والحزم من سليمان في عرض جنوده ، حيث لا يتغافل عن جندي واحد من حشره الضخم الهائل من الجن والإنس والطير ، الذي يوزع جمعا لأولئك إلى آخره وأخره إلى أولئك كيلا يتفرق ويتแตก .

وليدرس قواد الجنود من سليمان درسهم في هذه المراقبة التامة والتفقد الشامل ، تحكيميا لعرى التجنيد ، دونما تغلب ولا تلقت .

**«فَقَالَ»** هنا قوله جاهزة أمام الجيوش ، ليعلم الجميع ويعرفوا غائبيهم ، فلو أسرّه أم أجمل شأن الغائب لكان سابقة سوء لكل الجند إذ لا يعرف المتخلّف بعينه ، **﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْدَهُ ..﴾** ونراه هنا لا يوجد التخلّف إلى «الهدّد» حين يتفقده فيفقيده ، أخذنا بالحائطة متهمًا نفسه : «**«مَالِي»**» كأنه حاضر وهو لا يراه لنقص في رؤيته ، ام حاجز عن مرئيه ، فلما تأكد من سلامته نظره ، انتقل إلى مرحلة ثانية **﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾** وقد تلمع **«كَانَ»** للغياب عن الحضور في حشر الجنود ، انه **﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾** عن الحشر ، لا انه غاب بعد الحضور ، وإلا لم يكن لـ **«كَانَ»** مكان .

كما قد يلمح جمع **«الغائبين»** ان هناك غيّب غير الهدّد ، أمن الجن أو

. الماء في الأرض كما يصر أحدكم الخيال من وراء الزجاجة .

الإنس أو الطير أم ومن المدهاد؟ لا ندري ، إلّا أن هناك «غائبين» وعلّ تخصيصه التحذير بخصوص هذا الجندي الغائب ، كان حاجة حاضرة إليه ، وقد تكون دلالته على موضع الماء كما يروى<sup>(١)</sup> ولأن الغائب عن حشر الجنود

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٣ في بصائر الدرجات بسند متصل عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال قلت له جعلت فداك أخرين عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ورث النبيين كلهم؟ قال لي : نعم ، قلت من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال : ما بعث الله نبيا إلا و Muhammad (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اعلم منه ، قال قلت : ان عيسى بن مریم كان يحيي الموتى بإذن الله؟ قال : صدقت . قلت : سليمان بن داود كان يفهم منطق الطير هل كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقدر على هذه المنازل؟ قال فقال : ان سليمان قال للهدهد حين تفقده وشك في أمره **﴿مَا لَيْ لَا أَرَى الْمُهَدَّدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾** فغضب عليه فقال : **﴿أَلَعْذِبَةَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَةَ أَوْ لَيَأْتِيَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾** وإنما غضب عليه لأنك كان يدلله على الماء ، فهذا وهو طير قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الربيع والنمل والجن والإنس والشياطين المردة له طائعين ولم يكن يعرف ما تحت الماء ، وان في كتاب الله لآيات ما يراد بها امر الآن إلى أن يأذن الله به مع ما يأذن الله مما كتبه للماضين جعله الله لنا في ام الكتاب ان الله يقول في كتابه **﴿مَا مِنْ غَائِبٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** ثم قال **﴿إِنَّمَا أُوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾** فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذي فيه كل شيء.

وفيه عن تفسير القرمي قال الصادق (عليه السلام) قال آصف بن برخيا وزير سليمان لسليمان (عليه السلام) أخرين عنك يا سليمان صرت تحب المدهد وهو أحسن الطير مني وأنتنه رحبا؟ قال : انه يصر الماء وراء الصفا الأصم ، فقال وكيف يصر الماء من وراء الصفا وإنما يوارى عنه الفخ بكف من تراب حتى يؤخذ بعنقه؟ فقال سليمان : قف باوقاف انه إذا جاء القدر حال دون البصر .. وفيه عن الجمجم وروى العياشي بالإسناد وقال قال ابو حنيفة لأبي عبد الله (عليه السلام) كيف تفقد سليمان المدهد من بين الطير؟ قال : لأن المدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك قال ابو عبد الله (عليه السلام) ما .

دون إذن يؤدب كيلا يكرر غيابه وينتهي الآخرون ف : ﴿لَا عَذَّبَنَا عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُجَّنَا﴾  
 مما يلمح ثانية أن الحاجة إليه كانت مدقعة حيوية لصالح الجنود ، وقد يعني شديد العذاب  
 نتف ريشه <sup>(١)</sup> ، وأشد منه ذبحه ، أو عذابه هو ما دون ذبحه في الشدة كأن يلقى بعد نتف  
 ريشه في الشمس بين النمل ويقرن بالأضداد .  
 ولكن سليمان لم يكن ملكا جبارا يحكم دون حجة ، ولما يسمع حجة المهدد الغائب  
 ، ولا حكم على الغائب ، فلذلك يidel تحديد العذاب والذبح ب ﴿أَوْ لَيُأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾  
 فما لم يأت بسلطان مبين فالحكم كما حكم لأنه عصى ..  
 وترى المهدد هو من المكلفين حتى يعصي أمرا فيه ديد بشديد العذاب؟ بصورة عامة  
 نعم! فيما يرجع إلى حيونة الشعور بالمحبور والمحظوظ : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطْبِرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ (٦ : ٣٨) ولا  
 يعني حشرهم يوم الحشر إلا جزاءهم بما عملوا فضلا وعدلا .  
 ثم بصورة خاصة حين يأمر النبي حيوانا أو ينهاه بأمر الله ، وهو يشعر

. يضحكك؟ قال : ظفرت بك جعلت فداك ، قال : وكيف ذلك؟ قال : الذي يرى الماء في بطん الأرض لا يرى  
 الفخ في التراب حتى يؤخذ بعنقه؟ قال ابو عبد الله (عليه السلام) يا نعمان اما علمت انه إذا انزل القدر أغشى  
 البصر؟

(١) ومن العذاب الشديد ايداعه القفص ، والتفرق بينه وبين إلفه ، وإلزامه صحبة الأضداد ، أو خدمتهم أو  
 خدمة الأقران .

وفي البحار ١٤ : ١١٢ عن تفسير القمي في سرد القصة وقال الصادق (عليه السلام) ... لاعذبني  
 عذابا شديدا : لأنتفن ريشه ..

مكانة النبوة ويعرف الله فهو . إذا . مكلف في ذلك الحقل ، مهما لم تشمله الشريعة الإلهية العامة للمكلفين .

فآية الأنعام في وجهة عامة ، وآية النمل هذه في وجهة خاصة برهان قاطع لا مرد له ان المهدد كسائر الجنود من الطير والجن والإنس كان من المكلفين في حقل التجنيد ، مهما اختصت الشريعة الإلهية بكل بالجن والانسان واضرائهم من ذوي العقول .  
وسلطان مبين من المهدد الذي يخلصه من شديد العذاب ، هو الحجة التي تبين عذره أن ﴿كانَ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ .

وفائدة أخرى من ذلك التهديد السماح في تأديب الحيوانات إذا عصت عارفة ولحد القتل ، إلّا ان تتبين حجة تعذرها فيما عصت ، وعدم السماح في إيذاءها دون تقصير ، قصورا أم بغير قصور ، فقد يعمل الحيوان خلاف رضاك وهو لا يعرف رضاك فكيف تعذبه بقصوره ، إلّا تنبئها لكيلا يكرر فعلته شرط أن ينتبه .

فحين تضرب حمارك العاصي في مشيته ، وقد عرّفته واجبه في مشيته ، فما أنت . إذا .  
بظالم ، إنما أنت مؤدب تأخذ حقك من تنفق عليه ، وأما إذا لم تنفق عليه واجب النفقة فله العصيان في واجب الخدمة ، أم إذا لم تعرّفه واجبه ، فلا ضرب هنا وهناك إذ لا تختلف تقصيرها عن واجب الخدمة ، وضربيتك هنا وهناك ضربة ظالمة تعاقب بها وقت المعاقبة .

فحذار حذار عن ظلم من لا يجد عليك ناصرا إلّا الله ، فإنه من اظلم الظلم وأنكاه ،  
أم كيف تظلم من سحره الله لك ، وذلك مس من كرامة الله ، فلتدرك حيوانا هو تحت إمرتك ، ولتنفق عليه ما يقيم أوده ، ويقوى به على واجبه ، ولتعف عنه ما وجدت إليه سبيلا ، ثم تأدبيه تقصيرها عن خدمة

ام تعد يا عليك.

عليك ان تراعي الحيوان كما الإنسان ، بل والحيوان أخرى برعايتك إذ لا يقدر . في الأكثـر . على الدفاع عن نفسه ، فلا تغتنم سلطـنك عليه أـن تعـدي عليه . وهـكـذا ندرس في مدرـسة الإـحرـام أـن ظـلـمـ الـحـيـوـانـ حـرـامـ أـيـاـ كـانـ ، إـلـاـ ماـ تـسـتـشـيـهـ شـرـعـةـ العـدـلـ وـقـضـيـةـ العـقـلـ .

**﴿فَمَكَثَ غَيْرُ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحْطَثُ إِمَا لَمْ تُحِظْ بِهِ وَجِئْنَكَ مِنْ سَيِّئًا بِنَيَّا يَقِينٌ﴾ ٢٢ .**

هل إنه «فمكث» سليمان ، فإنه ثبات مع انتظار ولم يكن إلا لسليمان ، والمدهدـهـ كانـ نـاظـراـ لـرـجـوعـ دونـ مـكـوـثـ ؟ أـمـ «فـمـكـثـ» المـهـدـهـ فيـ تـفـتـيـشـهـ عـنـ سـبـاـ وـهـوـ باـنـظـارـ الرـجـوعـ خـوـفاـ منـ سـلـيمـانـ انـ يـؤـنـبـهـ أوـ يـعـذـبـهـ ؟ وـالـعـنـيـانـ يـنـاسـبـانـ اـدـبـ الـلـفـظـ وـالـمـعـنـىـ ، فـهـمـاـ . إـذـاـ . مـعـنـيـانـ ، تـقـرـيـباـ لـلـأـوـلـ لـسـابـقـهـ سـلـيمـانـ مـوـضـوـعـاـ لـلـقـصـةـ ، وـلـثـانـيـ لـلـاحـقـهـ : **﴿فَقَالَ أَحْطَثُ ..﴾**

وـ **﴿غَيْرُ بَعِيدٍ﴾** هوـ فيـ زـمـنـ قـرـيبـ مـكـثـ سـلـيمـانـ وـالـمـهـدـهـ ، وـغـيرـ بـعـيدـ أـنـ تعـنيـ مـكـثـ المـهـدـهـ بـعـدـ رـجـوعـهـ **﴿غَيْرُ بَعِيدٍ﴾** عـنـ مـوـقـعـ سـلـيمـانـ ، إـذـ لـمـ يـكـنـ يـخـافـهـ لـغـيـابـهـ وـلـهـ حـجـتهـ وـهـوـ عـدـلـ لـاـ يـجـورـ ، وـقـدـ يـعـنـيـ بـعـدـيـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ ، وـفـيـ الثـانـيـ يـخـصـ مـكـثـ المـهـدـهـ وـالـأـوـلـ يـعـنـيهـمـاـ ، إـذـاـ فـقـدـ يـعـنـيـ مـنـ **﴿فَمَكَثَ غَيْرُ بَعِيدٍ﴾** مـثـلـتـ الـمـعـنـىـ وـهـوـ غـيرـ بـعـيدـ .

**﴿فَقَالَ أَحْطَثُ إِمَا لَمْ تُحِظْ بِهِ ..﴾** مـفـاجـأـةـ . بـداـيـةـ لـقـاءـ سـلـيمـانـ . تـطـغـيـ عـلـىـ مـوـضـعـ

غـيـابـهـ ، وـتـكـسـرـ مـنـ حـدـةـ الـغـضـبـ الـمـلـكـيـ بـغـيـابـهـ ، حـيـثـ يـرـفـعـ

عليه علما بما جهل وحيطة بما لم يحط به.

وكيف تحيط المهدد علما بما لم يحط به سليمان وهونبي معصوم؟ ذلك حيث العلم المحيط ككل مختص من يحيط بكل شيء ، ثم الحيطة بما لا صلة له لازمة للرسالة ليست لزام الرسول ، فللهم يعلمه مثل المهدد دون الرسول ، وقد يروى انه «سئل علي (عليه السلام) وهو على منبر الكوفة عن مسألة فقال : لا أدرى ، فقال السائل ليس مكانك هذا مكان من يقول : لا أدرى ، فقال (عليه السلام) : بل والله هذا مكان من يقول : لا أدرى ، واما من لا يقول ذلك فلا مكان له ، يعني به الله (١).

فقد كان المسئول عنه بين ما يختص علمه بالله ، ام لا صلة له بالرسالة والإمامية.

**﴿أَحَطْتُ .. وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَقِينٍ﴾** وقد سميت سورة من القرآن بسبيل ، حيث اختصت بهم آيات سبع منها ، طيا لدورهم الحائر وكورهم البائر في دركاثم السابع من نوازل البلاء بعد منازل الترح والخبلاء.

ونبأ سبيلا اليقين هو خبر ذو فائدة عظيمة رسالية لسليمان لتصل دعوته إلى هؤلاء الضالين الساجدين للشمس من دون الله.

وتراه كيف يصدق في دعوه . وبين الشام واليمن مسيرة شهر أو أكثر . يصدق أنه طار في مكثه غير بعيد مسيرة شهرين في سفرته المرجعة إلى اليمن ومنه إلى الشام؟ إنه حري به ان يتحمل صدقه كما **﴿قَالَ سَنَنْظُرُ ..﴾** حيث المجال مجال خوارق العادات ، فما قاله النملة الحكيمه العاقلة وتفهم سليمان بأقل عجبها من هذه السفرة الطائلة ، ولا تجند الطير له والجن بأقل خارقة منها.

---

(١) تفسير روح المعاني ١٩ : ١٨٨ .

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ . ٢٣

«تملكهم» هي الملوكيّة المطلقة العنوان وكأنّهم عبيدها ، وقد تعني «تملكهم» الملك والملك معا ، فإنّ عنى الملك أتى بلفظه الخاص «امرأة ملكة» فقد عنى الأمرين وذلك انحس استبداد واستعباد.

فالسلطة المالكة للشعب هي الاستبدادية كما تؤيدتها ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ مهما دلت ﴿أَفْتُوْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهُدُونَ﴾ على لون من الشورى الملكية ، إلا أن «في أمري» هي امر السلطة المتأرجفة بما هددتها سليمان ، فاضطررت إلى استفتائهم ، ولا تدل ﴿حَتَّى تَشْهُدُونَ﴾ بعد ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ إلا على أنها كانت تقطع أمورها برأيها على مشهدهم ومرآهم ، وعلّه دون شورهم وهوامر كما هو طبيعة الحال في الملكية ، وقد تعني «تشهدون» شهودهم لقطع أمرها كرئيسة للشورى ، ولكنها لها أمرها فيها إلا أن تقنع بعدم صلوحه لعقل الحكم ، كما في قصتها الحاضرة إذ لم تقبل آراءهم وخطّأهم فيما رأوا.

﴿وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هي بمناسبة «تملكهم» ليست إلا من كل الأشياء الملكية ، دون ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لداود وسليمان فانها بمناسبة الملكية الرسالية هي من لزامات السلطة الرسالية من خوارق العادات.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ما يدل على عظمها في سلطتها الملكية ، فهو عظيم في كونه ، عظيم في كيانه السلطوي على شعبها ، فما العرش إلا رمزا للسلطة الملكية ، وقد خص بالذكر بين الحزم الملكي وثراءه وسعته وجندوه المجندة ورعايته المطيعة المملوكة ، لأنّه يكفي اشارة نموذجية إليها كلها.

وملكة سباء واقعة جنوب الجزيرة باليمن ، وقد كانت في تلك الفترة

تملكها امرأة :

﴿وَجَدُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ . ٢٤

وتراهم حين ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إذا فهم قاصرون في ضلالهم حيث يخلّي الله بينهم وبين الشيطان ليزين سوء اعمالهم فيحسبونها حسنة ، فهم . إذا . مصدودون عن سبيل الله ولذلك لا يهتدون؟.

ولكن الشيطان لا يقدر على ذلك التزيين والصد إلا من يطيعه تخلفاً عن المدى ، وتحلباً إلى الردى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَغَ اللَّهُ قُلُومُهُمْ﴾ والشيطان يزيدهم ضلالاً على ضلالهم ثم الله لا يحول بينه وبينهم جزاء وفاقاً لما ضلوا وهم مبصرون ﴿وَمَنْ يَعْשُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّمَا لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٤٣ : ٣٦) ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ..﴾ (٤١ : ٤١).

ولقد كان المدهد يعرف الله والشيطان والشمس والملكة وقومها ، ونظر إلى جو المملكة فوجد ما وجد ، وأنبأ سليمان كما وجد ، مما يدل على عقلية بارعة مؤمنة للدهد ، وسليمان يسمعه دونما مهانة له ولا استشعار ، على صغاره وعظم نباءه وخارقة سفره ! مما ينبيه السلطات الملكية أن الإصغاء إلى النبي أدب بارع مهما كان صغيراً وكان نباً غريباً محيراً وبعيداً عن التصديق ، وهو في نفس الوقت متخلّف لغيابه دونما استثنان ! . وهنا بعد عرض النبي يلحق تلخيصاً رسالياً كأنه رسول أو مرسل من جانب الرسول :

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّةَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ . ٢٦

فإن كانت الشمس تخرج بعض الخبراء إشراقاً عليه من ظلمة ، فالله يخرج كل خباء في السماوات والأرض دون إبقاء ، والشمس أيضاً من خيئهما حيث أخرجها من دخان السماء وأشرقها !.

ومهما نختتم إن الآيتين هما من كلام الله دون نقل لكلام المهدد ، حيث السجدة واجبة عند سماعه أو استماعه أو قراءته ، ولكنها يناسب وكونه كلام المهدد ، لأنه على آية حال كلام الله ، نaculaً أم سواه ، وظاهر السياق أنه من كلام المهدد تفسيراً لشالوث الشيطانات : ﴿وَرَبِّنَ .. فَصَدَّهُمْ .. فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ وان كان أيضاً كلامه تعالى في ذلك المسرح ام هو الذي يفسر الشالوث بما فسر ، فالمحتملان . إذا . معنيان ، وأعجب بعظة المهدد في ذلك الموقف الحرج ، ما ينقلها الله في القرآن ويصدقها ، سبحانه الخالق العظيم ! و «ألا» هنا مشددة «أن لا» كعطف تفسير ل «أعمالهم» ف ﴿رَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ايجابية إذ ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وسلبه ﴿لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ..﴾ و «أن» هنا تفسيرية ف «لا يسجدوا» نهي عن السجود لله بعد الأمر بالسجود لغير الله ، معاكسة المضادة ل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فهما خطوتان رئيسitan من خطوات الشيطان في صده عن سبيل الله .

فكلمة التوحيد بادئة بالسلب وخاتمة بالإيجاب تأكيداً للإيجاب الذي هو خالص التوحيد .

وكلمة الإشراك بادئة بإيجاب العبادة لغير الله ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وخاتمة بالسلب ﴿لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ لا توحيداً ولا اشراكاً ، توحيداً في السجود لغير الله ! و «الخبراء» مصدر بمعنى المفعول مبالغة في معناه وهو الاستثار

الشديد ، إذا فهو المستور الأشد فلا تدركه الحواس الظاهرة ولا العقول الباطنة ، فما تدركه الحواس بآثاره قد يخرجه الإنسان في محاولات علمية ، وما تدركه العقول بآثاره قد تخرجه في محاولات عقلية ، واما «الخبء» المستور عن كل الإدراكات ، البعيد عنتناول العقل والعلم ، فالله هو الذي يخرجه في السماوات والأرض.

و «الخبء» هنا يعم كل خباء ، ١ . من المادة الأولية التي كانت خبأ في علم الله ٢ وقدرته ، فأخرجها إلى الوجود ، ٣ . ثم زيد الأرضين ودخان السماوات المخرجان من تفحرة المادة الأولية ، ٤ . ثم كل منهما من أصله الثاني : دخان السماء وزيد الأرض فكانت السماوات وكانت الأرضون ، ٥ . ثم اخرج خباء الماء من السماء وخباء النبات من الأرض بماء السماء ، ٦ . ثم كل خلق من شيء في كلّ منهما وفي تبدلات كيماوية وفيزيائية ، مادة إلى طاقة وطاقة إلى مادة أماهية و ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، ٧ . ثم الخواطر المخبوءة لكلّ عن كلّ فقد يخرجها الله تعالى بعباد مخلصين ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ، ٨ . ثم النباتات والعقائد والأقوال والأعمال المخبوءة يوم الدنيا بعد مضيها حيث يخرجها الله يوم الأخرى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخْضِرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ...﴾ ..

ولكن ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تختلف ظرفاً وسواه في هذه الشمانية ، ففي الأربع الأوائل ليست السماوات والأرض ظرفاً لإخراج الخبراء فإنما هما الخبراء فيما بينهما على اختلاف مراحلهما ، فمعنى إذا «يخرج الخبراء الكائن في السماوات والأرض» لا انه يخرجهم فيما بينهما . ثم في الخامس والسادس هما ظرفان لإخراج الخبراء حيث يخرج الله فيما كل خباء من خلق جديد شيئاً من شيء ، فيما ، وفي السابع ظرف لإخراج خاص لعباد الله المخصوص ، وفي الثامن هو الآخرة ، ف ﴿يُنْخُرُ﴾

**الْحُكْمُ** ﴿الكافن في السماوات والأرض﴾ يخرجه بعد انفطارهما ، في يوم الجزاء .

ومن الخبراء وأخباره وحي النبوة ، فإنه غيب عن سوى الله ، يخرجه عن غيب علمه في ألم الكتاب إلى غيوب القلوب الرسالية ملائكة وبشرية ، مراحل تسع من الخبراء الذي يختص إخراجه بالله دون سواه ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفِونَ﴾ من سر أو أخفى ﴿وَمَا تُغِنُّونَ﴾ فلا خبر لنا ولا غيب إلا وهو خارج عنده دون إخراج ، وإنما يخرج لنا الخبراء في السماوات والأرض . وذلك هو «الله» دون سواه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما هو ، وهو لا سواه ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ السلطة الشاملة على كل خبراء بإخراجه وإدراجه في مختلف مدارج الكون ، دون عرش ملكة سبياً وسوهاها من ملوك لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

هذا العرش الضئيل الذليل الذي يؤتى به قبل ارتداد طرف من مسافة شهر ، وتأتي صاحبتها إلى سليمان طائعة مستسلمة مسلمة ، فأين عرش من عرش ، وأين صاحبة عرش من صاحب عرش ، فلا تشابه بينهما إلا في الاسم ! .

هنا وبعد ما تم العرض من المذهب بسبب الغياب ، وإن الله أخرج خبراء سبياً لسليمان بما غاب جندي له عن حشره ، هنا لا يتسع في تصديقه لزهوة الاتساع في ملكه ، ولا تكذيبه لاستصغراه وانه ادعى حيطة له علمية أحوط من سليمان الملك النبي ، وإنما يأخذ في التفتیش عن نبأه تأكداً من صدقه أو كذبه :

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَادِينَ ٢٧ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَا ذَا يَرْجِعُونَ﴾ ٢٨ .

«سننظر» هنا هي نظرة الواقع انتظاراً ، كما هي النظر في الواقع فلا

تحصل إلا نظرة نفس الواقع ، دون نبأ آخر من شاهد آخر ، ثم الحمّل لذلك التحقيق هو المدهد نفسه ، قطعاً لعدره ، وحملًا عليه ما ادعاه من سفرته البعيدة لوقت قريب غريب ، دون سائر الأمانة : عفريت من الجن أمن عنده علم من الكتاب ، فأحسن بنظر في أمر يحمله صاحب الدعوى فيه !.

**﴿إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا﴾** الذي كتبته إليها وقومها **﴿فَالْقِهُ إِلَيْهِمْ﴾** بهاء السكت في كل القراءات دون كسر ، دون أعطه إياهم ، على كيلا يأخذوك فيذبحوك أو ياسروك ، وإنما **«القه»** وطبعاً من فوقهم حوا أو كوة ، ولكي يتبعها من الإلقاء نفسه انه امر خارق للعادة **﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾** إلى مكان بعيد عن أخذك ، غير بعيد عن نظرك **﴿مَا ذَا يَرْجِعُونَ﴾** **«فانظر»** إليهم نظر البصر والسمع **﴿مَا ذَا يَرْجِعُونَ﴾** القول بعضهم إلى بعض ، و **«يرجعون»** كلهم إلينا ، و **﴿مَا ذَا يَرْجِعُونَ﴾** ردة فعل بعضهم إلى بعض ثم إلينا ، ثم خبرنا بما **«يرجعون»**.

**﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةِ إِنِّي أُلْقَيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣٠ أَلَا تَغْلُبُوا عَلَيَّ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾** . ٣١

ذهب بكتابه المختوم غير المعلوم فألقاه إليهم ، وطبعاً إليها كأصل في خطابه كما النص **﴿إِنِّي أُلْقَيَ إِلَيَّ﴾** دون «إنّا» مهما كان خطاب الكتاب إلى الكل ، وقد تلمح **«القي»** المجهول أنها لم تعلم من ألقاه وكيف ألقاه مهما عرفت متاه ، فلو كانت عارفة لأعلنت هذه العجيبة المنقطعة النظير ، عجبًا على عجب الإلقاء ، بعجب **﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾** ولتحرّز الملاك أكثر ما حرضتهم على إفشاءهم في أمرها.

«قالت» بعد ما قرأت الكتاب ، وهو طبعاً كان بلغتها لكي تفهمه **﴿يَا**

**أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ** وهم ملائكة الحاشية المساعدة للسياسة في المملكة **إِنَّ الْقِيَامَ إِلَيْكُمْ** إذ تلقته بإلقاء دون إيتاء ، فهو تلق خلاف المتعدد من لقيا الكتاب ولكنه **كِتَابٌ كَرِيمٌ** وطبعا من كريم ، فكتاب الكريم إلى أي كان ، وكتاب اللثيم لشيم إلى أي كان ، وليدرس الدعاة إلى الله كيف عليهم ان يكتبوا كتابا باتهم الدعائية الى اضدادهم ، فضلا عن اعضادهم ، وكما نرى كتابات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الملوك والشيوخ وسائر الزعماء ، كيف تحوي كرامات وكرامات ، وقد أثرت في الأكثريّة الساحقة منهم حسنا.

لقد كانت لغة الكتاب الكريم وصيغته تحمل كل حزم وجذم ، ابتداء ببسم الله وانتهاء إلى الإسلام الله ، ولم يكن ليخفى صيت سليمان وصوته عن الملكة ولئها ، وعلى أية حال فقد حق كرم الكتاب رغم دعوته المرة عندها ، لحد تصريح ملائكة رغم ملكتها البارزة أمامهم ، انه **كِتَابٌ كَرِيمٌ**.

**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ** مجردًا عن كل مواصفة وتعريفة به ، إذ كان معروفا لديها وسائر الملوك «وانه» فالتأكيد الأول يؤكّد كونه من سليمان ، والثاني مضمونه في عرضها لمنته الكامل ، وقد تلمح «إنه» هنا وهناك انهما تعليلان لبيان كرم الكتاب ، فكونه من سليمان من كرمه ، وافتتاحه ببسم الله الرحمن الرحيم ، من أكرمته ، حيث المشركون كانوا يعتقدون في الله انه رب الأرباب ، فلا يتأنفون . بطبيعة الحال . عن ذكر اسمه ، بل ويؤصلونه في عبادتهم لأصنامهم : **هُؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** . **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفِي** ! ف **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** افتتاحية بارعة ترعبها ، وهي أفضل آية في الوحي كله ، وعلّها تختص رسالة القراءة ، ومن قبل

لسليمان (عليه السلام) ، وكونها في النمل دليل قاطع لا مرد له إنما آية من كتاب الله خلاف ما يزعمه البعض من إخواننا السنة إذ لا يبتدعون بها في الفاتحة أم سواها من السور.

فكيف يصح كونها آية في النمل وليس آية في سواها وليس هي إلا هيه؟! وهنا ندرس الأدب في مفتاح كل كتاب مهما كان إلى المشركين ، وليعلموا شرعة الكاتب وعقيدته.

ثم ﴿أَلَا تَعْلُو عَلَيَّ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾ هو كل محتوى الكتاب ، مسنودا إلى البسمة ، ف ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلُو عَلَيَّ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾ لا بسمي وبسمة الملك والقوة ، وإنما بسم الله ، فالعلو على كرسول علو على الله ، وإتيان مسلمين إتيان في الإسلام لله ، فقد فسر متون الكتاب فرعا من فروع ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ و ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ف ﴿أَلَا تَعْلُو عَلَيَّ﴾ هي «لا إله» ﴿وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ فقد كان الكتاب «بسم الله . و . لا إله إلا الله» !

ثم ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ ..﴾ كمتن الكتاب ، قد تلمح أن سليمان كتب اسمه آخر الكتاب وكما هو قضية الحال في أدب الكتاب الحاوي اسم الله ألا يقدم عليه اسم لسواه . وهذا ﴿أَلَا تَعْلُو عَلَيَّ﴾ دون ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ تفسر ﴿وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾ ان ليس هو . فقط . الإسلام لله ، بل هو بالفعل إسلام لسليمان ، مهما كانت النتيجة الإسلام لله ، فكما قالت ﴿أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقد تعني ﴿أَلَا تَعْلُو عَلَيَّ﴾ كرسول ، علو على رسالة الله ، إذا ﴿وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾ الله ، ولكنه قد يكون تكليفا بالإسلام قبل وصول الحجة ، فليأتوا

مسلمين له حتى يجدوا مجالا لإسلامهم لله.

**﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ﴾ . ٣٢**

بطبيعة الحال هؤلاء كانوا ملأ الفتيا السياسية في البلاط ، لا كل الملأ العائشين تحت إمرها ، والفتوى من الفتى : الطري من الشباب ، فهي النظرية الفتية فيما يطرح من هامة المسائل التي هي محطة السؤال والقيل والقال ، فـ«افتوني» تعني ابدوا لي بالرأي الفتى الناضج «في أمري» الإمر بأشد المآذق السياسية الملكية ، حيث حار دونها لها ، فليشر عليها المشاركون معها في صالح الملك ، لا سيما واني لا أخبار عنكم امرا أقطعه في سياسة البلاد ، وقد ابتليت بأمر هو المحور الأصيل فيها **﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ﴾** كسرا : حتى تشهدونني كيف أقطعه ، استتصوابا له بشهادكم ، وقطع الأمر هو الرجوع بعد إجالة الآراء ومخض الأقوال إلى رأي واحد يصح العزم على فعله ، والعمل عليه دون غيره ، تشبيها بالإسداء والإلحام في الثوب النسيج ، ثم القطع له بعد الفراغ منه ، فكأنها أجالت الرأي عند ورود ما ورد عليها من دعاء سليمان لها إلى الإيمان به والاتباع له فميلت بين الاجابة والامتناع والملائنة والمخاشنة ، فلما قوي في نفسها أمر الملاطفة عزمت على أمرها ، وذلك هو قطع الأمر.

وحيث الكتاب الملقي إليها بضمونه زلزل كيانها وكسر من سورها فهي لا تضرر حربا ضد سليمان ، وإن فلما ذا المشورة ، إلا ان رجال الحاشية حسب عادتهم أبدوا قوة واستعدادا للحرب ، وخضوعا لأمرها على أية حال :

**﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرْ إِلَيْ مَا ذَا تَأْمُرِينَ﴾ . ٣٣**

«نحن» بكمال استعدادنا للحرب ﴿أُولُوا قُوَّةٍ﴾ عدّة وعدّة ، لا فحسب بل و  
 ﴿أُولُوا بِإِيْسٍ شَدِيدٍ﴾ تقدّمها لكافة قواتنا واستعداداتنا للذب عن العدو ، وعلى أية حال  
 «والامر» الملكي امراً او نهياً في كل مأزق «إليك» وليس إلينا ، مما يؤكد أن السلطة كانت  
 فردية استبدادية ، مهما تشاورت الملكة في هذا الأمر الخاص ، ولكنهم عطفوه إلى أمرها  
 المتداول على سائل الأحوال «فانظري» أنت في نفسك ﴿مَا ذَا تَأْمُرِينَ﴾ ولكنها في موازنة  
 القوة بين الجانبيين مالت إلى سلاح الحيلة والملاينة ، قبل سلاح المخاشنة ، وبطبيعة الحال  
 حين تنحل المشكلة بملاينة لا تصلح المخاشنة ، فتمهيداً للمصالحة تنذرهم بإفساد الملوك  
 المتغلبين في الحروب حين تلمّح ميل رجال الحاشية إلى الحرب فريفت هواهم وسفهت رأيهم  
 في شوراهم ، وأبانت لهم ان الصلح خير وإن أحضرت الأنفس الشح ، وأن الأجر بذوي  
 العقول الصائبة البداية والتي هي أحوط وأحسن ف :  
 ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَّهُ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

. ٣٤

هذه شيمة الملوك وطبيعتهم قضية زهوة الملك والتتوسع فيه ، فإذا دخلوا قرية أفسدوها  
 عن بكرتها ، إباحة لذمارها وانتهاكاً لحرماتها ، وتحطيمها للقوات المدافعة عنها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ  
 أَهْلِهَا﴾ الحافظين لمكتها «اذلة» تذليلاً لعناصر المقاومة فيها «وكذلك» البعيد عن  
 الكرامة «يفعلون» بطبيعة أحواهم .  
 وما يطفئ نائرهم ، ويسكن ثائرهم وفائرهم إعلان الحب وإعلام الود بذرية  
 «هدية» .

﴿وَإِنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ بِكِيدِيَّةٍ فَنَاطِرٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ . ٣٥

ولماذا «بهدية» ومرسلة متعدية بنفسها؟ لأن مفعولها محنوف هو المرسلون بها ، ولماذا «إليهم» دون «إليه»؟ علّه حفاظا على سؤددها وجيروتها ، كأنها لا تحسب هنا حساب الشخص ، أم أنها تحسبي مثلها مشاورا ملأه في أمره كما شاورت ملأها في أمرها ، أم لأن الهدية تهدى من ثورة الحاشية فيهدى الملك ..

هدية هي في الحق تحرية ، فان قبلت فما أمرهم إلا الدنيا وبالإمكان ان تعالج المشكلة بها ، حيث وسائل الدنيا تجدي في حل مشاكلها ، وان لم تقبل فهو . إذا . أمر العقيدة ، فلتتبعها إن صحت بحججها ، فلما إذا المحاربة المفسدة المنذرة (١) .

إنها ترسل هديتها برسلها زعما منها ان سليمان ملك كسائر الملوك الذين لا يريدون بالقتال إلا فتح البلاد وغنم الأموال وأسر العباد ، فعملت وفق ما زعمت وأرسلت إلى سليمان ما أرسلت.

هنا يسدل الستار على واقع تصميمها في ذلك المشهد المتضارب الآراء ، وإلى مشهد الهدية الواصلة الى سليمان :

**﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَئْتُونِي مِنْهُ مَا أَتَيْتِيَ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُكُمْ بِلَأَنَّمُّ بِهِكُلُّ دِينٍ كُنْتُمْ تَكُونُونَ﴾**

**تَفْرَحُونَ** . ٣٦

---

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٩ عن تفسير القمي في القصة : ثم قالت : ان كان نبيا من عند الله كما يدعى فلا طاقة لنا به فان الله عز وجل لا يغلب ولكن سأبعث اليه بهدية فان كان ملكا يميل إلى الدنيا قبلها وعلمت انه لا يقدر علينا فيعث حقة فيها جوهرة عظيمة وقالت للرسول قل له يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار فأتاها الرسول بذلك فأمر سليمان ببعض جنوده من الديدان فأخذ خيطا في فمه ثم ثقبها وأخذ الخيط من الجانب الآخر ..

﴿فَلَمَّا جاءَ الرَّسُولُ بِالْهُدَىٰ مَهْمَا كَانَ مَعَهُ غَيْرُهُ ﴾سُلَيْمَانَ قَالَ : «أَتَنْدُونِي» : تجذبوني امدادا «مال» ضئيل قليل وكل متاع الدنيا قليل ، أو تمهلونني لكي أمهلكم ، أو أهلكم في دعوتي «مال» أو توجلونني تأخيرا عن دعوتي «مال» إمدادا ضد الدعوة الرسالية «مال»؟.

وهو بطبيعة الحال أقبل عليهم قبل إبراز المال بوجه طلق يرحب بقدومهم ويتهلل للقائهم كما هو دأب الداعية الربانية بالنسبة لكل وارد أو شارد ، ثم استشفّ غرضهم من وفودهم وتعرف رأيهم ، فتقدموا بما حملوه من مال يبتغون بها رضى وقبولا من النبي الكريم . و «الهدية على ثلاثة أوجه هدية مكافأة وهدية مصانعة وهدية الله عز وجل»<sup>(١)</sup>. ولو كانت الهدية هدية التحية كان يقبلها ، كيف لا وقد قبل فخذ جرادة من غلة؟ ولكنها كانت هدية المصانعة والتعميمية عن الدعوة ، رشاء لعينا بديلا عن تصميم الداعية ، فاستذكر موقفهم استهزاء بالمال ، وانما هدية مضلة في مجال التعويض عن عامة الدعوة الربانية ، أنقدمون هذا الرخيص التافه البخيس وعندي خير منه ﴿فَمَا آتَيْنَا اللَّهُ كَرْسِوْلَ مَلَكَ خَيْرًا مَا آتَكُمْ﴾ على الإطلاق ، وحتى في كل المثال ، فضلا عن خير الحال والكمال ، فما عاد شيء من عرض الأرض التافه يسرني ، فكيف يرضى مثلي ان يمدّ بمال يصانع به دعوة ربه ، ولا يلهبني عن دعوتي ملء الأرض ذهبا ، ولا حيطةها ملكا.

﴿بَلْ أَنْتُمْ هُكْدِيَّتُكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ في مقاييس الملك بقططاس الزهوات والشهوات والمعطيات المادية ، وانا لست من يصانع الملكرة بمالها أو جمالها ،

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٦ في كتاب الخصال عن أبي عبد الله (عليه السلام).

اللهم إلّا بآيامكما وكما لها ﴿بَلْ أَنْتُمْ هُدِيَّتُكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ونحن بقضيتنا فارحون ، واين هدية ملكية من قضية رسالية؟.

أنت تخشون بهذه القيم التي لا قيمة لها عندنا؟ ولا نحسبها في حساب ، إلّا ما يرضي ربنا!.

هنا «أتاني» بين لا ريب فيه لسليمان فانه ككل عطية ربانية ، فكيف تقابله «ما أتاكم» وليس السلطة الجباره الملكية مما آتاه الله؟.

**الجواب** ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ شَاءَ ...﴾ فكل المحاولات للحصول على الملك فاشلة إلّا ان يشاء الله ، ولكنها مشية المخنة والعداب للملك الجابر : ﴿أَيَحْسَسُونَ أَنَّا نُمْدُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٣ : ٥٦) فالمملك الحق يحمل المشية التشريعية الربانية الى التكوينية ، والباطل بحمل الثانية وتخيرا دون تسخير ، ألا يحرز . أحيانا . بين طالب الملك وطلبه ، مهما حجزه تشريعا . وكيف يخاطبهم وهم رسول الملكة ﴿أَمْلَدُونَ .. مِمَّا آتَاكُمْ﴾ ولم يكن الإمداد إلّا من الملكة ، ولا إيتاء الملك إلّا لها؟.

«أتمدونني» تعنيها بخاشيتها الملكية ورسلها الأعضاد ، حيث الهدية كانت بهم أجمع مهما كانت هي الأصل ، ثم في تعبير الجمع تصغير لشأنها ، قصدا الى دمجها في ملئها إذ لا يرى لها شأنًا تليق به ان تذكر باسمها او رسمنها وكما قالتها هي ﴿إِنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ ..﴾ إذ دمجت سليمان في ملأه ، وهكذا يعني من «ما أتاكم» حيث العطية الملكية تشملهم مهما كانت هي الأصل ، فهم بآجعهم يحملون أوزار الملك بأوضاره .

﴿أرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِيُخْرُجُونِ لَا قِبْلَ لَهُمْ إِلَّا وَلَئِنْخِرَجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذْلَلَهُ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

«ارجع» خطاباً للرسول الأصل ، وكما قال من قبل ﴿فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ بِالْهُدَىٰ﴾ الرسول بالهدية «إليهم» الملائكة بملئها ، وطبعاً رجعوا بالهدية إذ لم يقبلها ﴿فَلَنَا تَبَيَّنُهُمْ بِخُنُودٍ لَا قَبْلَهُمْ بِهَا﴾ : لا طاقة لهم في قبالتها ومقابلتها في عدة أو عدة أو قوة <sup>(١)</sup> تحديداً شديداً لهم ، حيث الهدية كانت ناطقة بأنهم غير آتية مسلمين ، وقد تطلب منهم في كتابه : ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّا أَنْتُمْ صَاغِرُونَ﴾ . ﴿وَلَنَخْرُجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةٌ﴾ بعد ما كانوا أعزّة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ، فقد يخرج المحارب من بلده ذليلاً غير صابر ، بل هو مكبّر تذله القوة ، ولكنهم ﴿أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حيث يلمسون الذل والصغار بكل كيانهم أمام جنود الله. ولأن سليمان تلمح من حالة الملائكة وقالتها وهييتها أنها لا تريد العداء ، بل ويدفعها ذلك التهديد الحديد أن تأتيه بملئها مستسلمين ، لذلك يعد لها عدّة لإتيانها إياها صاغرة مستسلمة ، فحاول في إحضار عرشها قبل حضورها لتفاجأ برؤيتها فتدفعها إلى إسلامها بعد استسلامها ، حيث إن في هكذا مفاجأة لرؤيتها عرشها حجة بارعة رباتية <sup>(٢)</sup> بعد حجة الكتاب الملقي إليها.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ . ٣٨

وهنا «المالء» بطبيعة الحال هم المالء القيادي سياسياً وروحيًا ، لأنهم من أعضاد الملك الرسالي ، فهم النخبة المنتخبة من كل الإنس والجن الذين

(١) البخاري ١٤ : ١١٢ و قال الصادق (عليه السلام) ... ﴿لَا قَبْلَهُمْ بِهَا﴾ يقول : «لا طاقة لهم بها».

(٢) نور الثقلين ٤ : ٨٧ عن جامع الجامع يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان فجعل عرشها في آخر سبعة أبواب ووكلت به حرساً يحفظونه فأراد سليمان أن يريها بعض .

هم في حيطة الرسالية الملكية ، وليعرف بالتبخة بينهم اقترح عليهم ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ فتقدمن في ذلك السباق ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فتبين انه الشخصية الثانية بعد سليمان (عليه السلام).

وتراه متى «قال ...» أدون فصل عن رجوع المرسلين ولما يصلوا؟ وصيغته الفاصلة «وقال ..» عطفا على «ارجع» ثم و ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾ تلمح لما قبل وصولهم لا قبل شروعهم في سفرهم ، فهنا اقتراح للإتيان بعرشها عنده قبل إتيانهم إياه ، وليس خارقة العادة في الإتيان بعرشها إلا أن يكون بعد خروجها ثم وصوله قبل وصولها ، وحرك العرش . بطبيعة الحال . أبطأ من حراكم ، فليصل بعدهم ، فوصوله قبلهم حجة إلهية ، إضافة إلى أنه لم يكن له التصرف في عرشها بعد ان يأتيه مسلمين ، ثم وأراد أن يختبر عقلها ﴿نَظُرٌ أَهْتَدِي﴾ ولا يجوز تكبير عرشها بعد إسلامها ، ولا تستفيد منه حجة إذا أتي به بعدها! كما وأراد ألا يبقى لقلبها تعلق بما وراءها حين تأتيه مسلمة وقد كانت تحب عرشها هائمة فيه! ولكن يبقى مجال القول في ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ إنه قبل رحيلهم حالة إسلامهم ، كما تؤيده قولها بعد ما رأت عرشها ﴿وَأَوْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وليركز سليمان أحلامها أمر أن ينكرروا عرشها اختبارا لفراستها ومدى إسلامها.

وهل عجز سليمان نفسه عن أن يأتي بعرشها قبل قيامه من مقامه أم قبل أن يرتد إليه طرفه ، فتطلب إلى ملاه ﴿يُكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾؟ طبعا لا ، فإنه كان إمامهم وأقوى منهم كلهم في كلاما لهم ومنهم ، ثم «لَمْ يَعْجِزْ سليمان عَنْ مَعْرِفَةِ آصْفَ لَكَنْهُ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفْ أَمْتَهُ مِنَ الْإِنْسَ وَالْجِنْ أَنَّهُ الْحَجَةُ مِنْ بَعْدِهِ وَذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ

---

. ما يخصه الله به من المعجزات الشاهدة النبوية.

سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لثلا يختلف في إمامته ودلاته كما فهم سليمان في حياة داود ليتعرف إمامته ونبيته من بعده لتأكيد الحاجة على الخلق»<sup>(١)</sup>

فقد امتاز من بين الملائكة من الجن بين الجن ، والذى عنده علم من الكتاب بين الأنس ، ولعلم من هو أخرى بخلافته بين الجن وبين الإنس ، فامتاز آصف بن برخيا وزير سليمان ، انه هو خليفة بين الملائكة.

**﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيَكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾**

.٣٩

يقال : عفريت من الجن هو المارد الخبيث! وكيف مارد؟ وهو أول المستجيبين لسليمان في مهمة إلقاء الحجة الرسالية! وكيف خبيث؟ وهو ﴿عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾؟! وقضية القرآن البيان ان يرد على دعواه في قوته وأمنه لو كان خبيثاً مارداً! والمارد الخبيث من الجن يعبر عنه بالشيطان كما ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَعْوَصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) البحار ١٤ : ١٢٧ روى العياشي في تفسيره بالإسناد قال التقي موسى بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام ويجي بن أكثم فسألة عن مسائل قال : فدخلت على أخي علي بن محمد عليهما السلام بعد ان دار بيبي وبيبه من المعاوظ حتى انتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك أن يحيى بن أكثم سألني عن مسائل افتية فيها فضحك فقال فهل أفتية؟ قلت : لا قال : ولم؟ قلت : لم اعرفها قال : وما هي؟ قلت : قال اخرين عن سليمان أكان يحتاجا إلى علم آصف بن برخيا؟ ثم ذكر المسائل الأخرى قال : اكتب يا أخي : باسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه ﴿قَالَ الَّذِي عِنْهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان ..

(٢) البحار ١٤ : ١١٠ عن تفسير القرمي في تفصيل القصة .. فلما اخبر الله سليمان بإقبالها نحوه قال للجن والشياطين «أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتيوني مسلمين . قال .

ثم «عفريت» لغويًا من عفره في التراب : مرّغه ودّسه فيه ، إشارة إلى قوته ، كما التعفير هو المس بالتراب ، ومن معانٍ العفريت النافذ في الأمر مع دهاء ، وقد يكون تفسيره بالخبث المنكر تفسيريا لا لغويًا ، دون سناد إلى آية حجة إلا تناقله بين المفسرين!. وكما الذي عنده علم من الكتاب كان أفضل من سواه بين الإنس ، فليكن عفريت من الجن أفضل من سواه بين الجن ، وعلمه من مرسليهم ، وكيف يؤتى المارد الخبيث من الجن تلك القوة الخارقة ولا يؤتها المؤمن التقى منهم وبينهم رسول الجن؟.

و **﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾** قد تعني قيامه عن شغله المرسوم في سلطته ، وهو يناسب نصف النهار وإلى ساعة ودقيقة واقل منها ، إذ لم يعلم متى . هي . قالة عفريت. أم قيامه من مقامه تحديد زمني قدر ما يعرف من الزمان ب مجرد القيام عن الجلوس؟ كلّ محتمل ، وعلى الثاني اضبط وأفضل ، حيث الأول لنا غير محدّد ، فلا يناسب كتاب البيان ، ولكن العبارة الصالحة عنه «قبل قيامك» لا **﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾**! وقد تكفي في ذلك المجال معرفة الحاضرين عنده بمدى قيامه من مقامه ، ولنا اجماله ، وكما في **﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ﴾** إذا فال الأول أولى ، وأبعد تقدير لذلك القيام وهو نصف نهار ، يكفي خارقة للعادة في الإتيان بعرشها فيه من مسيرة شهر للسفر العاديين فضلا عن عرشها ، ثم القادر على أن يأتي به في ساعة أم سويعات من مسيرة

عفريت (من عفاريت الجن) **﴿أَنَا آتِيكَ ..﴾** أقول لو كان العفريت شيطانا ماردا لما تحول عن الشيطان إلى **﴿عَفْرِيْتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾**. وفي الدر المنشور ٥ : ١٠٨ . أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح في قوله : قال عفريت من الجن ، قال : عظيم كأنه جبل .

شهر ، قادر على الإتيان به في ثوان.

**﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكُفُّرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّيْ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ . ٤٠**

أتري من ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هنا؟ وما هو الكتاب؟ وما هو علمه؟ وكيف أتى بعشرها قبل أن يرتد اليه طرفه وهو بحاجة إلى سرعة هائلة ودون موانع في الطريق لا تنساب وجسم العرش بشقله؟

هل ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو من الجن ، عفريت أقوى من الأول؟ وتعبيره الصالح «عفريت آخر»! ثم تقابله لعفريت من الجن يحكم أنه من الإنس! وكيف يحرم مؤمنوا الإنس عما يقدر عليه عفاريت الجن ، والإنس أفضل من الجن. ككل . ولا سيما في المجال الرسالي أصالة ووصاية ..

أم هو سليمان نفسه مخاطبا عفريت الجن ، حيث «الذي» للإشارة إلى شخص معين معلوم ولا معلوم هنا إلا سليمان نفسه وقد مضى دور العفريت ولا ثالث هنا معروفا في السياق ، وان القدسية الخاصة المتميزة لسليمان تقتضي ان تكون الخارقة بيده لا سواه؟.

لكنه لا يلائم السياق الفاصل الواضح ، حيث ان سليمان هو المتطلب لإحضار العرش عنده ، فكما ﴿أَنَا آتِيَكَ﴾ لعفريت الجن تعني إتيانه إلى سليمان ، كذلك ﴿أَنَا آتِيَكَ﴾ للذى عنده علم من الكتاب ليس يعني إلا سليمان ، كما «مقامك» و «رأه» و «عنته» و «قال ...» كلها تعنى سليمان المحضر عنده العرش ! وحين يأتيه بعشرها أحد من حواشيه ، لم يكن

هذا ليدل على أنه أقوى منه وأحري<sup>(١)</sup> بل إنما يدل على أن الآتي به بأمره يصلح أن ينوبه حياً وميتاً! ثم «الذى» بوصفها تعرّف مكانة الآتي به مسنوداً إلى لياقته ولباقة ، ومكانة سليمان عرفت من ذي قبل بأكثر من ذلك!

أم هو «حضر» (عليه السلام)? قد يجوز في نفسه ولكنه لا دليل عليه يتبع ، مهما كانت لحضر مكانته العالية ، ثم لا رجاحة له على من سواه في ذلك المسرح مهما كان أرجح منهم في سواه ، حيث النص : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُلُوْكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ ولم يكن حضر من ملئه وحواشيه وأعضاده الملكية.

إنه آصف بن برخيا وزير سليمان ووصيه وخليفته كما في متظاهر الأحاديث . ومنها ما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ذاك وصي أخي سليمان بن داود<sup>(٢)</sup>.

وأما الكتاب! فهل هو كتاب التشريع؟ وكثير هؤلاء الذين يعلمونه تماماً وفوق **﴿عِلْمٌ**

**من الكتاب** ﴿اللامحة إلى بعض العلم ، ولا يقدرون على

(١) قد مضى روایة العیاشی عن علی بن محمد المادی علیہما السلام وفيه : وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لعله مختلف في إمامته ودلالة ..

(٢) نور الثقلین ٤ : ٨٨ في روضة الاعظین للمفید قال ابو سعید الخدیری سألت رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) عن قول الله جل ثناءه **﴿قَالَ الَّذِي عَنْهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾** قال ذاك ..

ومثله ما عن بصائر الدرجات عن جابر عن الباقر (عليه السلام) وعن عمر الحلال عن أبي عبد الله (عليه السلام) وعن عيون الأخبار عن عمر بن واقد عن موسى بن جعفر علیہما السلام ، وعن الكافي عن أبي الحسن صاحب العسكر علي المادی (عليه السلام).

ذلك ولا ما دونه من خارقة ربانية! وليس الإتيان به من الواقعات الشرعية المكلف بها مدراء الشريعة حتى يكفيهم علمهم بها لتحقيقها!

أم هو كتاب التكوين - المعبر عنه في أحاديثنا بالاسم الأعظم وله ثلاثة وسبعون حرفا ، وقد أُوتى الذي عنده علم من الكتاب حرفا منه وأُوتى الرسول محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأهل بيته المعصومين ذلك الاسم إلا حرفا واحدا؟

والتكوين والتشريع هما من مختصات الربوبية علما وقدرة ، ولن泥土 الآيات الرسالية مما يعلمهها أو يقدر عليها الرسل ، والرسول محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو أول العابدين وأفضل العارفين لم يكن عنده هذه الآيات محولة : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةً لَيُؤْمِنُنَّ إِلَيْهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَكَمَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦ : ١٠٩).

فإنما الرسل مجاري لتحقق الآيات الرسالية بإذن الله على أيديهم ، لتدل على اختصاصهم بالله ورسالتهم من الله ، فقد خاف موسى من حية تسعى محولة عن عصى ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ فلو كانت آية بعلمه وقدرته لما خافها.

وفي عيسى ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ وهو القدرة الإلهية بعلم هما المصدر لآياته وسائر أفعاله الخاصة به.

وما علم آصف بن برخيا بحسب علم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالكتاب إلا كقطرة من يم<sup>(١)</sup> فهل هو بعد كان عنده علم من كتاب

(١) تفسير البرهان ٣ : ٢٠٤ عن الكافي عن ابراهيم بن هاشم عن سليمان عن سدير قال : كنت أنا وأبو بصير وميسير ويحيى البزار وداود الرقي في مجلس أبي عبد الله (عليه السلام) إذ خرج إلينا وهو مغضب فلما أخذ مجلسه قال عجبا لقوم يزعمون أنا نعلم .

تكوين لم يكن عند محمد؟!

قد يعني «الكتاب» هنا كتاب المعرفة الربانية ، فكلما كانت معرفة الله أكمل فآيات الله الجارية بإذنه على ايدي العارفين به أكثر وأكمل.

تعلم الكتاب كله يختص بالله ، إذ لا يعرف الله حق المعرفة إلا هو ، ثم المعرفة القمة الممكنة لمن سوى الله هي التي كانت لـ محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأهله المعصومين ، وهي تنقص حرفًا واحدًا من كتاب المعرفة الكاملة ، وهو حرف الذات القدسية ، ثم الاثنان والسبعين حرفًا باقية<sup>(١)</sup> من

. الغيب ما يعلم الغيب إلا الله لقد همت بضرب خادمي فلانة فذهبت عني بما عرفتها في أي البيوت هي من الدار فلما ان قام من مجلسه وصار إلى منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلنا له جعلت فداك وسعنوك تقول في امر خادمك ونحن نعلم انك تعلم علماً كثيراً لا يناسب إلى علم الغيب؟ فقال : يا سدير ما تقرأ القرآن؟ قلت : قد قرأناه جعلنا الله فداك فقال هل وجدت فيما قرأت من كتاب الله **﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَأَنَّكَ طَرْفَكَ﴾** قلت جعلت فداك قد قرأته قال فهو عرفت الرجل وعرفت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال قلت فأخبرني حتى أعلم ، قال : قدر قطرة من المطر الحسود في البحر الأخضر ما يكون ذلك من علم الكتاب ، قلت : جعلت فداك ما أقل هذا؟ قال يا سدير ما أكثره لمن لم ينسبة إلى العلم الذي أخبرك به يا سدير فهو وجدت فيما قرأت من كتاب الله **﴿فَلَمَّا كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَ يَدَيْ وَبَيْنَ كُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾** والله عندنا ثلاثة.

(١) المصدر بصائر الدرجات محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن محمد بن الفضيل عن ضريس الوابشى عن جابر عن أبي جعفر عليهما السلام قال قلت : جعلت فداك قول العالم **﴿أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَأَنَّكَ طَرْفَكَ﴾** فقال : يا جابر إن الله جعل اسمه الأعظم ثلاثة وسبعين حرفًا فكان عند العالم منها حرف فأخسفت الأرض ما بينه وبين السرير التفت القطعتان وحول من هذه على هذه وعندينا اسم الله الأعظم اثنان وسبعين حرفًا وحرف في علم الغيب.

أقول : وبهذا المعنى استفاضت الأحاديث عنهم عليهم السلام.

ذلك الكتاب تعني معرفة الله القمة لهم عليهم السلام إلّا معرفة الذات ، فهم مهما حرموا من حق معرفته الخاصة به «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادك» ولكنهم زوّدوا المعرفة الحقة الممكنة في حقهم ، فهم يعرفون الله بكل حروف المعرفة وجوانبها إلّا حرف الذات وجانبها .

والحرف الواحد من هذا الاسم الأعظم المختص بالله ، هو جانب الذات وصفات الذات وحقيقة الصفات الفعلية ، وسائر الحروف وهي سائر الجوانب المعرفية ، مقسمة بين المخلصين من عباد الله ، وكلما ازدادت هذه الحروف المعرفية ، زاد الله صاحبها حملاً لشرعه ، ومظهراً لآيات علمه وقدره : «عبدِي اطْعَمْنِي حَتَّى أَجْعَلَكَ مثْلِي إِنَّمَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كَنْ فِيهِ كُنْ ، وَأَجْعَلُكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كَنْ فِيهِ كُنْ» التكوينية من رب ، عنها في المربيين ، فانها فيهم بأمر الله دون توكييل ولا تحويل ، فـ ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ دون سواه ، فـ ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ المعنى في الاسم الأعظم ، يأتي به قبل ان يرتد إليه طرفة ، فأوتي من فوق سليمان وأصفه ما فوقهما من الخوارق وكما يروى عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

(١) وما ورد في علمهم عليهم السلام أفضل من آصف ما في عيون الأخبار بسانده إلى عمر بن واقد قال : إن هارون الرشيد لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليهما السلام وما كان يبلغه عنه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم في السير إليه بالليل والنهار خشية على نفسه وملكه ففكر في قتله بالسم . إلى أن قال . : ثم ان سيدنا موسى (عليه السلام) دعى باليسير وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلًا به فقال له يا مسيب ! قال : لم يبيت يا مولاي ، قال : إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة إلى جدي رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأعهد إلى ابني علي ما عهده إلي أبي وأجعله وصيبي وخليفي وآمره أمري ، قال المسيب : فقلت : يا مولاي كيف تأمرني ان افتح لك الأبواب .

وهذه الحروف المعرفية من الاسم الأعظم يمنحها الله لمن يشاء ، فهي الكتاب المعنى هنا ، فلا يعني الاسم الأعظم مقوله اللفظ ، إذ لا اسم لفظيا

. وأقفالها والحرس معى على الأبواب؟ فقال : يا مسيب ضعف يقينك بالله عز وجل وفيما؟ قلت : لا يا سيدى قال : فمه؟ قلت : يا سيدى ادع ان يثبتني فقال : اللهم ثبته ، ثم قال : إني ادعو الله عز وجل باسمه العظيم الذي دعا به آصف حتى جاء بسرير بلقيس ووضعه بين يدي سليمان (عليه السلام) قبل ارتداد طرفه اليه حتى يجمع بياني وبين ابني علي بالمدينة ، قال المسيب فسمعته (عليه السلام) يدعو فقدته عن مصالاه فلم أزل قائما على قدمي حتى رأيته قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد إلى رجله فخررت له ساجدا لوجهه شكرًا على ما أنعم به عليّ من معرفته ...

أقول : وما أهم السرعة الهائلة الخارقة لإنسان دون تحول إلى طاقة فإنما الموت . من السرعة في جماد لا حياة له فلذلك يقول ابو عبد الله (عليه السلام) في رواية سدير عنه يا سدير لم تقرء القرآن؟ قلت : بلى . قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ...﴾ قال قلت : جعلت فداك قد قرأته ، قال فهل عرفت الرجل وهل عرفت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال : قلت اخبرني به ، قال : قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر ، فما يكون ذلك من علم ، قال قلت جعلت فداك ما اقل هذا؟!. وفيه في الخرائج والجرائح روى ان خارجيا اختصم مع آخر إلى علي (عليه السلام) فحكم بينهما بحكم الله ورسوله فقال الخارجي : لا عدلت في القضية ، فقال (عليه السلام) احسأ يا عدو الله ، فاستحال كلبا وطارت ثيابه في الهواء فجعل يصبع وقد دمعت عيناه فرق له فدعوا الله فأعاده إلى حال الإنسانية وتراجعت إليه ثيابه من الهواء ، فقال : آصف وصي سليمان قص الله عنه بقوله : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ...﴾ أيهما أكبر على الله؟ نبيكم ام سليمان؟ فقيل : ما حاجتك إلى قتال معاوية إلى الأنصار؟ قال : إنما ادعو على هؤلاء بثبوت الحجة وكمال الحسنة ولو أذن لي في الدعاء لما تأخر.

وفي البحار ١٤ : ١١٥ عن الاختصاص للمفید بسند متصل عن ابان الأحمر ، قال قال الصادق (عليه السلام) يا ابان كيف تنكر الناس قول امير المؤمنين (عليه السلام) لما .

له ثلاثة وسبعين حرفًا! وحتى لو كان فلا أثر لما دون كل حروفه وإن نقص حرفًا واحدًا فضلاً عن حرف واحد منه! ثم ولا تأثير للعلم بالاسم اللفظي

. قال : لو شئت لرفعت رجلي هذه فضررت بما صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان ، عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه؟ أليس نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَوَصِيهِ أَفْضَلُ الْأَوْصِيَاءِ؟ أَفْلَا جَعَلُوهُ كَوْصِي سليمان (عليه السلام) حُكْمَ اللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ جَحَدَ حَقَنَا وَأَنْكَرَ فَضْلَنَا.

أقول : وفي الأثر المستفيض ان من عنده علم الكتاب هو علي (عليه السلام) وبنوه المعصومون ومن أخرجه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٣٦ عن عبد الله بن عطاء ما لفظه : قلت لأبي جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم زعموا ان الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام فقال : أنا ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والدشتكي الشيرازي في روضة الأحباب والسيوطى في الإتقان ١ : ١٣ حيث قال : وقال سعيد بن منصور في سنته حدثنا ابو عوانة عن أبي بشر قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَمْ﴾ أمو عبد الله ابن سلام؟ فقال : كيف وهذه السورة مكية ، ومنهم الكشفي الترمذى فيمناقب مرتضوى ٤٩ نقله عن المحدث الحنبلى انه روى عن أبي حنيفة انه قال ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو علي (عليه السلام) لشهادة قول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : انا مدينة العلم وعلى باحها ونقل عن التعلي فى تفسيره عن عبد الله بن سلام انه سئل عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن الآية؟ قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إنما هو علي (عليه السلام) ، وسلام القندوزي في ينابيع المودة ١٠٢ ، وروى الثعلبي وابن المغازى بسنديهما عن عبد الله بن عطاء قال : كنت مع محمد الباقر رضي الله عنه في المسجد فرأيت عبد الله بن سلام فقلت هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال : إنما ذلك علي بن أبي طالب (عليه السلام) وروى الثعلبي وأبو نعيم بسنديهما عن زادان عن محمد بن الحنفية قال ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ علي بن أبي طالب (عليه السلام) وروى عطية العوني عن أبي سعيد الخدري قال سألت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن هذه الآية ﴿الَّذِي عِنْدُهُ عِلْمٌ مِّنْ﴾ .

أيا كان ، فاسم «الله» و «هو» هما أعظم الأسماء الإلهية على الإطلاق ، ولا تأثير لهما بمجرد العلم بحما ولقلقة اللسان فيهما فضلا عن أسماء سواهما وهي كلها دونهما! .

وفي الحق إن الاسم وهو الدال على مسمى ، هو واقعه بدلالة واقعية ، والاسم اللفظ هو المعرفة الكاملة بالله وهي الاسم الأعظم معنويا ، فالذى عنده علم من الكتاب منحه الله ما يأتى به العرش من مسافة شهر قبل ارتداد الطرف! وطبعا بدعائه ربى دونما استقلال ، فهل أتى به دون تغيير ولا تحويل فيه ولا في مسيرة؟ وموانع الجدران والأئل والأشجار تمنعه! وسرعة السير هكذا تحوله ، فان لكل عنصر قابلية خاصة لسرعة ممّا ، لو تجاوزها لتجاوز عن كيانه إلى ما يقبلها! .

قد يقال ان ذلك كله بسيط بمحض القدرة الإلهية ، ما لم يكن محالا ذاتيا ، وكما في السرعة المراجحة فوق الضوئية بعاليين الأضعاف لاجتياز تلك المسافة الهائلة مرجعا في سويعات؟ ولكن المركبة الفضائية المعدة للسفرة المراجحة كانت تحافظ على الحياة الروحية والبدنية لصاحب المعراج دونما تحويل (راجع تفسير سورة النجم من القرآن).

. الكتاب» قال : ذلك اخي سليمان بن داود ، وسألته عن قول الله عز وجل : **﴿فَلْكُفِي بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِ  
وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾** قال : ذاك اخي علي بن أبي طالب (عليه السلام) وروى في المناقب عن احمد بن محمد عن موسى بن جعفر عليهما السلام وعن زيد بن علي (عليه السلام) ومحمد بن الحنفية وعن سليمان الفارسي وعن أبي سعيد الخدري وإسماعيل السدي انهم قالوا في الآية : هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ملحقات احراق الحق للعلم الحجة السيد شهاب الدين الحسيني المرعشى ٣ : ٢٨٢٠ - ٢٨٢٠).

وعلى أية حال فلا بد لهذه السرعة الهائلة للعرش من خارقة هي مصدقة فلسفيا وعلميا ، وقد أثبت علم الفيزياء إمكانية تحول كلّ من المادة والطاقة إلى الأخرى ، وواقع التحويل معروف على ضوء المحاولات الجادة العلمية المتحضرة الحاضرة.

وقد أثبت العلم إمكانية تحويل المواد إلى طاقات وأمواج بالإمكان إرسالها سريعا كإرسال الصور التلفزيونية والأصوات الراديوية أماهية ، مهما لم يقدر العلم حتى الآن على تحقيقه.

فقد يجوز أن عملية الإتيان بالعرش في هذه السرعة الهائلة كانت بتحويلها إلى طاقة وأمواج ثم استجلابها بسرعة تناسب ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ثم رجعها إلى ما كانت عرشا كما هو ، إذا فهو مثلث من خوارق العادات دون محاولة علمية تجريبية ، وإنما بما أراد ابن برخيا بقدرة الله ، دون إرسالية للأمواج المحولة عن العرش في مكانه ، بل هو استرداد من مسافة شهر بارادة آصف مزودة بمشيئة الله !

وقد يعنيه المروي عن أممتنا عليهم السلام «ان آصف بن برخيا قال لسلامان (عليه السلام) مد عينيك حتى يتنهي طرفك ، فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه» (١) .

فلا يعني غوره ذهابه في الأرض كما هو مثل الماء الغائر ، حيث نبع ولا ينبع العرش بحاله كما لا يغور ، بل يلمع غوره إلى تحوله إلى غيره من طاقة لطيفة ، فكمما الماء يغور في جانب من الأرض ثم ينبع من جانب آخر ، كذلك

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٧ في جامع الجماع وروى ان آصف بن برخيا ...

غار العرش في الجو غور الطاقات الموجية ، ثم نبع عند مجلس سليمان كما كان. وقد يعنيه ايضا اخساف الأرض والخرابها بينه وبين العرش تأويلا له بالخراب جو الأرض ، إذ لا يكفي في تخطي هذه السرعة الهائلة . فقط . تحويل العرش إلى الأمواج ، فلا بد لها من تعبيد المسيرة الجوية خرقا وخشفا حتى تتم الخارقة الربانية كما قمت وهذه خارقة رابعة.

والظاهر من ارتداد الطرف هو التقاء الجفتين بعد افتراقهما ، فجفن العين هو دائم الانطباق والافتتاح كعملية أوتوماتيكية دون ارادة ، كما تلمح لها «يرتد» دون «يرد» وذلك أبلغ ما يوصف به في السرعة ، وقد يعنيها ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بعد ﴿كَلْمَحِ الْبَصَرِ﴾ ف﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ﴾ أقل من طرفه إلى أن يبلغ إلى واحد الزمان الأم<sup>(١)</sup>.

فليكن غور العرش تحولا له إلى ابسط طاقة موجية كأخفها وزنا وأسرعها قابلية للحركة لكي تختار مسيرة شهر في واحد من الزمان أم يزيد لأقل من ارتداد الطرف . ومهما استطاع العلم في مستقبل ان يحول . حسب المحاولات والمعادلات الفيزياوية . مادة إلى طاقة موجية ولما ، فليس بمستطاعه . وإن بلغ القمة المستطاعة لمن سوى الله . ذلك المربع البارع من خرق العادة بمجرد المشيئة ودون محاولة عملية إلا دعاء<sup>(٢)</sup> فتلك . إذا . هي من آيات الرسالة

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٨ بصائر الدرجات عن أبي عبد الله (عليه السلام) ... ثم عادت الأرض كما كانت اسرع من طرفة عين ..

(٢) نور الثقلين ٤ : ٩٢ عن مهج الدعوات في دعاء العلوى المصري عن علي (عليه السلام): الهي واسألك باسمك الذي دعاك به آصف بن برخيا على عرش ملكة .

الربانية ، وهي هنا كحججة ثانية لاهتداء الملكة إلى الله كما اهتدىت فأسلمت مع سليمان الله رب العالمين.

### كلام حول تبدل المادة طاقة وموجة

فالذرة هي طاقة متراكفة معقدة كما الطاقة هي ذرة منطلقة متحركة ، ولا اختلاف بينهما إلا بالتكاثف والانتشار ، والعلم الحديث بدء بمحاولة تبديل المادة إلى طاقة خالصة ، أي نزع الصفة المادية للعنصر بصورة نهائية ، وذلك على ضوء جانب من النظرية النسبية لـ «البرت انيشتاين» إذ تقرر أن كتلة الجسم نسبية وليس ثابتة ، فهي تزيد بزيادة السرعة ، كما تؤكد التجارب التي أجرتها علماء الفيزياء الذرية على الإلكترونات التي تتحرك في مجال كهربائي قوي ، ودقائق (بيتا) المنطلقة من نویات الأجسام المشعة<sup>(١)</sup>.

ولما كانت كتلة الجسم المتحرك تزداد بازدياد حركته ، وليس الحركة إلا ظهرا من مظاهر الطاقة ، فالكتلة المتزايدة في الجسم هي إذن طاقته المتزايدة.

فلم يعد في الكون عنصران متمايزان أحدهما المادة التي يمكن مستها ،

---

. سبأ فكان أقل من لحظة الطرف حتى كان مصورا بين يديه ... » وفيه (٩٠) عن الإمام علي الهادي (عليه السلام) كان عند آصف حرف فتكلم به فانحرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ .. ومثله في سائر روايات القصة انه دعا ، فلم تكن منه المشية دون دعاء ، أو عملية علمية تجريبية.

(١) يقال أول الاستحالات التي حصلت لعنصر ثابت كانت في ١٩١٩ م بواسطة راذفورد بآلية ساذجة جدا وقد فصل في كتاب الطاقة الذرية من السلسلة العلمية : ماذا أدرى ص ٦١ .

وتمثل لنا في كتلة ، والآخر الطاقة التي لا ترى وليس لها كتلة ، كما كان يعتقد العلماء سابقا ، بل أصبح العلم يعرف أن الكتلة ليست إلا طاقة مركبة.

ويقول انيسشتاين في معادلته ان : «الطاقة كتلة المادة»<sup>\*</sup> مربع سرعة الضوء ، وسرعة الضوء  $816000$  ميلا في الثانية» كما ان الكتلة الطاقة / مربع سرعة الضوء ، وبذلك ثبت ان الذرة بما فيها من بروتونات والكترونات ليست في الحقيقة إلا طاقة متراكفة ، بالإمكان تحليلها وإرجاعها إلى حالتها الأولى.

فهذه الطاقة هي الأصل العميم للعالم في التحليل الحديث وهي التي تظهر في اشكال مختلفة وصور متعددة : صوتية ومغناطيسية وكهربائية وكمواوية وميكانيكية أمماهيه؟ ، وعلى هذا الضوء لم يعد الازدواج بين المادة والإشعاع بين الجسمانيات وال WAVES ، أو بين ظهور الكهرب على صورة مادة أحيانا ، وظهوره على صورة كهرباء أحيانا أخرى ، لم يعد ذلك غريبا ، بل أصبح مفهوما بمقدار ، ما دامت كل هذه المظاهر صورا لحقيقة واحدة هي الطاقة.

ولقد أثبتت التجارب علميا صحة هذه النظريات ، إذ أمكن للعلماء ان يحولوا المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة.

فالمادة تحول إلى الطاقة عن طريق التوحيد بين نواة ذرة الهيدروجين ونواة ذرة ليثيوم ، فتنتج عن ذلك نواتان من ذرات الهليوم ، وطاقة هي في الحقيقة الفارق بين الوزن الذري لنواتين من الهليوم ، والوزن الذري لنواة هيدروجين ونواة ليثيوم.

والطاقة تحول إلى المادة عن طريق تحويل أشعة «جاما» وهي أشعة لها

طاقة دون وزن ، تتحول إلى دقائق مادية من الإلكترونات السالبة والإلكترونات الموجبة ، التي تتحول بدورها إلى طاقة ، إذا اصطدم الموجب منها بالسلب .

ومن أعظم التفجيرات للمادة الذي توصل إليها العلم ، هو التفجير الذي يمكن للقنبلة الذرية والهيدروجينية أن تتحققه ، إذ يتحول بسببيها جزء من المادة إلى طاقة هائلة .

وتقوم الفكرة في القنبلة الذرية على إمكانية تحطيم نواة ذرة ثقيلة بحيث تنقسم إلى نوatin أو أكثر من عناصر أخف ، وقد تحقق ذلك بتحطيم النواة في بعض اقسام عنصر اليورانيوم ، الذي يطلق عليه اسم اليورانيوم ٢٣٥ نتيجة لاصطدام النيوترون بها .

وتقوم الفكرة في القنبلة الهيدروجينية على ضم نوى ذرات خفيفة إلى بعضها ، لتكون بعد اتحادها نوى ذرات أثقل منها ، بحيث تكون كتلة النواة الجديدة أقل من كتلة المكونات الأصلية .

وهذا الفرق في الكتلة هو الذي يظهر في صورة طاقة ، ومن أساليب ذلك دمج أربع ذرات هيdroجين بتأثير الضغط والحرارة الشديدين ، وإنتاج ذرة من عنصر الهليوم ، مع طاقة هي الفارق الوزني بين الذرة الناتجة والذرات المندجمة وهو كسر ضئيل جدا في حساب الوزن الذري .

رجوع إلى الآية بتكميلتها :

﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ استقرارا عن تلك السرعة الهائلة ، واستقرارا إلى أصله عن الموجة المحول إليها ، فقد تمت في ذلك الاستقرار خوارق اربع تكفي كل واحدة حجة بارعة .

﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ ليس من فضلي أنا ولا آصف ﴿لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكُفُرُ﴾ بلوي حسنة تبرز شكرانا أم كفرانا بهذه

النعمه السابعة الفائقة وسواها مما أنعم به عليّ ، ولقد استشعر أن النعمه كهذه الخارقة البارقة ابتلاء مخيف ضخم ، أمامها مسئولية هامة خطيرة ، فالمنعم بحاجة إلى يقظة ليجتازها سليما مسلما شاكرا ، فان زهرة الحياة وزهوة النعمه قد تدفع الإنسان إلى الكفران ، بل هو طبيعة الحال إلّا من اعتصم بالله فعصمه الله.

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ دون ربه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ غني عن ان يشكّر ، وغنى عن ألا يكفر ، فإنما الشكران والكفران راجعان إلى الشاكر والكافر.

﴿قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ٤١

﴿نَكَرُوا لَهَا﴾ غيروا معالمه المميزة له بحيث لا يعرف لأول وهلة ﴿نَنْظُرُ أَهْتَدِي﴾ إلى عرشها المستأنس لها طيلة ملكتها ، وكان من حقها في نظرها البدائية ألا تعرفه لتنكره واستبعادها الإتيان به بهذه السرعة.

ومن خلال ذلك الهدي «أهتدى» إلى رحمة حيث تحوّز خارقة السرعة ، اهتداء ذا بعدين في ذلك المضمار ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ كمالها الذين كانوا معها ، إذ لم يهتدوا لا إلى معرفة العرش ، ولا بمعرفته إلى معرفة الله ، وهنا تعرّف سليمان إلى ذكائها وإسلامها بذلك الاختبار والاعتبار.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْكَذَا عَرْشَكِ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكَانَ مُسْلِمِينَ﴾ ٤٢

هنا ينكر السؤال ﴿أَهْكَذَا عَرْشُكِ﴾ دون «أهذا» كما نكر عرشها ، فهو بين مثلث من التنكير ثالثه بعد المسافة وسرعة السير ، وانها مفاجأة ضخمة لا تخطر للملكة على بال ، فأين عرشها في سياق وعليها أقفالها

وحراسها ، واين بيت المقدس بمسيرة شهر ، وكيف جيء به ومن ذا الذي جاء به؟ ولكن العرش رغم كل ذلك التنكير هو عرশها ، وهي تعرفه ، فانتهت إلى جواب محتاط أربأب أديب : ﴿قَالَتْ كَانَهُ هُو﴾ فروسية بارعة في مواجهة هذه الظاهرة المريبة العجيبة ، وما قوله «كانه هو» في هذه المجلة المريبة إلا تصديقا لأنه هو وكما يؤيده ﴿وَأَوْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ فإنه في ظاهر السياق من قولها تثبيتا لـ «كانه هو» وإنما بعد ليست بحاجة إلى آية للإسلام.

وقد يعني الضمير المؤنث في «قبلها» آية العرش ، فقد علمنا من إلقاء الكتاب إلينا ومن مضمونها أنك على حق ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وما قصة المدية إلا تأكدة لما علمنا أنك لست من أهل المتع الدنيوية ، ويا للعرش آية مؤكدة لآيات سبقته ، وقد كان من قبل عرشا للسلطة المشرك ، وهكذا يidel الله آية الضلال آية المدى.

وقد يعني ﴿وَأَوْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أن عرশها أتي به قبل ارتداد طرف وهي بعد في قصرها ، حيث فقدته بأسره دون ان تفتح الأبواب أو ترى حملة يحملونه ، وصالح الآية البينة يقتضيه حتى تعزم على الرحيل إلى سليمان مسلمة عارفة بالقضية ، مهما كان إسلام التسليم أم إسلام الاستسلام ، ولكنها أسلمت بعد مع سليمان الله رب العالمين.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ٤٣

الصد ، بمعنى الفصل المانع ، يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد وهو هنا «ها» الملكرة ، و ﴿مَا كَانَتْ...﴾ فاعله . بطبيعة الحال . فاللواو . إذا . حالية ، والمتصدود عنه هو سبيل الله ، فهي تقول هنا ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ حال إنها قبل استسلامها وإسلامها صدتها ما كانت تعبد من دون الله عن عبادة

الله ، فانها كانت من قوم كافرين ، وقد زال ذلك الصد . منذ بلوغها كتاب سليمان إلقاء إليها ، ورجوع المسلمين بمحبتيها بما حملوه من تهديد . زال حد الاستسلام ، ثم هنا الإسلام «وأسلمت ..» ، واحتمال ان فاعل الصد هو سليمان بما فعل ، أو العرش بما تحول وارد ، مهما لا يحتمل كل بمفرده إذ يقتضي تقدير «عن» ل «ما» تعدية إلى ثاني المفعولين ، والجمع بينهما أحلى وأحرى ، فكما صدتها ما كانت تعبد من دون الله ، عن الله ، كذلك وبالملأ صدتها سليمان والعرش عما كانت تعبد من دون الله ﴿إِنَّا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ إذا ف «ما كانت» فاعل ومفعول ، ويصح الثاني ضمن الأول حذف للجهاز فيه ودون حذف في فاعله .

﴿قَبِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ جُنَاحًا وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّرَدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٤ .

«الصرح» هو القصر العالى ، ثم ﴿حَسِبَتْهُ جُنَاحًا﴾ و ﴿مُرَدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾ ترفعانه على أرضية قارورية فوق الماء ، لذلك حسبته في تلك المفاجأة البدعة لجة الماء ، و ﴿كَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ دليل على عمق طفيف للماء خفيف ، لا يخاف منه الغرق .

فقد ﴿كَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ كيلا تتبلل ، وبعد خوض المفاجئة كشف لها سليمان عن سر الصرح ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّرَدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾ وهو الملمس منها ، لا فقط تملساً أرضياً إذ ليس إلا أرضه ، والنصل «صرح» فليكن كله ملساً من قوارير ، ومنه أرضه القائمة قواريرها على الماء ، لحد يحسبه غير العارف بحاله أنه لجة .

وهنا تقف الملائكة مجرودة مندهشة أمام هذه العظمة المنقطعة النظير

للملك النبي<sup>(١)</sup> فترجع عقليتها متصاغرة أمام العظمة الرسالية ، معروفة أنها كانت ظالمة نفسها ف ﴿قَاتُرَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ في سابق حالٍ لحد الان ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دون ارباب مختلفة مختلقة سواه ، والتعويض عن «رب» ب ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ للإفصاح الصريح عن رفضها لسائر الأرباب شمساً وسواها.

ومعية الإسلام هنا تصرحه أخرى بخالص الإسلام ، فليس إسلامي لسليمان لأنه وسيط ، وإنما ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ تذرعاً برسالته الربانية ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وذلك بعد إسلامها له بمعنى التسليم والاستسلام قبل بلوغ الحجة واتضاح المحة.

اجل وإن رسول الله لا يدعون إلى أنفسهم ، وإنما إلى الله ، فكل من أسلم الله كان معهم كإخوة في الله ، فأين سليمان النبي بأعلى درجات التوحيد ، وملكة سبياً بأسفل دركات الشرك ، بون بعيد لا صلة فيه بينهما ، ولكنما الإسلام الله يرفعها إلى درجة الأخوة مع سليمان ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ !

وتراه تزوج بها؟ قد يلمح له ﴿وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا﴾ فما أمرها بدخول الصرح وهو يعلم أنها تكشف عن ساقيها ، إلاًّ فاقداً زواجهما فلينظر إلى ساقيها كما نظر إليها ، ولو كان القصد مجرد اظهار العزة لكن يكفي البيان

(١) ومن طريف ما يروى في ذلك المضمار ما في الدر المنشور ٥ : ١١٢ . أخرج أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال لما قدمت ملكة سبياً على سليمان رأت حطباً جيلاً فقالت لغلام سليمان هل يعرف مولاك كم وزن هذا الدخان؟ فقال : أنا أعلم فكيف مولي؟ قالت : فكم وزنه؟ فقال الغلام : يوزن الحطب ثم يحرق ثم يوزن الرماد فما نقص منه فهو دخانه! .

قبل كشفها ، وطبيعة الحال في هذه الحالة العجيبة من تحولها إلى الإسلام ، أن يتزوجها سليمان إكراما لها لكي تملك مؤمنة بعد ما ملكت كافرة ، فلا يحسب إسلامها خسارا لها حتى في ملوكها <sup>(١)</sup>.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مُّؤْمِنَاتٍ أَخَاهُمْ صَالِحَاتٍ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُنْ فِي قِبَلَةٍ يَكْتُصِمُونَ﴾ (٤٥)**  
**قالَ يَا قَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحُسْنَةِ لَوْ لَا تَسْتَعْجِلُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)**  
**أَطَيَّبْنَا بِكَ وَمِنْ مَعْكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ ثُفْثَنُونَ (٤٧)** **وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُغْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا**

(١) الدر المنشور ٥ : ١١٢ . اخرج البيهقي في الزهد عن الأوزاعي قال كسر برج من أبراج تدمر فأصابوا فيه امرأة حسناء دعجاء مدحمة كان اعطافها طي الطوامير ، عليها عمامة طوطها ثمانون ذراعا مكتوب على طرف العمامة بالذهب : بسم الله الرحمن الرحيم أنا بلقيس ملكة سبا زوجة سليمان بن داود ملكت الدنيا كافرة ومؤمنة ما لم يملكه أحد قبله ولا يملكه أحد بعدي صار مصيري إلى الموت فاقصرروا يا طلاب الدنيا ، وفيه اخرج ابن عساكر عن سلمة بن عبد الله بن ريعي قال : لما أسلمت بلقيس زوجها سليمان وأمهراها باعلىك أقول كأنما بعلبك في لبنان.

وفي نور الثقلين ٤ : ٩٢ عن تفسير القمي وكان سليمان (عليه السلام) قد أمر أن يتخذ لها بيته من قوارير وضعه على الماء . إلى قوله . : فتزوجها سليمان وهي بلقيس بنت الشرح الحمرية ...

يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنْبَيَّنَهُ وَأَهْلُهُمْ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيهِ ما شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّ دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَلِكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَّةٌ مَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَجْنَبَنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ نَّبِيًّا مِّنْ أَهْلِهِمْ صَاحِلًا أَنْ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانٌ يَخْتَصِمُونَ﴾ . ٤٥

تلخيصه لهذه الدعوة الرسالية ككلـ . مثل سائر الدعوة إلى الله . في توحيد العبادة لله ، و «أحابهم» مما يشدد عليهم الحجة أنه كان يعاشرهم طيلة حياته ، معروفاً لديهم غير منكر ، دون أن تسبق منه سابقة سوء وضلال ، فلم يكن غريباً عنهم مجهولاً لديهم حتى يشتبه أمره ، «فإذا هم» إثر الدعوة «فريقيان» بعد وحدتهم في الضلال «يختصمون» مع بعض تصديقاً لصالح وتکذيباً ، والجمع هنا اعتباراً بالجماعين في فريقيين ، فرقـة مستكبرـة كافـرة ، وأخرى مستضعفـة مؤمنـة ، ومن اختصامـهم : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ﴾

مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنُتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ : (٧٦).

وَ ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ هنا دليل ان آخرين منهم ظلوا ضالين تحت نير المستكبرين ، فالمختصمون ضد الرسالة كانوا هم الأكثرية الساحقة ، والاختصار هنا ذو بعدين ، اختصارا ما لهم مع الفرق المؤمنة ، وآخر مع صاحب الرسالة ، مهما كانت فجوتهم متروكة لآية أخرى لا تذكر هنا ان ﴿أَتَنَا بِعِذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٩ : ٢٩) .

﴿قَالَ يَا قَوْمَ لَمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لَا تَسْتَفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ

ثُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ .

فالعقل الليبي يستعجل الحسنة دون السيئة ، والتنازل عن عقله كعادة للطائشين يستعجل الحسنة قبل السيئة ، خلطا بينهما ، والنازل إلى أسفل الدرجات يستعجل السيئة قبل الحسنة ، فبدلا من الإيمان ولو تجربة ، يكفر ويجرب العذاب المhell حتى لا يبقى ظرف لحسنة الإيمان ، إذ لا إيمان بعد نزول العذاب ، والمؤمن الليبي يعيش حياة الاستعجال للحسنة ابعادا عن آية سيئة ، مستغفرا ربها عمأساء لعله يرحم.

فحتى لو كان الإيمان بالله ضلالا فهو خير من عذاب الله القاضي على أصل الحياة ، فيما لهم ضلالا ما أبعده ان يستعجلوا السيئة : العذاب قبل الحسنة : الإيمان الصواب فالثواب ، كفرقة أمثالهم من كفار قريش القائلة : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحُقْقُ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَتَنَا بِعِذَابِ أَلْيَمِ﴾ (٨ : ٣٢) ويا للهول من هؤلاء الأوغاد الأنكاد حيث يحملون الجحيم في أنفسهم نفسها ولما يدخلوها !.

﴿قَالُوا اطْئِرْنَا بِكَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

## ٤٧ . تُفْتَنُونَ

التطيير هو التشاءم ، وهو من عادات المجاهيل المتبعين الخرافات الجارفة والأوهام الخارقة ، حين يهم أحدهم بأمر يجهل صالحه من طالعه يلتجأ إلى طائر يزحره فان مر سانحا عن يمينه استبشر ماضيا في أمره ، وإن مر بارحا عن يساره تشاءم تاركا أمرا حيث يتوقع ضره ، وما يدرى الطير غيب الخير أو الشر وهو حيوان ، فهذا الإنسان هو أحون من الحيوان وأضل سبيلا.

هذا أصل التطيير ، ثم غلب استعماله في التشاءم ، ولأن الخير والشر راجعان إلى الإنسان بعمله ، وأن عمله معه لا يفارقه : أن يطير عنه إلى غيره أم إلى الفناء ، يسميه القرآن طائرا كما : ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ الْرَّمْنَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ وَنُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْفَأُهُ مَنْشُورًا. اقْرُأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٦ : ١٣).

فطائر الإنسان . أيا كان . من خير أو شر ، هو معه كما هنا ، وهو عند الله كما في آيتها : ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ حيث الأعمال راجعة طائرة إلى الله ، محفوظة لدى الله حيث يستنسخها الله : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْنُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٥ : ٢٩) إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فكيف ﴿أَطَيَّبَنَا بِكَ وَعَنْ مَعَكَ﴾ حين لا تصدر أعمالكم خيرة أو شريرة إلا منكم ف ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ ولا يصدر الجزاء الوفاق خيرا أو شر إلا من عند الله ف ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فما منا في هذا الميدان سلب ولا إيجاب ، اللهم إلا دلالة إلى الحق المبين بإذن الله ! وليس طائركم معنا على أية حال ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ بجنّة الأوهام وظنه الأحلام ، فإن تعليق الخير والشر بغير العامل نفسه ، إفضاء لكل عامل عن استقلالية الأعمال بآثارها ، وذلك أنزل دركا واندل من المكائن الآوتوماتيكية ، فإن نتائجها ترجع إليها دون اختيار منها ،

وهذا الإنسان الغبي يحول خيره وشره بآثارهما إلى غيره وهو مختار **بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ** ﴿١﴾! وترأهـم اطـيرـوا به وـمـنـ معـه بـمـجـرـدـ الدـعـوـة دونـ أمرـ سـواـهـا؟ وـمـنـ موـادـ طـيـرـهـمـ الاـخـتـالـفـ النـاشـبـ بيـنـهـمـ اـثـرـ الدـعـوـةـ! وـعـلـىـ مـنـهـا إـصـابـةـ الجـوعـ كـمـاـ يـروـيـ (١ـ).

هؤلاء المفتتون الماربون عن الاعيان بالغيب الحق ، الناسبين اليه الخرافة الحمقاء ، نراهم يؤمدون بالغيب الباطل الموهوم ، من تطير وسواه من الخرافات الجارفة ، فنراهم يعلقون همامه ضخمة على العدد (١٣) بنحوسته أيا كان ، فالليت المرقم به يكتب عليه  $12 + 1$  ، بدلاً عن ١٣ ، ويعلقون على مرور قط أسود يقطع الطريق أمامهم ، وعلى كثير من الغيب الموهوم الذي لا سند له ، مستبدلين الغيب اللامعقول بالغيب المعقول ، مبتهجين متبعجئين بما عندهم من الحضارات المادية ، والخرافات الروحية ﴿وَهُمْ يَكْسِبُونَ أَهْمَّ مَا يَعْسِلُونَ صُنْعًا﴾ !.

**﴿إِنَّمَا قَوْمٌ يُفْتَنُونَ﴾** امتحانا بفتنة الله ونعمته ، وامتهانا بفتنة الشيطان ونعمته ، فالبيضة الدائبة ومتابعة السنن وتتبع الحوادث والشعور بما وراءها من فتنة وبلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية ، لا التطيير بخلق الله.

فلا صدفة عميماء فيما يحدث من خير أو شر ، وإنما اصابة قاصدة هي من خلفيات الأعمال الفاسدة ، ف«طائركم عند الله» و «طائركم

(١) نور الثقلين ٤ : ٩٣ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية .. «إنهم أصحابكم جوع شديد قالوا : هذا من شؤمك وشئون من معك أصحابنا هذا القحط ، قال طائركم عند الله» يقول : خيركم وشركم من عند الله **﴿إِنَّ أَنْتَمْ قَوْمٌ تُفْقِدُونَ﴾** يقول : تبتلون بالاختبار.

معكم» ولا ثالث يحمل طائرا لكم أو عليكم.

**﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ . ٤٨**

﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ من المستكبرين ، والمستضعفين الضالين تحت نيرهم ، احزاب عدّة متراصة واحدة في أصول الإفساد ، تسعه في مختلف محاولاته وشكلياته ، والرهط هو العصابة دون العشرة أم دون الأربعين ، فهم العصابات المتعصبة ضد الحق ، الصارمة في الإفساد الخالص حيث ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وإن في مجالة أو حالة واحدة ، مكرسين كل طاقاتهم وإمكانياتهم في مختلف حقول الإفساد ، عقidiya وخلقيا أمّا هو من الإفساد في التواميس الخمسة ، التي هي محطات الإصلاحات الرسالية ، ومن إفساد هؤلاء التسعه أن :

**﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنَبِيَّنَّهُ وَأَهْلَهُ مُمْ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهَدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ . ٤٩**

«قالوا» في تشاور بينهم على عديد رهطهم ، حيث الكفر ملة واحدة مهما اختلفت حقوله وعقوله **﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾** : تشاركوا في القسم بالله ، امرا هو حصيلة الشورى اللعينة بينهم ، وتكفي «قالوا» أن تكون «تقاسموا» أمرا ، وكيف التقاسم التشارك بالله وهم مشركون بالله؟ لأنهم يؤمنون بالله كرب الأرباب مهما أشركوا به سواه ، فما التقاسم بالله عندهم بأدنى من التقاسم بأرباب سواه ، بل وهو أحري وأقوى!

وعجبا من هؤلاء الحماقى الأنكاد يتقاسمون بالله ليبيتوا داعي الله ، ويكان الدعوة إلى عبادة الله وحده هتك لساحة الله حتى يقسم بالله في قتل الداعية بأهله! وهكذا كان يخيل إلى جماعة من المشركين أن عبادة الله هتك له

فليعبد سواه ليقربهم إلى الله زلفى !

«لنبيته» وهو قصد العدو لقتله «وأهله» هم زوجته وولده وكل من هو تحت عيلولته ، **﴿إِنَّمَا نَقُولُ﴾** بعد تبييته «لوليه» وهو بطبيعة الحال من غير اهله ، أو غير الآهلين معه في بيته ، وهوولي دمه **﴿مَا شَهَدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾** دون مهلكه وأهله ، لأن غير الشاهد لهلك أهله بأحرى ألا يشهد لهلكه نفسه؟ ولا أولوية في هذا البين ، وقد يكون عكس الأمر أولى أننا ما شهدنا لهلكه ، فبأولى لهلك أهله ، فإنهم معه بطبيعة الحال ليلا! والنص **﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾** !.

ضمير المفرد الغائب في «أهله» الثاني راجع إلى وليه فإنه أقرب مرجعا وأصح معنى ، فصالح وأهله هم أهل لوليه ، ف **﴿مَا شَهَدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾** أي القتلى الذين هم أهله ، وله المطالبة بدمائهم **﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** في **﴿مَا شَهَدْنَا﴾**.

ثم «مهلك» قد تعني هنا مثلث المعانى ، مصدرها وزمانها ومكانا للهلاك ، اجتناثا لكل بنود الاتهام ، فلا خبر لنا إطلاقا عن زمان الهلاك ولا مكانه ولا أصله.

احتياط ساذج غير ناضج يطمئنهم فيما اعتزموه ، تخلصا عن صالح ولолيه و **﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرُ صَادِقِ﴾** :

**﴿وَمَكَرُوا مَكْرَأً وَمَكْرُنَا مَكْرَأً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** . ٥٠

**﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** لا مكرهم ولا مكرنا ، شعورا بضالة مكرهم ، وشعورا بعاقبته في مكرنا ، وأين مكر من مكر؟ مكر جاهل قاحل ، ومكر عالم كافل ، مكر عن عجز تبييت ، ومكر عن قدرة في تبييت.

**﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْعَيْنَ﴾** . ٥١

حيث العاقبة الموقعة للمكر مثله إلا في دناءته وضئولته ، فقد فاجأهم عذاب الله : **أَنَا دَمْرُنَاهُمْ** وهم تسعة رهط المتقاسمون الماكرون « القومهم » المشاركون معهم في كفرهم وتكميلهم بالرسالة « أجمعين ».

وكم ذا وحتى متى يخطئ المستكبرون؟ منخدعين بما يملكون من أموال وبنين ونعمة هم كانوا فيها فاكهين ، غافلين عن العين الرقيقة عليهم التي لا تنام ، والقوة القاهرة فوق كل قوة ، حيث تباغتهم جيئة فجيعة تدمرهم عن بكرتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ !  
﴿فَتَلَكَ بِيُوْتُكُمْ خَاوِيَّةً إِمَّا طَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥٢ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٥٣ .

«خاوية» : خالية عن كيانها كبيوت ، وعن كائنين فيها ك أصحاب البيوت ، تدميرا لها بأسرها وأسرهم «بما ظلموا» وفروا عن الحق المرام ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ﴾ التدمير ﴿لَا يَهُ لِقُومٍ يَعْلَمُونَ﴾ ثم في ذلك التدمير الخواء ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ منهم ، فقد خرجوا بآياتهم وتقواهم عن طغواهم ، فخارجون . إذا . عن قومهم الحالكين أجمعين .  
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْسُمْ تُبَصِّرُونَ (٥٤) إِنْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهُودًا مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتُكُمْ إِنَّمَّا

**أَنَّاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجِيَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْدَرِينَ (٥٨)**

عرض خاطف عن لوط وقومه بدء ختم في معارض الغابرين : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ نُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا .. وَلُوطًاٰ إِذْ قَالَ ..﴾ فصالح يدعوا في مفتتح دعوته إلى عبادة الله حيث التخلف البارز فيهم كان هو الإشراك بالله ، ولوط ينهى عن الفاحشة ، لأنها كانت هي التخلف البارز فيهم مهما كانوا من المشركين.

فيتيم الرجال شهوة من دون النساء ظاهرة غريبة في تاريخ الشهوات الجنسية ، أن يصبح كقاعدة مطردة بين قوم ، بدلا عن إيتان النساء المفطور عليه كل من القبيلين ، فقد يشد الإنسان غير الملائم بالشرعية الإلهية في حالات استثنائية كثنكبات الجيش التي ليس فيها نساء ، أو السجون الطائلة ، أم لأمراض نفسية أو ملابسات أخرى وقتية ، فيميل الذكور لإيتان الذكور ، وأما ان يشيع ذلك الشذوذ دون أية أسباب أو ملابسات رغم توفر النساء ، فهذا هو الحادث الجلل في تاريخ الإنسان ، البارز بأبشع صوره في قوم لوط الجرميين.

﴿.. أَتَأُتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ العملية المنكرة المتجاوزة عن حدتها ، متجاوزة عن الشهوة الفطرية المتعودة إلى المتخلفة عنها ، المنحرفة المنجرفة إلى هواها البعيدة المدى ، العميقه الردى ، ومتجاوزة عن التستر المتعود في عمل الجنس مهما كانت حلا ، إلى أوساط النوادي جهارا بكل إصرار ودون أي إسرار ،

وهذه كلها معنية من هذه «الفاحشة» لأنها التجاوزة في العصيان المتعود حده.

**﴿أَتَأْتُونَ .. وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾** إنما فاحشة خلاف الفطرة وخلاف الشريعة الإلهية ، **﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾** خلفياتها البغيضة الخضيضة خلقياً وجماعياً وإهلاكاً للنساء والعائلة **﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾** أن أهل نوادي الفاحشة ينظرون إليكم وأنتم تفعلون ما تفعلون **﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيْكُمُ الْمُنْكَرِ ..﴾** (٢٩ : ٢٩)؟ ، وإثبات الفاحشة بمختلف الإبصار هكذا ، وعسر الأبصر ، مما يجعلها أفحش الفواحش النكيرية.

فهنا في اللواط المتعود هكذا بين قوم لوط جنبات عدة من الفاحشة ، التجاوز عن النساء إلى الرجال ، والتعمد في ذلك التجاوز كقاعدة مطردة ، وإبرازها في ملا النوادي ، مما يجعله فاحشة منقطعة النظير **﴿مَا سَقَكُمْ إِيمَانُكُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾** مهما لحقهم من لحقهم من انجلترا وسوهاها الذين ستوا حلّها في مجالسهم النيابية !

**﴿... بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** أمن الجهل بمدى الفحشاء؟ **﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾** تطارد جهلهم! بل هو الجهالة أنهم يأتون الفاحشة وهم مبصرون تجاهلاً عنها بنزوة الشهوة الطائشة العميماء ، ومن جهالتهم الجهلاء الخواء ، كخلفية لدعوة صالحة مصلحة من لوط : **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾**

.٥٦

و «آل لوط» هنا هم لوط نفسه بالرساليين المؤمنين معه ، لا فقط آل النسب أو السبب حيث الأقرب منهم سبباً وهي زوجته **﴿قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾** فلم تكن هي من آله فيما **﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ ..﴾** إذ لم تكن

من ﴿أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ إذا فهم الأناس المتظاهرون ، فـ«آل لوط» هنا هم أهل بيت الرسالة الذين يعيشون جوها ، أنسباء كانوا وأقرباء أم بعده وأغرباء.

ولماذا ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتُكُمْ﴾؟ لـ﴿إِنَّمَا أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ تکما ساخرا بالتطهير من ذلك الرجل البخيس النحيف ، فهم يتطلبون جو الحرية الطليقة لهذه الفاحشة المبصرة ، دونما أي رادع ولا مانع ، ف مجرد وجود المتظاهرين . وإن لم ينهوا عن هذه العملية . إنه ينبع عيشتهم المختلفة.

والتطهير تكلف في الطهارة ، فقد يكون صادقا فليكن ، أو قد يكون كاذبا فـ«اخرجوا ..» إذ هم كانوا يرونهم يتتكلفون الطهارة عن فاحشة اللواط كاذبين ، حيث أصبحت لهم أولاء طبيعة ثانية كأنما هي القاعدة في حظوة الجنس ، إذا فال لوط هم أناس يتظاهرون ، لا يصلحون للمقام بينما تکديرا لجو الشهوة الرائجة فيما بيننا.

﴿فَأَنْجِنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ لا آله فإنهم أخص . كما بینا . من أهله ، حيث يشمل امرأته دون آله ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ فَأَرْزَنَا هَا﴾ على قدر تخلفها عن بيت الرسالة ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ : الماكثين بعد مضي ما هو معهم من دعوة الحق وشقوة الباطل ، دون ان يهتدوا إلى هداهم ، فحق عليهم أن يقدروا ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الماكثين في عوقيب اعمالهم ، ومنها هنا ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ وكما أمطروا في حياتهم الجهنمية أمطار السوء والبلاء ، فقد بدلوا مياه النطف لإحياء النسل ، ذريعة لإماتة النسل وإماتة حق العائلة ، وكذلك الله بدل مطر الإحياء إلى مطر الإماتة ﴿فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ !

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللّهُ خَيْرًا أَمَا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَنْ حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَّا مَعَ اللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَكْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَّا مَعَ اللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَّا مَعَ اللّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَنْ يَهْدِي كُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسَلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَّا مَعَ اللّهِ تَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَنْ يَبْدُوا الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَعَ اللّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثُرُونَ (٦٥) بَلِ ادْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي  
الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا ثُرَابًا وَآبَاؤُنَا  
إِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلٍ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْرِنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ  
مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ  
لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي شَسْتَعِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا  
يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)

جولة ختامية للسورة بآيات تذكيرية في استجوابات في أغوار النعم وأطوار النقم ، فللمؤمنين النعم وللكافرين النقم ، مما يتطلب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أولاً وأخيراً ، فانها مفتاح كل أمر بعد البسمة وختامه :

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرًا أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٥٩.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على العاقبة الصالحة للصالحين والطالحة للطالحين ، فكل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ دون سواه ، فإنه هو الموفق لهداه على أية حال ، والمجازي لمن عاداه على أية حال ﴿قُلِ .. سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ وهم كل الدعاة الله على مدار الزمن الرسالي «سلام» عليهم من الله و «سلام» عليهم منك ومن معك من المصطفين والصالحين ، و «سلام» من الله عليهم أحياه إذ كانوا يحملون رسالات الله ، و «سلام» من الله عليهم أمواتا ليستمروا في الحياة الروحية القمة ، ثم «سلام» مني عليهم إذ لا أقول لهم إلا سلاماً وتصديقاً ، و «سلام» مني إليهم فاني مسلم معهم مقتد بهدائهم : ﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ هُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (٦٠) فإن هداهم هداي مهما كانت درجات ، وخط الهدى واحد مهما كان له مقامات ، فليس اقتداء الرسول بهدائهم إلا المشي على خطهم مهما سبقهم ، كما اقتداء غير الرسول به وبهم مهما كانوا ادنى منهم ، فخط الرسالة الإلهية وهداها واحدة والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلاائق.

إذا ﴿آتَاهُ اللَّهُ خَيْرًا أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، ومقابل الخير هنا . وهو الخير المطلق . ليس إلا الشر المطلق ، وحتى إذا كان «خير» صيغة تفضيل فإنه تحكم ، ام تنازل : أن لو كان ما يشركون فيه خير فهل ان الله اكثر خيراً أمما يشركون؟ .

**﴿أَمْنَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ  
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَّا اللَّهُ بَنْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ . ٦٠**

سلهم هل شارك الله سواه في **﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾** من المادة الأُم ، وخلق المادة الأُم لا من شيء ، ثم **﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾** ولم يكن في الأرض ماء «فأنبتنا» انتقالة لطيفة حفيظة من العياب إلى الحضور تدليلاً ضمنياً أنه هو الذي خلق ما خلق وأنزل ما أنزل وأنبت ما أنبت **﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾** من غابات أم بساتين صناعية فإن الإنبات ككل هو من صنيع الله و **﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾** بحولكم وقوتهم ، وإنما لكم تحيئة الوسائل والظروف لنباتها ثم المثبت هو الله ، وكما الخالق لكم ولهذه الوسائل واختيارها والتسلل بها هو الله «إله» إذا «مع الله» يشاركه في الخلق والتدبير؟ لا **﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ  
يَعْدِلُونَ﴾** شركائهم بالله «كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً و **﴿خَسِيرٌ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾** فيعدلون بمال عن الله إلى سواه تأليها له دون الله ، ان يعبدونه دون الله ، ويستشعرون دون الله ، تنزلاً عن توحيده إلى الإشراك به وإلى توحيد غيره ، وكأن الله لا دور له في خلق ولا تدبير .

فالفطرة تصرخ ، والبداهة العقلية تصرح ، والكائنات تصارح أن لا إله إلا الله في خلق ولا تدبير ، فليعبد هولا سواه ، **﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾!**

انظروا إلى **﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾** حيث تبهج الفطر والعقول والحواس ، وان تلوين زهرة واحدة من أزهارها يعجز عنه كل رجال الفنون ، بل والحيطة بأسرارها في تموّج ألوانها وتدخل خطوطها وتنظيم وريقاتها ، مما تتقاصر وتتضاءل دونه العباءة في الفيزيولوجية النباتية ، فضلاً عن الحياة النامية في

النباتات وهو سر الأسرار. فضلا عن حياة الحيوان والإنسان والملائكة والجان ﴿إِلَهٌ مَعَ الْهُنْدِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ وهو العدل التسوية بالله حين يعني العدل بالله ، وهو العدول عن الله حين يعدلون عن الله فالعدل بالله ما سواه هو ظلم وخلاف العدل وضلال مبين في كافة الحقول ولدي كل العقول : ﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّ كُلَّا لَفِي ضَلَالٍ مِّنْ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٦) : ٩٨ ) والعدول عن الله . ككل . إلى ما سواه ، توحيدا له دون الله هو من أظلم الظلم ، وهذا هو الملموس في المشركين بالله في أحوالهم وأعمالهم أن لا إله إلا غير الله ، إذ لا يحسرون في كل الحياة دورا لله ، ويكون الله الخالع عن ربوبيته ككل ، محولا لها إلى شركاء ! .  
**﴿إِنَّمَا جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَهْنَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهٌ مَعَ الْهُنْدِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٦١**

«ام» وبعد خلق الأرض «من ﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ ولم تكن قرارا ، حيث يجعل هنا مركب يتطلب مفعولين كما ها ﴿الْأَرْضَ قَرَارًا ، اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّماءَ بِنَاءً وَصَوَرَكُمْ فَأَحَسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٠ : ٦٤).)

ولقد بحثنا حول قرار الأرض في الغافر مشبعا ، وانه من القر : البرد والصرد ، دون السكون المطلق ، فالسكون المطلق في المادة عن أي حراك انعدام عن أصل الكيان ، فاما هو سكون نسيي ، حيث كانت الأرض حارة ذائبة ، فسرعة الحركات بكل شماس ، فجعلها الله ذلولا بعد شماس ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ (٦٧ : ١٥) وقرارا في برد نسيي حسب تعديليها في حرارتها وحركاتها ، فقرارا مستقرا لساكنيها ، ويا لقرار الأرض من أسرار الآفات الملابسات والمرافقات ، لو اختلت واحدة منها أو كللت أو قلت

لما كانت الأرض قرارا ، وقد تبقى أسرار قرار الأرض مفتوحة للأجيال ، كلما اتسع العلم وارتفع أدركوا طرفا منها طريفا لم يكونوا يدركونه من ذي قبل ! .

ومن خلفيات قرار الأرض **﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَهْمَارًا﴾** فانها قبل قرارها ما كانت تحن لماء ولا كلام لشمامس الحرارة البالغة الذروة ، وفي الحق أنهار الأرض هي شريان حياها بن علية ، منتشرة إلى أكناها ومناكبها ، ريا لأطفالها النبات والحيوان والإنسان من تلکم الشدي الدائبة الإرضاع .

كما **﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾** على اثر البرودة فالامواج المائجة من موادها الثقيلة الداخلية والخارجية الممتدة في حركاتها المعدلة الدورانية حسب قانون الفرار عن المركز ، والرواسي هي في الأغلب منابع الأنهر حيث تجري منها مياه الأمطار إلى الوديان وتشق مجراها بسبب تدفقها من قمم الجبال العالية . **﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾** حلوا وما لها « حاجزا » وحاجرا محجورا لا يرى : **﴿مَرَأَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾** (٥٥) : ١٩ )<sup>(١)</sup> ... هذا عذب فرات سائع شرابه وهذا ملح أجاج (٣٥ : ١٢) .

**﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾** في هذه الأفاعيل المخيرة العقول؟ لا ! **﴿بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** فيتقولون قولتهم المشتركة جهلا حالقا قاحلا في تقليد أعمى ، ثم وأقلهم وهم المستكبارون يعلمون لكنهم **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنْفُسُهُمْ طُلْمًا وَعُلُوًّا﴾** (٢٧ : ١٤) .

إلى هنا استجواب في مشاهد الكون المشهودة لكل كائن عاقل أمن دونه ، ثم إلى

خاصة الأنفس في كل شارد ووارد :

**﴿مَنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفاءَ﴾**

(١) راجع تفسير الآية في ج ٢٦ الفرقان ففيه تفضيل حاجز البحرين فلا نعيده هنا .

### الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

هنا «المضطر» : الذي هو في ضر أو أصابه ضر ، ما يضر بحياته الراضية المرضية مادياً ومعنوياً ، دنيوياً وأخروياً ، فردياً وجماعياً سياسياً أو عقدياً أو ثقافياً أو اقتصادياً أم أيها كان مما يضره من سوء ، والإضرار هنا أعم من التكويني والتشريعي ، وما اختاره هو ام حصل له باضطرار ، فاما النص «المضطر» وهو الذي يضطر أيها كان ، ولكن اضطرار سوء لقوله ﴿وَيَكْشِفُ الشُّوَءَ﴾.

يجد نفسه في ضر حالق خانق يلمسه ، حين تضيق عليه كل الحلقات ، وتشتد الحنقات والحنقات ، وتتضاءل كل القوى الظاهرة وتخاذل ، وتهاوى الأسناد والمستندات ، فيجد المضطر نفسه منقطعة الصلاة عن كافة الأسباب ، حين تكلّ فيكـلـ هو في ضره ، فيجد نفسه في هوة ، دون ناصر ولا قوة إلا الله وهنا «فالاضطرار عين الدين»<sup>(١)</sup> والاطمئنان اليقين.

### ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ هو لا سواه ، وبطبيعة الحال ، قضية الفطرة يدعوه لا سواه ، دعوة في

عمق ، دون لقلق اللسان ، أم تجربة الجنان ، وإنما دعوة منقطعة عن سواه ، متوجهة إليه ، وكما هو متعلق الكون بالله ، يصبح متعلق الكيان بالله ، لا يهوي سواه ، ولا يهوي إلى سواه ، امن يحييه . إذا . إلا الله ، وليس ليتركه في دعوته الفطرية المنطلقة ، المطلقة عن الحواجز ، وهو الذي فطره عليها ، فلسانها لسان الله حيث فطره الله ، وسؤال الله نفسه .

طبعاً . لا يرد!

(١) تفسير بيان السعادة ٣ : ١٧٧ . واليه أشار الصادق (عليه السلام) بقوله : ...

هم تو بودی اول آرنده دعا      هم تو باش آخر اجابت را رجا  
 چون حدا از خود سئوال وکد کند      پس سئوال خویش را کی رد کند  
 هم دعا از تو أجابت هم ز تو      اینی از تو مهابت هم ز تو  
 وهنا كتاب التكوين : الفطرة ، وكتاب التشريع الامر بالدعاء ، يتعانقان في ذلك  
 الدعاء ويتجازبان تعاملا عشيقا رفيقا. فلسان الدعاء للمضطرب وسواه هو لسان الله ، وطبعا  
 لسان الفعل دون الذات والصفات ، حيث كون ودون ما يقتضي ذلك الدعاء !  
 فهنا الدعاء المستجاب دون رد له رکنان ، حالة الاضطرار التام ، وانه ضرر السوء ، لا  
 الذي يحيط به ضرا وهو في الحق ليس به ف ﴿عَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى  
 أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣١٦) وليس الله بمحب  
 دعاء من يدعوا على نفسه تحسبا انه يدعوا خيرا أو زوال شر ، وهو في الحق ليس في  
 اضطرار شر ، فمن اركان الدعوة المستجابة في آياتها أن تكون صالحة للداعي شخصيا أم  
 جماعيا ، ف ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ دعوة حق وفي حق بصادق النية ولائق الطوية وصالح القضية ،  
 فالإجابة . إذا . حاضرة عاجلة ام آجلة دونما استثناء .

ف «المضطرب» وهو الذي يضطر في حالة سوء ، تستغرق كل مضطرب دون إبقاء .  
 فالدعوات غير المستجابة إنما تنقص من أركانها ، سوء ، أو اضطرارا ، ام دعاء خالصا  
 ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْرِهُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
 دَاخِرِينَ﴾ (٤٠ : ٦٠) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ  
 فَلَيُسْتَجِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ . (٣ : ١٨٦) ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ هنا و ﴿إِذَا  
 دَعَاهُ﴾ في آية المضطرب ، تشملان دعاء القال والحال والأفعال ، دون دعاء الذات ، فكل

الذوات هي متعلقة الكون والكيان بالله ، شعرت أصحابها ألم لم تشعر ، أرادت ألم لم ترد ، اعتقدت ألم لم تعتقد ، فهي إذا دائبة الدعاء ذاتيا و «إذا» هي دعاء أحيانا باختيار. والمهم في مثلث الدعاء هو دعاء الحال علما واعتقادا ، ثم الدعاء بالأعمال التي تبرز ان صاحبها يدعو الله ، ثم بالقال ، كإذاعة عن الحال والأعمال ، فالداعي بقاله دون حاله وأعماله خاو في دعاءه مستهزء ، والداعي بقاله وأعماله دون حاله منافق ، والداعي بحاله دون اعماله قليل الایمان ، والتارك لذلك المثلث كله لا ايمان له ، والجامع بين الثلاثة هو كامل الایمان ، والتارك قاله زائدا في حاله واعماله هو أحيانا في قمة الدعاء ، ولكن الضابطة العامة في الدعاء ضم القال إلى الأفعال والأحوال ليصبح الداعي كله دعاء دون إبقاء ، والمضرط بطبيعة الحال يدعو بحاله ، ام وبأفعاله وقاله ، ولكنه قد لا يستجاب لأنه خاطئ في ضره ، فكم من مضطر في غير سوء وهو يحسبه سوء ، يدعوا فلا يستجاب رحمة عليه ، وكم من سيء الحال في واقع الحال ولكنه ليس في حالة الاضطرار إذ يحسبه حسنا فلا يدعوا فهل يستجاب دون دعوة؟ وكم من مضطر فيأسو الحال ولكنه لا يدعوا الله دعوة صالحة وخالصة فلا يستجاب حيث ينقص ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ واما الداعي رباه مضطرا في سوء ، دعوة صالحة خالصة ، منقطعة الصلة عما سوى الله ، مطمئنا إليه لا سواه ، راجيا إيه ، فهو المستجاب كما وعد الله : «يجيب المضطر . ويكشف السوء . و يجعلكم خلفاء الأرض» إجابة عن حالة الاضطرار ، وكشفا للسوء الذي اضطرب فرديا ، بل وجماعيا حيث ﴿يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ قضاء على ضر الحكم والسلطة غير الصالحة عن بكرتها ، فلا تعني خلافة الأرض هنا ما قد تعنيه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَفَاتَ الْأَرْضِ﴾ (٦ : ١٦٥) وهي خلافة السكن الحيوية بعد الذين ضلوا ، فانها حاصلة

للمضطرون في سوء أية كان ، فالدعوة لها والاستجابة فيها تحصيلة للحاصل ، بل هي الخلافة عن السلطات الجبارية المكدرة جو الحياة السليمة الإسلامية ، الخانقة الخانقة جو الاضطرار بسوئها والتقية ، الدافعة إلى سنة الاستثار والخفية.

فالإمام المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو من أفضل المضطربين في سوء بجيبيه الله بدعائه ودعاء المنتظرین قدومه ، آجلاً أم عاجلاً وكما يراه الله ويرضاه ، شرط أن يكون دعاء المضطربين سواه ، كاملة الدعائم ، شاهرة المعالم ، مزودة بالجهاد الدائب ، والصبر الصائب ، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أعونه وأنصاره ، آمين يا مجيب دعوة المضطربين!

هنا « يجعلكم » تحقق على كل خلافة أرضية صالحة ، جانبية نسبية غير شاملة كما حصلت أياً ما أو تحصل على ضوء الدعوات الصالحة والجهادات المتواصلة ، أم شاملة محلقة على كافة السلطات الأرضية كما في دولة القائم (عج) المظفرة العالمية فهو . إذا . خليفة الله في الأرض كلها ، دون خلافة أخرى فيها إلا لأصحاب أوليته الذين يديرون أمور السلطة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، فهؤلاء الأكارم مع صاحب الأمر هم أصدق المصاديق للمعنيين ب ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ جمعاً بين الجعلين التكويني والتشريعي ، وكما سبق في داود وسليمان فلا « المضططر » هنا يختص بالمشركين! ام فرقة خاصة من المضطربين المسلمين! ، ولا أن خلافة الأرض هي الحياة الخلفية لكل قوم عن آخرين ، مهما كان الإمام المنتظر المهدي من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، بمن معه من المضطربين الصالحين ، هم أصدق المضطربين الداعين ، وأصلح خلفاء الأرض<sup>(١)</sup>.

---

(١) نور الثقلين ٤ : ٩٤ عن تفسير القمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : نزلت .

وهذه الخلافة المروقة هي التي تشعر المسئولية الهامة لحد ينتفض منها أول الخلفاء وأعد لهم بعد الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) حين يقراء رسول الله ﷺ **﴿أَمَنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ .. وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾** فانتفاض علي (عليه السلام) انتفاض العصفور ، فقال له النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ما شألك تجزع؟ فقال : وما لي لا أجزع والله يقول انه يجعلنا خلفاء الأرض؟! فقال له النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) : لا تجزع والله لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» (١).

. في القائم من آل محمد عليهم السلام هو والله المضطرب إذا صلي في المقام ركتعين ودعا إلى الله عز وجل فأجابه ويكشف السوء وبجعله خليفة في الأرض وفيه حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال قال أبو جعفر (عليه السلام) : والله لكأني انظر إلى القائم (عليه السلام) وقد أنسد ظهره إلى الحجر ثم يشد الله حقه . إلى أن قال . : هو والله المضطرب في كتاب الله في قوله : **﴿أَمَنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ ..﴾** فيكون أول من يباعه جبريل (عليه السلام) ثم الثلاثة عشر رجلا فمن كان ابلي بالمسير واف ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه وهو قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول الله : **﴿فَاسْتَقْوِدُوا الْحُبْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾** قال : الخبرات الولاية.

(١) المصدر ٩٥ عن امامي الطوسي باسناده الى عمران بن الحسين قال : كنت انا وعمر بن الخطاب جالسين عند النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وعلى جالس إلى جنبه إذ قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : **﴿أَمَنْ يُحِبُّ ..﴾** ومثله محمد بن عباس عن عمران عنه (صلى الله عليه وآلها وسلم) والمغيد في الأمامي عنه وانس بن مالك قال لما نزلت الآيات الخمس في طس «امن جعل الأرض قرارا الآيات انتفاض علي انتفاض العصفور فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) مالك يا علي ! قال : عجب يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) من كفراهم وحمل الله عنهم فمسحه رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) بيده ثم قال : أبشر فإنه لا يبغضك مؤمن ولا .

هذا ، وأما ما يروى عن رسول المهدى من واجب الطاعة لأية خلافة خيرة وشريرة ، يطارده فرض مطاردة السلطة الجائرة ودفع الفساد أيا كان ، ولا سيما الخلافة الفاسدة المفسدة التي تظلم الجو على الشعوب ، فما الرواية إلا مختلفة مصلحية الحفاظ على كيان الخلفاء المتخلفين عن شرعة الله ، المستضعفين عباد الله <sup>(١)</sup>.

. يحبك منافق ولو لا أنت لم يعرف حزب الله (غاية المرام ٤٠٢).

أقول : هذه التلبيقة إنما طمانت الإمام (عليه السلام) حيث ضمنت عدله في الحكم لـ «لا يغضضك مؤمن ولا يحبك منافق» فان الحاكم غير العادل يغضض المؤمن ويحبه المنافق.

(١) الدر المنشور ٥ : ١١٣ اخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من فارق الجماعة فهو في النار على وجهه لأن الله تعالى يقول : «.. وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفَاءَ الْأَرْضِ» فالخلافة من الله عز وجل فان كان خيرا فهو يذهب به وان كان شرا فهو يؤخذ به عليك أنت بالطاعة فيما امر الله تعالى به.

أقول : مفارقة الجماعة المؤبدة لخلافة الزور واجبة في شرعة الحق التي تطارد هذه الخلافة ، فمن فارقها نقضها هذه الخلافة وتركا لتأييدها فهو في الجنة ، ومن وافقها وقارفها فهو في النار واما ان الخلافة خيرا وشرا هي من الله ، فمن الناحية التكوينية صحيح ولكنها لا توجب الطاعة وليس شرعا تشريعا من الله حتى يرضها الله ويأمر بطاعتها ، ثم لماذا يعني «فهو يذهب به إذا كان خيرا؟» فهل ان الله يذهب بالخلافة الخيرة و يأتي بديلها بالشريرة؟ ثم ماذا يعني : «وان كان شرا يؤخذ به» فهلا يؤخذ بخير الخلافة كما الله يذهب بما ، ثم يؤخذ بشر الخلافة لأن الله يأتي بما ، فما افضحها اختلافا في مطاردة الخلافة الحقة الإلهية ، وما أقبحها افتراء على رسول المهدى (صلى الله عليه وآله وسلم)! وان كان قد يعني «فهو يذهب به» ان خير الخلافة لاصحابه ، و « يؤخذ به» يعني ان شر الخلافة لاصحابه ، فما عليكم إلا الاتباع في كلتا الحالتين ولكن الخلافة بشرها وخيرها تعم الخليفة والرعية ، فهم مستفيدين من خيرها ويضرهم شرها ، وهو يؤخذون . كما .

وكيف يستند إلى آية الخلافة الكاشفة السوء بدعاء المضطربين ، في فرض الطاعة للخلافة الخلاعة السوء ، التي هي سوء على سوء للمضطربين !؟

كلا! وإنما دعوة خير استئصالا لضر وشر وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله حين يسأل يا رسول الله ألم ندعوه؟ قال : أدعوا لي الله وحده الذي إن نزل بك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن ضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك ، والذي إن أصابك سنة فدعوته أنزل لك»<sup>(١)</sup>.

وهذه مصاديق متعددة فردية للضر والشر ، ثم أضر منها وأقفر ما المضطربون إلى كشفه عنهم أقفر وهو السلطة الصالحة في خلافة الأرض ، وقامتها العالية المنتظرة لكافة المستضعفين المؤمنين الخلافة المهدوية العالمية عليه كل سلام وتحية ، ف « يجعلكم » هنا ليست لتعني فقط العمل التشريعي دون تكوين ولا التكويني دون تشريع ، لأن كلاً دون الآخر لا يكشف به السوء الجماهيري المتربّع من الخلافة الصالحة ، فاما واقع الخلافة الشرعية هو الذي يكشف به ذلك السوء ، وللمخاطبين في « يجعلكم » درجات حسب القابليات والفاعليات ثم و « يجعلكم » هذا هو نتيجة أدعية المضطربين من فيهم المستأهل لهذه الخلافة ، دعوات مقرونة بمحاولات صالحة لاجتناث الخلافة عن الطالحين واحتصاصها بالصالحين بمراتبهم ودرجاتها.

فالله هو المجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، وبالمآل

. هو . بشرها لماذا استسلموا له دون معارضة ممكنة؟.

(١) المصدر اخرج احمد وابو داود والطبراني عن رجل من بلجم قال قلت يا رسول الله إلى م ...

﴿يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ دون سواه فـ«الله الذي ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَحْجَةٍ ... جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَهْمَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ...﴾ هو الذي يجيبكم حال اضطراركم .. وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ..﴾ ففي الخلافة الأخيرة ﴿تُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ﴾ حيث الحياة جديدة جادة نحو الحق ، وينزل عليكم من سماء الوحي والرحمة غزيرة ناصعة تروي العطاش ، وينبت حدائق بمحيجة في حقول المعرفة الربانية ، لكم فيها من كل الثمرات ، ويجعل الأرض المتأرجفة بمفسديها قرارا بذلك المصلح الكبير ، ويجعل خلالها أهمارا تروي العالمين من المعرفة برب العالمين ، ويجعل فيها رواسى هي أصحاب الأولية الثلاثة عشر رجالا من أصحابه الخصوص ، أعضاء الدولة العالمية ، ويجعل بين بحري الماح والعدب حاجزا فلا خلط . إذا . بين الحق والباطل .... أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ .

فما دامت السلطات الجائرة مسيطرة على الشعوب فهم مضطرون ، وعليهم الدعاء الدائب بشروطاته الصالحة ليجعل الله لهم بالمال خلافة الأرض صالحة مصلحة محلقة على العالمين أجمعين وكما وعد الله هنا و ﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ و ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٥ : ٢٤) .

ولعمري إن المضرر بالحق زمن الغيبة هو الإمام المنتظر حيث

يرى المستضعفين تحت أنيار الظلم والضغط من المستكبرين الذين لا يدينون دين الحق.

﴿أَمْنٌ يَهْدِيْكُمْ فِي ظُلُّمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ . ٦٣

﴿أَمْنٌ يَهْدِيْكُمْ﴾ هدي الحياة الدنيوية والروحية ﴿فِي ظُلُّمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ظاهرية أو باطنية ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ روحانية برياح الوحي وسواها بسائر الرياح ﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يهديكم في أي هدي ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به في حقول المدى.

وهنا ﴿ظُلُّمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تعني فيما عنت باطن البر وخضم البحر غوراً وغوصاً فيها ، و «يهديكم» تشمل كل الوسائل المستقبلة لخوض الأعماق في البر والبحر.

﴿أَمْنٌ يَبْدُوا الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . ٦٤

استجوابات خمس تتجاوب أخراها وأولاها ، فهناك «أمن خلق ...» وهذا ﴿أَمْنٌ يَبْدُوا الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ﴾ وبيداً الخلق قد يعم خلق المادة الأولية لا من شيء ، ثم خلق دخان السماء وزيد الأرض ، ثم سائر الخلق ومنه الإنسان ، و «ثم يعيده» تخص الإعادة إلى الحالة الأولى فيما سوى الأولى لأنها لا شيء ولا إعادة لشيء إلى اللاشيء !

والإعادة إلى البدء عملية مكرورة على طول الخط في الجماد والنبات والحيوان والإنسان يوم الدنيا ، أفيعجز المبدء عن الإعادة في الأخرى وهي أخرى قضية العدل الحساب ثم الثواب والعقاب ، وليس شيء من الإعادة المعنية هنا وهناك إعادة للمعدوم حتى تدخل في نطاق تفليسف الاستحالة ،

وانما هي إعادة مواد الأشياء إلى أمثال صورها السابقة البداءة ، ومنها إعادة اجزاء الإنسان إلى مثل ما كان في الصورة ، فالمعاد في المعاد ليس بإيجاد عن لا شيء ولا إعادة المعدوم ، بل هو ذرات البدن الأصلية حيث تعاد إلى مثل الصورة الأولى ، وهو الروح حيث يعاد إلى نفس البدن الممثل كالأول فأين هنا إعادة المعدوم؟

**﴿فَلَنْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾** في هذه الحالات الخمس ، ابطالا لما أثبتت **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** في تكذيبكم ، وأنّ لهم برهان ، وأنّ لهم أن يعلموا هذه الحقائق المعلومة لدى ذوي العقول ، بل هم في جهالتهم طائشون ، جهلا عن تقصير ، وهم يطالبون الغيب وأنّ  
يبيعون!

**﴿فَلَنْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعْثُرُونَ﴾**

. ٦٥

هذه آيات اختصاصه تعالى بعلم الغيب ، بعد ما خصت به الآيات السالفة غيب القدرة ، وهل الله هو من في السماوات والأرض حتى يستثنى عنهم بعلم الغيب؟ قد يكون الاستثناء متصلة ، والله قدرته النافذة وعلمه النافذة **﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** دون ذاته لأنّه خلقهما و «كان إذ لا كان»! كما **﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾** اي ألوهيته نافذة فيها ، لا ذاته سبحانه! .

أم هو منفصل تأكيدا لاستئصال علم الغيب عمّا سوى الله ككل ، والله هو الذي يعلم الغيب ، وطبعا هو الغيب المطلق الذي ليس لينقلب إلى شهود ، لا مطلق الغيب ومنه ما يعلمه الله من ارتضاه : **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ..﴾**

ونموذجا بارزا للغيب المطلق وقت الساعة **﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**

كل ما سوى الله عابدين ومعبودين ﴿أَيَّانَ يُعْثُونَ﴾ ، وذلك نفي للعلم عنهم في أدنى مراحله وأغمضها وهو الشعور ، وهو من العلم الذي يستحيل لمن سوى الله وكما يقول الله عن رسول الله ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْتُرُتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ..﴾ (٧) . (١٨٨)

وكما سئل علي (عليه السلام) : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين (عليه السلام) علم الغيب؟ فضحك وقال : ليس هو بعلم غريب ، وإنما هو تعلم من ذي علم ، وإنما علم الغريب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْبَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِإِيَّيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيهِ خَبِيرٌ﴾ (٣٤) .

فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى ، وقبع أو جميل ، وسخي أو بخيل ، وشقي أو سعيد ، ومن يكون للنار حطبا ، أو في الجنان للنبيين مرافقا ، فهذا علم الغريب الذي لا يعلمه إلا الله ، وما سوى ذلك . يعني به المعدود في آية الساعة . فعلم علمه الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلمته ودعا لي أن يعيه صدري وتضطرم عليه جوارحي»<sup>(١)</sup>.

فلقد منح الله الإنسان طاقات يستكشف بها الخبراء في السماوات

(١) نور الثقلين ٤ : ٩٥ عن نجح البلاغة كلام يومي به (عليه السلام) إلى وصف الأتراك : كأنني أراهم قوماً كان وجههم الجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استمرار قتل حتى يمشي المجرح على المقتول ويكون المفلت أقل من المأسور فقال له بعض أصحابه لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغريب؟ فضحك ..

والأرض ، على قدر حاجته روحياً ومادياً ، وانكشاف سرّ الغيب . المخصوص علمه بالله ، أو الممكن تعليمه من سواه . ليس مما يغطيه في مهمة الحياة ، إلّا الوحي الرسالي الذي يدار به حياته في مدار الحق ، إبعاداً له عن الأخطاء ، وأمّا أن يتطلع إلى كل أسرار الغيب كما الله فمستحيل ذلك على كل من سوى الله حيث يصبح كأنه الله ، أو يتطلع إلى أسرار ليست من هامة الحياة ، مهما أمكن تطلاعه عليها بتعليم الله ، إذ لا دافع فيه ، وكان فيه ارتفاع الابتلاء في الحياة أن يعلم كل ما في قلب الآخر ، أو كان فيه تعطيل الاستعدادات عن التحرك نحو الكمال .

**﴿بِلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ ٦٦**

إنهم مبلغهم من العلم في الأولى هو العلم الأعمى ، المنحصر فيها ، المنحصر عن الأخرى : **﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرْدِ إلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ﴾ ..** (٥٣ : ٣٠) ، فشكهم فيها وعما هم منها امتناع للعلم باختيار ، فقد صرفوا كل علمهم في الأولى فلم يبق لهم علم بالأخرى **﴿بِلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾** تداركاً لما فوتوه على أنفسهم في الأولى ، للأخرى ، ولات حين مناص وقد فات يوم خلاص ! ولأن «ادراك» هي من باب الافعال ، مبالغة في التدارك والدرك ، فقد تعني كمال الدرك والتدارك بعد نقص قصوراً وتقصيراً .

وتدارك علمهم ، المقصرؤن فيه أو القاصرون ، يشمل علم الساعة حيث يتدارك عند الساعة بواقعها ، فالمؤمن بالساعة يعلمهها علم الإيمان دون متها ، فيتدارك علمه بها بواقعها ، ثم والعلم ب الواقع اعمالهم السيئة التي كانوا يرونها حسنة : **﴿لَفَدْكُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ﴾**

**حَدِيدٌ** ﴿والعلم ان الله هو الحق المبين ، وسائل ما بالإمكان ان يعلمه ثم للمؤمن يضم إلى علم اليقين عين اليقين حيث يعاين حقائق الأعمال بعد إيمانه بها .

إذا فالآخرة هي مجالة العلم ، الميسور لغير الله ، ما قصرروا عنه ام قصرروا فيه ، واما السابقون والمقربون فلا تدارك لعلمهم إلا مزيد المعرفة الربانية بما قدموا إلى الأخرى ، وما هم فاعلون فيها ، وسائل العلم فهم حاصلون عليه يوم الدنيا كما يروى عن الامام علي (عليه السلام) قوله : «لو كشف الغطاء ما ازدلت يقينا».

ثم «علمهم» قد تعني علم كل مكلف على قدره حيث يتدارك تتميما وتطمئنا ، إلا العلم غير الممكن تداركه كالعلم بالله ، و «هم» هنا لا تختص بالكافرين.

وترى كيف «علمهم» وهم يجهلون المبدء والمعاد ، فليختص بالمؤمنين؟ ولكن يطارده

**﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾**.

«علمهم» في الناكرين هو الفطري والعقلاني والعلمي من سواها ، فقد يتتجاهلونه فيجهلون ، فيتدارك علمهم المغطى في الآخرة **﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾** هنا في تغافل علمهم **﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾** هنا وهو أنزل من الشك ، فكل ذلك الثالث يدارك في الآخرة.

ثم «علمهم» في وجهه أشمل يشمل كل علم ناقص قصورا أو تقصيرا ، ولكن «بل هم .. ليس اضرابا إلا عن علم الناكرين.

ثم وليس العمى هنا هي فقد الجارحة المبصرة ، بل هي فقد الجائحة البصيرة ، تعاميا عن الحق المبين ، والذهاب على رسول صحفا عن النظر

الموصل إلى اليقين ، إما قصداً وعمداً ، أو تساهلاً وتجاهلاً ، ثم ﴿إِذَا رَأَكُمْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾  
إذ «علموا ما جهلوا في الدنيا» <sup>(١)</sup>.

وكيف «منها عمون» دون «عنها»؟ حيث القصد شكلهم فيها ، والامتناء في صحتها ، فهم في عمي منها ، إذ لا يعني . فقط . عماهم عن النظر إليها ، بل القصد ذكر عماهم بالشك فيها :

فقد عموا شاكين عن النظر فيها حتى عموا منها ، وهذا إضراب ثالث عن حالتهم الرديئة وجاه الآخرة فهم على علم ما تجاهلوا فيه : ﴿بَلْ إِذَا رَأَكُمْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وعنه إلى شك ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ مِّنْهَا﴾ ومنه إلى نكران ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ تنزلاً عن قضية العلم بها إلى نكراناً!

وقد تعني «من» السببية فان عماهم عنها . دون الأولى . مسبة منها ، فانما دار حساب فثواب او عقاب ، وهم يتغرون زهرة الأولى وزهوها ، والايمان بالآخرة والإبصار إليها يصدهم عما يهودون ، فهم . إذا . «منها» فقط ، لا الدنيا «عمون» وهكذا يصف الدنيا مطلقها الامام امير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً : «من ابصر بها بصرته ومن ابصر إليها عتمته»!

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا ثُرَابًا وَآباؤُنَا إِنَّا لَمُحْرَجُونَ ٦٧ لَقَدْ وُعَدْنَا هَذَا تَحْنُنٌ وَآباؤُنَا مِنْ قَبْلٍ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ <sup>٦٨</sup>

وكيف يتتحول التراب إنساناً كما كان؟ وقد تحول لأول مرة ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٥٠ : ١٥) ﴿وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ﴾ (٣٠ : ٢٧) بل هم أحون من الحيوان وأضل سبيلاً!

وهي كأنهم يحيطون تحول التراب إنساناً للمرة الآخرة ، وهم يرون

(١) نور الثقلين ٤ : ٩٦ في تفسير القمي في الآية قال قال ...

مختلف التحولات الغامضة مدى الحياة ، فمن اين كانت الخلايا التي كونت منها هياكلهم الأولى ، فقد كانت مفرقة في أطوال الأرض وأجواء الفضاء وأجواز البحر ، ومنها ما انبعث من جسد رم ... ثم تمثلت ما تمثلت هذه الخلايا في مختلف الطعام والشراب والهواء والشاعع ، ثم تجمعت هيكلًا إنسانيا ينمو من بويضة عالقة في رحم حتى يطلع إنسانا فإذا هو خصيم مبين : ﴿أَوْلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا حَلَقْنَا مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٦ : ٧٧) !

كيف أصبح الوعد بالبعث من أساطير الأولين وخرافاتهم المودعة في مسطوراتهم ، المتنقلة فيما بينهم خلفا عن سلف ، وهو حقيقة تصدقها الفطرة والعقل والحس ، ويفرضها العدل؟!

﴿فُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ٦٩ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧٠).

وذلك السير المأمور به نبهة للغافلين يعم السير التاريخي الجغرافي ، والجغرافي التاريخي ، سيرا حثيثا مسيسا في كتاب التكوين آفاقيا وأنفسيا ، أم تدوينيا ، وأفضل السير فيه وأكمله دونعا دجل ولا دخل أو دغل نجده في أكمل نسخة تدوينية عن نسخة التكوين وهو القرآن العظيم <sup>(١)</sup> حيث يسير بنا إلى مسرح الحياة العابرة للأرض ومن عليها ، تبصرة وذكرى للذاكرين.

وليس السير في القرآن للمشركين حملا لهم على تقليد دون برهان حيث القرآن هو بنفسه قاطع البرهان على صدقه نفسه وانه كلام الله ، فصدق أنباءه

(١) نور الثقلين ٤ : ٩٦ في كتاب الحصول وسائل الصادق (عليه السلام) عن قول الله تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال : معناه : ألم ينظروا في القرآن؟ .

الغيبية تصديقا عن تحقيق ، والكون بكل جنباته حسيا وعلميما وفطريا وفكريا  
يجاوب نسخته التدوينية : القرآن العظيم .

**﴿قُلْ سِيرُوا .. فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾** : القاطعين ثمرات الحياة قبل  
إيناعها ونضجها ، الجاعلين لطاقتها . وحتى الشمرات غير الناضجة فيها . هباء منتشر ،  
فأصبحوا خواء بالعراء **﴿فَهُنَّ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةِ إِلَّا باعِيَةً دَاثِرَةً غَامِرَةً ، ضَامِرَةً هَامِرَةً .**

وإذا هم لا يرحمون أنفسهم ولا يرعون ف **﴿لَا تَحْرُنْ عَلَيْهِمْ﴾** لماذا أجرموا وفنوا **﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ بِمَا يَمْكُرُونَ﴾** إذ **﴿مَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** (٦ : ١٢٣) فلا  
تضيق . إذا . إلا أنفسهم بما يمكرون .

وإذا كانت عاقبة الإجرام هنا . وليس هي دار الجزاء . هكذا ، فبآخرى العاقبة  
الأخرى وهي دار الجزاء الأولى ، فقد تلمح عاقبة العاجل لكونها أخرى وأتم في الآجل ! .  
وهنا نلمس حساسية مرهفة لذلك القلب الكبير الكبير كيف كان يحزن على مسيرة  
قومه الناكرين ومصيرهم كالسابقين ، وهم الماكرون به والمؤلبون عليه ، ثم الله يطمئنه عن  
مكرهم ويخلصه عن الحزن عليهم ، ليداوم في دعوته الصالحة دونما فشل ولا عطل .

**﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** ٧١ .

ويكأن صدق الوعد لزامه العلم بمتاه ومداه ، فهل إنّ جهالهم بمتى الولادة والوفاة  
لأنفسهم يحملهم هذا على نكران الولائد من ذي قبل ووفاتهم لوقت ما؟ فكيف اختص  
التصديق ب **﴿هَذَا الْوَعْدُ﴾** دون سواه ، بموقف العلم بمتاه ، فلولاه فكذب هو من أسطoir  
الأولين !

﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رِدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ . ٧٣

وإذا أنت تستعجلون **﴿هَذَا الْوَعْدُ﴾** العذاب بكم ، فـ «قل» لهؤلاء الحماقى الأنكاد **﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رِدْفَ لَكُمْ﴾** وقرب منكم «بعض» الوعد **﴿الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾** فهو . عساه . في آثاركم لاحقا بكم دون إهمال ولا إمهال .

وطالما عذاب الناكر لهذا الوعد ردفه وهو معه لا يفارقه فإنه عمله اللازم معه في عنقه ، ولكنه لا يردف له يوم الدنيا تأجيلا إلى الآجل في الأخرى .

وعلى اللام في «لكم» كما تختص ذلك العذاب بهم دون سواهم من المستحقين ، كذلك سخرية بهم كأنه لصالحهم وهم يتطلبون حاضر وعدهم ، فـ **﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رِدْفَ لَكُمْ﴾** لصالحكم **﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾** رغم انه عليكم وليس لكم !

فـ «ردفكم» لا يخصهم في الواقع العذاب الذي هو معهم ، و «ردف عليكم» لا يحمل ذلك المزء بهم ، إذا فـ **﴿رِدْفَ لَكُمْ ..﴾**

**﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾** حيث لا يستعجل لهم عذابهم في الأولى **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾** ذلك التأجيل ، عقidiya كما الناكرون ، أو عمليا كما العاصون ، اигala في المعاصي ، وادغala في المآسي ! : **﴿يَوْمَ تَجُدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُّحْسِرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾** فخيرات كل نفس وشرورها هي ردفها هنا وردف لها هناك ، اللهم إلا **﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾** فقد يردف لهم هنا عذاب الاستئصال كيوم بدر قتلا لهم ، وسواء صبيبا من السماء أو الأرض ، وهو بعض الذي به يستعجلون ، ثم عذابهم يوم الرجعة إذ يرجع من محض الكفر محضا كمن

محض الإيمان محضا ، ثم كامل العذاب يوم البرزخ ، وإلى أكمله في الأخرى ، و «عسى» هي بأخرى للأول ، دون الثلاثة الأخرى فانها محتممة.

وكيف **﴿عَسِيَ أَنْ يَكُونَ ..﴾** والله لا يرجح شكا ومن يترجح؟ «قل» هنا يحول ترجي «عسى» إلى ساحة الرسالة ، أنه يرجوا ردهم هنا بما يتطلبون ويستحقون ، والعلم عند الله ، فالموقف الرسالي في هذه المقالة هو موقف الرجاء ، وليس الله ليترجح! .

ثم من واجهة أخرى قد تعني «عسى» هنا تنازلاً أمام المشركين الناكرين الوعد وتحقيقه بحق الكافرين ، حيث الرسول موقن انهم سوف يعذبون بعد الموت ، ولكنه غير موقن بعذاب قبل الموت إلّا ان يعده ربّه.

**﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ٤٧ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**

**إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ . ٧٥**

علّهم خيل إليهم ان الله لا يعلم ما تكنه صدورهم ، إظهاراً لخلاف المكتون فيها ، فلا يعدل لهم العذاب ردهم لوعده قبل الآخرة ، إذ لا يعلم أسرارهم ، ولكنه إمهال وإملاك عن علم ، فضلاً من يتتبّع امتحاناً ، وتأجيلاً لسواد امتحاناً ، وأن الآخرة هي دار الجزاء **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ﴾** فضلاً عما يعلّمون **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ..﴾**

وليس فحسب **﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ﴾** أولاء ، بل **﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ .. إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** وهو العلم المكتون لدى الله.

وعلى «غائبة» هي المبالغة بتائتها كال بصيرة والعلامة ، فأغيب الغيب في الكون كله هو

**﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** علماً وقدرة ، فضلاً عن سائر الغيب ، ام

هي صفة ل «أشياء . امور . حالات . طويات» أما هي من صالحة هذه الصفة ، وعلّ المبالغة أولى وهي تشملها بالأولى ، ام لكليهما مبالغة وتأنيثا.

وقد تعني «مبين» انه تعالى يبين كل غائبة لمن ارتضاه <sup>(١)</sup> ، إلّا ما اختص الله بعلمه.

**﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** (٧٦) **﴿وَإِنَّهُ لَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** (٧٧) **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بِمَا نَعْمَلُ ۖ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾** (٧٨) **﴿فَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحُقْقِ الْمُبِينِ﴾** (٧٩) **﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَدَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُذْبِرِينَ﴾** (٨٠) **﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَّىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾** (٨١)

(١) نور الشقرين ٤ : ٩٦ عن اصول الكافي عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) انه قال : وقد أورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وبه يحيى الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء وان في الكتاب آيات ما يراد بها امر إلا أن يأذن الله به ما قد يأذن بما كتبه الماضون جعله الله لنا في ام الكتاب ان الله يقول : **﴿وَمَا مِنْ غَائِبٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾** ثم قال : **﴿ثُمَّ أُورثُنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾** فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل ، وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء.

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ ذَابَةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَدِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُ قَالَ أَكَدَّبْنَاهُمْ بِآيَاتِنِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ إِنَّا ظَلَمَوْهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزْعٌ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتُوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيْئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ

فِي النَّارِ هُلْ تُجْزَوُنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠) إِنَّمَا أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّهُذِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَإِنْ أَتَلُوا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذَرِينَ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّدِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرُفُوهَا وَمَا رِبُّكَ بِغَايِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٧٦.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤ : ١٦).

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ دون سواه من قرائين الوحي السابقة عليه «يقص» قصا من

الأنبياء المذكورة في كتب الوحي الإسرائيلية ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وهم المحور الأصيل في شرعيتهم مهما كانت تعم كافة المكلفين ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وذلك الأكثري هو بطبيعة الحال يحمل أهم الخلافات في أصول الشريعة وفروعها وما تحمل كتاباتها من قصص النبيين وسواهم ، ثم الأقل الذي هم فيه يختلفون قد يلوح من طيات الأكثري.

و ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يشمل كافة الاختلافات الإسرائيلية التي

تخلّفها اختلافاً لهم وتحريفاً لهم كتابات الوحي التوراتي عن جهات أشراعها طول الزمن ما داموا هم موجودين لمكان «يختلفون» الدالة على الاستمرارية في بشارات بحق هذا الرسول الإسماعيلي لأنّه ليس من إسرائيل ، وقصص رسالية ، وأحكام كتابية أمّا هي ، كما هي بينة في سرد القصص القرآنية عن افتعالاتهم في مختلف حقوقها.

وذلك القص الساحق هو قضية الهيمنة القرآنية على كتابات الوحي السالفة ، وليدل أهل الكتاب على مدى ضلالهم ، دفعاً لهم إلى الهدى القرآنية الصادقة ، كما :

﴿وَإِنَّهُ لَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٧٧

منهم ومن سواهم من يقع آذانهم صارم الوحي القرآني السامي ، «هدى» تقييم من خلافاً لهم العارمة ، توحيداً للنهج وتوصيلاً إلى المبلغ ، وذلك الاهتداء بهدي القرآن هو قضية الإيمان بقضيته ، والمنهج القرآني هو الوحيد المنقطع النظير في استعادة النفوس عن ورطاتها ، وتركيبها وفق الفطرة الساذجة والعقلية الناضجة دون تكليف ولا تخلف عن السنن الكونية ، تجاوباً رائعاً بين كتابي التكوين والتدوين.

ومالمصدران يشيان لخند القرآن انه مصدر الهدى والرحمة ، فإنه خالصهما دون شوب ، وكأنّ هو الهدى والرحمة!.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ٧٨

«إن ربّك» الذي رياك بهذه التربية القمة القرآنية ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ هنا في القرآن قضاء صارماً يفصل بينهم بالحق ، وهنا يوم الجزاء قضاء عملياً جزاء وفاقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ تغلباً على المخالفين «الحكيم» في عزته بقضائه وحكمه.

ثم وبعد ما أُوحى إليك يا رسول المهدى هذا الكتاب المهيمن في هداه دون نقص ولا

ركس :

**﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحُقْقِ الْمُبِينِ﴾ . ٧٩**

إنه ليس التوكيل على الله اتكلالية دون سعي ، وإنما هو زاد الطريق الشاق الطويل المليء بالأشواك والدماء والأشلاء ، بعد التزود بكل الطاقات والإمكانيات المحولة والمخلولة ، فقد خوّل إلى الرسول ذلك الحق المبين ، وحول إليه تحقيق هذا الحق المتين ، إذا **﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** في تحقيق هذه الرسالة الشاقة **﴿إِنَّكَ عَلَى الْحُقْقِ﴾** المطلق «المبين» لكل حق وكما يبيّن **﴿أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**.

وهذه تسلية لخاطر الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الجريح القرير ، وتأسية على جموع المشركين والكتابيين ولجاجهم وإصرارهم على النكران بعد الجهد الشاق في النصح والبيان ، و :

**﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الدُّعَاء إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ﴾ . ٨٠**

«إنك» على محتدك الرسالي **﴿لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾** إذ لا سمع لهم ، وترى كيف الموتى لا يسمعون الأحياء وهم في حياة بربخية قد يسمعون أكثر منا وأقوى ، ولا سيما ان المسمع هو رسول المهدى؟ إن الموتى ليسوا في حياة التكليف حتى ينفعهم سمعهم هكذا ، والمقصود هنا السمع في حياة التكاليف لتكاليف الشرعة ، فهوئاء الموتى عن الروحية الإنسانية وسمع الإنسان اذنا وقلبا «إنك لا تسمعهم ، حيث الإيماع بحاجة إلى سمع **﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾** وقد يسمع الصمم الدعاء إذا تسمعوا أم لم يولوا مدبرين ، **﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الدُّعَاء إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ﴾** كما و **﴿لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ... إِذَا وَلَوْا**

فظرف السمع للدعاء الرسالي هو القلوب الحية والأذان الصاغية ، للمؤمنين بآيات الله ، دون ميتات القلوب والصم الأسماع هنا ، ودون الأموات حيث لا يدعون للشرعة :

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾

٨١

﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦ : ٢٢) ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ﴾ عن أبصار القلوب «عن ضلالتهم» فلا إسماع للموتى والصم العمى ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ آفاقية ونفسية هي لهم مرئية فهم مبصرة ، ومسموعة فهم سامعون ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ إسلاما لله بما يرون ويسمعون ويعقلون من آياتنا.

وقد تكون «الصم والعمى» بيانا للموتى فلا قصور فيك كرسول ، ولا في آياتنا إبصارا بها وإسماعا ، وإنما القصور التقصير في الموتى والصم الذين لا يسمعون ، والعمى الذين لا يبصرون فلا يستجيبون ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مُمِّلِّهُ إِلَيْهِ يُرْجِعُهُنَّ﴾ (٣٦ : ٦) ، ومن الموتى المستعدون للحياة من يسمع فيحيى : ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦ : ١٢٢).

فما دامت آيات الله بينات ، وهناك أموات يتحررون عن الحياة ، وهنا رسول يسمعهم تلكم الآيات ، فالإسلام الله حاضر دون تلاؤ ولا تحميل ، حيث الإسلام هو نداء الفطرة ، ما إن وجدت نداء الحق أقبلت إليها قبلت ، فليس نكران الموتى عن الحيوية الإنسانية ، والذي يدل على قصور

في تلكم الآيات ام تقصير في إسماعها ، ف ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . وإلى تحديد شديد حديد في الأولى قبل الأخرى يوم القائم المهدى من آل محمد عليهم السلام :

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ . ٨٢

هذه والثلاثة اللاتي بعدها عرض لعدايم الأدنى دون العذاب الأكبر وكما وعد الله : ﴿وَلَئِنْ يَقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنِيْ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١ : ٣٢) ثم الرابعة ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ...﴾ تصريحه أخرى . بعد تلميحة من الأربع . ان وقوع القول عليهم وحشرهم قبل القيامة الكبرى ، وليس يعني اصل القول في وعد العذاب إذ صدر قبل ، ولا واقع القول في اصل العذاب فان فيه موهم فكيف تكلمهم دابة من الأرض ، إذا فهو وقوع أوانه ولما يقع حتى يسمعوا قالة الدابة المنذدة بهم ثم يقع ، وتكلم الدابة المخرجة من الأرض قبل الرجعة هو من أشراطها وكما للساعة أشراط ، وإنما تكلمهم الدابة منذرة مهينة إياهم ، فقد اندرهم الرسل فعموا وصموا فلم يأك ينفعهم توادر الإنذار ، فلتنتذرهم دابة الأرض تناسقا بين المنذر والمنذر وهم شر منها : ﴿إِنَّ شَرَ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٢ : ٨).

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ هؤلاء الموتى الصم العمى ، لا فقط خصوص الموجودين زمن نزول القرآن ، بل هم كل أولئك الذين يحملون ثالوث النكبات على مدار الزمن طول التاريخ الرسالي ، ومن «القول» هو

كلمة العذاب وكما تأتي بهذه الصيغة في آيات عدة ، أيا كان العذاب في الأولى كما هنا وفي الأخرى كما في سواها ، ومنه سائر القول كوعد الرجعة إلى الحياة الدنيا ليذوقوا فيها عذابا قبل الأخرى ، وهو المقصود هنا إذ لو كان واقع العذاب فلا مستمع منهم لقالة دابة الأرض.

**﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾** أولاء ككل ودون إبقاء **﴿دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾** . تكلمهم أولاء الموجودين زمن إخراج الدابة ولما يرجع الراجعون يوم الرجعة ، لأنما يوم حشرهم عن بكرتهم في مثلث الزمان ولما يأتي ، فإنه يوم آخر للقول هو يوم واقع العذاب بعد رجوعهم كلهم : **﴿وَيَوْمَ تَحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾**.

فالحملة الأولى لخطاب الإنذار التنديد من الدابة هم الأحياء زمن إخراجها ، والوجه إليهم ذلك الخطاب . وهؤلاء الأولون يحملونه . هم كل المكذبين بآيات الله الراجعون يوم الرجعة.

وما هي دابة الأرض هذه التي تكلمهم بلغة الإنسان؟ هي **﴿دَابَّةُ الْأَرْض﴾** أيا كان من الحيوان الدابة ، فليس من ملائكة الله ولا الطير ، ولا من أولياء الله ، حيث الدابة ليست تعبيرا لائقا بهم في أدب القرآن الذين يخاطب أديني المؤمنين بالذين آمنوا فكيف يعبر عن أكبر أولياء الله بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بـ **﴿دَابَّةُ الْأَرْض﴾**؟ كما في مختلقات مروية عندنا أنها الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) <sup>(١)</sup>!!!

(١) نور الثقلين ٤ : ٩٨ في تفسير القمي في الآية حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : انتهى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو قائم في المسجد قد جمع رملا ووضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال : قم يا دابة الأرض ، فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله .

وَلَا مَا تَصْفَهَا رَوَاتِي فِي كُتُبِ إِخْوَانِنَا أَنْ طَوْلَهَا سَتوْنُ ذِرَاعًا ، ذَاتٌ زَغْبٍ وَرِيشٍ  
وَحَافِرٌ ، لَهَا لَحْيَةٌ ، رَأْسَهَا رَأْسٌ ثُورٌ وَعَيْنَاهَا عَيْنٌ خَنْزِيرٌ وَأَذْنَاهَا أَذْنٌ

. (صلى الله عليه وآله وسلم) أيسمي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال : لا والله ما هو إلا له خاصة وهو الدابة الذي ذكره الله في كتابه فقال عز وجل : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْفَوْلُ ..﴾ ثم قال : يا علي! إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسماً تسم به أعداءك .. ، وفيه قال ابو عبد الله (عليه السلام) قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقطان ان آية في كتاب الله أفسدت قلبي وشككتني؟ قال : وأية آية هي؟ قال : قوله عز وجل ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْفَوْلُ ..﴾ فأية دابة هذه؟ قال عمّار : والله ما اجلس ولا أكل ولا أشرب حتى أرىكها فجاء عمّار مع الرجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يأكل تمرا وزبدا فقال : يا أبا اليقطان هلم ، فاقبل عمّار وجلس يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام الرجل قال : سبحان الله انك حلفت ان لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى تربني الدابة؟ قال : أربكها إن كنت تعقل ، وفيه عن الجمجم عن العياشي هذه القصة بعينها عن أبي ذر ايضاً وروى محمد بن كعب القرظي قال سئل علي (عليه السلام) عن الدابة؟ فقال : اما والله ما لها ذنب وان لها للحية ، وفي تفسير البرهان ٣١٠ : محمد بن العباس بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال دخلت على علي (عليه السلام) فقال : أنا دابة الأرض ، وفيه عنه بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يأكل خبزاً وخلا وزبذا فقلت يا أمير المؤمنين قال الله ... فما هذه الدابة؟ قال : هي دابة تأكل خبزاً وخلا وزبذا ، وفيه عنه عن الأصبغ بن نباتة قال : قال لي معاوية يا معاشر الشيعة تزعمون ان علياً دابة الأرض؟ فقلت : نحن نقوله واليهود يقولون ، قال : فأرسل إلى رأس الجالوت فقال له : ويحك تجدون دابة الأرض عندكم مكتوبة؟ فقال : نعم ، فقال : ما هي أندري ما اسمها؟ قال : نعم اسمها إيليا ، قال : فالتفت إلى فقال : ويحك يا أصبغ ما اقرب إيليا من علي ! ، وفيه سعد بن عبد الله عن عبد الله بن يسار قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : في حديث قدسي يا محمد علي أول من أخذ ميثاقه من الأئمة عليهم السلام يا محمد علي آخر من اقبض روحه من الأئمة عليهم السلام وهو الدابة التي تكلم الناس.

فيل وقرنها قرن إبل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولو أنها لون نمر وخاصلتها خاصية  
هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بغير (١)!!!

فهذه تجمع لهذه الدابة مختلف هيئات مختلف الدابة ، وتلك تقول إنما مجمع فضائل  
الإنسانية القمة ، فهي بين مفرطة ومفرطة ، والنصل دابة من الأرض لا هكذا إنسان ولا  
هكذا حيوان ، وبينهما أحاديث عن الفريقين عوان نصدق منها ما صادق القرآن (٢).

. أقول : هذه مختلقات زور على الله وعلى رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعلى علي (عليه السلام) وعلى  
بعض المخصوصين من ذريته. إن عليا (عليه السلام) هو دابة الأرض ، والله والرسول والأئمة منه براء !.

(١) الدر المنشور أخرج ابن أبي حاتم وابن مردوه عن أبي الزبير انه وصف الدابة فقال : رأسها ...

(٢) الدر المنشور ٥ : ١٤ . أخرج نعيم بن حماد وابن مردوه عن ابن عمر قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : إذا كان الوعد الذي قال الله : أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ... فيكون خروجها من الصفا  
ليلة من فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدخلها ولا يخرجها خارج حتى إذا فرغت مما أمرها الله فهلك من  
هلك ونجا من نجى كان أول خطوة تضعها بانطاكيه ، وفيه ١٥ . أخرج ابن مردوه عن أبي هريرة ان رسول الله  
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : تخرج الدابة يوم تخرج وهي ذات عصب وريش .. وفيه ١٦ . أخرج ابن حجر  
عن حذيفة بن اليمان قال ذكر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الدابة فقال حذيفة يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من أين تخرج؟ قال : من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه  
المسلمون إذ تضطرب الأرض من تحفهم تحرك القديل وتشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما  
يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوهها هارب ...

وفي نور الثقلين ٤ : ٩٧ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بسانده إلى النزال بن .

وقول القائل تبريرا لكون المعنى منها الإمام علي (عليه السلام) . ولا سمح الله . : إن الدابة جنس تشمل كل حيوان وإنسان أي كان ، مردود إليه بان ذكر الجنس الشامل لسائر الحيوان قصدا إلى أفضل انسان ، هو من أسوء التعبير وأشنعه ، بل والتعريف له بمطلق الإنسان أن عليا (عليه السلام) كان إنسانا ، صالح التعريف أي كان هو التعريف بالفصل الخاص والصفة المتميزة الخاصة كما المؤمن . العادل . الإمام . ولي الله أماذا من أخص الفصول القريبة المميزة له عن سواه.

وفي هذا المجال المخالق ضد الإمام علي (عليه السلام) قيل له ان ناسا يزعمون انك دابة الأرض؟ فقال : والله ان لدابة الأرض ريشا وزاغبا

. سيارة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل قال فيه . بعد ان ذكر الدجال . ومن يقتله وain يقتل؟ ألا ان بعد ذلك الطامة الكبرى ، قلتني : وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : خروج دابة الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصى موسى عليهما السلام تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقا وتوضعه على وجه كل كافر فيكتب هذا كافر حقا حتى ان المؤمن ليتادي الويل لك حقا يا كافر وان الكافر يتادي : طوي لك يا مؤمن وددت اني كتبت مثلث فأفوز فوزا عظيما ، ترفع الدابة رأسها من بين الحافقين بإذن الله جل جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعنده ذلك ترفع التوبية فلا تقبل توبية ولا عمل يرفع ﴿لَا ينفع نَفْسًا إِعْنَاهَا لَمْ تَكُنْ آمَّتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِعْنَاهَا حَبْنًا﴾ ثم قال : لا تسأليوني عما يكون بعد هذا فانه عهد إلى حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا أخبر به غير عترتي.

أقول : من جملة ما يرد على هذه الرواية . اضافة الى قصة من هو الدابة . خروجها بعد الدجال ، والدجال يكون في زمن المهدي وبعد الرجعة وخروج الدابة هو قبلها فانه من أشراطها! .

ومالي ريش ولا زغب وان لها حافرا ومالي من حافر»<sup>(١)</sup> وهنا أصبحت رواية إخواننا السيدة بحق الإمام (عليه السلام) أرحم من رواية أصحابنا الشيعة! وهنا ندرك أبعاد الشكيمة اللئيمة على الإمام (عليه السلام) بلسان أشياعه المجاهيل دفعا لهم إليها من أعاديه ، فهم أولاء الحماقى يذيعون عليه (عليه السلام) هذه الواصفة النكدة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، رغم انهم من الأخسرين اعملا!

ولماذا يفسّر ﴿دَابَةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُم﴾ بعلي (عليه السلام)? لأن تكلم الدابة خارقة ربانية فلتكن له (عليه السلام)? وليس تكلم الإمام بخارقة ، بل الخارقة هي تكلم الدابة؟

ومن المظنون ان دابة ناصبة معاندة للإمام استغفل دابة من يدعى انه من أشياع الإمام فحملته على ذلك التأويل العليل ، إذ خيّل إليه انه غنية من التأويل حيث يختص الإمام بهذه الكرامة الغالية! وليس تكلم الإنسان كرامة لأي إنسان فضلا عن الإمام! فما حديث دابة الأرض تفسيرا لها بالإمام إلا تلقينا لعينا من دابة ناصبة إلى دابة راسبة في شعورها تدعى أنها من الشيعة ، مهما تظاهر نقله في كتابات شيعية والامام علي (عليه السلام) براء من هكذا هتك وفريدة.

وانها حسب الآية ورويات من الفريقيين حيوان وليس أي إنسان ، ﴿دَابَةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُم﴾ هؤلاء الكفرة الأنكاد : «ان الناس» : وهم هؤلاء وأضرابهم ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

إخراج دابة من الأرض تكلمهم هو من أشرط الساعة وليس فيها

(١) الدر المنشور ٥ : ١١٧ . اخرج ابن أبي حاتم عن النزال بن سيرة قال قيل لعلي بن أبي طالب ...



علّهم هم الحاضرون في ذلك المسرح ، و «الناس» هم كل الكافرين على مدار الزمن الرسالي ، فهي . إذا . تكلّمهم هؤلاء الحضور ، «أن الناس» وهو يعمّهم وكل اضراهم ولما يحشروا «كانتوا» على طول الخط الرسالي **﴿بِآياتِنَا لَا يُوْقِنُونَ﴾** وهم الحشرون ككل بعد يوم الدابة **﴿وَيَوْمَ نَخْرُشُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ..﴾** . فقد تكون هذه الدابة إذاعة معلنة للذين كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل حشرهم ، ولكنّي يعرفوا في مسرح الحشر أمام أنفسهم والذين هم كانوا بآياتنا يوقنون.

وترى ما هو كلامها؟ هل هو كلامها وسمّها إياهم دون تكلّم بلفظة؟ وهذا كلام وذلك تكليم ، والنّص يرفض رواية الكلم مهما كثّرت رواته ، ويرجح روایات التكليم مهما قلت رواته <sup>(١)</sup> رواية الكلم تكلّم

(١) في الدر المنشور يروي الرواية الأولى عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن ابن عمران : ليس ذلك حديثا ولا كلاما ولكنه سمة تسم من أمرها الله به ، وعن أبي هريرة عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .. فتنقطع في وجه المؤمن نقطة بيضاء فيبيض وجهه وتنتفي في وجه الكافر نقطة سوداء فيسود وجهه ، وعن حذيفة بن عمار عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تسم الناس مؤمن وكافر .. وعن أبي هريرة عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصا.

وفيه يروي الرواية الثانية عن ابن عباس عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تخرج دابة الأرض .. وتنادي بأعلى صوتها ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون .. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاثة صرخات فيسمعها من بين الحافظين ، وفي نور النقلين ٤ : ٩٨ عن تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمّير عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) : ... فقال رجل له (عليه السلام) إن العامة يقولون إن هذه الآية إنما تكلّمهم؟ فقال : كلمتهم الله في نار جهنم إنما هو تكلّمهم من الكلام ، وفيه جوامع الجامع عن الباقر (عليه السلام) :

القرآن كلام الله راويها ومختلقها خلاف نص القرآن!.

والمُكَذِّبُونَ هُنَّا قَدْ تَعْنِيهِمْ آيَةُ الْأَنْبِيَاءِ فِيمَنْ تَعْنِيهِمْ ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ فَرِيَةٍ أَهْلَكَنَاهَا أَهْنَمٌ لَا يَرْجِعُونَ. حَتَّىٰ إِذَا فُتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاهِيَّةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ (٢١ : ٩٧).

﴿وَيَوْمَ يُخَشِّرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨٤ وَوَقَعَ الْقُولُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٨٥).

﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ تعني كل الأمم الرسالية الموجهة إليهم الرسالات الخمس الإلهية ، وهذا الحشر لا يعمهم هنا كلهم ، وإنما ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ ف «من» الأولى للتبييض ، والثانية للتبيين ، إذا فكل المُكَذِّبُونَ باياتنا من كل أمة يخشرون في ذلك اليوم . وكما ﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ تعني الأمم الخمس بكل أنبياءها ورسلها ، كذلك «آياتنا» تعني كل الرسل أصولاً وفروعها ، باياتكم الرسالية معجزات وكتابات ، ف «آياتنا» إذا هي مثلث الآيات رسولياً ورسالياً.

والحشر هو الجمع ، إن أحياه فأحياء وإن أمواتاً فأموات ، وهنا الجمع بينهما فإنهم المُكَذِّبُونَ . ككل . من كل امة ، من الأحياء الحضور في ذلك اليوم والأموات قبله . فهل إن ذلك اليوم بعد هو القيمة الكبرى ، حشراً خاصاً لخصوص العذاب وكما في نظيرتها : ﴿وَيَوْمَ يُخَشِّرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ

---

كلم الله من قرأ يكلمهم ولكن تكلمه بالتشديد.

(٤١ : ٢٠)؟

وهذه في الحشر إلى النار فطبعا هو خاص بأعداء الله بعد الحشر العام ل يوم القيام ، وتلك حشر للاستجواب وهو يعم كل المحسورين مؤمنين وكافرين ، اللهم إلّا السابقين وأصحاب اليمين ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٧٤ : ٣٩) !

ذلك حشر خاص في يوم خاص لحياة التكليف ، فقد جاء بعد شرط من أشراط الساعة وهو خروج الدابة ، وقبل الساعة نفسها : ﴿وَنَوْمٌ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ..﴾ وهو خاص بن ﴿يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا﴾ وهو من محض الكفر محضا وكما آية النور والوعد في الزبور (١) تختصان الحشر بن محض الایمان محضا ، فالمستفيضة المروية عن أمتنا عليهم السلام «لا يرجع إلا من محض الایمان محضا ومن محض الكفر محضا» (٢) مستضيئه من هذه الثلاث الدالة على الحشر الخاص.

فكما الذين آمنوا وعملوا الصالحات في النور ، وعبادى الصالحون في وعد الزبور محلقان على كافة المؤمنين الصالحين لوراثة الأرض ، فهم محسورو لها في مستقبل منير ، كذلك ﴿مَنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُؤْزَعُونَ﴾

(١) آية النور هي «وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلُفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...» والثانية «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرِّبُّورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُها عِبَادِي الصَّالِحِينَ».

(٢) نور الثقلين ٤ : ١٠٠ عن تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن حماد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ما يقول الناس في هذه الآية ﴿يَوْمَ تَحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؟ قلت يقولون أنها في القيمة؟ قال : ليس كما يقولون ، أنها في الرجعة ، أيحشر الله في القيمة من كل فوجا ويدع الباقين؟ أنها آية القيمة ﴿وَتَحْشِرُ نَاهِمَ فَلَمْ تَعْدُ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

منعا عن التفرق في موقف حشرهم ، فيقان متفارقان يحشران قبل ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَغَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتُوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (٨٧) لا فحسب ﴿مَنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ ولا فحسب المؤمنون الصالحون ، بل ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧ : ١٨).<sup>(١)</sup>

فقد يرجعون لما يدعون ويستجانون ، ورويات الرجعة . ككل . هي فوق حد التواتر ، وهي معنويا اجماليا تدل على رجعة أموات قبل القيمة الكبرى .<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر عن تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمر عن المفضل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : ليس أحد من المؤمنين قتل إلا ويرجع حتى يموت ولا يرجع إلا ... وفي البحار ٥٣ : ٣٩ عن أبي عبد الله (عليه السلام) .. وإن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً فهم يرجعون».

(٢) إليكم أسماء البعض من روات الرجعة عن المعصومين عليهم السلام :

بريد الأسلمي عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكافة الأئمة الاثني عشر . عبادة الأسدى . مسعدة . الشمالي عن علي امير المؤمنين (عليه السلام) . ابو خالد الكاهلي عن علي بن الحسين عليهما السلام . بكير بن اعين . ابو بصير . جابر بن يزيد الجعفي . ابن المغيرة . حمران . داود بن راشد . عاصم بن حميد . صالح بن ميثم . ابو حمزة التمالي . ابن عيسى . عامر بن معقل . محمد بن مسلم . عبد الله بن عطا . سدير . زرارة . أبو الصباح . عبد الرحيم القصير عن الامام الباقر (عليه السلام) .

حمران بن اعين . ابو الخطاب . زرارة . محمد بن مسلم . محمد بن الطيار . ابن بكير . فيض بن أبي شيبة . عبد الكريم بن عمرو الحنعمي . سليمان الديلمي عن أبيه . معلى بن خنيس . ابن مسكان . معاوية بن عمارة . موسى الحناط . زيد الشحام . جميل بن دراج . سالم بن المستير . صالح بن سهل . مفضل بن عمر . صفوان بن مهران . عبد الله بن القاسم . عمارة بن مروان . احمد بن عقبة عن الامام الصادق (عليه السلام) .

القاسم . محمد بن عبد الله الحسني عن الامام الكاظم (عليه السلام) .

موسى بن عبد الله الحنعمي عن الامام علي النقى (عليه السلام) .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُ ﴾ إلى حشر الرجعة الموزعة أحيا وأمواتا «قال» الله لهؤلاء المحشورين  
 ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ والحال انكم ﴿لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ تكذيباً جاهلاً فاحلاً عن تقصير «إما  
 ذا» من اعمال في مسرح الآيات ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم بعدها :  
 ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ عن بكرتهم بأسرهم ﴿إِمَا ظَلَمُوا﴾ من ذي قبل ﴿فَهُمْ لَا  
 يَنْطِقُونَ﴾ إذ أصبحوا سكوتاً بعد وقوع القول عليهم خامدين ، وكما كانوا سكوتاً حين  
 وقوع القول إذ لا يؤذن لهم في الكلام ، لا اعتذاراً ولا اعتراضًا ، وكما يوم القيمة ﴿هَذَا يَوْمٌ  
 لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٩ : ٧٧) وقد تتعلق بـ ﴿إِمَا ظَلَمُوا﴾ بـ ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ كما يتعلق  
 بـ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ . ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ بما وقع القول عليهم وبما ظلموا.  
 فلقد نطقت الدابة بما ظلموا «فهم لا ينطقون بما ظلموا» فهم ساكتون واجمون ، من  
 وطأة الموقف الرهيب ، والعذاب العسيب ، والله من ورائهم ربيب ، فكيف ينطقون؟!  
 ثم وبطبيعة الحال ليس لسؤال التهمك التأنيب «أكذبتم ...» جواب إلا ﴿فَهُمْ لَا  
 يَنْطِقُونَ﴾ .

ولقد صرحت كتابات من العهددين بهذه الرجعة وراجعيها في الدولة المظفرة المهدوية  
 عليه آلاف سلام وتحية وكما في دانيال ١٢ : ١٦ . «وفي ذلك الزمان يقوم ميكائيل  
 الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت امة إلى ذلك الزمان  
 ١ ، وفي ذلك الزمان ينجو شعبك

أبو القاسم بن العلاء عن الامام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام).  
 الحسين بن روح عن الامام محمد بن الحسن المهدى (عج).  
 هذا شطر من روى حديث الرجعة من أصحابنا الإمامية ، وكذلك الرواية من إخواننا السنة كثير وأقل  
 التقدير في رواية الرجعة من أصحابنا قرابة ٦٠٠ شخصاً (المصدر البحار ج ١٣ القديم).

كل من يوجد مكتوبا في الكتاب ٢ وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدى ٣ ... سمعت ولم أفهم فقلت يا سيدي ما آخر هذه ٩ فقال اذهب يا دانيال فان الأقوال مغلقة ومحتملة إلى وقت الانقضاء ١٠ إن كثيرين يتنعمون ويتبيضون ويحصون والمنافقون ينافقون ولا أحد من المنافقين يفهم اما العقلاء فيفهمون ١٢ طوي لم ينتظروا ويلغى إلى الف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين يوما ١٣ وأنت اذهب إلى الانقضاء وستستريح وتقوم في قرعتك إلى انقضاء الأيام» ١٤ .!

وقد يرجو زرد شت ان يكون من يحيى حياة جديدة في ذلك الزمان كما في «كافها».

يسناها ٣٠ : ٩ «ترجمة حرافية عن الأصل الأوستائي البهلوi : «فحينئذ أي مزدا! يقيم بهمن ملكك في خاتمة الأيام لهؤلاء الذين يستبدلون الصدق بالكذب ٨ ونرجو ان نكون من يحيى حياة جديدة اي مزدا! ...» ٩ .. اجل وفي ذلك الزمان ينكسر عالم الكذب بفلاح الصدق وكذلك في عالم الخير (القيامة) ...» ١٠ «بِمَن» هنا حسب اللغة الأوستائية هو الممثل العظيم للقدرة والمعرفة الربانية ، فهو زعيم الدولة <sup>(١)</sup> الأخيرة الامام المهدي عليه آلاف سلام وتحية! .

وقد يؤمر داود (عليه السلام) بعد آيات من الزبور بتبشيره بما بشرت آية الأنبياء :

**﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الدِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُها عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾** يؤمر في ختامها : «انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لتراث الأرض. عند استئصال المنافقين تنظر» (مزמור

٣٧ : ١٣٤) فهو من الراجعين

(١) يراجع للتفصيل إلى كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» ٢١١ - ٢١٤ .

في رجعة أخص الخاص.

والرجعة ايام المهدى (عج) تخلق على أخص الخواص وهم المرسلون والأئمة المعصومون ، ثم الخواص وهم من محض الإيمان محضاً . احتراماً . ومن محض الكفر محضاً . احتراماً . وهما رجعة بالاستعداد ، وثالثة هي الرجعة بالاستدعاء للمتوسطين في الإيمان.

وهنا نقلة من مشهد واقع القول على المكذبين الحائرين المائرين في حشر الرجعة ، إلى

مشهدهم قبل حشرهم :

﴿لَمْ يَرُوَا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

.٨٦

فهذا المشهدان المتواتران طول الحياة حقيقان خليقان لإيقاظ الإنسان ان هناك يد

الرحيم الرحمن تقلب الليل والنهار ﴿فَإِنَّمَا أَلَاءِ رَبِّكُمْ كَذِبٌ﴾؟.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضَيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَمَنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٨ : ٧٣).

ففي سكن الليل وإبصار النهار ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ من عدة جهات ، منها الرحمة المتعالية باختلاف الليل والنهار ، والتدليل على أن وراءها قدرة علامة قاصدة ، لا ذات نسق واحد لمكان اختلاف الخلق ، ولا فوضى الشتات حيث الحكمة فيه باهرة ، كما ومنها إمكانية الحياة بعد الموت ، كما يقطنة النهار حياة نسبية بعد نومة الليل.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ . ٨٧

الصور هو الناقور حيث ينفع فيه مرة للإماتة وآخر للإحياء ، وليس جمع الصورة لمكان ضميره المفرد في آية الزمر : ﴿تُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى﴾ .

وترها هنا الأولى؟ ﴿وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ لا تلائمها! أم هي الثانية؟ وقد لا تناسبها ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَرْرُ مَرَ السَّحَابِ﴾ ! وكذلك ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الظاهرة في حياتهم دنيويا أو بربخيا ، ثم في الأولى الصعقة وليس فقط الفزعـة : ﴿وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ تُمَّ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٩ : ٦٨).

قد تعني النفخة هنا المرتين ل مكان الإشارتين ، فالفزـعة في الأولى تشملها والصعقة والموتـة ، وفي الثانية فـزـعة الإـحياء لأنـهما بعد فـزـعة الموت ، ثم الفـزـعة يوم القيـمة شاملة حيث يـحـشـرون إـلا ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرِيعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (٨٩).

ف ﴿إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ﴾ في الصـعـقة للـنـفـخـةـ الأولى ، هـمـ أـخـصـ «ـمـنـ شـاءـ اللـهـ»ـ في الفـزـعةـ للـنـفـخـةـ الثـانـيـةـ ، فالـسـابـقـوـنـ والمـقـرـبـوـنـ أوـ وـجـعـ منـ اـصـحـابـ الـيمـينـ لاـ يـصـعـقـوـنـ فيـ الـأـولـىـ لاـ موـتـاـ عنـ الـحـيـاـةـ الـبـرـزـخـيةـ وـلـاـ دـوـنـ الموـتـ منـ صـعـقـةـ ، وـكـمـ لاـ يـفـزـعـوـنـ ، وـالـبـاقـوـنـ يـصـعـقـوـنـ موـتـاـ اـمـ دـوـنـهـ ، ثمـ وـفـيـ الثـانـيـةـ يـفـزـعـ الـمـحـشـرـوـنـ إـلاـ مـنـ جـاءـ بـالـحـسـنـةـ وـهـمـ أـعـمـ مـنـهـ بـكـثـيرـ حـيـثـ تـشـمـلـ كـلـ الصـالـحـيـنـ عـلـىـ درـجـاتـهـمـ ﴿وَهُمْ مـنـ فـرـيعـ يـوـمـئـذـ آمـنـوـنـ﴾.

ثمـ فيـ الثـانـيـةـ ﴿وَكـلـ أـتـوـهـ دـاـخـرـيـنـ﴾ صـاغـرـيـنـ ، مـهـمـاـ اـخـتـلـفـ صـغـارـ الـآـمـنـيـنـ عـنـ غـيرـ الـآـمـنـيـنـ ، فـالـآـمـنـوـنـ صـاغـرـوـنـ هـنـاكـ كـمـاـ هـنـاكـ أـمـامـ الـعـظـمـةـ الـرـبـانـيـةـ بـذـلـلـ الـعـبـودـيـةـ وـصـغـارـهـاـ اـمـامـ الـمـعـبـودـ ، وـغـيرـهـمـ صـاغـرـوـنـ أـذـلـاءـ مـهـتـكـوـنـ

بذل الاستكبار عن عبادته : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٤٠) : وain داخرين من داخرين؟.

و «أتوه» هنا تعني الرجوع إلى الله دون أن يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله حسب الأعمال صالحة وطالحة ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُّرُ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ إِمَّا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٨

الرؤبة قد تكون بصرية مجردة ، أم بصيرة حاصلة أم محصلة علمية ، أم بصيرة الوحي ، أترى «وترى» هنا تعني الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أم وكل راء سواه؟ إنما تعني الرسول كمحاطب أول بوحى القرآن ، ثم سائر المكلفين بما يحمله الرسول إليهم ، اللهم إلا بقرينة قاطعة تخص الخطاب به وليس هنا فليس.

ثم وحقق الرؤبة من أي كان هل هو يوم الدنيا تدليلا على حركة الأرض غير المرئية بدائية بالبصر ، والوحي يري أنها ﴿تَمُّرُ مَرَّ السَّحَابِ﴾ كما العلم أرى في العصور المتاخرة عن وحي القرآن زاوية من مرّها.

فكل راء إلى الجبال كقواعد للأرض يحسبها بقواعدها جامدة لا حراك لها ﴿وَهِيَ تَمُّرُ مَرَّ السَّحَابِ﴾ خارجا عن الإحساس ، والرسول هنا كسائر الناس إلا أن يوحى إليه بما يتتجاوز الإحساس ، وقد اوحى إليه ﴿وَهِيَ تَمُّرُ﴾ وما أجمله تعبيرا وأمثاله مثala حيث السحاب المارة لا ترى بداية الرؤبة أنها تمر ، إلا بعد

(١) راجع آية الزمر تجد على ضوءها فصل القول حول النفخة والصعقـة.

رجوع البصر وقياس بعضها إلى بعض ، فهي متحركة يحسب أنها جامدة كما كانت الأرض محسوبة على جمود ، ومن حراك الجبال أن قسمًا منها تتنقل من قواعدها إلى أخرى خلال روح بعيد من الزمن كما كشف عنها علم معرفة الأرض.

وقد يقرب عنایة الحركة الأرضية من الآية ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فممرور الجبال من السحاب من الصنع المتقن للأرض في حركاتها المعتدلة المعتدلة.

أم تعني الرؤية يوم قيامة الإماتة : ﴿وَسُرِّيَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ إذ حفت الآية بآيات القيامة؟ وترى كيف يراها الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . فيمن يرى . جامدة ، وكل ناظر يرى حراكها؟

قد يحس بها حينذاك جامدة لأن حراكها لا تزعجه فإنه من شاء الله فلا ينبع بالصعقة ولا ينفرع بالفزع ، مشغولا بنفسه في ضيافة ربه ، ام ان «ترى» هنا تختص بغيره حيث ﴿تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢٢ : ٢) فلا يشعرون بحركات الجبال المسيرة يوم القيمة لأنهم في شغل عنها إلى ما هو أفعى منها كتلزال الأرض.

أترى كيف تناسبها القيمة وهي يوم التدمير ، وتلك ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؟ إن التدمير كما التعمير من الله إتقان من صنع الله ، لا سيما وان بعده تعمير الدار الآخرة ، فليس التدمير منه خلاف صنعه المتقن.

وقد تجمع الرؤية النشأتين ، في الأولى وفي الأخرى أيًا كان الرائي ، ولكل كما يناسبه ، فالأرض هي راجفة على طول الخط ، قبل ذها وبعده ، في قيامة الإماتة والإحياء و ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلِكَ﴾ (٦٧ : ١٥) تدل على حركتها المضطربة قبل ذها ، ثم المعتدلة بذها : «وعدل حركاتها

بالراسيات من جلاميدها .. فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها أو ان تسيخ بحملها ..».

ثم و **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتَبَعَّهَا الرَّادِفَةُ﴾** ثبت لها . على ضوء آية الذلول . أربع رجفات أولاهما رجفة شماشها قبل ذلها ، والثانية رجفة ذلها بعد شناسها وهي بهما سميت «الراجفة» ، ثم و **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾** هي الرجفة الثالثة : الإماتة ، و «الرادفة» هي الرابعة : رجفة الإحياء ، فقد قمت لها اربع رجفات اثنان في الأولى والأخريان في الأخرى ، وأية الرؤية قد تعني مر الأرض من السحاب في النشأتين ، وكل ذلك **﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾**.

وقد تعني «جامدة» . فيما عنت . الوقوف عن كل حركة داخلية وخارجية **﴿وَهِيَ تَمْرُ مَرَّ مَرَّ السَّحَابِ﴾** مراً داخلياً وآخر خارجياً ، فالحركة الداخلية تعني الجوهرية الشاملة كل شيء ، حيث الوقوف عن مطلق الحراك في اي كائن هو وقوف له عن كونه ، لا فحسب عن كيانه الحركي .

ام وتعني تتابع الإيجاد لـ **كُلَّ** كائن ، وهو تحدد الأمثال بنحو الاتصال ، حيث يراه الرائي استمراً للكون الأول ، كالشعلة الجوالة التي تخيل أنها دائرة نارية وليس هي . فالأشياء . وقد مثل بالجبال لظهورها لكل راء . كلها متتجدة الأمثال في كونها وكيانها ، ام . وباحرى . هي متتجدة الحراك فيأخذ الكون والكيان من الرب المنان ، ف **﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ. فَيَأْتِيَ آلاَءَ رَبِّكَمَا ثُكَّدِبَان﴾** ؟

وذلك كل آن كأصغر أبعاد الزمان ، هو تبارك وتعالى في شأن من إبقاء ما أحدث ، وإحداث ما لم يحدث ، حركة دائبة في الخلق والتدبر دونما غفلة ولا فتور !

فقد تعني الآية كل هذه المعاني ما صلحت لفظياً ومعنى تخلقاً على النشأتين!

**﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ . ٨٩**

«الحسنة» هنا هي الحياة الحسنة<sup>(١)</sup> وكما تستدعيها قضية الإيمان : **﴿رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَّفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**

وخير الحسنات في الحياة ولاية الله وعلى ضوءها ولاية أولياء الله<sup>(٢)</sup> ، ولأن ولاية علي (عليه السلام) هي خاتمة الولايات فقد تفسر الحسنة أنها ولاية علي<sup>(٣)</sup> كمصدق مختلف فيه يصدق حق الولاية لله والرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) و **﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾** هو الصورة الواضحة من الولاية . كيما كانت . في الأخرى ، فانها تبرز بحقها وحقيقة ما لم تكن تبرز يوم الدنيا .

فمن جاء ربه بالحياة الحسنة وهي الإيمانية الصالحة **﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾** حياة حسنة

حيث ان **﴿لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ . ﴿وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ﴾** يعم اهل الخشر ويطم **﴿يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ . ﴿لَا يَخُزُّكُمُ الْفَرَغُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَاهُمْ**

(١) نور الثقلين ٤ : ١٠٣ معاني الأخبار عن أبي أيوب الخزاز قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : لما نزلت هذه الآية على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾** قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اللهم زدني فائز الله عز وجل **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾** فعلم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ان الكثير من الله لا يخصى وليس له منتهى .

(٢) نور الثقلين ٤ : ١٠٣ في كتاب سعد السعود لابن طاووس وقد نقل عن الفرار في قوله «من جاء بالحسنة» لا إله إلا الله . والسيئة الشرك أقول ، تعني الحياة التوحيدية والشركة وهذا الحياة الحسنة والسيئة .

(٣) نور الثقلين ٤ : ١٠٢ في تفسير القمي عن أبي جعفر (عليه السلام) فالحسنة والله ولاية علي (عليه السلام) .

**الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴿٢١﴾ (١٠٣ : ٢١).

و «فزع» المنفي هنا عن **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾** يخص نفحة الإحياء وفي الحياة الأخرى ، وأما النفحة الأولى فهي مصعقة **﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾** وهم الخصوص من عباد الله ، من السابقين والمقربين ، فلا يعم كل من جاء بالحسنة ، فلهم فزع الصعقة موتاً وسواها لأقل تقدير ، ثم إن زلزلة الساعة تفزع الكل دون إبقاء ، وتصعق **﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾**.

و «فزع» منكرا قد تعني الفزع الأكبر ، لا أي فزع كان ، حيث الحياة الإيمانية ليس لزامها العصمة ، فهناك معاصر كبيرة قد يجرون بها حين لا تشملها شفاعة ، فلا يأمنون كل الأفزع إلّا **﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾** وهو دخول النار ألم خلودها.

**﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّثْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** . ٩٠

«ومن جاء بالحياة السعيدة» وهم الكافرون واضرائهم **﴿فَكُبَّثْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾** ويقال لهم هناك كما هنا **﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** مما الجزاء النار إلّا نفس العمل حيث يظهر بملكته **﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**.

فالحياة الحسنة الإيمانية مصيرها إلى الجنة مهما كانت درجات ، والحياة السيئة اللايمانية مصيرها إلى النار مهما كانت درجات : **﴿رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً .. وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**.

**﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** . ٩١

لقد كانت العرب تدين بحرمة **﴿هَذِهِ الْبَلْدَةُ﴾** وهي مكة المكرمة <sup>(١)</sup> ، وكانت تستمد سعادتها على من سواها منها ، وتعلق آمالها وأصنامها على كعبتها تقربا إلى الله زلفى ، فـ **﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾** تعريضة عريضة على هؤلاء الذين يعظمون البلدة والبيت ويحترمون ، ثم لا يعظمون صاحب البيت بل ويخترون ، إذ يعبدون أصناما يظلون عليها عاكفين ، وما أظلمهم عبادة وأضلهم !

و «حرمتها» لحرمتها سليباً وإيجابياً فوق كل بلدة حيث يحج بيتها ويصلى إلى قبلتها ، وهو الملاجأ للخائفين ، وقد حرّمت فيها . لا سيما حالة الإحرام . من الشهوات المباحة في غيرها .

ثم وليس فقط : رب هذه البلدة ، بل **﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾** سواها ، وإنما لها نصيب زائد على غيرها من كائنات العالم فانها أم القرى تكوينيا حيث دحيت الأرض من تحتها ، وتشريعيا إذ بعثت فيها أم الرسالات بخاتم المسلمين وسيد الخلق أجمعين (صلى الله عليه وآله وسلم) .

**إِنَّهُ تَعَالَى رَبُّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ لَا سُواهُ فِلْمَ تَعْبُدُونَ سُواهُ ، وَلَهُ كُلُّ**

(١) نور التقلين ٤ : ١٠٥ في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) كما قال : ان قريشاً لما هدموا الكعبة وجدوا في قواعده حجراً فيه كتاب لم يحسنوا قراءته حتى دعوا رجلاً فقرأه فإذا فيه : أنا الله ذو بكرة حرمتها يوم خلقت السماوات والأرض ووضعتها بين هذين الجبين وحفظتها بسبعة أملال . وفيه عن زارة قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : حرم الله حرمه ان يختلى خلاه ويعضه شجره إلا الأذخر أو يصاد طيره .

وفيه عن معاوية بن عمارة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة : إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض وهي حرام إلى ان تقوم الساعة لم تحل لأحد قبله ولا تحل لأحد بعده ولم تحل لي الا ساعة من نهار .

**شيء** لا فحسب هذه البلدة كالأصنام التي تختص كل جانبا من الكون بزعمكم ، فلم تعبدون سواه.

**وأمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** له لا سواه ، امرا بوحي كما أمرت فطريا وعقليا ، فما أمر توحيد العبادة والتسليم لله . فقط . امرا تعبد يا ، بل الآيات الآفافية والأنفسية متباوقة في إيجاب هذه الفريضة الربانية ، والإسلام هنا هو فوق اليمان خالصا لرب العالمين ، وهو أول من أسلم كما هو أول العابدين.

**وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ** ٩٢ .

التلاوة بجامع معناها هي الإتمام ، وقد اختصرت واحصرت رسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه التلاوة المباركة طول حياته الرسالية في بعدين : ان يأتى بالقرآن وقد فعل لحد أصبح نفسه القرآن وأفضل منه وكما سي به في يس **وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ** فقد أصبح تحسيدا لواقع القرآن وتفسيرا وتؤيلا ككل دوينا إبقاء ، وتطبيقا له في نفسه ورساليا ، فهو . إذا . أفضل من القرآن.

وبعد ثان أن يتلوه عليهم كما يتلووا نفسه عليهم ليتأتى به الناس في كل أقوالهم وأحوالهم وأفعالهم ، فيما لم تكمل تلاوته في نفسه لم يأهله أن يكون تاليا له عليهم ، فهو . إذا . **يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**.

وان سنته السنوية قولية وعملية وتقريرية هي تلاوة للقرآن ، فانه الإمام في كل حلقات رسالته **فَمَنِ اهْتَدَى** بتلك التلاوة المباركة **فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ** لا ربها ولا من سواه **وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ** فلست

احمل أحدا على المدى إذ ما علي إلا البلاغ إنذارا وتبشيرا.

وحين تنحصر الرسالة الإسلامية . بعد توحيد العبادة والإسلام لله . بـ ﴿أَنْ أَتُّلُّوا

القرآن﴾ فما دور السنة أمم القرآن ، إلا دورا هامشيا لتلاوة القرآن إيضاها له وتبيننا.

وملا تلاوة سنته الموجة اليه عليهم إلا تلاوة القرآن القائل ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمُوْى. إِنْ

هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ و ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ أمما شابحمنا من آيات.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُوهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ . ٩٣

«وقل» : أظهر قالا وحالا واعمالا ان «الحمد» كله «الله» لا سواه ، حيث النعم

كلها من الله لا سواه ، وكما أراكم آياته من ذي قبل ﴿سَيِّرِكُمْ آيَاتِهِ﴾ من بعد ، كآية

الدابة التي تكلمهم يوم الرجعة ، وسوهاها من آيات يوم الدنيا وما بعدها ، «فتعرفونها» شئتم

أم أبيتم ، ولم يلك ينفعكم ايمانكم عند آيات العذاب لا في الأولى ولا الأخرى : ﴿سَتُرِبُّهُمْ

آيَاتِنَا فِي الْأَفْاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحُقُّ أَوْ لَا يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ﴾؟ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ . ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَسْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ..﴾ .



سورة القصص مكية

وآياتها ثمان وثمانون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسْم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفَرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعَةً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَتُرِيدُ أَنْ تَنْهَى عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَمُكَنِّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَسُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ

أَرْضِيْهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَالْقِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَخْرَنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَّقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لَهُمْ عَدُوا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجِنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ امْرَأَتٍ فِرْعَوْنَ قُرَّتِ عَيْنِ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصَيْهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَذْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقْرَ عَيْنُهَا وَلَا تَخْزُنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

هذه من الطوسيين الثلاث في حروفها الثلاثة المقطعة ، وتماثل القصص مع الشعرا في طسم. تلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ي يجعل السورتين متشابهتي الأهداف ، ومنها قصص موسى المسرودة هنا بصورة مفصلة أكثر مما في الشعرا ، وعلّها لذلك تتسمى بالقصص حيث الجو الغالب عليها القصص وكأنها سورة موسى إذ تأتي بصورة ووضاءة موسى منذ الولادة حتى الرسالة وإلى نهاية أمره ، وهي تقدمات وطمأنينات للرسول محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كأصل تتمحوره السورة في قصصها ، انتقالاً حثيثاً من الرسالة الموسوية بآياتها إلى الرسالة الحمدية بآياتها الخالدة القرآنية.

تنزل القصص في مكة والملمون قلة مستضعفنة والمشرون ثلاثة قوية مستكبة ، ولكن يطمئن المؤمنون القلة يأتي بسرد شامل لقصص موسى وفرعون وقارون ، ليعرفوا أن ليست القوة مع الجاه والممال والمنال ، بل إنما القوة لله ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

وآية الوعد لرده (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى معاد آية أنها نزلت في أحرج المواقف لرسول الهدى ، فلم تنته السورة إلا وقد أخرجوه فأخرجوه عن أم القرى ، فكما الله رد موسى إلى أمه : فَرَدَذْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقْرَءَ عَيْنَهَا وَلَا تُخْزِنَ كـذلك نردك إلى أم القرى: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٌ (٨٥) واين رد من رد؟.

طسم ١ تلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِتَعْمَلُ

. ٣ يُؤْمِنُونَ

الأوليان من هذه الثلاث مفسرستان في الشعرا ، و «ناتلوا» في الثالثة من التلاوة القراءة لتتلوا متابعة كل منها القراءة على الكل ، والنبا خبر ذو

فائدة عظيمة ، و «من» تبعضه عنایة إلى أهم الحلقات من ذلك النبأ كما هو الالائق بالذكر الحكيم ، وهنا المتلو عليه هو الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) لكي يتلوه على كل المرسل إليهم ، ولكنه بالمال ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فمن آمن من قبل يزداد به إيماناً واطمئناناً ، ومن يتحرى عن إيمان ولما يؤمن . إذ فيه مادة الإيمان وقابلية . فهو يكسب إيماناً ، و «يؤمنون» يشملهما.

أجل وإن هذه التلاوة لذلك النبأ تلقى ظلال العناية والاهتمام التام ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ، دون الذين ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذِرْهُمْ أَمْ لَا يُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذه تكرمة ربانية ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أن الله يتلو الأنبياء الرسالية على رسوله لأجلهم لأنهم هم المستفیدون ، وكما القرآن ككل ﴿هُدَىٰ لِلنَّاتِقِينَ﴾ مهما كانقصد منه هداهم أجمعين كحججة على كافة المكفرین ، كذلك أنباءه الرسولية والرسالية هي ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ والآخرون هم الخاسرون ، و «بالحق» هنا قد تتعلق ب ﴿نَّتَلُوا .. نَبَأٍ .. يُؤْمِنُونَ﴾ تلوا بالحق . نبأ موسى وفرعون بالحق . لقوم يؤمنون بالحق ، والباء هنا تعم السببية والمصاحبة ، تلاوة النبأ لقوم يؤمنون في مثلث الحق . نبأ موسى يبدأ في الأغلب من حلقة الرسالة ، وهنا يبدأ من الولادة إلى الرسالة وإلى النهاية ، فإنه عرض كامل كافل شامل كل الحلقات الحيوية لموسى ، والعمليات المضادة من فرعون ، لتصبح درساً حافلاً ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وليعلموا أن الشرحين يتمخض ويتمحض يحمل هلاكه ودماره في نفس ذاته ، إذ تتدخل القدرة الرحيمة الربانية لتأخذ بأيدي المستضعفين فتجعلهم أئمة و يجعلهم الوارثين ، وهنا حلقات خمس من عرض النبأ بين قصيرة وطويلة كلها قاصدة راشدة ، حلقة المولد وما أحاط به من قاسية راسية فرعونية ،

وعناء ربانية ، ثم حلقة الفتاة وملابساتها في الجو الفرعوني ، ثم حلقة النداء الرسالية ، ومن ثم مواجهة فرعون الطاغية ، ثم العاقبة للمتقين غرقاً لفرعون بجنوده واستخالفاً لموسى بخشوده ، وكل حلقة مشاهدها العدة : خمسة ثم تسعه ثم اربعة ، بينها فجوات وحلقات ومشاهد ، ما يثير العجب من دقة الأداء الفني للقصة.

والأوليان هما الجديدان في هذا العرض العريض ، إذ تكشفان عن مدى تحدي القدرة الفرعونية ، إخفاقاً لصوت الحق وإنماداً لتأثيره في زنده ، ثم مدى القدرة الإلهية حيث ترى قاصم ظهر فرعون في حجره :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعَاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْبِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٤.

إن الإفساد الفرعوني هنا مبني على قواعد خمس مهما اختلفت دركاتها : العلو في الأرض . جعل أهلها شيئاً . استضعفاف طائفة منهم . تذبح الآباء . استحياء النساء ، مهما كانت الأربعة الأخيرة من خلفيات الأولى .

إن العلو في الأرض وجعل أهلها شيئاً ، واستضعفاف الشعوب ، هي من شيمة الطغاة الشنيعة على مدار الزمن ، فلما ذا بعد تذبح الآباء واستحياء النساء : إبقاءهن أحيا للخدمة ، وإزالة حياءهن؟

لا بد وأن تكون هناك خوفة هارعة من الآباء الإسرائيليين في ذلك التصميم العميم لإبادتهم ، استبقاء للسلطة الفرعونية وكما يروى عن رسول المهدى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأهل بيته الكرام عليهم السلام : «.. فَانْ فَرَعُوْنَ لَمَا وَقَفَ عَلَىٰ أَنْ زَوَالَ مَلْكَهُ عَلَىٰ يَدِهِ (موسى) امْرَ بِإِحْضَارِ الْكَهْنَهَهَ فَدَلَّوْهُ عَلَىٰ نَسْبَهِ وَانَّهُ يَكُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَزِلْ يَأْمُرَ أَصْحَابَهُ بِشَقْ بَطْوَنَ الْحَوَالِ مِنْ نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّىٰ قُتِلَ فِي طَلْبِهِ نِيفَ وَعَشْرِينَ أَلْفَ مَوْلُودٍ

وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إياه ...»<sup>(١)</sup>.

**إن العلو في الأرض باستعلاء غاشم ظالم ، واستبداء خانق جاشم ،**

(١) بحار الأنوار ٥١ : ٢١٩ . حديث حاصل لمولد الإمام المهدي (عج) وطول غيبته وان فيه سنن الأنبياء وحدو النعل بالتعل والقدة بالقدة عن الكافي بسند متصل عن سدير الصيرفي قال دخلت أنا والمفضل بن عمر وابو بصير وابان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهم السلام فرأيناهم جالسا على التراب وعليه مسيح خييري مطوق بلا جيب مقصر الكفين وهو يكثي بكاء الواله الشكلي ذات الكبد الحرّى قد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغير عارضيه وابلى الدموع محجريه وهو يقول :

سيدي ! غيتك نفت رقادي وضيقتك عليّ مهادي وأسرت مني راحة فؤادي ، سيدی ! غيتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد وقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد ، فيما أحـسـ بـدـمعـةـ تـرـقـيـ منـ عـيـنـيـ ، وأنـينـ يـفـترـ منـ صـدـريـ عنـ دـوـارـ الرـزاـيـاـ وـسـوـالـفـ الـبـلـاـيـاـ إـلـآـ مـثـلـ لـعـيـنـيـ عـنـ عـوـارـيـرـ أـعـظـمـهـ وـأـفـعـعـهـ وـتـرـاقـيـ أـشـدـهـ وـأـنـكـرـهـ وـنـوـائـ بـخـلـوـطـةـ بـغـضـبـكـ ، وـنـواـزـلـ مـعـجـونـةـ بـسـخـطـكـ؟ـ.

قال سدير : فاستطارت عقولنا ولها وتصدعت قلوبنا جرحا من ذلك الخطب المائل والحدث الغائل وظننا انه سمة مكرهه قارعة أوصلت به من الدهر بائنة فقلنا لا أبكي الله يا ابن خير الورى عينيك من اي حادثة تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك واية حالة حتمت عليك هذا المأتم ؟

قال : فرف الصادق (عليه السلام) زفة انتفع منها جوفه واشتد منها خوفه وقال : ويلكم إني نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم المانيا والبلايا والزوايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيمة الذي خص الله تقدس اسمه محمدا والأئمة من بعده عليه وعليهم السلام وتأملت فيه مولد قاتلنا وغيته وإبطاه وطول عمره وبلوى المؤمنين به من بعده في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم رقة الإسلام من أنعاقهم التي قال الله تقدس ذكره **﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْرَمْنَاهُ طَائِرٌ فِي عَنْقِهِ﴾** يعني الولاية ، فأخذتنى الرقة واستولت على الأحزان فقلنا : يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) كرمنا وشرفتنا بإشراكك إيانا في .

يختلف نفس العلو فيها لأنه فساد فإفساد فيها ، وبيات وبيات في دوبيات مستعملية  
وسلطات متخلفة عن الحق ، وليس فاسد العلو في الأرض يختص بالفرعوني وأضرابه ، بل  
والدينون ايضا لا يحق لهم أي علو ، فذلك علو أمام الله ، وهذا علو أمام خلق الله وكلاهما  
مرفوضان في شرعة الله : « تلك الدار

بعض ما أنت تعلمته من علم . قال : إن الله تبارك وتعالى أدار في القائم منها ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل ، قدر مولده تقدير مولد موسى (عليه السلام) وقدر غيبته تقدير غيبة عيسى (عليه السلام) وقدر إبطاءة تقدير إبطاء نوح (عليه السلام) وجعل من ذلك عمر العبد الصالح اعنى الخضر (عليه السلام) دليلا على عمره . فقلت : أكشف لنا يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) عن وجود هذه المعانى . قال : أما مولد موسى (عليه السلام) فإن الله لما وقف ... كذلك بنو امية وبنو العباس لما وقفوا على ان زوال ملتهم والأمراء والجباية منهم على يد القائم منا ناصبونا العداوة ووضعوا سيفهم في قتل آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) وبادرة نسله طمعا منهم في الوصول إلى قتل القائم (عليه السلام) ويأتي الله ان يكتشف امره لواحد من الظلمة إلا ان يتم نوره ولو كره المشركون . واما غيبة عيسى (عليه السلام) ...

وفي نور الثقلين ٤ : ١١٣ في كتاب كمال الدين وقام النعمة بسانداته الى محمد الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان يوسف بن يعقوب عليهما السلام حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلا فقال : ان هؤلاء سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب وانا ينحيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران غلام طوال جعد آدم فجعل الرجل منبني إسرائيل يسمى ابنته عمران ويسمى عمران ابنته موسى ، فذكر ابان بن عثمان أبي الحصين عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) انه قال : ما خرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذابا منبني إسرائيل كلهم يدعى انه موسى بن عمران بلغ فرعون ائم يرحفون به وبطليبون هذا الغلام فقال له كعبته وسحرته ان هلاك دينك وقملك على يدي هذا الغلام يولد منبني إسرائيل فوضع القوابيل على النساء وقال : لا يولد العام ولد إلا ذبح ووضع على ام موسى قابلة ... .

**الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْتَقِيَنَ** ﴿٢٨﴾ (٨٣ : ٢٨) فإذا كانت ارادة العلو في الأرض تمانع الدار الآخرة ، فبآخرى نفس العلو فيها لأنه فساد إفساد فيها ، فبمجرد ان الطاغية أحس . ولما يلمس . أن هناك خطرا يحدق بملكه من إسرائيل ، وهم مئات الألوف لا يمكن نفيهم عن البلاد ، ولا القضاء عليهم أجمع ، ابتكر حينذاك طريقة همجية جهنمية للقضاء على الخطر المحسوس من هذه الطائفة المنسجمة ، غير المعتقدة في روبيته الأعلى من نواحي أربع : أن ﴿١ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيعَا﴾ ﴿٢ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ . ﴿٣ يُدَبِّغُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ . ﴿٤ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ : ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ومن خلفيات العلو النحسة جعل الآهلين في أرض شيعا متفرقين ليذوق بعضهم بأس بعض ، فهم ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعَا﴾ (٣٠ : ٣٢) وبئس اللباس لباس الشيع للمجتمع : ﴿أَوْ يَلِسِكُمْ شِيعَا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (٦ : ٦٥) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٥ : ١٠) ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾ (٥٤ : ٥١) ، فالشيع والأشیاع في الدين والدينين ما يزيّنه الدين الحق ، اللهم إلا شيعة الحق بلا أشیاع متخلفين عنه أو مختلفين فيه ، وهذه شيطنة مدرستة من الطاغية في علوه ان ﴿جَعَلَ أَهْلَهَا شِيعَا﴾ متفرقين وهو من باب فرق تسد ، وبالإمكان حينئذ أن يستضعف كل الشيع ، مهمما كان استضعفهم دركات ، وقد كان من أسفلها استضعف بنى إسرائيل ، وكما استخف ﴿قُوَّمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ .

فلقد فرق . فيمن فرق بينهم من القاطنين في مصر . شعب إسرائيل ، حيث استقدم يوسف من قبل أبويه وإخوته وأهله أجمعين من كنعان إلى مصر فتكاثروا وأصبحوا شعبا كبيرا ، فأخذت النورة القومية والطائفية الفرعونية

يجعلهم شيئاً كما جعل الآخرين كذلك شيئاً ، وكان أشد الاستضعفاف على هؤلاء الذين كان يخافهم على عرشه ، فتفرقـتـ كـلـمـةـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ أـيـادـيـ سـبـاـ وـاسـفـادـ الطـاغـيـةـ بشـيـعـهـمـ أنـ أـخـذـ يـذـبـحـ أـبـنـاءـهـمـ وـيـسـتـحـيـيـ نـسـاءـهـمـ ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ .

تذبحـ الأـبـنـاءـ كـانـ يـعـمـ شـقـ بـطـوـنـ الـحـوـامـلـ مـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ أـمـ ذـبـحـ الـلـوـائـدـ بـعـدـ الـولـادـةـ حـيـثـ مـاـ ثـقـفـوـاـ ،ـ وـاسـتـحـيـاءـ النـسـاءـ مـنـ الـحـيـاةـ إـبـقاءـ لـهـنـ بـشـأـنـ الـخـدـمـاتـ الإـجـبـارـيـةـ مـنـزـلـيـةـ وـسـوـاهـاـ ،ـ وـمـنـ الـحـيـاءـ إـزـالـةـ لـحـيـائـهـنـ فـيـ الدـعـارـاتـ ،ـ فـقـدـ كـانـتـ هـذـهـ لـهـنـ اـسـتـحـيـاءـ أـشـرـ مـنـ تـذـبـحـهـنـ ،ـ ثـمـ الرـجـالـ الـذـيـنـ فـقـدـوـ أـبـنـاءـهـمـ وـنـسـاءـهـمـ أـمـرـ وـأـنـكـىـ ،ـ وـذـلـكـ ثـلـاثـ العـذـابـ بـحـقـ الشـعـبـ إـسـرـائـيلـ بـعـدـ عـذـابـ الشـيـعـ فـيـهـمـ وـالـعـدـاءـ الشـائـعـ بـيـنـهـمـ .

هذهـ هيـ خـمـاسـيـةـ المـخـطـطـاتـ الـفـرـعـونـيـةـ الـجـهـنـمـيـةـ تـدـمـيرـاـ لـهـذـاـ الشـعـبـ عـنـ بـكـرـتـهـ وـلـكـيـلاـ يـطـلـعـ مـوـسـىـ مـنـ وـسـطـهـمـ ،ـ كـمـ أـرـادـهـاـ فـرـعـونـ بـخـيـلـهـ وـرـجـلـهـ تـجـنـيدـاـ لـكـلـ حـيـلـهـ ،ـ وـلـكـنـ اللهـ يـرـيدـ غـيـرـ مـاـ يـرـيدـهـ الـطـاغـيـةـ وـلـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ مـاـ أـرـادـ اللهـ مـهـمـاـ قـوـيـتـ الـدـاهـيـةـ الـدـهـيـاءـ ،ـ مـنـ الـطـاغـيـةـ اللـعـنـاءـ :

﴿وَتُرِيدُ أَنْ تُنْهِيَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥  
وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ٦ .

هـؤـلـاءـ الـمـسـتـضـعـفـوـنـ الـمـضـغـوـطـوـنـ تـحـتـ أـنـيـارـ الـظـلـمـ وـأـنـيـابـ الـعـضـ الـفـرـعـوـنـيـ ،ـ الـمـرـذـلـوـنـ  
المـعـذـبـوـنـ بـأـلـوـانـ الـعـذـابـ (١) يـرـيدـ اللهـ أـنـ يـمـنـ عـلـيـهـمـ

(١) الدر المنشور اخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الآية :  
 قال : يوسف وولده.

ويجعلهم أئمة و يجعلهم الوارثين ويمكن لهم في الأرض ويري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحدرون من السلطة الموسوية ، أيداد جلية من فرعون وملأه ، ويد خفية من رب العالمين تتصارعان ، وبطبيعة الحال لا تصرع إلا ايادي فرعون بجنوده حيث ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٥١ : ٤٠).

وهذه الإرادة المستمرة «ونريد» ليست لتختص مستضعفى بني إسرائيل ، بل هي متواصلة . قضية العدل والرحمة الربانية . على مدار الزمن غابرا وحاضرا وإلى يوم النشور ، مهما اختلفت درجاتها حسب مختلف الفاعليات والقابليات والظروف المفترضة لتحقيق إرادة الله ، فكما أن «نريد» هنا حكاية حال ماضية ، كذلك هي إخبار للحال والأحوال المستقبلة بعد الماضية.

وأفضل المستضعفين هم أهل بيت الرسالة الحمدية عليهم آلاف سلام وتحية ، وكما يروى عن الإمام علي (عليه السلام): «لتعطفن الدنيا علينا بعد شناسها عطف الضروس على ولدها»<sup>(١)</sup> ، ف «هم آل محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة .. وتلا عقيب ذلك «وَنُؤِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ» ورواه مثله السيد الرضا في الحصائر عن الصادق (عليه السلام) عنه (عليه السلام) ..

(٢) نور الثقلين ٤ : ١١٠ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي بسانده إلى محمد بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) في الآية قال : ... وفيه عن أصول الكافي عن أبي الصباح الكتاني قال : نظر أبو جعفر إلى أبي عبد الله عليهما السلام يمشي فقال : ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عز وجل : ونريد ..

اجل والقائم المهدي من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين هو آخر هؤلاء المستضعفين<sup>(١)</sup> وله المن الأوفر من الإمامة وخلافة الأرض اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه ..

(١) المصدر في كتاب كمال الدين وقام النعمة باسناده إلى حكيمية قالت : لما كان اليوم السابع من مولد القائم (عليه السلام) جئت إلى أبي محمد (عليه السلام) فسلمت عليه وجلست فقال : هلمي إلى ابني فجئت بسيدي وهو في الحرقه ففعل به ك فعله الأول ثم أدى لسانه في فيه كما يغذيه لينا وعسلا ثم قال : تكلم يا بني قال : اشهد ان لا إله إلا الله وحده وحده لا شريك له وبالصلوة على محمد وعلى آله وآل محمد الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حيث وقف على أبيه (عليه السلام) ثم تلا هذه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَ**وَرُبِيدُ أَنْ مَنْ عَلَى الْدِينِ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ** ...).

وفي تفسير البرهان ٣ : ٢١٩ روى العياشي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال والذي بعث محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالحق بشيراً ونذيراً إنَّ الْأَبْرَارَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَشَيْعَتَهُمْ بَنْزِلَةُ مُوسَى وَشَيْعَتَهُ وَانْ عَلَوْنَا وَأَشْيَاعَهُ بَنْزِلَةُ فَرْعَوْنَ وَأَشْيَاعَهُ . وفيه أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى في مسنون فاطمة عليها السلام بسنده متصل عن زادان عن سلمان قال قال لي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . وفيه تفصيل اسماء الأئمة الاثنى عشر الى ان قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ... ثم محمد بن الحسن الهادى المهدى الناطق القائم بحق الله ثم يا سلمان انك مدركه ومن كان مثلك ومن توالاه بحقيقة المعرفة ، قال سلمان فشكرت الله كثيرا ثم قلت يا رسول الله واني مؤجل الى عهده؟ قال يا سلمان اقرء : فإذا جاء وعد أولاهما ... قال سلمان فاشتد بكائي وشوقى ثم قلت يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعهد منك؟ فقال : اي والله الذي أرسل محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالحق مني ومن علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعه عليهم السلام وكل من هو منا ومضام فينا اي والله يا سلمان وليخضرن إبليس وجنوبيه وكل من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والأثار **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** وتحقق تأويل هذه الآية **وَرُبِيدُ أَنْ مَنْ عَلَى الْدِينِ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ** ..

يَخْدُرُونَ

وقد يروى عن رسول المهدى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مخاطبا إياهم عليهم السلام : أَنْتُمُ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي ...»<sup>(١)</sup>. وذلك الاستضعاف الذي يقتضي الرحمة الخاصة الإلهية بمنح الإمامة ووراثة الأرض ليس استضعافا روحيا عقائديا ، وإنما هو الضغط عليهم في تحقيق الشرعة الإلهية كيلا تتحقق كما تحقق ، فلا تقصير منهم في هذا المجال ، فحياتهم الإمامية هي حياة التقى حتى يأتي الفرج من الله بما قدموا من ظروفه المواتية له.

وهكذا يعلن ربنا في هذه الإذاعة القرآنية أن حياة الفرعنة الطاغية لا تدوم ، إعلانا صارخا بواقع الحال وما هو مقدر في المال عاجلا أم آجلا ، أن تقف القوتان وجها لوجه ، فقوه الله هي التي تتهاوى دونها كل القوى فانه شديد القوى.

وترى ﴿الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هنا هم كل المستضعفين في التاريخ الرسالي؟ ومنهم مقصرون ظالمون موعودون بالنار : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ إِنَّ فُسُونَهُمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتَهاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٤ : ٩٧).

ومنهم قاصرون ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا

(١) المصدر في كتاب معاني الأخبار بسانده الى محمد بن سنان عن مفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نظر إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال : أنت المستضعفون بعدي . قال المفضل : فقلت له : ما معنى ذلك يا ابن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : معناه انكم الأئمة بعدي ان الله عز وجل يقول : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ تَمَّنَ ...﴾ فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيمة .

**يَسْتَطِعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًاٰ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُورًا**

(٤) فمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً كيف يصبح من أئمة المؤمنين؟  
اهم هم المظلومون تحت أنيار الظلمات والظلمات ، حيث يتبلور ايمانهم وتقواهم  
هداهم وتقواهم ، مهما اختلفت درجاتهم ومن أدناهم القاصرون ، فالائمة منهم هم القيادة  
الهداة الى الله.

وكما الإمامة والوراثة للمستضعفين درجات حسب القابلات والمعطيات ، كذلك  
أرض التمكين لهم درجات ، من أرض مصر أو ما والاها للأئمة الإسرائييليين ، اما هيه من  
أرض بعدها ، ومن كل الأرض كما في دولة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه .  
وقد دلت آية النور على ذلك التمكين المكين ، الرصين الأمين ﴿... وَلَيُمَكِّنَنَ لَهُمْ  
دِينَهُمُ الَّذِي ارْضَى لَهُمْ وَلَيَبْدِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا ...﴾.

وهم الورثة والذين يعيشون تحت إمرتهم أولاء ، وقد جمعت بينهما آية الأنبياء (١)  
والنور (٢) : أن ارادة المن المستمرة لهؤلاء المستضعفين تتمحور قواعد اربع هي ﴿وَجَعَلَهُمْ  
أَئِمَّةً﴾ وهم الرعيل الأعلى منهم ﴿وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وهي تجمع المأمورين الى هؤلاء الأئمة ،  
كما ﴿وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ حيث  
يرى كل فراعنة التاريخ وجنودهم من هؤلاء الأكابر «ما كانوا» هؤلاء الأنكاد «يحدرون»  
منهم ، وترى كيف يولد موسى وعيون المراقبات الفرعونية ترقب الحوامل ،

(١) «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...»

(٢) «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرَّبُّورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحِينَ».

فتشق بطنها قبل الولادة ، إلا أن تفلت عنهم فالتة؟

علّها من الفالاتن القلة ، أم «انه لما حملت به امه لم يظهر حملها إلا عند وضعها له»

<sup>(١)</sup> وكما كان الحمل بصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه <sup>(٢)</sup> سترا ستيرا عن عيون المراقبات

في الدولة العباسية ليقضى الله امراً كان مفعولاً.

(١) نور الثقلين ٤ : ١١١ عن تفسير القرمي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : ... وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظومنه وذلك انه كان لما بلغه عن بنى إسرائيل انهم يقولون انه يولد فيما رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده فقال فرعون عند ذلك لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده فقال فرعون عند ذلك لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يربدون وفرق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المجالس فلما وضعت أم موسى بموسى (عليه السلام) نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت وقالت : يذبح الساعة؟ فعطف الله عز وجل قلب الموكلة بها عليه فقالت لأم موسى : مالك قد اصفر لونك؟ فقالت : أخاف ان يذبح ولدي ، فقالت : لا تخافي وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه وهو قول الله : ﴿وَالْفَقِيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي﴾ فأحبته القبطية الموكلة بها وإنزل الله على أم موسى التابوت ونوديت امه ضعيه في التابوت فاقدنه في اليم وهو البحر ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَخْرُقِي إِنَّ رَادُّهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُهُ مِنَ الْمُؤْسِلِينَ﴾ فوضعته في التابوت وأطبقته عليه وألقته في النيل.

(٢) المصدر في كتاب كمال الدين وقام النعمة وباسناده الى حكيمه بنت محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عمة أبي محمد الحسن (عليه السلام) أنها قالت : كنت عند أبي محمد (عليه السلام) فقال : بيتي الليلة عندينا فانه سيدل الليلة المولود الكريم على الله عز وجل الذي يحيي به الله عز وجل الأرض بعد موتها ، فقلت : من يا سيد؟ ولست أدرى بنرجس شيئاً من اثر الحمل؟ فقال : من نرجس لا من غيرها قالت : فوثبت إليها فقبلتها ظهر بطن أر بها اثر الحبل فعدت اليه فأخبرته بما فعلت فتبسم ثم قال لي : إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل لأن مثلها مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم أحد إلى إلا وقت ولادتها لأن فرعون كان يشق بطون الحبالي في طلب موسى وهذا نظير موسى ...».

موسى الرسول (عليه السلام) يولد في تلك الضغطة الفرعونية الوحشية ، وأمه حائرة ، تخشى أن يصل نبأ هذه الولادة المباركة إلى الجنادين فيذبحوه ، وهي عاجزة عن حمايته وإخفاءه فإذا الوحي الحنون يتلقف قلبها الرنو :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي  
إِنَّ رَادُّهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ . ٧

﴿أَوْحَيْنَا﴾ هنا تعني وحي الإلهام دون وحي النبوة والرسالة ، وادنى منه الوحي إلى النحل وللأرض ، وأعلى منه ومن كل وحي إلا الأخير وحي الإلهام إلى قلوب الأئمة المعصومين الحمدلبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ليس عليك فيه أمر إلا الرضاعة : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ  
افْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلَيُلْقِهِ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لَهُ وَأَلْقِيْتُ  
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمِشِي أَحْتَكَ فَتَقُولُ هَلْ أَذْلَكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ  
فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ..﴾ (٤٠ : ٢٠).

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما لم يه jes هاجس أو يحدث حادث ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي  
الْيَمِّ ..﴾ وهو النيل فإنه في عظمه كأنه البحر ، واليم يشمل البحر والنهر الكبير كالنيل ، أترأها ما كانت خائفة عليه ، وهي خائفة منذ حبت حتى وضعت؟

الخوف له مراحل ، فقد يتحمل إذ لا يعدو الخيال ولما تقع واقعة ، وذلك خوفها من قبل ، أم لا يتحمل حين تشرف الواقعه لتقع فلا بد من محاولة قاطعة للفرار عنها ، وقد تعنيه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ خوفا شديدا لا قبل لها به بعد المتعود في ذلك الجو المخيف.

أم حنونة ترضع ولدها خائفة عليه ، فكيف تسمح لنفسها أن تلقinya في

اليم فرارا عن حفرة إلى بئر؟ لكن ﴿وَلَا تَخَافِ﴾ من غرقه أو قتله ﴿وَلَا تَخْرُنِ﴾ من فراقه لـ ﴿إِنَّ رَادُّهُ إِلَيْكُ﴾ لتراضعه ﴿وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لما بلغ أشدده.

وهذه طمانة ربانية وربطة إلهية على قلبها أن تلقي ولديها الرضيع بيدها إلى اليم! ،  
أجل «لا تخافي» من غرقه فان عين الله ترعاه ، ويده تراعيه حين تخفيه عن بأس فرعون ،  
تلك القدرة التي تحمل النار لجده ابراهيم بربا وسلاما ، وتحمل له البحر ملجا ومناما! ﴿وَلَا  
تَخْرُنِ﴾ حيث الفراق لا يدوم ﴿إِنَّ رَادُّهُ إِلَيْكُ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَالْنَّقْطَةُ آلُ فِرْعَوْنَ لَيْكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحْزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنُودَهُمَا كَانُوا

#### خاطئين .٨

هنا بين الوحي إليها والالتقاط فجوة مذكورة في طه : ﴿فَلَيْلِقِهِ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ﴾ أمراً  
تكوينياً لليم بإلقاء ما تلقيه بالساحل ، ثم ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ﴾ أمر ثان لعدوه فرعون  
تكوينياً ، وبالنتيجة ﴿فَالْنَّقْطَةُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ . إذ ﴿أَقْبَتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِنِّي وَلَتُصْنَعَ عَلَى  
عَيْنِي﴾ ! ، وهنا أصبح موسى لقطة يلتقطها آل فرعون ، قصدا إلى ﴿فَرَأَتْ عَيْنِ لِي وَلَكَ﴾  
ولكن الواقع الجھول لديهم ﴿لَيْكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحْزَنًا﴾ فاللام هنا تعني واقع الغاية ، و  
﴿فَرَأَتْ عَيْنِ لِي وَلَكَ﴾ تعني ظاهرها وهم خاطئون واقع الأمر ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنُودَهُمَا  
كَانُوا خاطئين﴾ : خطأ عارما في كل حياتهم الجهنمية الطاغية حيث ذبح آلافا للحصول  
على موسى (عليه السلام) ، وهنا خطأ عما يرام للعرش الفرعوني حيث استقدموا بذات  
أيديهم بوارهم ودمارهم ، وهذا خطأ منهم لصالح الرسالة الموسوية ، وكل حياتهم خطأ  
لطاحلها وصالح موسى ، وقد جمعهما ﴿كَانُوا خاطئين﴾ .

فهل كانت أمه تخاف إلا ذلك الالتفاظ؟ كلا! إلا أن القدرة الربانية تتحدى بأسلوب سافر ، ففي حين يجند فرعون وهامان وجندهما كل إمكانياً لهم وعيونهم وإرصادهم علىبني إسرائيل كيلا يتفلت منه موعدهم ، فها هي ذي يد القدرة تلقى في أيديهم مجردا من كل قوة بجنان لهم ومحبة ﴿فَرَأَتِ عَيْنِ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا﴾ ! لماذا؟ ﴿لَيَكُونُ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا﴾ ويكون لأمه قرة عين ولشعب إسرائيل نجاة عن فرعون وملاه! : ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ فَرَأَتِ عَيْنِ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . ٩.

«لا تقتلوه» خطاب الجمع للحشد القاتل من آمر ومامور وسبب و مباشر ، وهذه شفاعة من ملكة البلاط ، وطبعا توثر أثرها إثراها ، لا سيما وإنها مشفوعة ب ﴿فَرَأَتِ عَيْنِ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا﴾ ترغيبا في الإبقاء عليه بعد الترعيب عن قتله ، خطوتان مباركتان منها في سبيل الحفاظ عليه كما أراد الله! ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الخطر الحادق بهم من هذا الوليد اللقيط ، رغم ان التقاطه هكذا من اليم كان يشعرون أنه من بنى إسرائيل ، وإلا فلما ذا يلقى بتابوته في اليم؟ طبعا هو إلقاء قاصد ترجيحا لغره بطبيعة الحال على ان يقع في فخ فرعون وملاه.

هنا ﴿الْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَيَّةً مِنِي وَلَنْصَنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ تجعله محوبا لآل فرعون ، لا سيما امرأته المؤمنة إذ تقول له قالتها : ﴿فَرَأَتِ عَيْنِ لِي وَلَكَ﴾ إذ ليس لنا ولد نأنس به ف ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ تدليلا على تصمييمهم لقتله ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ في ملکنا ، أم وأقرب من ذلك «أن نتخذه ولدا». «وهم» كلامهم ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ من هو هذا اللقيط؟ وهنا النص ساكت عمما رده فرعون على قوله امرأته ، إلا أنه ما قتله ،

وأما أنه قرة عين له فلا خبر عنه ، ف «لو قال فرعون قرة عين لي ولك لكان لهما جميعا»<sup>(١)</sup>.

فيما للقدرة القاهرة الباهرة التي تسخر منهم بتحدد سافر ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، ويما لفؤاد أم موسى متقدداً فارغاً من فراقه ، وكيف ألقته في اليم فالغته في خضم أمواجه؟! : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤُادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . ١٠

الفؤاد هو القلب المتفيد إما بنور العرفان : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤُادُ مَا رَأَى﴾ (٥٣ : ١١) أم نار النكران : ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ. الَّتِي تَضَلُّعُ عَلَى الْأَفْيَدَةِ﴾ (١٠٤ : ٧) أم نار الهرجان على محور الایمان ولما يتم في القلب وبضم ، وهكذا

(١) الدر المشور ٥ : ١٢١ . اخرج ابن جرير عن محمد بن قيس قال قالت امرأة فرعون : قرة عين لي ولك لا يقتلوه ، قال فرعون : قرة عين لك أمالٍ فلا ، قال محمد بن قيس قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لو قال ...».

وفي نور الثقلين ٤ : ١١٥ عن تفسير القمي عن أبي جعفر (عليه السلام) في عرض القصة .. وكان لفرعون قصر على شط النيل منها فنظر من قصره ومعه آسية امرأته إلى سواد النيل ترفعه الأمواج والرياح تضرره حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون فامر فرعون بأخذه فأخذ التابوت ورفع إليه فلما فتحه وجد فيه صبياً فقال : هذا إسرائيلي ! فألقى الله في قلب فرعون موسى محبة شديدة وكذلك في قلب آسية رحمة الله عليها وأراد فرعون ان يقتله فقالت آسية ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَنَحِّدَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ انه موسى .

وفي الجموع قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي يختلف به لو أقر فرعون بان يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها ولكنه ابي للشقاء الذي كتبه الله عليه .

أصبح فؤاد أم موسى فارغاً عما كان من اطمئنان بوحي وعن كل شيء إلا هم موسى! وهي طبيعة الحال في قلوب الأمهات في هذه الحالات الفارغة التي تفرغ عن العقل واللب فتوصل القلب إلى حالة فارغة عما فيه من اطمئنان وإيمان ، متعلقاً بفلذة كبدها فـ **«أصبح .. فارغاً»** لـ **«إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ»** أنه ولدها وقد قدفته في اليم ، صارحة صارخة دون تفكير في العاقبة في تلكم الأجواء المراقبة ، فتقول هاتفة كالجنونة : أنا التي أقيمت فألغيتها ، فأغيثوني في ولدي الغريق في خضم اليم !

**«إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا»** ربطه لا حقة لما سبقت من طمأنة الوحي **«لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»** بما وعدناها ، فيماً قلبها من الإيمان الاطمئنان فلا تبدي من أمره شيئاً حتى يأتي وعد الله .

اجل وفي مثل هذه الحالة الموحشة المضطربة لا يتمكن انسان أيا كان أن يملأ نفسه وقلبه الفارغ إلا ان يدركه الملك المنان .

وقد تعني «فارغاً» الفراغ عن كل هم وغم ، لما رأته في البلاط الفرعوني قرة عين ، «فارغاً» وفرحاً لـ **«إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ»** انه ولدها **«لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا»** تضييطاً له كيلاً تتفلت في مصارحة لا اختيارية **«رَبَطْنَا .. لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»** .

ولكن **«لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»** تشي إلى ضعف في إيمانها بفراغ قلبها ، فلما **«رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا»** خرج عن فراغها إلى إيمانها بوعده الله : **«إِنَّا رَادُوا إِلَيْكَ وَجَاءُوكُم مِّنَ الْمُرْسَلِينَ»** .

ثم **«وَأَصْبَحَ»** هنا بعد اللتيا والتي . لا عند الوحي إليها . لا تناسب إلا فرغ اللااطمئنان ، وهذه طبيعة الحال في فؤاد غير المعصوم مهما اوحى إليه ما يطمئنه ، ثم **«رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا»** تحكيم على قلبها المتقلب المتفرق ، الفارغ الخاوي عما وعد الله .

وقد تؤيد ذلك الفراغ ﴿وَلَتَغْأَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌ﴾ بعد رده إليها ، والفراغ عن كل هم وغم هو العلم بان وعد الله حق !

وقد يلمح ذلك الفراغ لفؤادها ، أنها لحت بالتقاطه ففرعت ، فلذلك :

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيَّهُ فَبَصَرْتُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١١.

فهذه القالة بفراغ الفؤاد لحة لامعة بقضية الحال ، أنها لما قذفته في اليم تبعته ناظرة إلى الأمواج اين تحوله ، فبصرت به يلتقطه آل فرعون ، فأصبح فؤادها فارغا فقالت لأخته قصيه ، ولو لا أنها لحت به خارج اليم لم تكن لقالتها هذه آية مناسبة !.

«قصيه» اتبعي أثره نحو القصر ﴿فَبَصَرْتُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ إبصار البصيرة ، لا فقط ابصار البصر ، فـ«أبظر» هي في ابصار البصر ، و «بظر به» هي البصيرة ، ام الإبصار في خفية ، ولقد بصرت به خفية وبكل وجودها «عن جنب» : مكان بعيد ومحابنة مزورة في نظرها ألا ينظر إليها وإلى نظرها ، فالجنب يشملها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها بصرت به ، رغم الرقابة التامة التي هي قضية الحال في مثل ذلك اللقيط ! أم ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته لأنها ما بصرت به كاخت إلى آخر ، وإنما كمتفرج إلى القصر بشاطئ البحر ، وعلى آية حال كان بصرها به في خفية وسترة كيلا يخيل إليهم إن رأوها أن لها صلة بموسى (١).

(١) الدر المنشور ٥ : ١٢١ . اخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي رواد ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال لخديجه : اما علمت ان الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم اخت موسى وآسية امرأة فرعون؟ قالت : وقد فعل الله ذلك يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟ قال : نعم ، قالت : بالرفاء والبنين ، وفيه .

هنا اطمأنت أم موسى عن فراغ فؤادها ، متأكدة أنه آمن في البلاط ، ولكنها راجية بعد رجوعه لترضعه كما وعد الله ، وكان كما رجت :

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَذْلُكُمْ عَلَى أَهْلٍ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ . ١٢

ما كانت الخطوة الأولى إلا للحفاظ على حياة موسى وكونه ، ثم إلى الخطوة الثانية لحيويته وكيانه ، إذ لا يصلح أن يرتفع من أية مرضعة ولا سيما القبطيات المشرفات

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ﴾ حرمة تشريعية وتكونية ، وهو الله تعالى المنكفل لإبعاده عن المراضع إلا أمه ، وهو الملهم له إلا يرتفع من أية مرضعة إلا أمه فكان كما أراد الله وارتضاه.

و «المراضع» جمع مرضع وقد يجمع هنا المصدر ومكان الرضعة وزمانها ، فمكانتها هو الثدي فلا يقبل أي ثدي ، وزمانها زمان الحاجة إلى الرضاع ، والحرمة حلقت على كل زمان وكل مكان للرضعة ، وحتى إذا أخذ لبن من مرضعة حتى يشربه دون مرضعة فكذلك الأمر ، حيث التحريم شامل للرضعة بأصلها وزمانها ومكانتها.

و «من قبل» قد تعني من قبل اقتراح اختها ، وأخذهم إياها من اليم ، ومن قبل ولادته وانعقاد نطفته ، حيث المراضع غير الصالحة لا تناسب الرسالة الصالحة ،

﴿وَلْتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ لا تناسب الرضعة الطالحة «فقالت ...».

هنا فجوة بين القصة ، وطبعا هي انه لم يقبل اي مرضع وكان جائعا

. اخرج الطبراني وابن عساكر عن أبي امامه قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما شعرت ان الله زوجني مريم بنت عمران وكثثوم اخت موسى وامرأة فرعون فقلت : هنينا لك يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

عطشا ، فكانوا ناظرين إلى مرضع يقبله ، فجاءت أخته فيمن جئن حسب الطلب ، للإدلاء إلى من ترضعه «قالت» متسائلة لصالحهم ، متنكرة **﴿هَلْ أَذْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾** كفالة الرضاعة وسواها ، لا فحسب بل **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** كما يناسب لقيط البلاط وقرة عين فرعون وزوجه . وبطبيعة الحال هم يقبلون ويقبلون إلى أهل بيته يكفلونه في بعدي الكفالة اللافقة المرغوبة المرموقة ، وطبعاً يجعل على الكفالة «.. ترضع ولدها وتأخذ أجرها» <sup>(١)</sup> ، وترأهـمـ كـيفـ لمـ يـتفـطـنـواـ بـماـ قـالـتـ اـنـهـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ بـمـنـ يـنـاسـبـ تـلـكـ الـكـفـالـةـ ،ـ فـيـفـتـشـواـ عـنـ مـصـدـرـهـ وـمـورـدـهـ عـلـهـ أـهـلـ بـيـتـ مـوـسـىـ نـفـسـهـ؟ـ

لقد أعمـاهـمـ اللهـ عنـ ذـلـكـ وـهـمـ فيـ حـالـةـ مـخـرـجـةـ مـخـرـجـةـ لـهـ عـنـ كـلـ هـمـ إـلـاـ الحـصـولـ عـلـىـ

منـ يـكـفـلـهـ ،ـ وـأـخـيرـاـ :

**﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقْرَأَ عَيْنِهَا وَلَا تَحْزُنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** ١٣.

لقد ارتدت اللقطة إلى أمه الملهوفة ، بارادة الله ، لـ **﴿كَيْ تَقْرَأَ عَيْنِهَا﴾** بحضوره «ولا تحزن» لفراقه **﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾** بعد ما ربط الله على قلبها ووعدها من قبل أن يرده إليها **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** حق الوعد والوعد الحق من الله للأولى أو الأخرى ، و **«لا يعلمون»** هذا يعني

(١) الدر المثور ٥ : ١٢٣ . أخرج ابو داود في الراسيل عن جبير بن نفير قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل الذين يغزون من امتي وياخذون الجعل يعني يتقوون على عدوهم مثل ام موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها .

وفي البخار ١٣ : ٢٧ قال الراوي قلت لأبي جعفر (عليه السلام) فكم مكث موسى غائباً عن امه حتى رده الله عليها؟ قال : ثلاثة أيام .

جهل التجاهل والتغافل عن تقصير دون قصور ، اللهم إلا بتنصير .

وما الذي حصل بعد حتى بلغ أشدّه؟ النص ساكت عن هذه الفجوة لأنّها ليست من صحيح القصص المرام في الدعوة القرآنية ، فاما ينتقل من رضاعه إلى بلوغ أشدّه مع العلم أنه في هذه الفترة كان كما قال الله ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أيما كان وأيان .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّي مَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَرْتَقِبُ فِإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ

بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنِّي لَعْوَيٌ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَيَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يُأْمِرُونَ بِكَ يُقْتَلُوكُ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَرْرَقُبُ قَالَ رَبِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الطَّالِمِينَ (٢١)

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُخْسِنِينَ﴾ . ١٤

الأشد جمع الشدّ وأقله ثلاثة شدّات هي : شدّ العقل والرشد إلى شد الجسم ، وترى ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ هنا هما الرسالة وعلمها؟ وآية الشعراء تؤجلها إلى ما بعد رجوعه إلى مدين ! : ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبْتِ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلْتِنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢١) فلم يكن قبله رسولًا فهو حكم غير رسالي !

علّهمَا من ذي قبْل حكم النبوة وعلمها قبل الرسالة ، حيث الحكم والعلم للأنباء درجات ، ابتداء من الوحي غير الرسالي وهو النبوة ، ثم الرسالي ، ومن ثم النبوة وهي الرفعة بين المرسلين ، ثم ولاية العزم وهي

الإمامية بين سائر المسلمين ، وفي الختام إمامية الأئمة الرسالية ككل وهي الخاصة بخاتم النبيين (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقد تدرج موسى إلى ما قبل الأخيرة ، وكما ان بلوغ الأشد هو اكمال هذه الثلاث وهو في العادة بين ١٨ سنة و ٣٠<sup>(١)</sup> ، كذلك «استوى» بعد هو القيام بنفسه في حاجيات الحياة وهو إلى الأربعين بل هو من منتجات بلوغ الأشد ، وهنا

﴿أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

وهذه هي ضابطة الحكم والعلم الرباني ﴿وَكَذَلِكَ نَجَّرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ كلا على قدر إحسانه ، وما قدره الله من كيانه ، من مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان إلى أول العابدين وخاتم النبيين (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ولأن الحكم الرسالي وعلمه ليسا جزاء الإحسان ، وإنما أصبح كل محسن رسولا ، فلا يعني ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ هنا الرسالة ، فقد تكون نبوة الوحي أمّا دونها من إلهامات غيبية هي من مخلفات الحالات التصفوية للمحسنين.

فكون الحكم والعلم جزاء إحسانه كما ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بعد رجوعه من مدينه ، هذان برهانان ساطعان على أن ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ هنا لا يعنيان الرسالة.

وهنا نتلمس ان بلوغه أشد واسطواه كان عند بلوغه الثلاثين حيث الرسل يرسلون عند الأربعين ، وكان بين الحكمين عشر سنين.

أتراه في هذه الفترة وهي زهاء ثلاثين سنة أم تزيد ، تراه ظل يتربع

(١) نور الثقلين ٤ : ١١٧ عن معاني الأخبار بسند متصل عن الأحوال عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ وَاسْتَوَى﴾ قال : أشدته ثمان عشر سنة واستوى التحي . وفي أحاديث منظافية انه لم يبعث النبي إلا على رأس أربعين سنة ، اللهم إلا يحيى في وجه من الآية ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

في البلاط الفرعوني ، مستريحا في حياة تحضيرية لتلك الرسالة السامية ، وهو يرى كيف يسام قومه سوء العذاب بتذبح الأبناء واستحياء النساء وسائر البغي اللئيم ، وابشع صورة للفساد الشائع الأثير؟

ليست هذه سيرة المحسنين الذين يجرون حكما وعلما! بل كانت حياته في تلك الفترة إحسانا حسب المكنة بشعبه منذ غلنته<sup>(١)</sup> وكما أغاث الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فقد كان عطوفا بشيعته ، رقيبا عليهم ، وبطبيعة الحال منعزلًا عن التأثر من جو البلاط الطاغي كما يمكن في تقية تحافظ على كيانه على قدر إمكانه ، وتلمح لهذه الحالة الجمالية **﴿وَكَذِلِكَ تَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾** تعقيبا رقيبا على بيته قبل أن يؤتى حكما وعلما هكذا ، وكما دخوله المدينة على حين غفلة من أهلها لحة صارحة باتباعه عن المدينة خوفة من جلازرة البلاط! :

**﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ . ١٥**

(١) نور الثقلين ٤ : ١١٧ عن تفسير القمي : .. فلما درج موسى كان يوما عند فرعون فعطفس موسى فقال : الحمد لله رب العالمين ، فأنكر فرعون ذلك عليه ولطمته وقال : ما هذا الذي يقول؟ فوثب موسى على لحيته وكان طويلا اللحية فهلبها أى قلعها فأله ألم شديدا فهم فرعون بقتله فقالت له امرأته : هذا غلام حدث لا يدرى ما يقول وقد لطمته بلاطتك إياه فقال فرعون : بلى يدرى ، فقالت له : ضع بين يديه تمرا وجمرا فإن ميز بين التمر وال杰مر فهو الذي تقول ، فوضع بين يديه تمرا وجمرا وقال له كل فمد يده إلى التمر فجاء جرئيل (عليه السلام) فصرفها إلى الجمر فأخذ الجمر في فيه فاحترق لسانه وصاح وبكي فقالت آسية لفرعون : ألم أقل لك إنه لم يعقل؟ فعفى عنه.

**﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَة﴾** فيه احتمالان اثنان ، أن كان خارج المدينة خوفة من فرعون وملأه ثم دخلها فرأى ما رأى؟ أم كان القصر الملكي خارج المدينة «فلم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة حتى بلغ مبلغ الرجال وكان ينكر عليه ما يتكلم به موسى من التوحيد حتى هم به فخرج موسى من عنده ودخل المدينة ..»<sup>(١)</sup>.

كل محتمل والجمع أجمل ، فعله كان يتدد في القصر ويقول قالة التوحيد ويفعل فعلته عندهم فهم به فرعون حتى **﴿دَخَلَ الْمَدِينَة﴾** لاخر مرة ثم لم يرجع إلى فرعون إلا بعد رجوعه من مدين رسولا ، ولقد كان من المحسنين حين كان في البلاط ، دون أي تأثر بذلك الجو المظلم الظالم ولا ترب إلا ربوة جسدانية **﴿قَالَ أَمَّا نُرِيكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثَتْ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِين﴾** (١٨ : ٢٦) وعلى أية حال **﴿دَخَلَ الْمَدِينَة﴾** وهي بطبيعة الحال مصر **﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾** وحين الغفلة قد تلمح أنه كان ملاحقا في المدينة من قبل السلطة وعيون القصر إذ «هم به فرعون»<sup>(٢)</sup> وقد تلمح

(١) البخاري ١٣ : ٢٧ عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في تفصيل القصة.

(٢) البخاري ١٣ : ٣٦ بسنده متصل عن سعيد بن جبير عن سيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي عليهم السلام عن أبيه سيد الوصيين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لِمَا حَضَرَتِ يُوسُفُ الْوَفَاءَ جَمِيعَ شَيْعَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ بِشَدَّةِ تَنَاهِلِهِمْ يُقْتَلُ فِيهَا الرِّجَالُ وَتُشَقُّ بَطْوَنُ الْجَبَالِ وَتُذَبَّحُ الْأَطْفَالُ حَتَّى يَظْهُرَ اللَّهُ الْحَقُّ فِي الْقَائِمِ مِنْ وَلَدِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ وَهُوَ رَجُلٌ أَمْرَرٌ طَوِيلٌ وَوَصْفُهُ لَهُمْ بِنَعْتِهِ فَتَمْسَكُوا بِذَلِكَ وَوَقَعَتِ الْغَيْبَةُ وَالشَّدَّةُ بَيْنِ إِسْرَائِيلِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ قِيامَ الْقَائِمِ أَرْبِعَمِائَةَ سَنَةٍ حَتَّى إِذَا بَشَرُوا بِوَلَادَتِهِ وَرَأُوا عَلَامَاتَ ظَهُورِهِ اشْتَدَّتِ الْبُلُوغُ عَلَيْهِمْ وَحَمَلُوا بِالْخَشْبِ وَالْحَجَارَةِ وَطَلَبُ الْفَقِيهِ الَّذِي كَانُوا يَسْتَرِيحُونَ إِلَى أَحَادِيثِهِ فَاسْتَرَ وَتَرَاسَلُوهُ وَقَالُوا : كَمَا مَعَ الشَّدَّةِ .

«حين» انه وقت الاستراحة النوم لأهل المدينة ، ولكنه دخول قاصد ذلك الحين إذ كان يخافهم من فرعون وملائكة ، وإنما ذا دخلها على حين غفلة من أهلها؟.

**﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾** وهذا مما يدل على أنه

كان معروفا لدى شعبه وأتباعه في اليمان ، خلاف الآخرين ، فإن «من شيعته» دون من أشياعه ، و «من عدوه» دون من أعداءه ، مما يوضح ذلك في بعدين ثانهما ان «هذا» الأول صادر منه صدور الأشياء من مصادرها وهو هنا مصدر اليمان ، و «هذا» الثاني صادر من عدوه فرعون وهو مصدر الكفر ، إذا فال الأول موحد والثاني مشرك ، والمشرك المحارب يجوز أو يجب قتاله وقتله إلا في ظروف استثنائية تتغلب على صالح الموقف.

**﴿فَاسْتَغْاثَةُ اللَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى اللَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾** وهذه الاستغاثة مما يؤكّد وجوب

إغاثة المؤمن على الكافر.

**﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾** والوكر هو الضرب بجميع الكف وليس هو قتلا ، فلا

أنه قصد قتله ، ولا أن الوكر ما يقتل في العادة ، ولكنه صادف أن قضى عليه بوكره إذ كان قويا ، وحالة الدفاع عن المؤمن حالة استثنائية تقوي الضعيف فضلا عن القوي ، فقد وقع ما لم يقصد وقصد ما لم

. نسترجع إلى حديثك فخرج بهم إلى بعض الصحارى وجلس يحدّثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر وكانت ليلة قمراء في بينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى (عليه السلام) وكان في ذلك الوقت حديث السن وقد خرج من دار فرعون يظهر التزهّة فعدل عن موكيه واقبل إليهم وتحته بغلة وعليه طيسان خرّ فلما رأه الفقيه عرفه بالنعمت فقام إليه وانكب على قدميه فقبلهما ثم قال : الحمد لله الذي لم يعنني حتى أرانيك فلما رأى الشيعة ذلك علموا انه صاحبهم فأكباوا على الأرض شكرًا لله عز وجل فلم يزدهم على ان قال : أرجو ان يجعل الله فرجكم ثم غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة مدین ..

يقع ف **﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾** ، أتراء يشير ب «هذا» إلى عمله؟ وكيف يكون عمل موسى . الذي أتاه الله حكما وعلمها بإحسانه . من عمل الشيطان ! لا ريب أن دفاعه عن الذي من شيعته بوكزته كان قضية الإيمان ومن عمل الرحمن ، وحاشاه ان ينسبه الى الشيطان ، فقد «يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى من قتله» <sup>(١)</sup> بوكزه دون تقصّد لقتله.

(١) بحار الأنوار ١٣ : ٣٢ ج ، ن في خبر ابن الجهم قال سأل المأمون الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز وجل **﴿فَوَكَرَةُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾** قال الرضا (عليه السلام) : إن موسى (عليه السلام) دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجالين ... فقضى موسى (عليه السلام) على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات قال : هذا من عمل الشيطان ، يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى (عليه السلام) من قتله ، إنه : يعني الشيطان ، **﴿عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾**.

قال المأمون : فما معنى قول موسى : **﴿رَبِّ إِنِّي طَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾** ؟ قال : يقول : إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة **﴿فَاغْفِرْ لِي﴾** أى استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني **﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** ، قال موسى : **﴿رَبِّ إِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾** فن القوة حتى قتلت رجلا بوكزة **﴿فَلَنَّ أَكُونَ طَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾** بل أجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى **«فَأَصْبَحَ»** موسى (عليه السلام) **«فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فِيَّا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ** على آخر **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغُويٌّ مُبِينٌ﴾** قاتلت رجلا بالأمس وتقاتل هذا اليوم ، لأودينك وأراد أن يبطش به. **﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾** وهو من شيعته قال يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ان تزيد إلا ان تكون جبارا في الأرض وما تزيد ان تكون من المصلحين.

قال المأمون جراك الله خيرا يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون **﴿فَعَلْثَاهَا إِذَا**

أم يعني «هذا» الذي «من عدوه» أنه من عمل الشيطان كما قال الله لموح عن ابنه ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ﴿إِنَّهُ عَدُوٌ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ يعمل أشياعا له كهذا العدو ، ثم يحملهم على عمله؟ أم ان «هذا» يعنيهما ، هذا العدو وعمله ، وما أجمله جمعا ، وهما ما أجلا الرسالة الموسوية ، معجلا له ارادة القتل ﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَآخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ﴾ وتراه إذا لم يكن عمله من عمل الشيطان فكيف يستغفر ربه فيه بما ظلم :

﴿قَالَ رَبِّيٌ طَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١٦ .

«نفسی» هنا دون غيري مما يزود عن ساحته القتل ظلما ، فاما يعني بظلمه نفسه هنا الانتهاص غير القاصد بقتل الذي من عدوه في نصرة الذي من شيعته ، إذ خلف ملاحقة الشديدة من قبل السلطة الفرعونية ، فقتلا له بقتله أو تأخيرا لرسالته الموعودة ، فطالما الظلم هنا لا يعني التعدي الى غيره ، كذلك لا يعني في انتهاص نفسه انه كان قاصدا فيه ، فطلب من ربه الغفر الكامل والستر الشامل عما يرصده من قتل «فغفر له» فدفع كيد فرعون ثم أرسله اليه بعد روح من زمن رحلته إلى مدين.

فالغفر لموسى (عليه السلام) كما الغفر لرسول المدى في الفتح ﴿لِيغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ﴾ مهمما كان بينهما بون من ناحية اخرى هي

. وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ﴿ قال الرضا (عليه السلام) إن فرعون قال لموسى (عليه السلام) لما أتاه ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتْكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بي قال موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنه ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَا حِفْتُكُمْ فَوَهَبْ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ..(عن الاحتجاج ٢٣٤ وعيون الأخبار ١١٠).

أقول : هو من شيعته اخلاق كما يأتي ، كما لأؤدبتك.

الخطاء فيما فعله موسى ولم يخطأ رسول المهدى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)! ولو لا ذلك القتل الخطأ دونما تقصد لم يضطر موسى (عليه السلام) إلى الفرار ، ولا تأخرت رسالته عشر سنين.

والغفر فيخلفية القتل كان عاجلا في الذب عن قتله ، وآجلا في بداية رسالته بعد ذلك الرد البعيد من الزمن ﴿مَ جَنَتْ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (٤٠ : ٢٠).

﴿قَالَ رَبِّ إِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ١٧

وقد تعني هذه النعمة اضافة الى نعمة النبوة والايمان نعمة الذب عن قتله والغفران ، والقوة الدافعية القاضية على عدو له ، و «لن» تحيل باختياره ان يكون ظهيرا للمجرمين ، كما لم يكن ظهيرا لهم وهو يعيش في قصر الإجرام ، ثم لما رأى قتالا بين عدو له وشيعة نصر شيعته على عدوه مهما اخطأ في قتله ، حيث الظروف ما كانت تساعده على ذلك القتل . مهما كان مسمواه في أصله <sup>(١)</sup>. إذ خلف الفرار عن مسح الدعوة ، وخوفة الانتقام في فترة من الزمن بعيدة ، وليس يعني الذي من شيعته فيمن يعنيه «المجرمين» إذ بطش مرة ثانية لتخليصه وهذه مظاهرة ، مهما كان من المجرمين من أوقع غيره في جرم أو من أدت إعانته إلى جرم ، إذ لم تكن وكرته جرما حيث لم يقصد قتله ، وإنما قصد تخليص الذي من شيعته ، كما ولم تكن المقاتلة من ناحية المؤمن قصدا إلى إدخال موسى في الجرم !

وهنا ندرس ان وكرة الدفاع مقصورة على قدر الدفاع حتى مع الكافرين

(١) الدر المنشور ٥ : ١٢٢ . أخرج احمد في الزهد عن وهب قال قال الله عز وجل بعنزي يا ابن عمران لو أن هذه النفس التي وكرت فقتلت اعترفت لي ساعة من ليل أو نهار بأني لها خالق لأذقتك فيها طعم العذاب ولكن عفوت عنك في أمرها أئها لم تعرف لي ساعة من ليل أو نهار إيني لها خالق أو رازق .

فضلا عن المؤمنين ، اللهم إلأ في جهاد العدو في الدين ، فهنا القتل مسموح مهما كان بدائياً أو وقائياً ، فموسى يقضي بوكزة واحدة على عدو المهاجم على شيعة له ، مما يشي ببالغ قوته وفتوته ، مصوراً مدى انفعاله وغضبه ، وما كان يخالجه من الضيق بفرعون وملأه الظالمين بحق أشياعه المضطهددين ، ولكن لما رأه جثة هامدة خامدة بين يديه ندم على هذه الصدفة الهائلة فاستغفر ربه وأناب إليه واستتجده ل موقفه الحرج المخيف ، فأنجده الله.

**﴿فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ١٨**

مضى يوم «فأصبح» لغده «خائفاً» خلفية قتله بالأمس «يتربّ» الفرج من ربه ، أم و «يتربّ» منفذاً عن مضيقه ، أو يتربّ الفضيحة في انكشف أمره وخلفية الأذى ، ملتفتاً متوجساً يتوقع الشر في كل لحظة ، مما يؤكّد حساسية القصر ضده منذ أمد ، وإنّا فما أرخص لرجل القصر ، المتبنّى لفرعون ، أن يقتل أيّاً كان من الشعب ، فقد كان حين دخل المدينة منفصلاً عن القصر ، معروفاً لدى شيعته لحد عرفه هذا الذي من شيعته ، كما عرفه عدوه الثاني إذ **﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ...﴾** !

مضى يوم عن الواقعه وهو **﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾** . **﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾** من شيعته «يستصرخه» في اقتتال ثان مع عدو همَا ثان ، محنة بعد محنة ، مما يحرّج موقفه أكثر مما كان ، ف **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ﴾** دون شك «لغوي» عن صراط الحق «مبين» غوايتك ، والاستصرخ هي طلب الصرخة أن تطلب من موسى بصرخة أن يصرخ على عدوه الثاني قاله وفعالة كما فعل بالأمس على الأول.

وتراه كيف يهتف بشيعة له حالة اقتتاله مع عدو له ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾؟ لأن اقتتال شيعته مع الأعداء الفرعونيين . ولما يحن حينه ، ولا قويت ملوكى بعينه ، وهو في بداية أمره . ذلك القتال العجال غير صالح في هذا المجال ، كما وان رسول المهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه لم يقاتلوا أو يدافعوا في العهد الملكي إذ ما حان . بعد . حينه حتى جاء العهد المدني فسمح له في الدفاع والجهاد.

ثم الدعوة الرسالية مهما كانت قوية ، ليست لتبدئ بالقتال والقتل والقسوة ، وإنما بالحكمة والمعونة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، ثم القتال إذا وجد له مجال.

فموسى الذي هم به فرعون ، وهو هارب من بأسه فيدخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، كيف يجوز لشيعة له ان يكرر عليه الجو أكثر مما كان فيقاتل عدوا لهم ، فيفرض عليه نصره فقفزه فالقضاء عليه ، ثم يكرر بعد يوم نفس المسرح ، مما يحرج موقفه الرسالي أكثر مما حرج أول مرة ، إذا فحق له هتافه ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

أجل ، غوي بعراته هذا الذي لا ينتهي إلا إلى ثائرة نائرة على موسى وبني إسرائيل ككل .

وهم بعد ضعفاء ، ما حانت لهم الثورة «مبين» تلك الغواية في المدينة حيث ضاعت وشاعت وتشيع أكثر مما كانت فتجثت اصول الثورة المستقبلة الرسالية ، وقد تلمح ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ انه من أشير إليه من ذي قبل ب﴿هذا من عمل الشيطان﴾ لا فحسب الذي من عدوه ، والمقاتلة ، بل والذي من شيعته حيث اقدم على المقاتلة ، إذا ف «هذا» ثالوث الشيطنة وموسى قد ابتلي بها لحد يستغفر ربه من خلفياتها ولم يعمل هو إلا واجبه دفاعا عن نفس مؤمنة ، مهما اخطأ طوره بقفزه القاتل دون تقصّد.

ف **إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي** تعنیه كرسول ، وفي ذلك القتل قتل له أو لرسالته **فَاغْفِرْ**  
**لِي** سترا لما يتربص بي من دوائر السوء **فَغَفَرَ لَهُ** نجاتا عن قتله وإبقاء لرسالته وإن  
 تأخرت عشر سنين.

لقد وقع موسى هنا في مأزق ثان كال الأول ، فهل يغفر تعجيلا فكال الأول ، ام هل يحظر  
 تأجيلا ، والحفظ على النفس المؤمنة واجب؟ فإنما يبطش بالفعل دون قفز قاض ولا حظر  
 منحاز :

**فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا  
 قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ  
 الْمُصْلِحِينَ . ١٩**

**بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا** طبعا هو القبطي الفرعوني ، أترى **قَالَ يَا مُوسَى** هي قالة  
 الإسرائيли لأنه اغتاظ بكلامه **إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** فظن انه يقصد ببطشه إلى قتله ، فونبه  
 ببطشه تأنيبا له **أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي ...** عرف القبطي ان موسى هو الذي قتل منهم نفسها  
 بالأمس فأخبر فرعون الخبر فائتمروا بموسى فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ..?  
 وإرادة البطش والذي هو عدو لها مظاهرة المهدف ان ليس هو الذي من شيعته!  
 وعواية المؤمن لا تقتضي قتله وهو يحارب المشرك! ولا مرجع صالحه لضمير العائب في «قال»  
**إِلَّا بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا** فإنه الأقرب لفظيا ومعنىها! و **كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ** لا  
 تناسب إلا نفسها بهذه النفس وهي العدوة لها ، إذ لا صلة ولا ماثلة بين قتل الإسرائيли  
 المؤمن المهاجم ، وقتل القبطي الكافر المهاجم! ثم ولا تأنيب في قتله نفسها بالأمس إذ كان  
 دفاعا عن الذي من شيعته فكيف يؤنبه فيه! ثم وكيف يليق به القولة الفاتكة **إِنْ تُرِيدُ إِلَّا**  
**أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ** فإنه ارتداد

عن اليمان فطريا يستحق به القتل فليقتله به<sup>(١)</sup> ! ولعمر إلهي الحق ليس ذلك إلا تسفيرا للقرآن عن مغزاه ومرماه وليس تفسيرا<sup>(٢)</sup> ، فإن هي إلا قوله الذي هو عدو لهما ، ولم تكن القتلة السابقة مما تخفي . وهي القاتلة . من داعية إسرائيلي رياه فرعون عمرا من قبلها ، فشاعت في المدينة ، والقتلة المكررة من داعية يجعله جبارا في الأرض وتنتفي عنه كونه مصلحا فيها ، حسب الظاهرة في بداية الدعوة.

وهذه شيمة شنيعة من المتجررين المستكرين ان الدفاع عن الظلم إفساد وجبر ، حتى يسمى القبطي دفاع موسى عن الإسرائيلي تجبرا في الأرض يطارد الإصلاح! .  
فقد تفسد الفطرة العامة الإنسانية لعدم يرون الظلم فلا يثورون عليه ، بل وينكرون على الشairين ضد الظلم ، إذ لا يعطون حق الدفاع للمظلومين المضطهددين ، وفوق كل ذلك يسمون الدافع عنهم وعن الظلم **جباراً في الأرض**<sup>﴿جَبَارًاٰ فِي الْأَرْضِ﴾</sup> كما قاله القبطي ، لأنهم ألغوا الطاغية تطغى ولا ثورة ضده ،

(١) بخار الأنوار ١٣ : ٢٧ القمي عن أبي جعفر (عليه السلام) في رواية القصة .. فلما كان من الغد جاء آخر فتشبث بذلك الرجل الذي يقول بقول موسى فاستغاث به موسى نظر صاحبه إلى موسى قال له : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فخلص صاحبه وهرب ..  
أقول : وهذا هو الصحيح الملائم للآية.

(٢) نور الثقلين ٤ : ١١٩ في عيون الأخبار باسناده إلى علي بن محمد بن الجهم قال : حضرت مجلس المؤمنون وعنه الرضا (عليه السلام) فقال له المؤمنون ... إلى أن قال . : **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغُوَيْ مُبِينٌ﴾** قاتلت رجلا بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأؤدينك وأراد أن يبسطش به **﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّهُمَا﴾** وهو من شيعته **﴿قَالَ يَا مُوسَى ...﴾** !

أقول كيف هو من شيعته وهو عدو لهم أي موسى والقطبي أن هذا إلا بختان مبين!

فحسبيوا ان الطغیان حقه المطلق والثورة تخلّفة عن الإصلاح! فإذا رأوا مظلوماً يصرخ أو يستصرخ ، أم عطوفاً يجib إلى صرخته فيدافع عنه ، حسبيوه جباراً في الأرض ، متخلّفاً عن السنة المتّبعة وهي الْحِيَادُ أمام الطاغي والانقیاد للباغي! .

أجل إنه لا ينكر أن الاشتباكات الفردية للداعية شبّكات لازلاقه في الفح ، إذ لا تجدي في قلب الأوضاع الغاشمة ، كما كف الله المسلمين في العهد المكي عن تلکم الاشتباكات حتى آن أوانه ، ولذلك يخاطب موسى من سببها بـ ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ واعترف على نفسه «﴿إِنِّي طَلَمْتُ نَفْسِي﴾» ولكنّه ليس بذلك جباراً في الأرض ، وإنما وقع في فحّ من وكرته دفاعاً واجباً عليه في الظرف المختلق خلاف ما يهواه.

لقد تفّشى خبر قتلـه بالأمس رجال فرعون ، وهو طبيعة الحال ، قضية استطارة الغضب من آل فرعون على موسى الملاحق من قبلـه ، واستطارة الفرح في بني إسرائيل ، فالقبيلان . إذا . هـا إذ اعـتان لإـشاعة ذلك النـباء حتـى فـشـى وـتطـاير بـین كلـ الجـماـهـير ، وـمنـهـم هـذا الذـي أرادـ مـوسـى انـ يـبـطـشـ بـه ، فـائـتمـروا بـه ليـقـتـلـوه فـنجـاهـ اللهـ منـ القـومـ الـظـالـمـينـ :

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَرْتَقِبُ قَالَ رَبِّنِي لَجَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ . ٢١

وـيا لـرـجـالـ منـ أـقصـىـ المـدـيـنـةـ ، لـيسـواـ فيـ أـوسـاطـهـاـ كـالـأـغـلـبـيـةـ السـاحـقـةـ منـ المـتـرـفـينـ ، بلـ هـمـ العـائـشـونـ فيـ حـوـامـشـهاـ البعـيـدةـ الـقـاصـيـةـ ، يـاـ لـهـمـ منـ رـجـولـاتـ وـبطـولـاتـ للـحـفـاظـ عـلـىـ الرـسـالـاتـ الـإـلـهـيـةـ ، فـهـنـاـ ﴿رَجُلٌ مِّنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ﴾ إـلـىـ مـوسـىـ ، وـهـنـاكـ ﴿رَجُلٌ مِّنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ﴾ إـلـىـ رـسـلـ عـيـسـىـ ،

ولَا رَجُلٌ مِّنْ أَوْسَاطِهَا هُنَّا وَهُنَّا كَيْنَانٌ مِّنْ الْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فَرْعَوْنَ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكُنُّ إِيمَانَهُ أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ...﴾ . (٤٠ : ٢٨) <sup>(١)</sup>.

وَقَدْ يَتَعَلَّقُ ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ بِمَقْدِرِ كَمَا تَعْلُقُ بِ«جَاءَ» فِي ﴿رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ . «يَسْعَى» مَسْرِعًا إِلَى مُوسَى ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ الْفَرْعَوْنِي «يَأْتِيُونَ» فَرَعَوْنَ ﴿بِكَ لِيُقْتَلُوكَ﴾ كَمَا قَتَلَتْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ وَهَمَتْ الْيَوْمُ بِطَشَا بَآخِرٍ «فَأَخْرَجَ» مِنْهَا إِلَى مَكَانٍ سُحِيقٍ لَا يَعْرُفُونَهُ ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وَبِالْيَتْرِيجَةِ : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا﴾ مِنْ اِتَّمَارِهِمْ «يَتَرَقَّبُ» الْفَرَجُ وَالنِّجَاهُ الْمَوْعِدُ حِينَما اسْتَغْفَرَ رَبِّهِ غَفَرَ لَهُ ﴿قَالَ رَبِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فَهُوَ الْمَظْلُومُ فِي ذَلِكَ الْمَسْرَحِ وَلَيْسَ بِظَالِمٍ إِلَّا نَفْسَهُ غَيْرُ مُتَقْصِدٍ ! وَانْ مُوسَى قُتِلَ مِنْهُمْ نَفْسًا فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، وَالْحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ نَفْسًا وَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ! وَإِنْ خَرْجَ مِنْ خَرْجَ (٢) ؟

(١) نور الثقلين ٤ : ١١٩ في تتمة القصة على طولها عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى (عليه السلام) قد كتم إيمانه ستمائة سنة وهو الذي قال الله عز وجل : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ ...﴾ وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل فطلبته ليقتله فبعث المؤمن إلى موسى (عليه السلام) ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ كما حكى الله عز وجل ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ قال : يلتفت يمنة ويسرة ويقول : ﴿رَبِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أقول : «فبعث...» خلاف نص الآية انه ﴿جَاءَ... يَسْعَى﴾ ثم ومحبه نفسه إلى موسى لا يناسب كونه خازن فرعون لأنَّه تحدِير لدمه ، فقد يجوز انه قبطي مؤمن غير معروف في البلاد جاء بنفسه ليحذر موسى .

(٢) المصدر ٤ : ١٢٠ في ارشاد المفید في مقتل الحسين (عليه السلام) فسار الحسين (عليه السلام) إلى مكة وهو يقرء ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ولم الطريق الأعظم فقال له أهل بيته : لو تنكببت الطريق الأعظم كما صنع ابن .

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا حَطَبُكُمَا قَاتَنَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِّ فَقَالَ رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاٍ قَالَتْ إِنِّي أَيِّ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَهَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقُصَصَ قَالَ لَا تَخْفُ بَحْرُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرًا مِنْ اسْتَأْجِرْتَ الْقَوْيُ الأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَيَ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَاجٍ فَإِنْ أَنْتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْفَقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

**الصَّالِحِينَ** (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)

«مدين» هي مدينة شعيب ، المرسل إلى أهله : ﴿وَإِلَى مَدْنِيَّنَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (٨٥ : ٧) وقد جاء ذكرها عشر مرات في الذكر الحكيم ، وهي واقعة تجاه تبوك على بحر القلزم ، بينهما سرت مراحل ، وهي أكبر من تبوك ، وبها البغر التي استقى منها موسى لغنم شعيب عليهم السلام ، وبينهما وبين مصر مسيرة ثمان وقد كانت خارجة من سلطان فرعون.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْنِيَّنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾ ٢٢.

تلقاء الشيء حذاءه وقباله حيث يلقى به ، من «لقى تلقية وتلقاء» ولكنه لقاء من بعيد يصل إلى لقاء القريب ، فقد خرج من المدينة متوجهاً تلقاء مدين فريداً طريداً خائفاً يتربّب الفرج ، منزعجاً بنذارة الرجل من أقصى المدينة دون تزود بزاد ولا ترحال براحته ، راحلته رجاله ، وزاده ترجي هدى الله ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾ إلى مدين وارداً سليماً وإلى المدينة راجعاً رسولاً منذراً ، وبينهما السبيل إلى تشكيل العائلة. فهنا نجد موسى بعد روح من عمره منذ ولادته حتى رجولته في نعومة العيش في البلاط ، نجده في قلب المخافف ، يطارده فرعون وملأه ، لينالوا منه

. الزبير لثلا يلحق الطلب ، فقال : لا والله لا أفارقك حتى يقضي الله ما هو قاض ، ولما دخل الحسين (عليه السلام) مكة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان دخلها وهو يقول : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْنِيَّنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾ .

اليوم في رجولته ما لم ينالوه منه في طفولته ، ولكن اليد التي حمته هناك أخرى أن يحميه هنا : ﴿وَلِئْنَضَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ! وتراء كيف عرف الطريق إلى مدين ولم تسبق له سابقة منه وليس يكفيه سؤال الرجل الناصح لاهدائه على طول الخط في الطريق؟.

﴿تَوَجَّهَ تِلْقَاء﴾ دون «توجه إلى» قد تلمح انه توجه تلقاها وما يدرى هو انه متوجه تلقاها ، وإنما الله هو الذي يدلله إلى مدين ، و ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِنِي﴾ دليل أنه ما كان يعرف الطريق ، و ﴿تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَن﴾ دليل واقع التقاء بما لقاء الله ، وغير صحيح أن يسأل الناس عن الطريق وهو في مفازة المخافة ، متسترا مقصده عنهم فرارا عن كيد المؤمنين به ليقتلواه.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾  
قالَ مَا حَطَبُكُمَا قَاتَلَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ . ٢٣

لقد وصل إلى مدين وورد ماءه ، وهو بطبيعة الحال بداية ورده البلدة ، وصل مكدودا مجهودا وهو بحاجة إلى رياحة ف ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ جماعة من مختلف الرعاء وسوادهم يسقون أنفسهم وأنعامهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أبعد منهم إلى الماء بفصل فاصل ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ والنود هو المنع ، ولأن المتعلق هنا مطلق فقد يعم ذودهما أغناهما عن التفرق ، وعن الخلط بأغنان الناس ، وعن ورد الماء حتى يصدر الرعاء ، وذودهما الناس عن أغناهما ، وذود أنفسهما عن الاختلاط بالرجال ، وعن الاستعجال لورد الماء حتى يصدر الرعاء ، والنود عن أن ينظر إليهما ، وكل ذود هو قضية الأدب في الشريعة الإلهية للنساء بين الرجال.

فهل من الوجدان في ذلك الوجдан ألا يتأثر موسى من حالتهم

المرحلة ، على كونه مكروهاً؟ كلاً! وهو المعروف المخون حتى بشيئته الغوي المبين ، فكيف لا يرأف بامرأتين ضعيفتين في هذا البين ، فليسأل عنهما وقد سأله : ﴿قَالَ مَا حَطَبُكُمَا﴾ والخطب هو الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب والتساءل ، ولقد كان أمرهما . في أصل السقي وما امرأتان ، وفي التأخر عن السقي . كان يبعث للتساؤل والتخاطب ، فجاء الجواب عن الأمرين في ذلك الخطب الجلل.

أما التأخر عن السقي ف ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ إنهاء لسقيهم وإخلاء للماء حتى نسيقي ولا رعاء ، مهما جئنا قبلهم أم قبل بعضهم ، إذ نختشم عن الخلط بالرجال الغرباء.

وأما أصل السقي لنا ولأنعامنا ونحن امرأتان؟ ف ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر على الرعي و المجالدة الرجال ، فنحن على أنوثتنا وضعفنا أقوى منه ، وبطبيعة الحال ليس له أبناء حتى يكفوا عنه وعنا ، فسبقنا . إذا . ضرورة معيشية تسمح لهكذا كد وكدح للسقي . هنا تشور الغيرة الموسوية للإقدام على السقي لهم رغم حالته المحرجة ، حيث لا تمنعه عن القيام بواجبه الحاضر ، فيصبح خير ناصر لمن لا يعرفهما ، ولكنه عارف عجزهما و حاجتهما إلى معين ، ويعرف مرضات الله في تلك الإعانة .

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ٢٤  
 ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ وكيف سقي ، طبعا قبل ان يصدر الرعاء كلاً أو بعضا ، فإن سقيه لهمما بعد إصدارهم عن آخرهم ليست فيه معونة زائدة على سقيهما بعد الإصدار .

أتراه سقى لهما حسب النوبة؟ أم تطلب منهم تقديم النوبة؟ كلّ محتمل ، ولكن القوة المعروضة في قوله إحداها **﴿إِنَّ حَيْرَ مِنِ اسْتَأْجَرْتُ الْقَوِيَ الْأَمِينَ﴾** إنها تخرج حالة السقي لهما عن العادة ، فلتكن قوة بارعة خارقة أقوى من كل الرعاع ، وهنا قد يصدق ما يروى انه كان يجتمع على الدلو رجال حتى يخرجوه من البئر لعظمته وثقله <sup>(١)</sup> فاستقل موسى بمفرده لإخراجه ، مما سمح له منهم ان يسقي لهما قبل النوبة.

وأضف إليها القوة النفسية التي أوقعت في قلوب الرعاة حالة الانجداب إليه ، حيث الناس يتأثرون بالقوات النفسية أكثر من البدنية ، فمن الجائز أنهما لمستا منه القوتين فاعترفتا عند أبيهما انه «قوي».

(١) نور الثقلين ٤ : ١٢٠ القمي في تتمة القصة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) .. ومر نحو مدين وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة ايام فلما بلغ باب مدين رأى بمرا يستقي الناس منها لاغنامهم ودواجم فقعدنا حية ولم يكن أكل منذ ثلاثة ايام شيئا فنظر إلى جاريتين في ناحية ومعهما غيمات لا تدنوان من البئر فقال : ما لكم لا تسقيان فقالتا كما حكى الله عز وجل : **﴿لَا تَسْتَقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخُ كَبِيرٍ﴾** فرحمهما موسى (عليه السلام) ودنا من البئر فقال ملن على البئر أسيقي لي دلوا ولكم دلوا وكان الدلو يمد عشرة رجال فاستقي وحده دلوا ملن على البئر ودلوا لبني شعيب وسقى أغنانهما ثم تولى إلى الظل فقال : رب اني لما أنزلت الي من خير فقير كان شديد الجوع.

**و** فيه عن كتاب كمال الدين وقام النعمة عن أبي عبد الله (عليه السلام) .. فانتهى إلى اصل شجرة فنزل فإذا تحتها بئر وإذا عندها امة من الناس يسقون وإذا جاريتان ضعيفتان وإذا معهما غنيمة لهما «قال ما خطبكما قالنا : أبونا شيخ كبير ونحن جاريتان صغيرتان لا نقدر ان نزاحم الرجال فإذا سقى الناس سقينا فرحمهما فأخذ دلواهما فقال لهما : قدما غنمكمما فسقى لهما ثم رجعنا بكرة قبل الناس ثم تولى موسى إلى الشجرة فجلس تحتها وقال «رب ..» فلما رجعت إلى أبيهما قال : ما أعلجلكما في هذه الساعة؟ قالنا : وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لأحداها اذهي فأعاديه لي فجاءته إحداها ...».

ثم الضعف الطارئ من أعباء السفر الشاق الطويل ، على تخوف ، وحر الشمس كما «ثم تولى» منها «إلى الظل» هذه مما ينفك القوي ، فما أقواه موسى ان تغامض عن كل ذلك وسقا لهم قبل أن يصدر الرعاء دونما أجر حاضر ولا موعد ، إلا مرضات الله.

**﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ﴾** عنهمما «إلى الظل» ليستريح عن حر الشمس ووعاء السفر ، «تولى» دونما تسأله آخر عنهمما كيلا يحتيل إليهما أنه يريد منهمما أجرا ، أو يهواهما زواجه بديلا عمما سقا لهم ، وذلك هو العفاف القاصل القاسط أمام المحاويج من النساء الأغارب ، أن تقضي حوائجهن ثم يتولى عنهن ، وهذا أرغبه لهن إلى الزواج إن أردنه ، حيث التأبي الظاهر من الرجل القوي الأمين مما يثير رغبتهن.

**﴿تَوَلَّ إِلَى الظَّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَرِيرٌ﴾** وما هو ما أنزل اليه رب؟ فهو الحكم والعلم؟ وقد أottiهما من قبل! أم هو طعام يطعمه إذ كان جائعا مدقعا<sup>(١)</sup> فقد «والله ما سأله إلا خبزا يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض ولقد كانت خصمة البقل ترى من شفيف صفاف بطنها هزالة وتشذب لحمها»<sup>(٢)</sup>؟

(١) الدر المنشور ٥ : ١٢٥ . اخرج ابن مردويه عن انس بن مالك قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما سقى موسى للجاريتين ثم تولى إلى الظل فقال رب اين لما أنتزلت إلى الظل فقال رب إين لما أنتزلت إيني من خير فقير قال : انه يومئذ فقير إلى كف من تمر.

(٢) نهج البلاغة قال (عليه السلام) وان شئت ثبتت موسى كليم الله صلوات الله عليه إذ يقول **﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَرِيرٌ﴾** والله ...

وفي نور الثقلين ٤ : ١٢١ في الكافي عن ابن أبي عمير عن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : سأل الطعام ، والعياشي عن حفص البختري عن أبي عبد .

و **﴿لِمَا أَنْزَلْتَ﴾** تدل على خير منزل عليه ماض ، ولو كان هو الطعام الحاضر لم يكن بحاجة إلى دعاء الافتقار ، والصيغة الصالحة له «رب اني جائع» ام «فقير لما تنزله من طعام» ام ما شابه! اللهم إلا أن يعني بـ«من خير» القوة البدنية . اضافة إلى الروحية . التي استطاع بها ان يسقيهما ، ففقره إلى هذه القوة يتطلب طعاما يتقى به لينتظر في هكذا إعانات في وجه الله ، ام خير قضاء الحاجة حيث أنزله الله إليه فأدّى واجبه ، ثم يتطلب من ربه قضاء حاجة الجوع جزء وفاقا ، و **﴿لِمَا أَنْزَلْتَ﴾** دون «إلى ما أنزلت» لحة لطيفة إلى أنه يتسبب بما انزل إليه من خير لقضاء حاجته ، حيث اللام هي السببية .

أم يعني خير قضاء حاجتهم ، فهو مفتقر إلى مثله ، متذهب لقضاء كل حاجة نازلة إليه من عنده تعالى وذلك من شيء الخيرين أن الحاجة المعروضة لديهم مهما كانت صعبة القضاء ، هي خير منزل من رب .

كما ويعني الامرأتين ، أنني بحاجة إلى زواج إحداهما ، وقد تعني **﴿لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾** كلما ذكر من خير الوحي والقوة البدنية والروحية ، وخير قضاء الحاجات ، وخير حاجة البطن : الطعام ، وخیر حاجة الجنس : الزواج ، إظهارا للافتقار إلى كل ذلك ، وقد ذكرت اللام في **﴿لِمَا أَنْزَلْتَ﴾** لتعلم السبب والغاية ، لسبب ما أنزلت وإلى ما أنزلت إلى من خير فقير ، وقد

. الله (عليه السلام) في قول موسى لفتاه : آتنا غداءنا وقوله **﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾** قال : انا عنى الطعام فقال ابو عبد الله (عليه السلام) ان موسى لذو جوعات ، وعن ليث بن سليم عن أبي جعفر (عليه السلام) شكتي موسى إلى ربه الجوع في ثلاثة مواضع : **﴿أَتَنَا غَدَاءَنَا ..﴾** **﴿لَا تَحْدُثَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾** . **﴿لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾** .

أجاب ربه دعاءه من فوره ، وقد يستبعد من ذلك المحتد الرسالي طلب الطعام وله من القوة ما يسقي لها و «لا تحل الصدقة لغني ولا لذى قوة سوى»<sup>(١)</sup> اللهم إلا ضمن طلباته ليقوى على ما أuan ، فعلى أية حال فليس يختص **﴿لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾** بطعم ياكله ، إذ لم ينزل عليه بعد إلا عند شعيب ، وقد أنزل عليه من قبل الجارتين بحاجتهم ، ولذلك فرع جميعهما بدعائه كإجابة عاجلة :

**﴿فَجَاءَتْهُ إِخْدَاهُمَا تَمَشِّي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَيِّ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ﴾**  
**لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْفُصَصَ قَالَ لَا تَخْفُ نَجْوَتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** ٢٥

لما «قال **﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾** . **﴿فَجَاءَتْهُ إِخْدَاهُمَا﴾** دون فصل إلا قدر السير المرجع إلى أبيها ، حال أنها **﴿تَمَشِّي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾** فان أمرها ظاهر ، ولا سيما أنها تجيء إليه وهو خلاف المعتود من خطبة النساء ، وقد تلمح «على» بتتأكد الاستحياء المعرف «الاستحياء» هو المعروف المتعود من العفائف ، فقد كان استحياء عظيمًا منقطع النظير ، وبالفعل جاءته ... و **﴿قَالَتْ إِنَّ أَيِّ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ﴾**  
**..﴾** جاءته جيئه جيئه في غير ما تبدل ولا تبرج أو إغراء ، وإنما للإيواء إلى كريم البواء ، جاءته يدعوه في أقصر لفظ وأكثر معنى يحمل استدعاء إجزاء الجزاء دون لفظة أخرى تتبعج بها الفتاة بطبيعة الحال فيتهيئ بها الفتى في نفس الحال ، كلا وإنما **﴿أَيِّ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾** !

وتره كيف ساع له اتباع امرأة في قولها ، ثم المشي معها وهي

(١). التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٤٠ : ٢٤٠ . أليس انه (عليه السلام) قال : ...

أجنبية ، وذلك يورث عظيم التهمة؟ وكيف ساغ لشعيـب (عليه السلام) ان يبعث بنته الشابة إلى شاب ولما يعرفه بالعفة؟ وكيف ساغ لموسى تقبـل أجرـ. كما قالت . وقد أعادـهما لوجه الله ، وهذا خلاف المروءة بل وخلاف الشرعة الإلهية إذ لم يعمـل ما عمـله بجعلـة ، لا سيـما وانـه عـرف عـجزـ أيـهـما وفـقـرـ العـائـلة ، وـلوـسـى منـ القـوـةـ ماـ يـحـصـلـ بـهاـ عـلـىـ مـالـ يـحـتـاجـهـ مـنـ غـيرـ فـقـيرـ بـمحاـولةـ يـسـيـرةـ؟.

والجواب ان موسى اـنـاـ استـجاـبـاـ إـذـ عـرـفـ مـنـ قـبـلـ عـفـافـهـماـ ، فـلمـحةـ الصـدـقـ مـنـ قـوـلـهـاـ ، وـهـوـ غـرـيبـ فيـ مـدـيـنـ يـفـتـشـ عـنـ قـرـيبـ فيـ الـعـقـيـدـةـ وـالـمـأـمـنـ.

ثمـ وـلـمـ يـسـتـجـبـهـاـ طـلـبـ الأـجـرـ ، وـهـيـ جـائـزـةـ دـوـنـ طـلـبـ ، مـهـمـاـ كـانـتـ مـطـالـبـهـاـ غـيـرـ جـائـزـةـ دـوـنـ جـعـلـ ، وـاـنـاـ استـجاـبـاـ إـذـ تـلـمـحـ مـنـهـاـ وـمـنـ مـجـيـئـهـاـ كـأـنـاـ تـعـنـيـ تـحـقـيقـ دـعـائـهـ فيـ الزـوـاجـ بـهـاـ ، وـلـيـسـ هـوـ فيـ الـحـقـ أـجـرـاـ مـهـمـاـ سـمـتـهـ أـجـرــاـ ، إـذـ أـنـكـحـهـاـ بـثـمـانـيـ حـجـجـ أوـ عـشـرـ ، وـقـدـ يـنـقـلـ مـتـضـافـرـاـ أـنـهـاـ لـمـ قـالـتـ لـيـجـزـيـكـ كـرـهــاـ<sup>(١)</sup> وـلـمـ دـخـلـ عـلـىـ شـعـيـبـ إـذـ هـوـ بـالـعـشـاءـ فـقـالـ لـهـ كـلـ ، قـالـ مـوـسـىـ (عليـهـ السـلـامـ)ـ أـعـوذـ بـالـلـهـ ، قـالـ :ـ وـلـمـ ،ـ أـلـسـتـ جـائـعـاـ؟ـ قـالـ :ـ بـلـىـ وـلـكـنـ أـخـافـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ عـوـضاـ لـمـ سـقـيـتـ لـهـماـ وـأـنـاـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـ لـاـ نـبـغـيـ شـيـئـاـ مـنـ عـمـلـ الـآـخـرـةـ بـلـءـ الـأـرـضـ ذـهـبـاـ!ـ قـالـ :ـ لـاـ وـالـلـهـ وـلـكـنـهـاـ عـادـيـ وـعـادـةـ آـبـائـيـ نـقـرـيـ الضـيـفـ وـنـطـعـمـ الـطـعـامـ فـجـلسـ مـوـسـىـ (عليـهـ السـلـامـ)ـ فـأـكـلـ<sup>(٢)</sup>.

وهـذـهـ طـبـيـعـةـ الـحـالـ فيـ كـلـ التـحـيـاتـ ، فـقـدـ حـيـاـ مـوـسـىـ اـنـ سـقـىـ

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٤١ : ٢٤١ وروي أنها قالت : ...

(٢) الدر المنشور ٥ : ١٢٥ . اخرج ابن عساكر عن أبي حازم قال لما دخل موسى على شعيب ...

لابنته ، فحيّاه بأحسن منها أن أطعمه وأنكحه إحدى ابنته ، وقبول التحية المردودة من آداب اليمان : ﴿وَإِذَا حُيَّتُم بِتَحْيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٤ : ٨٦) ، وقد ساغ لشعيّب أن يبعثها إليه لما عرف من قوته وأمانته ، وذلك أحرى من بعثهما لسقي الغنم ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصْصَ﴾ السابق ذكره «قال» : شعيّب ﴿لَا تَخْفَنْ تَجْوِثَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ ليس مدین داخلا في سلطان فرعون ولا أنه عارف بمكانتك ، وتراه كيف مشى معهما ابعادا عن التهمة ، وعن النظر إليها؟ لقد تقدمها لك يؤمن عن النظر إليها (١) وبذلك عرفت أمانته إذ قالت : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقُوَّيِّ الْأَمِينِ﴾ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقُوَّيِّ الْأَمِينِ﴾ ٢٦.

(١) نور الثقلين ٤ : ١٢٢ عن تفسير القمي من حديث القصة الطويلة عن الباقر (عليه السلام) .. فقام موسى معها ومشت امامه فسفقتها الرياح فبان عجزها فقال لها موسى : تأخري ودلني على الطريق بحصاة تلقيها امامي اتبعها فانا من قوم لا ينظرون في ادب النساء ..  
وعن كتاب كمال الدين وتمام النعمة عنه (عليه السلام) قال لها : وجهيني إلى الطريق وامشي خلفي فإننا بني يعقوب لا ننظر في اعجاز النساء ..

وعن من لا يحضره الفقيه روى صفوان بن يحيى عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقُوَّيِّ الْأَمِينِ﴾ قال قال لها شعيّب يا بنتي هذا قوي قد عرفته برفع الصخرة ، الأمين من اين عرفته؟ قالت يا أبه اي مشيت قدامه فقال : امشي من خلفي فان ضللت فأرشديني إلى الطريق فانا قوم لا ننظر في ادب النساء وعن الجمجم قال امير المؤمنين (عليه السلام) لما قالت المرأة هذا قال شعيّب : وما علمك بأمانته وقوته؟ قالت : أما قوته فإنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا بكتنا ، واما أمانته فإنه قال لي : امشي خلفي فأنا اكره ان تصيب الريح ثيابك فتصفق لي جسدك .

قد تكون «إحداهم». هذه . هي التي جاءته فزوجه شعيب إليها<sup>(١)</sup> وعلّها أصغرهما  
 (٢) لا ندري ، حيث العادة جارية على تقديم الكبىري على الصغرى إلا إذا كانت هي الأولى  
 والأخرى من يريدها ، ثم ولا مزرة على الأخرى.

وعلى أية حال ﴿قَالَتْ إِخْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ إذ نحن بحاجة إلى رجل يعيننا و  
 ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقُوَّيُّ الْأَمِينُ﴾ وقد جربنا قوته وأمانته<sup>(٣)</sup> فلتكن القائلة هذه القولة  
 هي التي جاءته إذ جربت أمانته ، مهما كانت تجربة القوة لهما معا ، وكيف تجرأت ان تقول  
 ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ واستيقار مثل هذا الرجل القوي الأمين مهانة؟ علّها لأنّها لم تجد صيغة  
 أخرى أحرى منها لاستجلابه لزواجهما عرضا على أبيها ، فقد لمحت إلى مهرها

(١) بحار الأنوار ١٣ : ٢٩ عن أبي عبد الله (عليه السلام) سئل أيتها زوجة شعيب من بناته؟ قال : التي ذهبت  
 إليه وقالت لأبيها : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ...﴾ وفيه (عليه السلام) بسنده عن البزنطي قال سألت الرضا (عليه  
 السلام) عن قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ...﴾ أهي التي تزوج بما؟ قال : نعم. وفي نور الثقلين ٤ : ١٢٣ مثلهما  
 في التي تزوج بما.

(٢) الدر المنشور ٥ : ١٢٧ . اخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قال  
 لي جبريل يا محمد ان سألك اليهود أي الأجلين قضى موسى؟ فقل أوفاهما ، وان سألك أيهما تزوج فقل :  
 الصغرى وفيه اخرج الخطيب في تاريخه عن أبي ذر قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) إذا سئلت اي  
 الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما ، وإذا سئلت أي المرأتين تزوج ، فقل الصغرى منهمما وهي التي جاءت  
 فقالت يابت استأجره ..

(٣) في أحاديث متظافرة مضت أن شعيب سألاها دليلاً لقوته وأمانته فقالت ، قوته أن سقى لنا ما لم يقدر عليه  
 أحد من الرعاء وأمانته انه مشى امامي تحرزاً عن النظر إلى خلفي .

باجرة الاستئجار ، وإلى زواجهما باستدعائه أن يظل عندهم ، وذلك لا يناسب إلا بزواج ، والقوة والأمانة هما الدعامتان في صالح الحياة الجماعية ، ولا سيما تأسيس الأسرة. فـ ﴿نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ كانت خطوة أولى تطمئنه نفسيا ، ثم ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ خطوة ثانية فيها حظوة الجنس ورياحة الجسم من صوت الأنوثة الأنثى ، وما أطافه دعاء للزواج.

وهنا يحس الأب الشيخ الكبير بمحاذبة بين الجانبين وثقة متبادلة بين الطرفين ، بعد ما تأكد صلوها في موسى قوة وأمانة ، فاستجاب من فوره لاقتراح ابنته :

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَّاجٍ فَإِنْ أَتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَى عَلَيْكَ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٢٧.

وترى ﴿إِحْدَى ابْنَتَيْ﴾ هي التي قالت يأبى استأجره؟ وصيغته الصالحة الصريحة «اني أريد ان أنكحك إياها»! ، أم هي الأخرى؟ فالآخر!

إن التعميمية هنا هي أولا ستار على موقف الأولى بعانيا عن رخصتها ، وهي ثانيا تخير له في اختيار أيهما شاء دونما تسخير عليه بمحض على الأولى.

وقد نتعرف هنا إلى الصيغة الصالحة للنكاح ﴿أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ﴾ حيث المفعول الأول المنكح هو الزوج ، والثاني المنكح له الزوجة وكما في أخرى ﴿زَوْجَ جَنَاحَهَا﴾ (٣٣ : ٣٧) ﴿وَزَوْجَ جَنَاهُمْ بِحُورِ عَيْنِ﴾ (٤٤ : ٥٤) فلا معاكسه في صيغة النكاح لك «زوجتك نفسى» أمما شابه.

وهكذا عرضت إحدى ابنته ان يأجره أبوها ، ثم عرض الأب عليه بكل بساطة زواجه بها لما عرف الكفافة من الجانبين ، عرضاه في غير التواء

ولا تخرج ، خلاف التقاليد المصطنعة الباطلة التي أصبحت سنة الزواج ، إذ تختتم خطبة النساء على الرجال وأوليائهم أو وكلاًّ لهم ، دون جانب المرأة ، رغم المخالطة والمكاشفة أحياناً بين بعضهم البعض دونما خطبة ولا نكاح ، فأما إذا حان حين الزواج فلتكن الخطبة من جانب الزوج ، وإلاًّ فهي رخيصة بخسارة إذ عرضت نفسها للزواج أو عرضت له ! ولقد كانت النساء يعرضن أنفسهن على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيؤوي إليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء ، فيعرضها على من يستصلاح لها ، مزوداً لهن بترغيب ودونما تعليب أو تأنيب ، ونمودجاً من ذلك نص الأحزاب ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلَّهِ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ إِنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٠).

وترى كيف يصح كون الصداق لصالح ولد البنت وبقراره : ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ..﴾ والصدقات تخص البنات دون الأولياء؟.

عله لأنه كان مؤذناً في الأمرين كما تطلبت اليه : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ فاستأجره كما استصلاح لصالح العائلة عامة وللبنت خاصة ، إذ هي من ضمن من يستفیدون من ذلك الإيجار ، أم أنه يحق لولي ﴿إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ عَفْدَةُ النِّكَاحِ﴾ (٢٣٧ : ٢)

مهما كان موردها العفو عن نصف الصداق بطلاق قبل وقوع ، إذ لو لم يكن له حق في صداقها لما حق له العفو عنه نصفاً أمّا ، وكيف يصح هكذا قرار للصداق حيث لا يعلم الوفاء به إذ ما تدرى نفس متى تموت؟ إنه قد لا يصح هكذا ، إلّا «أن موسى علم أنه سيتم له شرطه»<sup>(١)</sup> فحين لا يعلم الوفاء كان الصداق معلقاً غير مقطوع به

(١) نور الثقلين ٤ : ١٢٣ عن المجمع روى الحسن بن سعيد عن صفوان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : . لما قيل له : فدخل بما قبل ان يمضي الشرط أو بعد انقضاءه؟ .

غير صالح للنكاح ، أم إن له بديلاً مما ترك بعد موته إن كانت له تركة ، وحتى إذا لم تكن فالتصميم على الوفاء مع إمكاناته في ظاهر الحال يكفي صدقاً للصداق ، فمن هذا الذي يعلم بيقين أنه يوفي بما وعده في أية معاملة من المعاملات ، ومنها الصداقات الموجلة ، بل والمعجلة بعد هنئة من عقد النكاح إذ من الجائز عدم قدرته على الإنجاز لموت أو فقد مال ، وهنا **﴿ثَانِي حِجَّةٍ﴾** وهي ثانية سنين ، تصريحه على سابق الفرض في حج البيت ، لحدّ كانت تسمى كل سنة حجة <sup>(١)</sup> والحج الشمان هي الصداق الأصيل ، والإتمام عشرًا نافلة هو بالخيار فيها ، قضية الكرم من مثل موسى إتمامها عشرًا وقد أتم وكما يروى عن الرسول **(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)** وعن أهل بيته الكرام عليهم السلام <sup>(٢)</sup>.

. قال : قبل ان ينقضي ، قبل له : فالرجل يتزوج المرأة ويشرط لأبيها إحارة شهرين أبجوز ذلك؟ قال : ان موسى علم انه سيعتبر شرطه ، قيل : كيف؟ قال : علم انه سيبيقي حتى يفي.

(١) في تفسير العياشي قال الحلبي سئل ابو عبد الله (عليه السلام) عن البيت أكان يحج قبل ان يبعث النبي **(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟** قال : نعم وتصديقه في القرآن قول شعيب حين قال لموسى عليهما السلام حيث تزوج **﴿عَلَى أَنْ تَأْبِغَنِي ثَانِي حِجَّةٍ﴾** ولم يقل ثانية سنين.

(٢) الدر المثور ٥ : ١٢٦ . اخرج ابن ماجه والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن عقبة بن المنذر السلمي قال : كنا عند رسول الله **(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)** فقرأ طس حتى بلغ قصته موسى (عليه السلام) قال : ان موسى آجر نفسه ثانية سنين أو عشرًا على عفة فرجه وطعم بطنه فلما أراد فراق شعيب أمر رسل الله **(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)** أي الأجلين وفي موسى؟ قال : أبهرها وأوفاها فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته ان تسألهما ان يعطياها من غنمته ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت من غنمته ... ورواه مثله في أببر الأجلين وأوفاها أبو هريرة عن أبي سعيد الخدري عنه **(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .**

أو ليس شاقا على موسى على محتده وعلو مقامه وواجب تحضيره للرسالة المستقبلة أن يؤاجر نفسه ثماني حجج أو عشر؟ حسب الظاهر نعم ، وفي الحق لا كما وضحه أبوها ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ في أصل الثمان ولا في التكملة ، وإنما هي مصلحة ككل من صالح إلى صالح ﴿سَتَحْدِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ..﴾

ومن الصالح في هذه الحجج أن يصبح موسى من رعاة الأغنام قبل ان يرسل رسولا إلى الأنام ، فلقد لبشت من عمره ردها في بلاط النعمة والنعومة ، فليعيش . ما بينه وبين الرسالة إلى فرعون وملاه وسائر المكلفين . راعيا لأغnam وذلك قدره الذي قدّره له رباه ﴿.. وَقَتْلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغُمَّ وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا فَلَيَثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى فَدَرٍ يَا مُوسَى. وَاصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي﴾.

وياله من اصطناع بارع ليصنع بعد أمة صارمة ضد الفراعنة الجرميين ، فقد نقلته يد القدرة الربانية منذ رضاعته إلى طفولته وإلى رجولته وحتى ذلك الحين وقد حان حين الوحي الحبيب ، وفي هذا الخط الطويل قبل الرسالة وبعدها تجارب منقطعة النظير . إلّا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . من تجربة الحياة في جو الفرعنة ، ثم الخوف والفزع والمطاردة ، وتجربة الجوع والوحدة والغربة ، وتجربة رعي الغنم والخدمة بعد حياة القصر .

. آلـه وـسلـم) وأـبو هـرـيـرة نـفـسـه عـنـه.

وفي نور الثقلين ٤ : ١٢٥ عن الجمـع روـي الواحدـي بالإسنـاد عن ابن عـباس قال سـئـل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أي الأجلـين قضـى مـوسـى؟ قال : أـوفـاهـما وـابـطـاهـما ، وـفيـه مـثلـه عن أـبي ذـرـعـنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعن تفسـير القـمي عن الصـادـق (عـلـيـهـالـسـلامـ) لما قـيلـ لهـ : أي الأـجلـين قضـى؟ قالـ : أـقـهمـا عـشرـ

حجـجـ ...

وهكذا تكون الرسالة الإلهية ضخمة الجوانب والتعابات في مقدمات ومؤخرات ، يحتاج صاحبها إلى عظيم الزاد في سفرته الشاقة الطويلة المليئة بالأشلاء والدماء والحرمانات عن المشتاهيات في هذه الأدنى ليجتاز دون عباء كل العرقلات ، والرسالة الموسوية هي أضخم الرسائل . بعد الرسالة الختامية . فليستعد موساها لكل إعداداتها حتى يجيء على قدر فيها . وعرض قصص موسى في معرض القرآن أكثر من سائر القصص ، لأنه أعرض القصص الرسالية ، وأشبهاها بقصص الرسول محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وليسأنس به في هذا السبيل الشاق الطويل .

**﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمَانُ الْأَجَلَيْنِ فَضَيَّثُ فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾**

وكيل ٢٨

«ذلك» الميعاد **﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾** مخيراً بين الأجلين لا مسيراً **﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾** في شرط الزواج «وكيل» دون حاجة إلى شهود آخرين ، مما يدل على أن الإشهاد في النكاح غير واجب ، مهما كان واجباً في الطلاق .

فقد تمت هنا مواضع العقد بشروطه بلا مجال فيها لغموض ، وهنا التعمية من موسى (عليه السلام) **﴿أَيْمَانُ الْأَجَلَيْنِ فَضَيَّثُ﴾** تأكيداً للتخيير ، وفسحاً لمجال الإكرام بأوفاهما ، وذلك مما ندب إليه في الشريعة الإلهية ، أن يزداد في الأجر مما كانت معاكسة فيه في البداية . **﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آتَى نَاسًا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلَّي آتِيْكُمْ مِنْهَا بِخَيْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ**

تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا  
مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَقِلِّ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا هَنْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَيْ مُدْبِراً وَلَمْ  
يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخْفِ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ  
غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُنْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَنِ مِنْ رِتَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ  
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي  
هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِي رِذْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ  
سَنَشُدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا  
الْغَالِبُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيْنَنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهِذَا  
فِي آبَائِنَا

الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ  
لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا  
هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلَّي أَطْلِعُ إِلَيْهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨)  
وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنَّوْا أَنَّمِّنْ إِلَيْنَا لَا يُرْجِعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ  
فَبَيْدُنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتَبْعَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ  
الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)

**﴿قَضَى مُوسَى الْأَجَل﴾** المعروف بينهما وهو آجل الأجلين دون الأجل ، إكراما

لشعب ومعاملة معروفة مع أهله كما هو المأمور به في الشريعة الإسلامية ، وكما يرى عن النبي  
(صلى الله عليه وآلها وسلم): «تزوج

صغراهما وقضى أوفاهمها»<sup>(١)</sup>.

وبالفعل ﴿فَضَى مُوسَى الْأَجَل﴾ ومضى ما مضى حيث أمضاه ، ولا إشارة هنا إلى كيف مضت العشر إذ لا تدخل في صميم القصص الرسالي ، مهما أجمله في ﴿مِنْ جُنْتَ عَلَى قَارِبِ يَا مُوسَى﴾ مما يلمّح إلى الصالح الرسالي المستقبل في هذه العشر العشيرة مع الأهل ، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ مسيره المترقب المعهود إلى مصر ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًاً ..﴾ وقد شرحناه في طه والنمل فلا نعيد إلا ما أعيد هنا تكراراً يناسب تفصيل القصص ، و «أهلة» هنا هم زوجته وولده<sup>(٢)</sup> وهم ذكور أو بينهم ذكور لمكان الجمع المذكر «امكثوا».

مسير الإياب هنا هو مسير الذهاب نفسه وain مسير من مسير ، فهناك كان فريداً شريداً خائفاً يتربّب ، وهنا ﴿سَارَ بِأَهْلِهِ﴾ مستأنساً بهم وبالنار التي آنسها من جانب الطور وارفاً يتذهب ، لينادي به ويناجيه بما ينجيه وسائر المستضعفين فيرثوا الأرض ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْدَرُونَ﴾ !

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَمِينِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ . ٣٠

وهذه إجمال عمما فصل في «طه» : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةٌ أَكَادُ أُخْفِيَهَا لِتُجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ مما يلمح أن هذه الأصول الثلاثة مستفادة من كلمة التوحيد بإجمال.

(١). تفسير الفخر الرازي ٢٤ : ٢٢٤ . اعلم انه روي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال : ...

(٢). في سفر الخروج من التوراة ٤ : ٢٠ . انه حمل معه إلى مصر امرأته وبنيه.

وأما محل ذلك النداء فهو **﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾** وهو الجانب الأيمن الجامع ليمين الجانب وينتهي **﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾** وهي التي كانت فيها الشجرة ، بوركت ببركة الوحي وقدّست : **﴿فَاخْلَعْ نَعَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوى﴾** (٢٠ : ١٢) . «نودي ...» وهذا هو جانب الطور الأيمن : **﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾** (٥٢ : ١٩) فليس إلا مكان الطور <sup>(١)</sup> في القدس دون سواه ، كربلاء <sup>(٢)</sup> وسواها ، فقد جاء يقتبس نارا فاقتبس بدليها نورا «من الشجرة» فلقد كان صوت النداء من سمت الشجرة وهي الزيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، بل هي الشرق الأوسيطية ، حيث الوحي الرياني لا ينحاز إلى شرق أو غرب ، بل هو الوسط الرياني المخلق على مشارق الكون ومعاريه من امكانة المرسل إليهم.

وهنا الشجرة ليست إلا وسيط الوحي بحجابها ، لأن الله حل فيها كما لا يحل فيسائر حجب الوحي ووسائله : **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْ حَكِيمٍ﴾** (٥١ : ٤٢).

ف «وحيا» هنا يعنيه دون أي حجاب كما حصل للرسول القدس محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليلة القدر وليلة المعراج أماهيه من نهار أو ليلة ، و **﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** يعني كل حجب الوحي ، كلاما في منام أم بواسطة ملك الوحي أم شجرة أماهيه ، فالوحي إلى موسى يحمل حجابين اثنين :

(١) نور الثقلين ٤ : ١٢٧ عن المجمع روى ابو بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : **﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾** نحو البيت المقدس اخطأ الطريق فرأى نارا ..

(٢) المصدر (١٢٦) عن تهذيب الأحكام بسنده متصل عن مخرمة بن رعي قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله في القرآن هو الفرات والبقعة المباركة هي كربلاء.

الشجرة ولفظ الكلام ، و **﴿فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ﴾** كان معنى مجرداً أجرد عن كل حجاب إلا حجاب الذات ، وذلك حين لم يكن بينه وبين الله أحد في مقام «دن» أم ولا نفسه فضلاً عن سواه من سائر الحجب في مقام «أو دن» حيث **﴿دَنَا فَتَدَلَّ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنِي. فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ.** ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى رؤية معرفية . في قمتها .  
الله ، ورؤيه الوحي القمة!

لقد تلقى موسى بازغ الوحي بملء كيانه ، ووقف في أكرم موقف يلقاه إنسان حيث أصبح موسى الأجير الراعي للأغنام ، الرسول الراعي للأنام!

هنا **﴿نُودِي .. إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** وفي طه «نودي إني أنا ربك» وفي النمل **﴿نُودِيَ أَنْ بُورَكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ.** يا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(٩) مع العلم انه لم يكن النداء إلا بصيغة واحدة علىها هي أولها فانها أشملها حيث تعني شامل الربوبية له ولسائر العالمين.

ثم «اني» تعني الله المتalking من إذاعة الشجرة دون الشجرة نفسها وكما يسمع من مسجلة الصوت الآية **﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾** وليس المسجلة هي القائلة بل هي وسيط إذاعة الصوت أيا كان ، فالشجرة كانت . إذن . مذيع النداء ، وكما رسول الوحي إلى الرسل ينقل **﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾** ثم الرسل ينقلونها لأمهem **﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾** ، فلا أن الله حل في الشجرة وسبحانه ، ولا أنها حللت إلى مرقى الربوبية ، وإنما الله هو الذي تكلم بمحاجب الشجرة كما يتكلم بسائر الحجب .

لقد أتاه بازغ الوحي مصحوباً بأية الرسالة الربانية ، مطمئنة إياه في عقبات الدعوة

الشاقة :

﴿وَأَنَّ الْقِعَدَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَتَّرُ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَيْ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعْقِبْ يَا مُوسى أَفْلَى وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ . ٣١

﴿نُودِي .. أَنْ يَا مُوسى .. وَأَنَّ الْقِعَدَ عَصَاكَ﴾ إلقاء الإلغاء حيث كانت متراكك ، عساك ان تأتي فرعون وملاه بيرهان مبين ، فألقاها فأصبحت كأنها جان ﴿فَلَمَّا رَآهَا هَتَّرُ كَأَنَّهَا جَانٌ﴾ تتلوى على كبرها ، وكأنها حية صغيرة تجنب نفسها وتخفيفها «ولى» موسى خوفة منها ﴿وَلَمْ يُعْقِبْ﴾ ليراها مرة اخرى ، فقلنا ﴿يَا مُوسى أَفْلَى﴾ إليها «ولا تخف» منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ عندنا ، لا يصيبك مثنا آية أذى ف ﴿إِنَّ لَا يَخَافُ لَدَيَ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٧ : ١١).

ومهما ظلمت أنت نفسك بما قتلت القبطي خطأ ولكنك بذلك حستنا بعد سوء ، من حسن التوبة ، وحسن الغربة أجيرا في مدين ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسى﴾ (٢٠ : ٤٠) ، فهنا «لا تخف» في مقام الخوف المتعود ل ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ وأما في مقام الأمان فيقال : «خف» عن زهوة الأمن وزهرة حياة الأمن وكل في محله فلك كل مجال حال.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْسُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَنِ مِنْ رِيَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيَهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ . ٣٢

﴿اسْلُكْ يَدَكَ ..﴾ تعني : ﴿أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (١٢ : ٢٧) و ﴿وَاضْسُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحَكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ (٢٠ : ٢٢) فقد كان إدخالا خاصا بضم إلى جناحه وسلك فيه وهو النافذ الراكز ، تعاير ثلاثة عن ذلك الإدخال ، وكيف هنا ﴿وَاضْسُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وفي طه ﴿وَاضْسُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحَكَ﴾؟ (٢٢) إن جناح طه هو الجيب هنا المسلكة يده فيه وهو تحت إبط اليسرى ، والجناح هنا هو اليد اليمنى التي

أصبحت مرتخية كالجناح فليضمها الى اليسرى ، وإنما سميت اليد جناحا بعد ما أصبحت بيضاء لأنها أصبحت من الرهب كالجناح ، كأنها تريد ان تطير من رهبها ورهب حية العصا .  
﴿تُخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ ولم تكن ، لكنها ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ من برص خلاف نص التوراة :  
«ادخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج» (الخروج ۴ : ۶) !

«فَذَانِكَ» قلب العصا حية تسعى واليد البيضاء بُرْهانانِ مِنْ رِبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَةِ إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَاذَا تعني إذا ﴿وَاضْسُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾؟ أتعني نفس السلك؟ وقد ذكر قبل دون فصل! أم ان يضم جناحه اليه من رهب جان العصا ، ان يجمع يديه على صدره إذا عرضه خوف عند مشاهدة حية العصا ليذهب ما في قلبه من الروع؟ وقد سبق ﴿أَفْيَلْ وَلَا تَخْفَ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ﴾ كما ولا يناسبه الفصل بينهما بأية اخرى!.

أم تعني أن يتخذ لنفسه سيماء الخاشع فلا يزد هي بزهوة المكانة الرسالية مفرجاً بين عضديه وجنبيه كالمتمطي في مشيته ، بل يخوض جناحه للمؤمنين كما أمر الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥ : ٨٨)؟ ولا تنسابه «من الراهب» حيث الرسالة لا ترهب الرسول بل تعجبه وترغبه! ثم موقف الرسالة إلى فرعون وملائكة ليس موقف خفض الجناح! ، فقد تعني ضم جناحه من رهب الآيتين ، فكما حية العصا ترهب ، كذلك اليد البيضاء ترهب فترتحي كجناح الطائر الخائف ، فليضمها إليه استئصالاً لظاهرة الراهب.

كذلك امر بضم يده التي أصبحت كجناح الطائر المرتخي ، ضما  
أم وكما أمر بأخذ عصاه ﴿خُذْهَا وَلَا تَخْفُ سَعِيْدُهَا سِيرِكَهَا الْأُولَى﴾ (٢١ : ٢٠)

إليه من الراهب ، ف «من» قد تكون سببية تعني أن الراهب يسبب ضم جناحه إليه ليزول ذلك الراهب بزوال البياض الطارئ من إدخالها في جبيه. أم ان «من الراهب» متعلقة بمحنوف «جناحك» الكائن «من الراهب» إذ أصبحت يدك من الراهب جناحا ، فاضممهما إليك قبضا عن الانبساط والارتخاء استئصالا للراهب وزوالا للبياض المسبب للراهب.

وعلى «جناحك» تعني يديه إذ تطلق على الجناحين واليديين الجناحين ، مهما كانت اليمنى هي الأصل في ذلك الضم ، رجعا لها إلى ما كانت من قبل ليذهب عنه الراهب.

**﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَنِ مِنْ رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾** من ربك تربية رسالية ، إلى فرعون إنذارا رساليا ل **﴿إِنَّمُّ كَانُوا﴾** على مر حياتهم الجهنمية **﴿قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** خارجين عن طورهم . وكيف هنا «برهانان» وفي النمل **﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بِيُضَاءَ مِنْ عَيْرِ سُوءِ﴾** **تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّمُّ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** (١٢).

عله لأنهما الأصل فيها كلها ، ام ان الباقي صادرة عنهما إذا فهما التسع في الأصل وبباقي التسع فروعهما!

**﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي (١) هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِيَّ لِسَانًا فَأَرْسَلْتُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾** ٣٤ .

«قال رب» الذي ربيتني لهذه الرسالة السامية ، إن أمامي عقبتين كثودتين قد تعرقلان الدعوة أو الداعية ، اما الداعية ف **﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾** وأما الدعوة ، فان لم يقتلوني **﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾** فأنا إذا بين قتل الدعوة وقتل الداعية ، وليس هذا اعتذارا عن أصل الرسالة

وتقاعضا عنها وانتكاسا ، وإنما يعرض حاله الخرجة ليطمئنه ربّه فيها ، ولا سيما بالنسبة لتصديق الدعوة ، فإنها هي المهمة الأولى للداعية مهما قتل دونها ، ولذلك تراه لم يتطلب من ربّه علاجا صراحة عن قتله ، وإنما العلاج المستدعى في ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ﴾ وهو ﴿أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَلَأُرْسِلُهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ مما يبين أن مهمّة الداعية هي نفاذ الدعوة مهما قتل في سبيلها !

وكيف ﴿أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ ولا بد لولي العزم من الرسل أن يكون أفضح من سائر الرسل كما هو أصلح؟ إنها فصاحة وقتية وليس أصلية ، فقد كانت في لسان موسى عقدة عن الإفصاح الكامل ، لا لرّتبة في لسانه ، بل لأنّه قتل منهم نفسا ، والمذنب عند قوم لا ينطلق لسانه كما يجب : ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هارُونَ﴾ (٢٦ : ١٣) . ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ...﴾ (٢٠) : وقد شرحناها في طه بما لا مزيد عليه فلا نعيد.

وهلا يكذبون أخاه هارون وهو أهون تكذيبا منه كولي له في الرسالة؟ إنه يعني افصاحا كاملا للدعوة ، بعيدا عن التكذيب ، أو أن يؤثر فيها التكذيب ، وإنما أنا المذنب عندهم لا ينطلق لساني في بزوغ الدعوة كما يجب ، وقد يأخذني الغضب فيحرّج موقف الدعوة والداعية ، وأخي هارون هو أفضح مني في صيغة الدعوة ، وإن كذبت يصدقني فيها تزويدا في البيان وتأكيدا لصدق الدعوة ، وتبيينا للبرهنة ، إذ لا تكفي الآية البصرة ما لم تزود بأية الحجة البصيرة ، ومزيج الآيتين يأتي حجة بيّنة لا مدخل إلى تكذيبها.

ولأن «ردة» هي المتابعة للإعانة فقد تطلب إلى ربه أن يجعله وزيرا له يزور عنه عباء الرسالة الحرجية ، و «ردة» مصدرها مبالغة في تلك الوزارة المعنية ألا شغل له في ذلك الحقل إلا الوزارة دونما استقلال ولا استغلال.

**﴿قَالَ سَيَشُدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعْلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْعَالِيُونَ﴾ . ٣٥**

«عضدك» هنا هو عضد الرسالة ان يعاوضد فيها أخيه **﴿وَجَعْلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾** قاهرًا على فرعون وملائمه ، دون اي سلطان لهم عليكم لا قتلا ولا تكذيبا ، إذا فهو سلطان القوة إلى سلطان الحجة لمكان **﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾** قتلا أو تكذيبا «بآياتنا» التي هي السلطان نفسه ، فذلك السلطان . الآيات . له جانبيان ، جانب المنعة عن الوصول إليكم : **﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾** وجانب الغلبة لكمًا عليهم : **﴿بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْعَالِيُونَ﴾**<sup>(١)</sup> ، وقد تعني «آياتنا» هنا كل التسع التي أرسل بها إليهم ، وهي الطالعة من العصا ومن يده البيضاء ، ومن تلك الغلبة الموعودة الشاملة نتلمسح أن السحرة ما صلبوا بما آمنوا ، لأنهم أصبحوا من أفضل «من معكم» فقد غلبو على فرعون كانوا إذ لم يصلبوا وكيانا في الحجة الغالبة لأن سحرهم . فقط . كان حجة ، وهم أولاء الذين آمنوا بموسى دونما تخوف من تأليب أو تصليب وسواء ، متصلبين في هداه.

وهذه طمأنة ربانية للداعية على طول خط الدعوة فلا يخاف عقبة في أولها وعقبتها ، فإنهما لم يذهبا إلى الطاغية مجرددين حتى يخافاه ، بل هما

(١) ف «آياتنا» هنا تتعلق ب «لا يصلون» و «العاليون» وما أجمله جمعا بينهما.

مزودان بسلطان لا يقف له أي سلطان ، من أي كان وأيان ، سياج صارم لا قبل لهم به .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ وَمَا سِعْنَا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ٣٦ .

﴿جَاءَهُمْ مُوسَىٰ﴾ ومعه هارون «بآياتنا» التسع حالكونها «بيات» لا خفاء فيها ولا ريبة تعييها «قالوا» فرعون وملاه «ما هذا» الذي جاء به موسى ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ﴾ على الله ﴿وَمَا سِعْنَا بِهذا﴾ الذي يقوله ﴿في آبائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ .

وكيف ما سمعوا بهذا في آباءهم الأولين ، فالموحدون منهم أسمعواهم التوحيد والوحي مصدفين ، والمشركون كذلك مهما كانوا مكذبين؟ .

وكيف ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ﴾ به على الله انه آية؟ ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥ : ٥٢) ﴿أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (١٠ : ٧٧) فأتوا بسحر مثله إن كنتم صادقين ، أنتم وآباءكم الأولون .

وإنها قوله لعينة مكرورة على طول الخط ضد الرسائلات الربانية ، فنفس الصيغة نجدها من المشركين زمن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كأنهم تواصوا بها في سلسلتهم التكيدة المكيدة!

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الطَّالِمُونَ﴾ ٣٧ .

رد مهذب ميرهن مؤدب ، وكأنه لا يحمل برهانا عليهم وهو يحمل اتقن برهان ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ وهي كحججة مرسلية المسيح (عليه السلام ، ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (١٦ : ٣٦) فال التربية الربانية الرسالية باهرة في أعمالا وأقوالا وأحوالا ، وفيما معى من

آيات بینات ، و «اعلم» ب ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّار﴾ وهي الحياة العاقبة حيث تعقب حياة العرقلة الكافرة ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لهم . فقط . دون الطاغين ، ل ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بل يفلجون مما ارعدوا و عربدوا لرده من الزمن طال أم قصر . وقد تعني الدار هنا الدار الدنيا إلى جنب الآخرة حيث تشملهما لفظة الدار : ﴿قَالَ مُوسَى لِلْقَوْمِ إِنَّمَا أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) .  
 ﴿بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣) .  
 ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلَوًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (٨٣) .

فالحال الحاضرة لنا بكل حجة باهرة تضمن لنا البقاء دونكم ، ثم لنا . لا لكم . عاقبة الدار ، فلو كنا مفترين على الله كذبا فلن نفلح إذا ابدا ، ونحن المفلحون في العاقبة الآجلة كما نحن في العاجلة بما معنا من سلطان مبين .

وما كان رد فرعون على هذه الحجة الأدية العجيبة إلا كلمة مكرورة ردية :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَنْ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِيًّا أَطْلَعْ إِلَيِّ إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُنَّهُ مِنَ الْكَادِيْنَ﴾ (٣٨) .

هذه قاله الفرعون للعينة المهيءة ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ كأنه يحيط علما بكل شيء فإذا لا يعلم إلها غيره فلا إله . إذن . غيره ، يقولها فرعون قاهرا دون ان يسمح لمح أن يفكر ، ولا للسان أن يعبر إلا سمعا وطاعة ، وتشبهها قوله الأخرى : ﴿مَا أُرِيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشاد﴾ (٢٠) .

ولقد قلب هنا امر كلمة التوحيد : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ بمقولها ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أي : لا إله إلا أنا!

وقد يعني بـ «ما علمت ..» جهله ، ولذلك يأمر بناء صرح ويقول ﴿إِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فلو كان يعني بـ «علمته» عدم إله غيره بصورة قاطعة لما صحت حيلته الثانية والثالثة ، اللهم إلا تماشيا وتنازلا من علمه المحيط المدعى ، وهو بدون هذه الدعوى الخاوية ليست حيلته الأولى حجة على السلب بل هي سلب للحججة ، وقد يحتاج بسلبها لعدم ثبوت إله غيره ، فليفتـش عنه في السماوات بأسبابها بعد الأرض ، ولو كان لـ بـان ! ثم ولكـي يؤكـد سلبـيـته المـاكـرة يـأـمـرـ هـامـانـ بـبنـاءـ صـرـحـ رـفـيعـ يـصـعـدـ عـلـيـهـ لـعلـهـ يـطـلـعـ إـلـىـ إـلـهـ مـوسـىـ ،ـ فـيتـأـكـدـ انهـ ليسـ فيـ السـمـاءـ كـمـاـ لمـ يـجـدـهـ فيـ الأـرـضـ ،ـ وـكـأنـ إـلـهـ مـوسـىـ سـاـكـنـ السـمـاءـ أوـ سـاـكـنـ الأـرـضـ!ـ وـ ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ﴾ قالـةـ مـكـروـرـةـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ الـمـادـيـنـ الـنـاكـرـيـنـ لـ وجـودـ اللهـ كـشـرـيـطـةـ تـدارـ ،ـ إـنـاـ ماـ وـجـدـنـاـ بـأـيـ منـ حـواـسـنـاـ ،ـ فـلـيـسـ .ـ إـذـنـ .ـ كـائـنـاـ ،ـ مـتـجـاهـلـيـنـ عـنـ انـ الـكـائـنـاتـ لـ تـنـحـصـرـ بـالـإـدـرـاكـاتـ الـحـسـيـةـ ،ـ وـحتـىـ لـوـ انـخـصـرـتـ بـهاـ فـلـاـ يـجـيـطـ بـهاـ أـحـدـ عـلـمـاـ حـتـىـ يـصـحـ القـولـ :ـ مـاـ لـاـ نـجـدـهـ فـهـوـ غـيرـ مـوـجـدـ!ـ أـجـلـ يـصـلـحـ القـولـ :ـ مـاـ عـلـمـتـ فـلـيـسـ كـائـنـاـ ،ـ لـلـذـيـ يـجـيـطـ عـلـمـاـ بـكـلـ شـيـءـ وـهـوـ اللـهـ تـعـالـىـ شـانـهـ العـزـيزـ :ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَاعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنَبِئُنَّ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٠ : ١٨).ـ هـنـاكـ كـيـدـ أـوـلـ «ـمـاـ عـلـمـتـ ..»ـ وـكـيـدـ ثـانـ ﴿فَأَوْقَدْ لـيـ يـاـ هـامـانـ ..﴾ـ وـثـالـثـ ﴿إِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ـ كـلـهاـ اـدـعـاءـاتـ جـوـفـاءـ خـوـاءـ يـصـارـحـ بـهاـ عـلـىـ مـلـاـهـ وـلـاـ يـخـافـ رـدـاـ عـلـيـهـ وـلـاـ نـكـيرـاـ.

وقد نلمـسـ عـمـقـ الحـقـقـ الـفـرعـونـيـ منـ كـيـدـهـ الـأـوـسـطـ وـهـوـ بـنـاءـ صـرـحـ ،ـ وـقـدـ كـانـ يـكـفيـهـ انـ يـصـعـدـ أـعـلـىـ جـبـلـ فيـ مـصـرـ ،ـ وـهـوـ دـوـنـ شـكـ أـرـفـعـ مـاـ يـبـنـيهـ

هامان خلال سنين! ثم السماء لا تخص محل الصرح لا طولا ولا عرضا ، حتى إذا لم يطلع إلى إله موسى من على صرحيه فليس الإله . لو أنه في السماء . في سائر السماء! .

فمثلك كمثل الذي ينكر وجود الذهب في الكون كله ، لأنه لم يجدها عنده أو في الأفق الذي يعيشة! وما أحمق هؤلاء الذين سمعوا قوله هذه الحمقاء ولم يردوا عليه! وأحمق منها قوله الأخرى : ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلَّى أَبْلَغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْلَلُهُ كَادِبًا ..﴾ (٤٠ : ٣٧) (١) .

وكيف بالإمكان بلوغ أسباب السماوات بالصعود على صرح ، ولو كان هو الإله فكيف يترجى ذلك البلوغ وما هو ببالغ؟

و «إله موسى» هنا وهناك . وعلّهما واحد مذكور بصيغتين . إنه تعريض عليه لو أن هناك إلها غيري فليس إلا إله موسى وليس إلهي وإنكم! لقد تقولها الطاغية في بداية المواجهة ، كما تقول أخرى في النهاية ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعُلَى﴾ وبين الكلمتين أربعون سنة (٢) .

﴿وَاسْتَكْبِرْ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحُقْقِ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (٣٩) .

وما يبلغ الاستكبار إلى هذا العمق من الحمق ، أن لا إله إلا أنا ، ظنا

(١) هناك في تفسير آية المؤمن بحث فصل عن أسباب السماوات فليراجع.

(٢) الدر المثور ٥ : ١٢٩ . أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كلمتان قالهما فرعون ... كان بيتهما أربعون عاما فأخذته الله نكال الآخرة والأولى.

منهم ﴿أَنَّمَا إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ وهم يحسبونه علماً إلّا إله إلّا فرعون ، ولا مرجع إلى الله ، فلا علاج لهؤلاء الحماقى الأنكاد إلا أخذنا ونبذنا :

﴿فَأَحَدُنَا وَجْنَوْدَهُ فَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ . ٤٠

هذه عاقبتهم يوم الدنيا فكيف . إذن . عاقبتهم يوم الدين ، وقد تبين ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِخُ الظَّالِمُونَ﴾.

وياله من اختصار حاسم قاسم ، أخذ ونبذ في اليم كما تنبذ الثفالات وتحذف الحصاة ، نبذ في ذلك اليم تملصا ، اليم الذي القى فيه موسى تخليصا ، هذا مأمن وملجاً ، وذلك ممكنا عليه وممهلة ومضجع ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ .  
 ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ . ٤١

جعل تكويني لإمامتهم النارية يعني أنه تعالى ما معهم عنها كما لم يعنهم قسرا عن كفرهم ، فخلى بينهم وبين ضلالهم وإضلalهم ، ثم يذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿وَأَمْلَيْ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٧ : ١٨٣).

ف «جعلناهم» بين مثلث التكوين تخييرا في ضلال وإضلal ، ثم ايكالا لهم إلى أنفسهم جزاء وفaca : ﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ . ﴿وَقَيَضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَرَيَّنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (٤١ : ٢٥) ﴿وَمَنْ يَعْשُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسِبُوْنَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُوْنَ﴾ (٤٣ : ٣٦) ﴿أَلمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِيْنَ تُؤْزِّهُمْ أَرَآءَ﴾ (١٩ : ٨٣). هكذا جعلناهم بما بغوا وطغوا ، كما عكسناه لآخرين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقُّنُونَ﴾ (٣٢ : ٢٤) واين جعل من جعل ، والآخر تشريعي إلى كونه تكوينيا جزاء

وفقاً (١).

ولقد كانت الفراعنة في كل التاريخ أئمة الضلال ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ مناوئين لأئمة الهدى الذين يدعون إلى النور.

﴿وَأَتَبَغَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ٤٢ .

«اتبعناهم» بدعواهم اللعينة ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ حيث ﴿لِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْتَأْلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْرُرُونَ﴾ (٢٩ : ١٣) ﴿وَنَكْسُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَا فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٦ : ١٢) .

فكل لعنة تابعة لضلال من ضل بإضلائهم ، «اتبعناهم» إياها مع تابعيهم ، كلا على قدره وقدره ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ، ف «من سن سنة سيئة كان عليه وزمن عمل بها إلى يوم القيمة ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيء». .

فهم من المقبوحين في الدارين ، والملعونين في النشأتين ، عائشين أجواء الاشمئزاز والتقرّز ، خلاف الضفة الهدادية ، حيث تعيش جو الإعزاز والتعزز.

وكما فرعون ومملأه هم أقبح المستكرين في التاريخ ، كذلك موسى الرسول (عليه السلام) هو أفضل الرسل في التاريخ الرسالي بعد خاتم النبيين محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقد جاء ذكره في الذكر الحكيم مائة

(١) نور الثقلين ٤ : ١٣٠ في أصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال : إن الأئمة في كتاب الله عز وجل امامان قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهُمُونَ بِأَمْرِنَا﴾ لا بأمر الناس يقدمون امر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم ، قال : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يقدمون أمرهم قبل امر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل.

وستة وثلاثين مرة في أربع وثلاثين سورة بتفصيل قصصه أو إجماله كما تقتضيه الحال وبناسبه المجال ، مما يدل على أن له المكانة الثانية بعد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الرسالة النبوة الإمامة ، فقد كان ﴿رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (١٩ : ٥٢) إماما من أولي العزم (٣٣ : ٧ و ٤٢) كما وكتابه إمام (٤٦ : ٥٢) وفرقان وضياء وذكر (٢١ : ٤٨) فيها هدى ونور (٥ : ١٣) .

وبين التوراة الحاضرة والقرآن اختلافات شاسعة في قصص موسى وهارون مع فرعون : فالقرآن يوحّد فرعون الذي أخذه ورباه والذي أرسل إليه ، والتوراة تفرق (١) ثم وهنا بازغ النداء الرسالي إلى موسى من الشجرة المباركة في القدس بعد الرحيل عن مدين ، وهناك في مدين نفسه (٢) وهنا ألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى ، وهناك لم يؤمّنوا بل عارضوا موسى (٣) وهنا صانع العجل هو السامراني ، وهناك هارون النبي (عليه السلام) (٤) وهذا ملقي العصا هو موسى (عليه السلام) وهناك هو هارون بأمر موسى (عليه السلام) (٥) وإلى أمثال هذه من اختلافات تكشف عن اختلافات توراتية أهمها البشارات الحمدية فيها ، وقد نذكرها مقارنة بطيات الآيات .

(١) سفر الخروج ٣ : ٢٣ .

(٢) في التوراة ان أبا زوجة موسى هو يثرون كاهن مديان دون شعيب .

(٣) الخروج الاصحاح ٧ و ٨ .

(٤) الاصحاح ٣٢ من الخروج .

(٥) الاصحاح السابع من الخروج .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائرَ النَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَيْ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَثْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُؤْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ مَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّشَعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحُقْقُ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهِرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرِوْنَ (٤٨) فُلْ

فَأُنْتُمْ بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدِي مِنْهُمَا أَتَّبَعْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُّوْ لَكُمْ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ إِنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرِ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) وَلَقَدْ وَصَّلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحُقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَرَتِينِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُنَ بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا الْلَّغْوَ أَغْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِيَّةِ (٥٥) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ الْأُولَى بِصَائرَ النَّاسِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٣ .

«ولقد» تأكيدان اثنان توکدان ضرورة إيتاء الكتاب **﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾** وهي التي قبل قرنه منذ قرن نوح وعاد وثود إلى قرن فرعون ومن بينهم من المهلكون **﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَاب﴾** : التوراة **﴿بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ﴾** : تبصرهم تاريخ الحالكين وعاقبة الظالمين ، تأتي البصائر توصيفة غالبية في الذكر الحكيم خمسا ، ثلاثة تخصه نفسه : **﴿فَدْ جَاءُكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** (٦ : ١٠٤) . **﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (٧ : ٢٠٣) . **﴿هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾** (٤٥ : ٤٥) . **﴿هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (١٧ : ١٠٢) وخامسة للتوراة كما هنا.

والقرآن هو مجمع البصائر في كلتا المرحلتين ، هما مقسمتان على توراة موسى ومعجزاته وain بصائر من بصائر؟.

ثم «بصائر» هي جمع « بصيرة» وقد تكون تاءها للبالغة كما **﴿الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾** (٧٥ : ١٤) مبالغة اطلاعه على نفسه ، وبصيرة التوراة وآيات موسى فضلا عن بصيرة القرآن هي مبالغة في الإبصار ، كأنها التي تبصر الناظرين إليها ، أو تبصر نفسها لهم لشدة التماعها واشرافتها كما **﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبَصِّرَةً﴾** (١٢ : ١٧) بصيرة تجلب إلى الإبصار إليها لمحيتها البيضاء.

**﴿بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهُدَىٰ﴾** مصدرها هي نفس الهدایة وخالصها دون شوب ، «ورحمة» وذلك المثلث الرابع من الإضاءة والإلماع **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** الحق فيه يؤمنون. **﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** (٤٤).

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ بطبيعة الحال ولما كونت ﴿بِحَاجِبِ الْعَرْبِ﴾ من الوادي ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ الرسالي بإنزال التوراة ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ صورة القضية إذ ذاك ، ولكننا بينماها لك وضح الشمس في رابعة النهار.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْبِنَ تَثْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ . ٤٥

﴿مَا كُنْتَ .. وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ منهم ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أغاللا وجهالا ثم أشهدناك قصصهم ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا﴾ مقیما ﴿فِي أَهْلِ مَدْبِنَ﴾ لتری ما مضى على شعيب وموسى فيها ﴿مَا كُنْتَ .. تَثْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ لتری ردة الفعل منهم ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا﴾ على طول خط التکلیف «مرسلین» دونما وقفة في إرسال الرسل ، و «مرسلین» إياك ل ﴿تَثْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ .

﴿وَمَا كُنْتَ بِحَاجِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِيرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ . ٤٦

﴿بِحَاجِبِ الطُّورِ﴾ من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ أول ما ناديناه «ما كنت» لا هنا ولا هناك لتسمع النداء والوحی فتعلم ما علمه موسى «ولكن» ناديناك وأنزلنا إليك الكتاب ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ في قمتها العالية المنقطعة النظير بين كل بشير ونذير ﴿لِتُنذِيرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ في الفترة الرسالية البعيدة المدى ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فامرک . إذن . يا محمد (صلی الله علیہ وآلہ وسلم) أصعب من أمر موسی ، ولأن عبأك أثقل ورسالتك أعلى وأشمل ، فطريقك أطول وأعضل ، فاصبر يا حامل الرسالة الأخيرة التي تحمل جوهرة خالدة من كل الرسالات.

وقد تلمح «ما كنت إذ قضينا ونادينا» أن جرى ذكر محمد (صلی الله

عليه وآلـه وسلم) فيما نودي إلى موسى وقضـي إلـيه ، وكـما نجـده في بـشارات تـوراتـية باقـية حتـى الآـن رغم تـطاولـات التـحرـيفـات والتـجـديـفـات! وهـنا روـايات تـؤـيد تـلـك اللـمـحة الـلامـعة بـحق الرـسـول (صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) وأـمـته (١).

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣٠ . اخرج ابن مرويـه عن ابن عباس عن النبي (صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) قال : لما قرب اللهـ موسـى إـلـي طـور سـينـاء نـجـيـا قال : اي ربـ هل أـحـد أـكـرم عـلـيـكـ مـنـي قـرـبـتـي نـجـيـا وـكـلـمـتـي تـكـلـيـمـا؟ قال : نـعـمـ محمدـ (صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) أـكـرم عـلـيـكـ ، قال : فـانـ كانـ مـحـمـدـ أـكـرم عـلـيـكـ مـنـكـ فـهـل اـمـةـ مـحـمـدـ أـكـرم مـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ فـلـقـتـ لـهـ الـبـحـرـ وـأـنـجـيـتـهـ مـنـ فـرـعـوـنـ وـعـمـلـهـ وـأـطـعـمـتـهـ الـمـنـ وـالـسـلـوـيـ؟ قال : نـعـمـ اـمـةـ مـحـمـدـ (صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) أـكـرم عـلـيـكـ مـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ ، قال : الـهـيـ أـرـنـيـهـمـ ، قال : انـكـ لـنـ تـرـاهـمـ وـإـنـ شـئـتـ أـسـعـتـكـ صـوـتـهـ ، قال : نـعـمـ ، فـنـادـيـ رـبـنـاـ اـمـةـ مـحـمـدـ أـجـيـبـوـ رـيـكـمـ فـأـجـابـوـهـمـ فـيـ أـصـلـابـ آـبـاءـهـمـ وـأـرـاحـمـ أـمـهـاـتـهـ إـلـيـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـقـالـوـ لـبـيـكـ رـبـنـاـ حـقـاـ وـخـنـ عـبـيـدـكـ حـقـاـ ، قال : صـدـقـتـمـ وـاـنـاـ رـيـكـمـ وـأـنـتـمـ عـبـيـدـيـ حـقـاـ وـخـنـ عـبـيـدـكـ حـقـاـ ، قال : صـدـقـتـمـ وـاـنـاـ رـيـكـمـ وـأـنـتـمـ عـبـيـدـيـ حـقـاـ قـدـ غـفـرـتـ لـكـمـ قـبـلـ انـ تـدـعـونـيـ وـأـعـطـيـتـكـمـ قـبـلـ انـ تـسـأـلـوـنـيـ فـمـنـ لـقـيـنـيـ مـنـكـ بـشـاهـدـةـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ دـخـلـ الجـنـةـ» أـقـولـ عـلـهـ تـعـالـيـ أـسـعـهـمـ صـوـتـهـ يـشـبـهـ صـوـتـهـ إـذـ لـاـ صـوـتـ لـمـنـ فـيـ أـصـلـابـ وـأـرـاحـمـ ذـرـاـ وـلـاـ عـقـلـ وـلـاـ تـكـلـيـفـ!ـ.

وفي نور النقلين ٤ : ١٣٠ عن عيون اخبار الرضا (عليه السلام) في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار المتفقة حديث طويل وفيه ان رسول الله (صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) قال : . وـذـكـرـ ماـ فيـ معـناـهـ بـزيـادةـ قـبـلـ فـضـلـ أـمـتـهـ هـيـ «قالـ مـوـسـىـ ياـ رـبـ فـانـ كـانـ مـحـمـدـ أـكـرمـ عـنـدـكـ مـنـ جـمـيعـ خـلـقـكـ فـهـلـ فـيـ آلـ الـأـنـبـيـاءـ أـكـرمـ مـنـ آـلـيـ؟ـ قالـ اللهـ جـلـ جـلـلـهـ ياـ مـوـسـىـ اـمـاـ عـلـمـتـ اـنـ فـضـلـ آـلـ مـحـمـدـ عـلـىـ جـمـيعـ آـلـ الـنـبـيـنـ كـفـضـلـ مـحـمـدـ عـلـىـ جـمـيعـ الـمـرـسـلـيـنـ ،ـ وـزـيـادـةـ اـخـرـىـ فـيـ جـوـابـ مـوـسـىـ بـالـنـسـبـةـ لـأـمـةـ مـحـمـدـ (صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) :ـ يـاـ مـوـسـىـ لـنـ تـرـاهـمـ هـذـاـ اوـ أـنـ ظـهـورـهـمـ وـلـكـنـ سـوـفـ تـرـاهـمـ فـيـ الـجـنـانـ جـنـاتـ عـدـنـ وـالـفـرـدـوـسـ بـحـضـرـةـ مـحـمـدـ فـيـ نـعـيمـهـاـ يـتـقـلـبـوـنـ وـفـيـ خـيـرـاـتـهاـ يـتـبـجـحـوـنـ أـفـتـحـبـ اـنـ أـسـعـكـ كـلـامـهـمـ ...ـ وـعـبـارـةـ اـخـرـىـ هـيـ التـلـبـيـاتـ بـدـلاـ عـمـاـ مـضـتـ :ـ لـبـيـكـ اللـهـمـ لـبـيـكـ .ـ

﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً إِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٧ .

«لو لا» امتناعية تمنع ﴿مُصِيبَةً إِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ﴾ في الدنيا ، وعلل الجواب بقرينة ﴿لَوْ لَا أَرْسَلْتَ ..﴾ هو : لما أرسلنا رسولا ، وذلك مصيبة تصيب منكري الرسالات لو أن الدنيا دار جزاء ، وأنهم لا يحتاجون على الله ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ..﴾ ولكنهم محتاجون لو لا الإرسال رغم ما قدمت أيديهم من التكذيب على مدار الزمن الرسالي ، فيرسل الله رسلا تترى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٤ : ١٦٥) . ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥ : ١٩) :

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحُقْقُ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرٌنَا تَظَاهِرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ وَنَأَيْنَا﴾ ٤٨ .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ﴾ هؤلاء المشركين وأهل الكتاب أجمعين «الحق» رسول الحق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكتاب الحق في بعدي الشريعة وآية الرسالة «قالوا» المشركون ﴿لَوْ لَا أُوتِيَ﴾ محمد ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من كتاب وآية رسالية ، فلا أن القرآن مثل التوراة ، ولا معجزة القرآن كالآيات الرسالية لموسى.

وهنا أجوبة ثلاثة حلا ونقضا وتحديا اكتفي هنا بالثاني : ألم يكفروا ذلك

. لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك ، قال : فجعل الله عز وجل تلك الإجابة شعار الحاج ...

الجيل المشرك بكل الرسالات ﴿أَوْلَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوْتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ﴾ كما كفروا بما أوتيت يا محمد من بعد<sup>(١)</sup> إذ «قالوا» فيك وفي موسى على سواء ﴿سَحْرَانٍ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾.

والحل ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٦ : ١٢٤). ﴿أَوْلَمْ يَكُفِّهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (٥١ : ٢٩) وليس من لزامات آيات الرسالات المشابهة إلا في التدليل على صدقها وهي دالة حيثما حلت ، فالمشركون لم يكونوا صادقين في اعتذارهم ، إذ كانوا مع أهل الكتاب في الجريمة فلم يصدقو بما أوتي موسى من قبل ، فهنا الاعتذار باعتراض : ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ مردود عليهم بنقض المثل ﴿أَوْلَمْ يَكُفُرُوا ..﴾ فما ذا تفیدهم المماطلة المقترحة إلا ماثلة الكفر ، ولا يزيدون غير تخسير .

كما و «قالوا» أهل الكتاب هودا أو نصارى نفس القالة : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةً قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ..﴾ (٦ : ١٢٤). ﴿أَوْلَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ﴾ كفرا بإشراك حيث عبدوا العجل ، وكفرا في مواضع عدة كقصة البقرة وأضراها ، وكفرا بالبشارات الحمدية المودعة في التوراة «قالوا» هؤلاء الكفارة من أهل الكتاب موسى وهارون ، وللتوراة والقرآن ﴿سَحْرَانٍ تَظَاهَرَا﴾ لا «ساحران» تعميقا في فريدة السحر كأن كل كيان الكتابين والرسولين سحر ﴿إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾! .

(١) الواو في «أولم» عطف على مذوف هو الكفر بالرسالات السابقة والرسالة الأخيرة ، فهم في ثالوث الكفر بالرسالة ما تشابه منها وسوها.

ثم «من قبل» كما تتعلق ب ﴿أَوْلَمْ يَكُفُرُوا ..﴾ قصدا إلى المشركين زمان موسى ، كذلك تتعلق ب ﴿مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ قصدا إلى الحاضرين ، توحيدا بين الحاضرين والغابرين في ذلك الكفر المماطل.

ومهما كان المعنيان معندين من «سحران» ولكنما الأصل هنا هما الكتابان كما يشهد له ﴿أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ كجواب التحدي فيهما : ﴿سِحْرَانٌ تَظَاهَرَا﴾ بغير مظهرهما لأنهما آية بينة ، وأظهر القول هنا هو من المشركين ، والكتابيون معنيون على هامشهم ، فالنقض يشملهما جميعاً مهما اختلفت دركاهما في كفرهما ، وإلى جواب ثالث تحدياً أن يأتوا بمثل التوراة والقرآن :

﴿فَلَمْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . ٤٩

وحين لا بد في الرسائلات الإلهية من كتب الوحي ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ : التوراة والقرآن ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في فرية السحر ، فأتوا من عند الله بغير سحر هو أهدي منهما اتبعه ، وذلك تنازل في التحدي ، فإنه من واجهة أخرى قبلها ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ ... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣ : ٢).

وترى التوراة الحاضرة هي كتاب هدى مطلقة حتى يتحدى بها؟ على القصد هنا إلى التوراة الأصيلة ، أم والحاضرة المهيمن عليها القرآن مخطئاً أخطاءها ومصوّباً صوابها ، ثم التحدي بهما جميعاً ولا أهدي منهما جميعاً ولا مثلاً لهما! ، ثم الهدى في بعد الدعوة الرسالية ماثلة في التوراة الأصلية مهما لم تكن في بعد الحجة للداعية.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ إِنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . ٥٠

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيُوا لَكَ﴾ ولن «فاعلم» ثباتاً على علمك بالوحي بمزيد علم من ذلك التحدي «اما» ليس إلا ﴿يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لا عقوتهم المتخللة عنها ، غير المحجوبة بها ، وذلك هو الضلال البعيد أن متبع المهوى

يحاول أن تتبعه المهدى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ ضلالاً ذا بعدين بعيدين عن المهدى : اتباع الهوى . بغير هدى من الله ! فقد توافق الهوى المهدى أحياناً كما تختلفها أخرى ، وأما اتباع الهوى كأصل ، ثم التخلف عن المهدى الأصل فهما أضل ضلال ، وأظلم ظلم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فلا يهدي الهوى المتخلفة عن المهدى . وكضابطة ثابتة كلما لا يوافق كتاب الله وسنة رسول الله ، أو تختلفهما من رأى ، فهو هو ضالة ، مهما أثبتته الأدلة العلمية والعقيلة أماهيه ، فإذا هدى تختص هي بمحبي الله ، وإنما هوى تعم ثالوثها نفسها وعقلها وعلما ، كما وان رسول المهدى ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥١

وانه قول الوحي المهدى حيث تترى على مدار الزمن دونها انقطاع ﴿وَمَا نُرِيْهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٣ : ٤٨) «ولقد» تأكيد في بعدي الرسل والرسالات ، وهما والكتابات ، وهما والمعجزات ﴿وَصَّلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الحق المطلق ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ به ولما

(١) نور الثقلين ٤ : ١٣٢ في أصول الكافي عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن (عليه السلام) في الآية قال : يعني من اتخذ دينه رأيه بغير امام من ائمة المهدى .

وعن علي بن ابراهيم بسند متصل عن سدير قال قال ابو جعفر (عليه السلام) يا سدير أفتدرك الصادقين عن دين الله ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفیان الثوری في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد فقال : هؤلاء الصادقون عن دین الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين ، ان هؤلاء الأخبار لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحدا ينيرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وعن رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ..

إلا شدرا منهم قليلاً وأكثراهم كافرون.

فهؤلاء المشركون الناكرون لوحى القرآن دونما اية حجة إلا لجة غامرة من الهوى ، غير عامرة بالهدى ، ثم أولاء أهل الكتاب وكأنهم لم يؤمنوا الكتاب ، واما :

**﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾** ٥٢

أترى ضميري الغائب في «قبله . به» راجعون . فقط . إلى القرآن ، لأنه هنا كان محل النقض والإبرام كما **﴿فُلْفُلُوا بِكِتَابٍ...﴾**؟ والحق في **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحُقُوقُ مِنْ عِنْدِنَا﴾** هو الرسول الحق برسالة حقة في القرآن : **﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ﴾** هذا الحق الرسالي **﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾** ! أم هما راجعون إلى رسول القرآن؟ و **﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾** لا تعني إلا القرآن! الوجهان هما المعنيان ، والرسول يتلى عليهم كما القرآن ، بل وهو ايضاً قرآن : **﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ﴾** الشِّعْرَ وَمَا يَتَبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**﴾** ، وحتى إذا لا تناسبه ان يتلى ، فهذه قرينة انه القرآن ، وتلك **﴿... الْحُقُوقُ مِنْ عِنْدِنَا﴾** إنه نبي القرآن ، فهما . إذا . معنيان ، فهما واحد مع أحهما اثنان.

ف **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾** رسولاً وقرأنا «هم به» قرآناً ورسولاً «يؤمنون» وطبعاً ليسوا هؤلاء كل الذين أوتوا الكتاب ، بل هم **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقًّا تِلَاوَتَهُ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُّرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** (٢ : ١٢١)<sup>(١)</sup> ، اجل أولئك الأكابر يؤمنون به

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣١ . اخرج ابن حجر وابن المنذر عن أبي رفاعة قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم ابو رفاعة إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فآمنوا فأوذوا فنزلت **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾** وفيه اخرج عبد بن حميد وابن .

قرأنا ونبيه ، لا فحسب بل و ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦) ... ﴿الَّذِينَ حَسَرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦ : ٢٠). <sup>(١)</sup> وقد نص عليه في التوراة

. حزير وابن المنذر عن قتادة في الآية كنا نحدث إنما أنزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بما ويتهمون إليها حتى بعث الله محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وصبرهم على ذلك وذكر لنا أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام.

وفيه (١٣٣) أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال : نزلت في عبد الله بن سلام لما اسلم أحبابه ان يخبر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعظمته في اليهود ومنزلته فيهم وقد ستر بينه وبينهم سترا فكلمهم ودعاهم فأبوا فقال : اخبروني عن عبد الله بن سلام كيف هو فيكم؟ قالوا : ذاك سيدنا وأعلمنا ، قال : أرأيتم ان آمن بي وصدقني أئمهون بي وتصدقوني؟ قالوا : لا يفعل ذاك هو افقه فيما من أن يدع دينه ويتباعث! قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : أرأيتم ان فعل؟ قالوا : لا يفعل! قال : أرأيتم ان فعل؟ قالوا : إذا فعل ، قال : أخرج يا عبد الله بن سلام فخرج فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ألم تكنوا عليه آنفا؟ قالوا : إنما احبينا أن تقول اغتنتم صاحبكم من خلفه فجعلوا يشتمونه فقام اليه أمين بن يامين فقال : اشهد ان عبد الله بن سلام صادق فابسط يدك فباعه فانزل الله فيهم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ وعن سعيد بن جبير نزلت في سبعين من القسيسين فبعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قرأ عليهم ﴿بِسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ حتى ختمها فجعلوا ي يكون وسلموا ونزلت فيهم هذه الآية ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ .

(١) الدر المثور ٥ : ١٣١ . أخرج البخاري في تاريخه وابن المنذر عن علي بن رفاعة قال : كان أبي من الذين آمنوا بالنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من أهل الكتاب وكانوا عشرة فلما جاءوا جعل الناس يستهزءون بهم يضحكون منهم فانزل الله : أولئك يؤتون أجراهم مرتبين بما صبروا ...

كما في النص العربي التالي «يدعوا يسrael إوايل حنيا مشوکاع إيش هاروح عل روب عونخا ورباه مشطمهah» :

بنو إسرائيل يعلمون ويعرفون ان النبي الأمي المتصروح صاحب روح الهمامي وصاحب الوحي» ! و «المتصروح» هنا تعریض عليهم حيث ﴿يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ !.

﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحُقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ٥٣ .

﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن . أو . ونبي القرآن عرض عليهم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ نبيا بكتابه ، وإن اختصت التلاوة بالقرآن ، فحين يتلى عليهم يقولون آمنا به : تاليا ومتلوا عليهم ، حيث القرآن برهان أن من جاء به رسول من عند الله ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ الآن ﴿إِنَّهُ الْحُقُّ﴾ المطلق ﴿مِنْ رَبِّنَا﴾ بل ليس فحسب الإيمان الآن ف ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لما بشرنا في كتاباتنا السماوية بالقرآن ونبيه ، وكنا ناظرين ظهور ذلك الحق المبين ، ف :

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْتَبٌ إِنَّمَا صَبَرُوا وَيَدْرُوْنَ بِالْحُسْنَةِ السَّيْئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

. ٥٤

مرة أولى من الأجر الموعود بما آمنوا بكتابهم ونبيه ، واخرى أن آمنوا بما يتلى عليهم من القرآن ونبيه <sup>(١)</sup> أو الأولى بما آمنوا به من قبل ، واخرى لما

(١) الدر المثور ٥ : ١٣٣ ، أخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذى والنمسائى وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ثلثة يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْتَبٌ رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر ورجل كانت له امة فأداها فأحسن تأديتها ثم أعتقها وتزوجها وعبد ملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وفيه أخرج أحمد والطبراني عن أبي امامه قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من اسلم من أهل الكتاب فله اجره مرتبتين .

يتلى عليهم ، أم الأولى يأتماهم في المرحلتين ، ثم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾<sup>(١)</sup> في المرحلتين من اليمان ، «صبروا» على عقبات اليمان وعقوباته من صفة اللا إيمان ، لا فحسب انهم صبروا على الأذى بل واستعملوا على الكبriاء النفسية : «وَيَدْرُءُونَ» : يدفعون أو يرفعون «ب» الطريقة «الحسنة» وبنفس الحسنة «السيئة» وكما أمروا ﴿إِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَخْسَنُ﴾ (٤١ : ٣٤) ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل اليمان ، ودرء السيئة بالحسنة دفعا عن اليمان وقبيله وعن أنفسهم ، بمال وقوة في الروح أو الجسم.

وقد تعني الحسنة والسيئة الحياة ، فالحياة الحسنة وهي اليمانية الصابرة المثابرة ، يدفعون الحياة السيئة المتکاثرة المکابرة ، والتقىة في مجالاتها الصالحة من الحسنة والإذاعة في غير صالحها سيئة<sup>(٢)</sup> : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتَغَاهُ وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (١٣ : ٢٢).

ثم الدرء قد يكون دفعا ولها تشبه السيئة وهي مشرفة ، أم رفعا كما التوبة الرافة للعصبية ، وكذلك ترك كبار السيئات و فعل كبار الحسنات ، وعلى أية حال فسنة الحياة اليمانية الملية بالشبكات والشوکات والحرمات

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣١ . اخرج البخاري في تاريخه وابن المنذر عن علي بن رفاعة قال : كان أبي من الذين آمنوا بالبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من أهل الكتاب وكانوا عشرة فلما جاءوا جاؤوا جعل الناس يستهزءون بهم ويضحكون منهم فأنزل الله : ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْبَطِينَ بِمَا صَبَرُوا...﴾.

(٢) نور الثقلين ٤ : ١٢٣ في أصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل : ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْبَطِينَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على التقىة ، ﴿وَيَدْرُؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قال : الحسنة التقىة والسيئة الإذاعة.

هي . حتى المقدرة . ان تدرء السيئة بالحسنة ، فقد تكون الحسنة هي التقبية وأخرى هي الجهاد والمقاتلة كل في سبيل الحفاظ على صالح الایمان والمؤمنين ، فالحياة التي تقني في سبيل القضاء على الكفر هي من الحسنة التي تدرء بها السيئة ، كما وكلما ينفق من مال وحال ومنال وعقل وعلم في سبيل درء السيّات هي من الحسنة ، «فلا تكونن من يقول في شيء أنه في شيء خاص» ما وسعت الدلالة لمداليل واسعة شاسعة .

**﴿وَإِذَا سَمِعُوا الْلَّغُو أَغْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي﴾**

**الجاهلين** ٥٥ .

أولئك الأكارم من أهل الكتاب ، المؤمنون بالقرآن ونبيه هم صابرون في إيمانهم صامدون ، ومن تصبرهم في الله **﴿إِذَا سَمِعُوا الْلَّغُو﴾** حين انتقلوا من كتابهم الى القرآن ، سمعوا من أهل ملتهم السابقين **﴿أَغْرَضُوا عَنْهُ﴾** والإعراض عن اللغو هو عدم التأثر به ، والإجابة عنه ، وهو من شيم المؤمنين الصادقين **﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغُو مَرُوا كِرَاماً﴾** (٢٥ : ٧٢) ولم يقولوا لغوا جوابا عن لغو بل **﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾** فلما ذا اللغو إذا ، فكما لا نسمعكم لغوا إذ لم تؤمنوا فلا تسمعونا لغوا إذ آمنا ، وليس منها إلا **﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾** في لفظة القال وواقع الحال والأعمال **﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾** ! **﴿لَا نَبْغِي﴾** **الجاهلين** **﴾اللاغين** **بلغوا لقول وزخرفه رغم ما يبغون علينا هؤلاء المجاهيل ، وهذا من درء السيئة بالحسنة ، **﴾لَا نَبْغِي الْجَاهِلُونَ﴾** إلا أن ننصحهم ونخديهم إلى صراط مستقيم . وهذه مفاصلة حسنة بينهم وبين اللاغين ، اعراضا عن المقابلة بالمثل أولا ، وجدا لا بالتي هي احسن ثانيا ، وسلام عليهم اعلاما اخمن ليسوا لهم إلا سلامة ثالثا ، ثم متاركة معهم أخيرا : **﴾لَا نَبْغِي الْجَاهِلُونَ﴾** أن نكلمهم**

أو نجالسهم إذا هم مصرون على الجهالة<sup>(١)</sup>.

وياله من ادب بارع يقابلون به السوء الماءع ، إذ هم يحتاجون إلى مزيد من صامد الایمان ، فلا يهتاجون أمام اللغو من قوله للإيمان ، وإنما هو الترفع والسماحة وحب الخير حتى للمسيئين ، مهما اقتضى الخير استعاصهم إذا كانوا مفسدين.

**﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦.**

إن رسول الهدى كان يحب ان يهدي الضالين كلهم أو جلهم فيضيق صدرا بما يرى من صمودهم على الضلال قلقا ، ويحاول ليل نهار ان يحصل على عدد أكثر من يهتدى إلى الله ، فنزلت هذه واضرها مسلية خاطره القلق **﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾** . **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ .. و **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾** هداه **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** هدى التوفيق إلى صراط مستقيم بدلالتك الرسالية الواقية ، فلا بد لواقع الهدى من ضم الهدىين ، هدى منك تدليلا إلى شرعتك ، وهدى من الله توفيقا لتقبلها والإقبال إليها ، وليس**

(١) روى محمد بن إسحاق في السيرة «ثم قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بمة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الخبرة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وأمنوا به وصدقوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعتبرتهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خبيكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتونهم بخیر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال؟ ما نعلم ركبأ أحمق منكم! فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكنكم ما أنتم عليهم لما نأى أنفسنا خيرا».

يوفق الله عبدا إلّا ان يريد هو الهدى فاهتدى بما تحرى ووفقه الله ﴿وَالَّذِينَ اهتَدُوا زَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم﴾ (٤٧ : ١٧).

وقد يروى عن رسول الهدى قوله في واقع الضلاله والهدى : «بعثت داعيا وبلغا وليس إلي من الهدى شيء وخلق إبليس مزينا وليس اليه من الضلاله شيء»<sup>(١)</sup> ، وهو (صلى الله عليه وآلہ وسلم) لا يعني من السلب إلّا التدليل في الهدایة أو التضليل ، ولا من الإيجاب إلّا واقعهما في حقل التخيير وليس التسيير.

فليس الرسول هاديا إلّا في حقل الدلالة الرسالية : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٢ : ٥٣) ثم الهدى الواقعية توفيقا لها فوصولا إليها هي من الله لا سواه ، فالثابتة له هي هداية البيان ، والمسلوبة عنه هي هداية التوفيق.

هذه هي الوجهة العامة للأية واضرابها ، واما الخاصة ، المتناحرة فيها

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣٤ . اخرج العقيلي وابن عدي وابن مردويه والدليمي وابن عساكر وابن النجاش عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : ... وفي نور الثقلين ٤ : ١٣٤ في أصول الكافي محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن أبيه قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) : اجعلوا أمركم هذا الله ولا تجعلوه للناس فأما ما كان الله فهو الله وما كان للناس فلا يصعد إلى السماء ولا تخاصموا بدينك الناس فان المخاصمة مرضة للقلب أن الله عز وجل قال لنبيه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وقال ﴿أَفَأَنْتَ ثُكْرُهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس وإنكم أخذتم عن رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) وعلى (عليه السلام) ولا سواه واني سمعت أبي (عليه السلام) يقول : إذا كتب الله على عباده يدخله في الأمر كان اسرع إليه من الطير إلى وكره ، وفي كتاب التوحيد مثله سواء .

بين روايات العامة والخاصة فمما يجب ان نذود عن ساحة القرآن الحكيم ، ما يمس من ساحة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ام ربّه ووصيه علي امير المؤمنين ، نكایة اولى على الرسول مصارحة ، وثانية عليه إشارة في الإزراء بأخيه في أبي طالب أبيه ، ومن اشنع ما رواه ان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يجب إسلام أبي طالب فنزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ...﴾ وكان يكره إسلام وحشی قاتل حمزة فنزلت فيه ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ...﴾ فلم يسلم ابو طالب واسلم وحشی»<sup>(١)</sup> ! وذلك البعيد البعيد عرض للمعارضة بين حب الله ورسوله ، نكایة بالإمام علي (عليه السلام) ، والمختلف أعمى !

روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) متضاغفة في ايمان أبي طالب ، وقد ألفت فيه كتب فذة وأنشدت أشعار ، والشعر والنشر المنقول عنه شاهد لإيمانه ، وقد آوى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صغيراً ومهماً كبيراً وحتى النفس الأخير من حياته كان من أعظم المناصرين له (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ! وقد تبلغ أشعاره في مدح النبي وتصديقه سفراً فذا ، كما الروايات في ايمانه.

(١) في الجموع قيل نزول قوله «انك ...» في أبي طالب فان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يجب ... رواه ذلك عن ابن عباس وغيره ، وفي الدر المنشور ٥ : ١٣٣ عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال يا عماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بما عند الله يوم القيمة فقال : لو لا ان تعيرني قريش يقولون ما حمله عليها إلا جزعه من الموت لأقررت بما عينك فأنزل الله : انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدین .

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعُ الْهُدَىٰ مَعَكُمْ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْمَعُكُنْ لَهُمْ حَرَماً آمِنًا يُجْبِي إِلَيْهِ  
ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلِكُنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَرِيبَةٍ بَطَرَتْ  
مَعِيشَتَهَا فَتَلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رُبُوكَ  
مُهْلِكَ الْقُرْبَىٰ حَتَّىٰ يَمْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَتَلَوَّا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرْبَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا  
ظَالِمُونَ (٥٩) وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَنْ وَعَدْنَا وَعْدًا حَسْنًا فَهُوَ لَا يَقِيهِ كَمَنْ مَتَعَناهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (٦١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ (٦٢)  
قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَّنَا

تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّا نَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقَيلَ ادْعُوَا شُرَكَاءَكُمْ فَلَمْ يَسْتَحِبُوا لَهُمْ وَرَأُوا  
الْعَذَابَ لَوْ أَهْمَمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَا ذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)  
فَعَمِيتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُلْكِيْنَ (٦٧) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ  
اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِضَيَّاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ

أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا  
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

هنا قوله اخرى عاذرة غادرة للمتختلفين عن الإيمان من هؤلاء المشركين القاطنين في حرم الله ، بعد ما واجموا بنقض وتحدى قولتهم الأولى ، وشهدوا أن الرسول حق ، يردها الله عليهم بإجابات عدة تستأنصل كل أعدائهم وأغدارهم ، فإذا ما ان يؤمنوا أم يظلوا كافرين مصلحيات متختلفة خاوية :

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ! ﴿وَقَالُوا إِنَّ نَبَيًّا إِنْ تَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ  
تُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْمَ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبِي إِلَيْهِ تَمَرُّثُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . ٥٧

«إن» هنا دليل قریبكم إلى الإيمان لظهور الحجة وبهور الحجة ، أم إظهارا لقربيهم لو لا المانع ، و ﴿نَبَيًّا إِنْ تَتَّبِعُ الْهُدَى﴾ دليل تصديقهم لها وإن لم يستمدوها هدى ، و «معك» دليل انه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يطلب منهم اتباعه ، بل اتباع المهدى معه ، المهدى التي معه ، واتبعها معه إلى الله.

﴿تُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ وهي الحرم المستفاد من ﴿أَوْمَ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا﴾ والتخطف هو الاختلاس بسرعة ، إذ لا تمهلنا كتلة الشرك أن نظل هنا بعد أن آمنا!

و هنا عليهم ردود عدة تلميحة و تصريحة ، ومن الأولى المعطوف عليه المعروف ل ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ ..﴾ ك : الم نمك المؤمنين طول التاريخ الرسالي و نورتهم الأرض كما في بني إسرائيل والذين من قبلهم ومن بعدهم حتى هذه الرسالة الأخيرة ، مهما تحملوا . على طول الخط .

صعوبات هي طبيعة الحال في مسيرة اليمان بسيرته خلاف الاليمان .

و من التصريحة كرد حاضر هو المعطوف هنا ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ ..﴾ فقد مكنه الله لهم وهم مشركون ، ﴿حَوْمَاً آمِنَا﴾ يحترمونه فلا يحاربون فيه إلا شذرا وهم عارفون تلك الحرجة المنقطعة النظير في ذلك الحرم المحرم (١) .

فمن ذا الذي مكنه لهم حرماً آمناً . وهم لا حرمة لهم . إلّا الله ، آمنا تكوينيا وتشريعيا ، فأحرى لهم ذلك الأمان إن آمنوا وطبقوا شرائط اليمان .

و هنا «آمنا» بدلا عن «مأمونا فيه» للتدليل على مدى الأمان فيه كأنه هو الأمان فضلا عن قاطنيه كما ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٩٧ : ٣٢) ثم الكعبة المباركة يزيد أمناً لـ كأنه بنفسه الأمان : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَنَابَةً لِلنَّاسِ وَآمِنًا﴾ (٢ : ١٢٥) و مما لا يربيه شك ان مكة المكرمة هي أعلم البلاد تكوينيا

(١) نور الثقلين ٤ : ١٣٥ في روضة الوعاظين قال علي بن الحسين عليهما السلام كان ابو طالب يضرب عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم). إلى أن قال . : فقال ابو طالب : يا ابن أخي إلى الناس كافة أرسلت ام الى قومك خاصة؟ قال : لا بل إلى الناس أرسلت كافة الأبيض والأسود والعربـي والعجمـي ، والذي نفسي بيده لأدعون إلى هذا الأمر الأبيض والأسود ومن على رؤوس الجبال ومن في لجج البحار ولأدعون السنة فارس والروم ، فتخيـرت قريـش واستـكـبرـت وقـالت : اـما تـسمـع إـلـى اـبـن أـخـيـكـ وـمـا يـقـولـ؟ وـالـلـهـ لـو سـعـتـ هـذـا فـارـسـ وـالـرـومـ لـاخـطـفـتـنـا مـنـ أـرـضـنـاـ وـتـقـلـعـتـ الـكـعـبـةـ حـجـرـاـ حـجـرـاـ فـانـزـلـ اللـهـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعَ الْهُدَى..﴾ . أـقولـ : طـبعـاـ لـمـ يـكـونـواـ هـمـ كـلـ قـرـيـشـ ، وـاـنـاـ هـمـ الـذـيـنـ وـجـوـاـ بـتـلـكـ الـبـرـاهـيـنـ وـلـمـ يـقـلـ هـمـ عـذـرـ إـلـاـ هـذـاـ ، كـمـاـ تـدلـ الـآـيـةـ .

وتشريعياً وحتى قبل الإسلام ، وقد كان يختطف الناس من حولهم : ﴿أَوْمَّ يَرَوْا أَنَا جَعَلْتُ  
حَرَماً آمِنًا وَيَسْخَطُونَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكُفُرُونَ﴾ (٢٩ : ٦٧)  
ولقد آمن قليل من هؤلاء العاذرين فآواهم الله وأيدهم بنصره مهما هاجروا : ﴿وَادْكُرُوا إِذْ  
أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآواكُمْ وَأَيَدُكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزْقَكُمْ  
مِنَ الطَّيَّابَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨ : ٢٦).

.. حَرَمًا آمِنًا يُجْبِي إِلَيْهِ ثَرَاثُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿١﴾ والإجابة هو الإجلاب و «يجبي» مستقبلاً ما يدل على استمرارية جبيها من كل مكان في كل مستقبل أكثر مما كان ، وطبعاً حسب الحاجيات الواقتية والمستمرة للحجيج والمعتمرين والقاطنين .

و «كل شيء» تعم ثرات القلوب كما في دعاء ابراهيم ﴿فاجعل أفيدا من الناس  
كُهُوي إلَيْهِمْ وَارزقُهُمْ مِنَ الشَّرَاتِ ...﴾ (١٤ : ٣٧) إلى سائر الشمرات العلمية والعقلية  
والاقتصادية والسياسية اماهيه ، كما هي قضية الحال في ذلك المجال بالحشد العظيم من  
الحجاج وسائل الزوار ، ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنِّا﴾ وهو الرزق المتميز المنقطع النظير في العمورة كلها ،  
جعا في هذا البلد الأمين بين كل الشمرات ، في تلك الأرض القاحلة التي لا ماء وافرا فيها  
ولا كلاء!. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جاهلين هذه النعمة والمكرمة العظيمة أو متဂاهلين  
عنها ، وعن ان الذي مكّن لهم وآمنهم ليس هو الشرك بالله ، بل هو كرامة من الله بقبيلة  
المؤمنين ومأمن الإيمان! .

ثم وأقلهم يعلمون وهم الذين آمنوا وحقق الله لهم وعدهم كما مضت في آية الأنفال  
 (٢٦) ، مهما كان منهم ﴿جَحَدُوا إِنَّمَا وَاسْتَيْقَنْتُهُمْ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾! ولقد طمأن الله  
 المؤمنين بنصرة من لدنـه كما ﴿إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ  
 الْأَشْهَادُ﴾ (٤٠ : ٥١) مهما كانت في

سبيل اليمان عراقيل وعقبات.

فحتى إذا تخطّفوا من أرضهم ، فهل ان عرضهم المتخطّف أولى بالصيانة أم أرضهم ،  
وقضية الإيمان الصادق اليقين ان يضحي المؤمن للحفاظ عليه بكل ما لديه فضلاً عما  
وعدهم الله من النصر مهما كان سبيله شائكا ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ .  
ثم البقاء على أرض الوطن لا يضمن الأمان حين تكون الحياة متخلفة عن شرعة الله  
والمعيشة بطرا :

﴿وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَرِيْبٍ بَطِّرْتُ مَعِيشَتَهَا فَتَلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾  
وَكُنَّا نَحْنُ الْأَوَارِثُينَ ﴿٥٨﴾

وقد تكون «بطرت» من كلا البطر : الشق ، والبطر : تجاوز الحد في المرح ، فعلها ذلك تعدد بنفسها إلى مفعولها ، فقد شقت معيشتها إلى غير عيщتها فبدلت نعمة الله كفرا ، وتجاوزت الحد في المرح والتغung في النعمة فأصبحت نعمة ونقطة .

«فتكلك» البعيد الرذيل العزيل «مساكنهم» البطرة العطرة العالية الغالية **لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ** إذ هلكت عن سكنها «إلا قليلاً» وقد يعم الاستثناء هنا مثلثاً من المستثنى منه أن **أهْلَكَنَا .. إِلَّا قَلِيلًا .. لَمْ تُسْكِنْ إِلَّا قَلِيلًا** منها.

من بعدهم إلا قليلا» قلات ثلاث في استثناءات ثلاثة ، مهما كان الأوسط منها يقتضي اديبا «إلا قليل» لكن الآخران يقتضيان النصب كما هو ، والجمع بين الكل يقتضي النصب .

فقد أهلكنا إلا قليلا منها ، ولم تسكن ما هلكت إلا قليلا منها ، ولا من بعدهم إلا سكنا قليلة حيث أصبحت مرات المارة المستفيدة منها قليلا دون أن تتخذ مساكن دائمة ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ إذ لا ساكن لها ، فكما ان الله ملك السماوات والأرض في الأصل ، ثم يجعلنا مستخلفين في بعض الملك مجازيا عارضيا ووقتيها ، كذلك له هذا الثاني الذي يستخلفنا فيه حين تهلك أو يهلك أهلوها ، فقد تهلك القرية بأهلها فلا بيوت حتى تسكن حتى وإن قليلا ، وقد يهلك أهلوها وتهلك هي بعضا فتبقى بعض البيوت عامرة أو شبه عامرة فلا تسكن إلا قليلا ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ على أية حال .

فيما أهالي أم القرى المزروقة من كل الشمرات لا بطروا معيشتها فستتحققوا الهلاك والدمار ، فإن بطر المعيشة هو السبب الأصيل لهلاك القرى باستهلاكها ، وقد أوتيتم ذلك الحرم الآمن ، فاحذروا أن يحل بكم الهلاك كما بالغابرين ، فقد بقيت قراهم شاخصة تحدث عن مصارع أهلها ولم يرثها أحد بعدهم ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ .  
 ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَنْذُرُهُمْ آيَاتِنَا وَمَا كَانَ مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ . ٥٩

ليس . فقط . إهلاك القرى أن بطرت معيشتها إلا بحجج قاطعة تبين حق المعيشة عن باطلها ، أن يبعث في أمها . لا كلها . رسول ، فأم القرى وعاصمتها متّعة بطبيعة الحال في حق أم باطل ، و «ما كان» على طول خط التكليف «ربك» الذي أرسلك في أم القرى  
 ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي

أُمِّهَا رَسُولًا ﴿ لا فحسب «يعث» بل و ﴿ يَتَلَوْا عَلَيْهِمْ ﴾ كل القرى آياتنا «يتلوا» بنفسه ام مرسليه الحاملين دعوه معصومة عاصمة ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذُرُونَ ﴾ (٢٦) : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ فإنهم رغم الرسالات في أمها يظلمونها تكذيبا لها وبطرا في معيشتهم ، ظلما لا يتحمل في حياة التكليف دون الظلamas اليسيرة القصيرة : ﴿ وَإِذَا أَرْدَنَا أَنْ هُنَّكَ قَرْيَةٌ أَمْرَنَا مُتْرَفِّيَهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقُوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١٦) ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَكَاهُمْ بِعِذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ (٢٠) ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ (٦) : . (١٣١)

﴿ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

. ٦٠

وهذه حجة رابعة تقطع معاذيرهم عن بكرتها أن أرضكم وكل ما عليها ولكم ﴿ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فحتى إذا خطفتكم من أرضكم ان اتبعتم معى الهدى ، فما هي أرضكم وكل حياتكم إلا متاع الحياة الدنيا وزينتها أمام عرضكم فلتشتروا بها ما عند الله ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ ما أُوتِيْتُمْ ﴿ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ رجاحة الهدى على الردى ، وان ﴿ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ من «متاع الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»؟ (١).

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣٥ . اخرج مسلم والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قال : يقول الله عز وجل يا ابن آدم مرضت فلم تدعني ، فيقول : رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول : اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تده ، اما علمت انك لوعدته لوحدتي عنده ، ويقول : يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول : اي رب كيف أسيقك وأنت رب العالمين؟ فيقول تبارك .

وذلك هو التقويم الأخير لكل ما أورتيتم من شيء فتخافون أن تختطف منكم إن آمنتم ، والمحاسبة بين أمان الإيمان وأمان الالإيمان بحاجة إلى عقل عن الحياة وقيمتها ، في مفاصلة بين وعد الله لقبيل الإيمان ووعد الشيطان لقبيله للإيمان :

**﴿فَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسِنًا فَهُوَ لِاقِيهِ كَمْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**

من المُخْضَرِينَ ٦١.

كلا الوعد الحسن ومتع الحياة الدنيا من الله لأهل الآخرة والدنيا ، والوعد الحسن لأهله هو الحياة الطيبة في الدارين **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِنَّ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (٩٧ : ١٦) ف **﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾** تشملهما ، و «لنجزينهم» تخص الأخرى.

كما وهي حياة النصرة الربانية فيهما : **﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ أَشْهَادًا﴾** وأما **«مَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** مطمئنا إليها ، غافلا عن الأخرى ف **﴿هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾** لسوء الحساب ، حيث المحضرون هم المجررون على الحضور ، حسابا لسيئاتهم وتحسبا لعقوباتهم ، والحاضرون يوم الحساب هم أعم من المحضرين ، كما في آيات ثمان تعدد المحضرين من المعذبين اللهم إلا البعض منها حيث تستثنى عن الإحضار عباد الله المخلصين : **﴿فَكَذَّبُوهُ فِي أَكْثُرِهِمْ لَمُخْضَرُونَ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ﴾**

. وتعالى : اما علمت ان عبدي فلا ناستسقاك فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ، قال : ويقول : يا ابن آدم استطعتمك فلم تطعمني ، فيقول : اي رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ، فيقول : اما علمت ان عبدي فلا ناستطعمك فلم تطعمه اما انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟

**المُحَلَّصِينَ** ﴿٣٧ : ١٢٨﴾ في احتمال اتصال الاستثناء تعنيما لضمير الجمع كافة العباد ، صحيح ان من المتعين متع الحياة الدنيا من يتذرعها للحياة الأخرى ، إلا ان التقابل بينهم - هنا . وبين «من متعمنه متاعا حسنا» يختص هؤلاء المتعين بن ﴿رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنُوا بِهَا﴾ فحتى إذا لم تختلف حياة المتاع عذابا في الأخرى ، فقد يكفي أنها محمرة لها ، وهل من عاقل يرجح هذه الفانية الهزيلة الرذيلة على تلك الباقيه الفضيله؟! فضلا عن أنها تختلف العذاب الدائب فيها ، ذلك! وإلى سائر المفاصلات بين الفريقيين في النشأتين ، ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد! :

﴿وَيَوْمَ يُناديَهُمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾ ٦٢

وهؤلاء الشركاء المزعومون هم بين خيرين كللائقه والنبيين ، والشريرين كفرعون وغرور وسائل الطاغين ، ثم عوان بينهما كل الأصنام والأوثان إذ لا عقل لها حتى تكون لها خيرة خيرة أم شريرة ، فالآولون ناكرون أئم شركاء ، هناك كما هنا ، والأوسطون ينكرون حق الشركة ، معترفون بباطلها فهناك يستسلمون ، والآخرون لا عقل لهم فيصدقوا وينكروا ، والثلاثة شركاء في نكران شركهم مع الله إذ تنزول الحجب فتظهر الحقائق : ﴿فَرَأَيْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٠ : ٢٨).

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَرَأَنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ٦٣

**الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ** ﴿ هنا هم الشركاء الطغاة بين داعية إلى نفسها ، أم إلى أصنامها ، دون الأولين الأكابر ، فهؤلاء هم حصب جهنم وأولاء من السابقة لهم الحسن : ﴿إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هُؤُلَاءِ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَالِدُونَ ..

**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْهُم مِّنَ الْجُنُونِ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴿٢١﴾ (١٠١ : ٢١).

قال الأولون **رَبَّنَا هُوَلَاءِ** المشركون الأتباع **الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا**

فطبيعة الغاوي هي الإغواء ، كما طبيعة المهدى هي الإهادء ، مهما كانت باختيار دون إجبار كما هي ، فكما غوينا دون قسر ، كذلك أغويناهم دون قسر ، فلا سلطان على القلوب في غواية **وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ** (١٢ : ٢٢) **وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِيًّا**. فَحَقٌّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَدَائِقُونَ. فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ

(٣٧ : ٣٧).

**تَبَرَّأُنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّاً نَا يَعْبُدُونَ** أترى «ما» هنا موصوفة ، المتبرء منه إلى الله هو

عبادتهم إيانا ، وهو في معنى قول قائدتهم الأول : **إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلِ** (١٤ : ٢٢)؟ وصيغته الصريحة «تبرأنا إليك من عبادتهم إيانا»! أم هي نافية نكرانا لعبادتهم إياهم كما **قَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّاً نَّعْبُدُونَ** (١٠ : ٢٨)؟ وقد تكون «أغويناهم» تثبيتا لعبادتهم إياهم!

وعلى الكل معنية فإن لكل شاهدا ، فـ«أغويناهم» مهما كان تثبيتا لعبادتهم إياهم ، ولكنها في الأصل عبادتهم لأهوائهم ، فهي هي آلهتهم التي ألهتهم عن عبادة الله إلى ما تهواه أنفسهم من دون الله ، و **تَبَرَّأُنَا إِلَيْكَ** من عبادتهم إيانا ومن أنفسنا إذ عبادنا **تَبَرَّأُنَا إِلَيْكَ** عن عبادتهم إيانا إذ ما كانوا إيانا يعبدون ، وإنما يعبدون أهواءهم ، ام لم تنحصر عبادتكم بنا ، بل ومع اهوائكم وهي البداءة فيها ، كما يلمح تقديم «إيانا» فلم يقولوا : «ما كنتم تعبدوننا» فإنهما كاذبة ، بل **مَا كُنْتُمْ إِيَّاً ...** أي ما انحصرت عبادتكم

فيما ، بل ومعنا غيرنا وهي اهوائكم التي دعتكلم إليها! وهي الأصل في عبادتكم المتخلفة ، تبرأنا إليك من جريمة إغواهم ، ومن عبادتهم لنا ، ومن ان يكونوا في الحق . يعبدوننا فقط ، وإنما هي أهواءهم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَاهُ﴾ (٤٥ : ٢٣) فاما عبدوا أهوائهم مبدئيا ، ولذلك أطاعونا فيما أغويناهم ، إذ وجدوا فيما أهواءهم ، وأما أنهم ما دعوه إلى عبادتهم فلا تصريحة لها ولا لحة ، بل و «أغويناهم» وأضرابها تصريحه لهذه الدعوة النكدة الناكبة.

﴿وَقَالَ اذْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا

يَهْتَدُونَ﴾ . ٦٤

﴿إِذْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لينجوكم من عذاب الله كما وعدتم فيهم «فدعوه» شاءوا أم أبوا إذ لا خيرة في أمر الله هناك ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ فيما دعوه إذ لا يستطيعون ، وهم من الذين حق عليهم القول ، وذلك عذاب نفسي فوق العذاب ، ثم ﴿وَرَأُوا الْعَذَابَ﴾ من فورهم متحسرین متمنین ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ فلا يرووا العذاب ، وقد تعني «لو» هنا استحالة ذلك المتمني فقد مضى يوم خلاص ولا ت حين مناص ، إذ يتمنون لو رددوا فاهتدوا فلم يروا يومئذ لعذاب.

﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَا ذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ . ٦٥

هذا سؤال تأنيب وتحبيب والله يعلم ماذا أجابوا المرسلين ، وكما المسلمين يسألون ، إلا أن هناك تحجيلا وهنا تبجيل : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَا ذَا أَجَبْتُمْ..﴾ (٥ : ١٠٩) ، لا جواب هنا ولا هناك ، فهنا ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ احتراما على علمهم بما علمهم الله ، وهناك تحيرا وانبهارا :

﴿فَعَمِّيْتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ . ٦٦

فرغم انهم على علم بأنباءهم في تكذيب المسلمين عميت عليهم حتى يزدادوا حيرة على حيرة ، فالذacker لذنبه قد يعرضه اعتذارا ، وأخرى إنكارا ، وفي كل تخفيف وقتى ، فحتى لا يخفف عنهم هول المطلع عميت عليهم الأنباء ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ بعضهم البعض عن أنباءهم لأنهم سواء في التعمية عليهم فهم حائزون مائرون ، و ﴿فَعَمِّيْتُ عَلَيْهِمُ﴾ دون «عموا عنها» يلقي ظلام العمى عليهم ككل دونما منفذ ينفذون عنه ، فهم في ذهولهم صامتون لا يدرؤون من اي إلى اي ميلون !.

وذلك . فقط . للمكذبين دون المؤمنين على اختلاف درجاتهم في إجاباتهم المسلمين:

﴿فَآمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ . ٦٧

هنا تقابل بين الصفحة المظلمة للكافرين ، والصفحة المشرقة للمؤمنين ، و «عسى» ترجيهم بذلك المثلث الرابع من الفلاح ، توبة وإيمانا و عملا صالحا ، ان يكونوا من المفلحين ، إذ لا يضمن لهم . ككل . العاقبة الحسنة ، فقد يرجعون كفارا في العاقبة ، فليلجأوا إلى الله ملتمسين منه حسن العاقبة ، كما وان الإيمان بزمليه ليس هو السبب التام للإفلاح لو لا رحمة من الله وفضل ، فعساه لهذا وذلك يأتي هنا بعسى .

وقد تكون ﴿فَآمَّا مَنْ تَابَ ..﴾ استثناء عن ﴿فَعَمِّيْتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ تعبيما للسؤال في «يناديهما» ، أن الكل يسأل عنهم ﴿مَا ذَا أَجْبَتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ بين تحجيم وتبجيل وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآلـهـ وـصـاحـبـهـ)

وسلم) <sup>(١)</sup>.

**﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** ٦٨ .

ذلك هو الجواب القاطع القاسع الأخير عن عاذرهم ان لا مؤثر في الوجود إلا الله ، فلا طاقة مستقلة تتحطّفكم عن أرضكم ، مستغلة ذلك دون أن يشاء الله ، فان له الخلق والأمر دونما جبر ولا تفويض.

فعلى العبد أن يقدم في الله ما في طوقه ووسعه ، والله الخيرة في أمره أن يفعل ما يشاء كما يشاء ، دون اتكالية بلا سعي ولا عمل ، ولا استقلالية لهم فيما يشاءون ، بل «أمر بين أمرين» أن يسعى ويتوكل على الله فيما يسعاه.

فلا إلغاء هنا للعقول والإرادات والنشاطات ، ولا تفويض لها في الحصول على كل المرادات ، بل عليهم ان يتقبلوا ما يقع ويرضوا بما وقع بعد ما بذلوا . دون تبدل . ما في وسعهم من التفكير والإختيار والتدبیر ، والله الأمر من قبل ومن بعد.

ف «وربك» الذي خلقك واختارك ورباك **﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾** لا ما يشاءون «ويختار» فيما يخلق أو يشرع دونما إجبار له فيما يخلق ويختار ما يشاء لا كما يشاءون **﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾** لا في خلق ولا اختيار **﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** به في خلق أو اختيار . إن «يخلق» هنا تعم كل خلق للمادة الأولية أماهية من خلق ، لا شريك له في أيّ كان منه وأيان من اي كان ، وكذلك «يختار» في حقل

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣٥ . اخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد والنسياني والطبراني وابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قال : «ما من احد الا سيخلو الله به كما يخلو أحدهم بالقمر ليلة البدر فيقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين».

التكوين والتشرع **﴿أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** (٣٦ : ٣٣) مع العلم أن خيرة الرسول إنما هي خيرة الله إذ لا يختار ما يختاره إلا بمحض اختياره ، و «ما كان» نحي وليس نفيا يسلب عنهم أي اختيار. ومن اختياره تعالى أمر التشرع أن يختار الرسول الحامل لشرعته ، وأوصياءه الحمليين تبيين شرعا ، فكما له اختيار الرسول دون سواه ، كذلك له اختيار أوصياءه لا سواه ، وترى **﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرُ﴾** تبني عليهم الإختيار في الأفعال التكليفية؟ كلا! والإختيار فيها ثابت بدليل العقل والكتاب والسنة ، والإختيار المنفي عنهم يختص بما يختص اختياره بالله ، كخيرة الخلق والأمر تشرعها سواه من أمر الخلق ، وكذلك الاختيار المطلق في الأفعال الاختيارية ، فللإختيار المطلق في كل ما يختار ، وليس لنا مطلق الإختيار إذ قد تمنعنا موانع مما نختار ، ثم قد نختار صالحا أو طالحا لا يختاره الله تكوينا فهناك بكل الإختيار كما في ذبح ابراهيم ولده ، وفي حرقه (عليه السلام) بالنار ، إذ لم يؤثر الإختيار هنا وهناك.

فالاختيار المنفي عنا في حقل التكوين هو الإختيار المطلق ، وفي حقل التشرع هو مطلق الإختيار ، فحين «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» لم يكن لنا في أفعالنا الاختيارية الإختيار المطلق ، فإنه تفويض إشرافك بالله في ذلك الإختيار **﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** ، وحين لا شارع إلا الله : **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾** (٤٢ : ٤٢) فمطلق الإختيار لنا في التشريع . وإن في حكم واحد . إشرافك بالله **﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**.

كما وأن اختيار الرسل وأوصياءهم الحملة لرسالاتهم من غير الله إشراف

بِاللَّهِ فِي حَقْلِ التَّشْرِيعِ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقد استدل الإمام الرضا والقائم المهدى والإمام الصادق عليهم السلام بالآية وسواها على اختصار نصب الإمام بالله وانحساره عن سواه <sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ١٣٦ في أصول الكافي أبو القاسم بن العلا رفعه عن عبد العزيز بن مسلم عن الرضا (عليه السلام) حديث طويل في فضل الإمام وصفاته يقول فيه : هل يعرفون قدر الامامة ومحلىها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم . إلى قوله (عليه السلام) . لقد رأوا صعباً وقالوا إفكاً وضلوا ضلالاً بعيداً ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة ، زين لهم الشيطان اعمالهم فصدتهم عن السبيل وكأنوا مستبصرين ، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله إلى اختيارهم والقرآن يناديهم : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَخَتَّارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْحَيْثُرُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقال عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا فَضَّلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْحَيْثُرُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وفيه عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة بسانده إلى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم (عليه السلام) حديث طويل وفيه : قلت فأخبرني يا ابن مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟ قال : مصلح أم مفسد؟ قلت : مصلح ، قال : فهل يجوز أن تقع خيرهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟ قلت : بلى ، قال (عليه السلام) : فهي العلة وأوردها لك ببرهان ينقاد لك عقلك ثم قال (عليه السلام) : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عز وجل وانزل عليهم الكتاب وأيدهم بالوحى والعصمة إذ هم أعلام الأمم ، أهدى إلى الإختيار منهم مثل موسى وعيسى عليهما السلام ، هل يجوز مع وفور عقولهما إذ هما بالاختيار أن تقع خيرهما على المنافق وهما يظنان انه مؤمن؟ قلت : لا . قال : هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزل الوحي عليه اختار من اعيان قومه ووجوه عسکره مليقات ربه عز وجل سبعين رجلاً من لا يشك في ايمانهم وإخلاصهم فوق خيرته على المنافقين قال الله عز وجل : ﴿وَخَتَّارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَعْيَنَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ . إلى قوله . ﴿لَئِنْ نُؤْمِنْ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا فَأَخَذَنَاكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عز وجل للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه .

وقد تحتمل «ما» هنا بحسب كونها نفيا ، أنها موصولة : ﴿ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيرَةُ ﴾ اختيارا فوق كل اختيار ، فلا يمضى اختيار ولا يمشى إلا ان يختاره الله ﴿ وَمَا تَشَاؤنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ وهذا وإن كان في نفسه صحيحا ، وهو قضية الأمر بين أمرين ، إلا أنه ليس يختار كل ما كان لهم الخيرة ، كما في قصتي إبراهيم الخليل وأضرابهما ، إلا ان تختص ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيرَةُ ﴾ بالبعض دونما استغراق ، لا سيما وأنه ضمن المعنى من «ما» إذ تعنيهما كما هو الصالح لساحة الربوبية.

ومن الخيرة الإستخاراة في مورد الخيرة ، حين لا تنزل بتفكير ولا مشورة فيظل الإنسان حائرا لا يدرى من أي إلى أي وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(١)</sup>.

. الأصلح دون الأفسد علمنا ان الاختيار لا يجوز أن يفعل إلا من يعلم ما تخفي الصدور وتكن الضمائر وتنصرف إليه السرائر وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح»! ، وفي تفسير الفخر الرازى ٢٥ : ١٤ روى ابو امامه الباهلي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : كان قارون من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله تعالى .

وفيه عن مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل : وتعلم ان نواصي الخلق بيده وليس لهم نفس ولا لحظة إلا بقدرته ومشيته وهم عاجزون عن إتيان اقل شيء في مملكته إلا باذنه وارادته قال الله عز وجل : ﴿ وَرُبُكَ يَخْلُقُ .. ﴾

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣٥ . اخرج البخاري وابو داود والترمذى والنمسائى وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال كان يعلمنا المسورة من القرآن يقول إذا هم أحذكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخلك بعلمك واستدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري .

﴿وَرِبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ﴾ ٦٩

إذا فهو . لا سواه . الذي له الخيرة إذ يعلم كائنات الصدور وكناناتها ، فلا تخفي عليه خافية منها ، فهو الذي يعلم صالحهم من طلحهم ، تكوينا وتشريعا وانتسابا لرسل وأوصياء ، وانتخابا لآيات الرسالة وموادها كما يعلم بحكمته العالية ، فيختار كما يعلم دون اختيار من سواه إذ لا يعلمون كما ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ﴾ .

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْمَدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٧٠

﴿هُوَ اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا سواه ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ كله لا لسواه ، ﴿فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ فلا يحمد سواه إلا من يحمل رضاه حمدًا متوجهًا في أصله إلى الله ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ لا حكم بجنبه لسواه «واليه» لا سواه «ترجعون» كما منه تبدعون ف ﴿إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

وإنما كلمة التوحيد بأركانها الثلاثة بعد ركني السلب والإيجاب ، فلأنه ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذا ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ في كل حقوله واتجاهاته ، في الدارين ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ تكوينا وتشريعا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هنا في الخلق والأمر ، وهناك في الحساب فالثواب والعقاب ، ثم «هو» هنا كما ترجع إلى الذات المقدسة الغيبية ، كذلك راجعة إلى «ربك» السابق ذكره خلقا واحتيارا وعلما بما تكون صدورهم ، ذلك «هو الله» دون من لا يخلق ولا يختار ولا يعلم كما هو ، ف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الذات والصفات وكافة شعون الألوهية

. عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان ورضي به ويسمى حاجته باسمها.

والربوبية ، توحيد بينة الجهات ، محلقة على كل النشأت ، في الذات وفي صفات الذات ، يزيل كل وحشة ودهشة عن المؤمنين به ، مطمئنا إياهم على أية حال ، في كل حل وترحال.

**﴿فُلَّا رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِضِيَاءِ أَفَلَا تَسْتَعْدُونَ﴾ .٧١**

سرمد الليل . وهو تداومة عذاب . كما سرمد النهار عذاب ، وقد تلمح له «عليكم» هنا وهناك ، و **﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** فيها لاختلاف شروط الحياة في الدارين ، فليكن القياس في المعروف من الحياة الأولى ، وترى كيف يجتمع سرمد الليل وإتيان الضياء فيه وهما لا يجتمعان مهما كان هناك إله يأتي بضياء ، فالمحال محال سواء أكان الله ام لإله سواه؟

ليس القصد هنا إلى تحدي الجمع ، بل هو نقض الإرادة الإلهية في سرمد الليل المعروض ، فلو كان هناك إله يريد ليرحمكم عن بأس الليل السرمد لقسم الزمان إلى ليل ونهار كما قسمه الله ، أو **﴿يَأْتِيْكُمْ بِضِيَاءِ﴾** دون (نهار) هو من تعيم التنازل ، أنه إذا يأتي بنهر فليأت بضياء مهما كان بغير الشمس ، لأن سرمد الليل يقتضي تباعد الشمس لعد لا تضيء هذه الكرة ، وإذا أتي بالشمس فقد أتي . بطبيعة الحال . بكل الليل والنهار قضية حراك الأرض الدورانية .

والقصد من ذلك التحدي ليس هو نقض الإرادة الإلهية ككل ، بل هو تتميمها لو أنه جعل عليكم الليل سر마다 ، فليكن الإتيان بضياء دون نهار فيه استئصال إرادته عن بكرتها .

فالناس متशوقون إلى فلق الصباح حين يطول بهم الليل أيام الشتاء ، أم لا يهنا لهم الليل لعارض يعرضهم ، فيبحّون إلى ضياء الشمس ، فكيف بهم لو فقد الضياء عن بكرته ، فإن سرمد الليل بظلماته يظلم الحياة

ويكدرها ، على فرض إمكانية الحياة إن جعل الليل سردا ، ﴿فَلَا تَسْمَعُونَ﴾ إلى هذه الذكريات التي تواظكم من همود الإلف والعادة في تتبع الليل والنهار؟ .  
 ﴿قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُتْصِرُونَ﴾ ٧٢ .

فالليل سكن والنهار فيه ابتعاء فضل من الله وإبصار ﴿فَلَا تُبْصِرُونَ﴾ إلى ضوء النهار الذي هو فضل وإبصار كيف يصبح عذابا إن كان سردا ، فكلا الليل والنهار رحمة متعادلة معتدلة :

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٣ .

فلكل من الليل والنهار خاصة رحمته ، من سكن الليل وإبصار النهار : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِتَعْوِيمِ يَسْمَعُونَ﴾ (١٠ : ٦٧) . فأصل السكن وضابطه هو في الليل ، كما أصل الإبصار والابتعاء من فضل الله ضابطة في النهار ، مهما تبادلا فيما أحيانا لضرورة معاكسة : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَإِنْجَاوُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٣٠ : ٢٣) .

وآتينا هنا عوان بين الآيتين ، فاللف والنشر المرتب بين ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار﴾ وبين ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ ينحو نحو الأولى ، وعدم ذكر كل بعد كل يلمح إلى الأول ، والأولى أولى لألوية الترتيب ، والثانية هامشية إذا اقتضت الحال ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في الترتيب الأصل ، وفي المعاكسة الفرع ، فإنهما على اختلافها نعمة ورحمة ، قبل الرحمة والنقمـة في سردا الليل أو النهار.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾ . ٧٤

هذه تتكرر هنا بعد آيات ثمان في حجة متصلة متواصلة ، لأنها تجد بعدها ظرفا

راجحا لتكرارها :

﴿وَرَزَقْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ . ٧٥

فمشهد نزع شهيد من كل أمة هو رسولها الذي يشهد بما جاء به واجابته فصدقته أو كذبته ، ذلك المشهد يتلاحم الشراكاء الشهداء المزيفين ، ليكون الشهيد ان بمعرض العرصات بين صفتى الإيمان والكفر ، فيقضي الله امراً كان مفعولاً «فقلنا» للضفة الكافرة ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ وهم خواه خلاء عن كل برهان «فعلموا» علم اليقين بعد ما تباھلوا «أن الحق» كله «للله» دون من سواه ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من شركائهم ، فالشهداء الحق يشهدون عليهم كما يشهدون مل سواهم أو عليهم ، ثم لا شهداء لهم من شركاءهم ، إلا شراكاء في جحيم النار وبئس القرار ولات حين فرار.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبِكَ

مِنَ الدُّنْيَا وَأَحَسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمِيعاً وَلَا يُسْتَأْلَ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِيَّتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ ذُنُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَّنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَكَسَفَ بِنَا وَيُكَانُ اللَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ

الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُعْزِزَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥) وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُنَّ ظَاهِرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

الآيات السبع الأولى عرض عريض عن سيرة أثرى الأثرياء في تاريخ الإنسان ومسيرته

ومصيرته ، وهي تصور الدركات السبع الجهنمية له ولأضرابه

من الطغاة البغات.

ولَا تَحْمِنَا فِي ذَلِكَ الْعَرْضِ مَعْرِفَةً مِنْ هُوَ قَارُونَ؟ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَفَادُ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ دُونَ الْقَبْطِ الْفَرْعَوْنِيِّينَ ، تَأْشِيرًا عَشِيرًا إِلَى أَنَّ الْقَوْمِيَّةَ لَا تَفِيدُ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ الْقَائِدِ الرُّوحِيِّ لِلنَّاسِ ، فَقَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهَا . عَلَى إِيمَانِهِ الْمَدْعِيِّ . لَهُدْ يَصْبِحُ الْنَّحْسُ وَاعْسُسُ مِنْ قَوْمِ فَرْعَوْنَ ، وَقَدْ كَانَ قَارُونَ هَكُذَا ، إِذْ جَاءَ ذَكْرُهِ الْفَصْلُ كَأَصْلِ بَيْنَ الطَّغَوْتِ بَعْدَ فَرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَالْأَلْدَاءِ الْأَشْدَاءِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مَدَارِ الزَّمْنِ حَتَّى مُشْرِكِي قَرِيشٍ ، وَقَدْ نَصَحَّهُ قَوْمُهُ بِإِيَّاهُ مِنَ الشَّرِعَةِ التَّوْرَاتِيَّةِ بِخَمْسٍ هِيَ سَلْبِيَّاتٍ ثَلَاثٍ وَإِيجَابِيَّاتٍ :

**﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوَّا  
بِالْعُصْبَةِ أُولَئِكُو الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾** . ٧٦

إِنْ قَلَةَ الْإِيمَانِ وَضَآلَتِهِ ، بِكَثْرَةِ الْكُنُوزِ وَقَدْ فَرَحَ بِهَا وَرَحَ ، هِيَ السَّبِيلُ لِبَغْيِهِ مَا بَغَى ، فِي حِينِ أَنْ فَرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ يَعْنَوْنَ عَلَيْهِمْ ، وَمَا أَنْسَهَ بَغْيَاهُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ؟

وَقَدْ وَدَعَتْ **﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾** كَمْجَهَلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَحْلِقُ عَلَى كُلِّ دَرَكَاتِ الْبَغْيِ ، عَرَضاً وَنَفْسَاً وَمَالَا وَعَقْلَا وَعَقِيْدَةَ الْإِيمَانِ ، وَهِيَ النَّوَامِيسُ الْخَمْسَةُ الَّتِي يَجِبُ الحِفَاظُ عَلَيْهَا ، وَلَكِنَّهُ بَغَى عَلَيْهِمْ كُلَّ وِيْفِي كُلَّ هَذِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَغْيَاهُ دُونَ الْجَمِيعِ لَأَتَى بِمَا يَدْلِلُ عَلَيْهِ ، فَالْإِطْلَاقُ يَلْمِحُ إِلَى طَلِيقِ الْبَغْيِ ، وَهَكُذَا يَصْنَعُ الْمَالُ بِوَفْرِهِ فِي قَلْبِ مَقْلُوبٍ عَنِ الْهَدَىِ ، مَلِيِّءًا مِنَ الرَّدَىِ ، فَيَبْغِي صَاحِبُهُ بِمَا لَهُ عَلَى كُلِّ الْمُسْتَضْعِفِينَ كَمَا يَهْوَاهُ وَيُسْتَطِعُ ، وَ **﴿إِنَّ إِنْسَانَ لَيَطْغِيٍ. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾** (٩٦ : ٧).

وَالْكُنُوزُ هِيَ الْجَوَاهِرُ الشَّمِينَةُ ذَهَبًا وَفَضَّةً أَمَاهِيهِ ، الْمُخْبُوَةُ تَحْتَ

الأرض ، الفاضية عن الاستعمال وتداول الأيدي ، «وآتيناه» دليل انه ظفر بها بإشارة إلهية دون علم من عنده ، ويكتفي بيانا لعظم هذه الكنوز وكثراها «ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة» وهنا بطبيعة الحال تحل المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) محلها من الواقع أن «كانت أرض دار قارون من فضة وأساسها من ذهب»<sup>(١)</sup>.

وما هي «مفاتحه»؟ أهي «مفاتيحه» جمع مفتاح : ما يفتح به القفل؟ ولا مفاتيح للكنوز ككنور إلا إذا استخرجت إلى غير مخابئها الكانزة ، وإذا لا تسمى كنوزًا! وحتى إذا سميت بها ، أم بقيت في مخابئها وأقفلت ، فلا تصل مفاتيحها لحد «لتنوء بالعصبة أولى القوى»! وأقل العصبة . علّها . عشرة أم تزيد كما في أخوة يوسف ﴿وَلَنْ نُحْنُ عُصْبَةً﴾ وإذا كانت العصبة أولى قوة ، فكل واحد منها يحمل لا قل تقدير مائة كيلو غراما ، فحمل الكل لأقل تقدير ألف كيلو غرام! وذلك . علّه . أثقل من كل مفاتيح الكنوز في الأرض كلها! فيا ويلاه إن كانت العصبة أو أولى القوة عشرة آلاف كما في رواية<sup>(٢)</sup> .

ثم التبعثر في الكنوز خلاف الحيطة للحفاظ عليها فلتجمع في مكانت عدة شاسعة واسعة ، تكفيها لأكثر تقدير كيلو غرام من المفاتيح! ثم «مفاتح» هي جمع مفتح دون المفتاح!

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣٦ . اخرج ابن مردويه عن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : ...

(٢) نور الثقلين ٤ : ١٣٨ في كتاب كمال الدين وثمام النعمة بساندته إلى أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وما يكون أولوا قوة إلا عشرة آلاف.

أم إنها الكنوز نفسها؟ وليست هي مفاتح ، ولا أنها مفاتيح لنفسها! ولا أن حمل العصبة العشرة أولي القوة ، ثروة منقطعة النظير ! .

إنها «مفاتحه» جمع مفتح ، وهو مكان فتح الكنز وهو بابه ، والضمير المفرد الغائب راجع إلى «ما» فقد كانت أبوابها كبيرة وثقيلة لـ ﴿تَنْوِأُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ والنوع هو النهوض بالحمل على ثقل للحامل ، والعصبة من يتussب بعضهم لبعض متضامنين في قواهم كرجل واحد ، ولو كانت هي المفاتيح لكان المفاتيح دون المفاتح ، ولكن تباء بالعصبة لا «تنوء» فهي . إذا . أبوابها العريضة الثقيلة التي تنھض بالعصبة أولي القوة ، كما وأن باب خير كانت لتنوء بالعصبة ونخص الإمام علي (عليه السلام) بفتحها شخصيا دون حاجة إلى سواه! ... ولقد كان مرحباً بما أوتي من الكنوز جامعاً شرها في بغيته بما أوتيه ، فوجد من قومه من يحاول رده من بغيه باستئصال سببه وهو فرجه بكنوزه : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ بما لك فيهيك عمماً يعينك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بأموالهم وعلى أيام حال ، إلا فرحاً بالفوز عند الله ، ولحدّ يشجع صاحبه إلى ما يرضاه الله ، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ...﴾ (٤٠ : ٣٠) ومن سواهم يفرحون بالحياة الدنيا بغير الحق : ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (١٢ : ٤٦) . ﴿ذَلِكُمْ إِمَّا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تُرْحَوْنَ﴾ (٤٠ : ٧٥) . ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا إِمَّا أُوتُوا أَحَدُنَا هُمْ بَعْتَهُ﴾ (٦ : ٤٤) .

ف «لا يحب» يختص بهؤلاء الفرحيين دون أولئك المؤمنين ، ولأن الله يحب فريقاً ويبغض آخرين ، ف «لا يحب» عبارة أخرى عن «يبغض» ، وكما «لا يبغض» هي الأخرى عن «يحب» ، وذلك لأن الله عالم الغيب والشهادة وبيده ناصية كل شيء ، لا انعزالية له عن أيّ من المخلوقين ، فلا ثالث عنده ألا يحب ولا يبغض ، فإنه إما لجهل بمادة الحب والبغض ، أم جهل من

يحملهما! ففرح الرّهـو الذي هو من مخــلفات الاعــتــار بــالــمــال ، والاحــتفــال بالــثــرــاء وــحــســنــالــحــال ، إنه بــطــرــ يــلــهــيــ عــماــ يــعــنــيــ ، وــيــنــســيــ النــعــمــةــ وــالــنــعــمــ وــمــاــ يــتــوــجــبــ عــلــىــ الــنــعــمــ . كما أن فــرــحــ الشــكــرــ بــمــاــ أــنــعــمــ اللــهــ ، مــســتــخــدــمــاــ فيــ ســبــيــلــ مــرــضــاتــ اللــهــ ، تــفــرــيــحــاــ لــلــمــؤــمــنــينــ بــالــلــهــ وــتــفــرــيــحــاــ عــنــ عــبــادــ اللــهــ ، إــنــ ذــلــكــ فــرــحــ الإــيمــانــ كــمــاــ نــرــاهــ مــنــ أــهــلــ اللــهــ ، هــنــاــ وــفــيــ يــوــمــ لــقــاءــ اللــهــ : ﴿فَرِحْيَنَّ إِمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١٧٠ : ٣) فــ «ــ لــاــ تــفــرــحــ بــكــثــرــةــ الــمــالــ وــلــاــ تــدــعــ ذــكــرــيــ عــلــىــ كــلــ حــالــ فــاــنــ كــثــرــةــ الــمــالــ تــنــســيــ الــذــنــوــبــ وــتــرــكــ ذــكــرــيــ يــنــســيــ الــقــلــوــبــ» (١) ، وــذــلــكــ نــهــيــ صــارــمــ عــنــ فــرــحــ عــارــمــ ، وــمــنــ ثــمــ أــمــرــ ثــمــ نــهــيــ ثــمــ أــمــرــ ثــمــ نــهــيــ ، فــإــنــهــمــاــ الــقــائــمــاــ بــالــإــصــلــاــحــ فــيــ الــمــفــســدــiــنــ .

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ . ٧٧

الابتــغــاءــ هــوــ التــطــلــبــ ، فــهــمــ يــأــمــرــوــنــهــ أــنــ يــتــطــلــبــ فــيــمــاــ آــتــاهــ اللــهــ مــنــ الــكــنــوــزــ .

(١) نور الثقلين ٤ : ١٣٨ في كتاب الحصول عن أبي عبد الله عن أبي عليهما السلام قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى (عليه السلام) : لا تفرح .. وفيه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل وفيه : والفرح مكروه عند الله عز وجل ، وفيه عن كتاب التوحيد باسناده إلى أبان الأحرم عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه جاء اليه رجل فقال له : بأبي . وأمي عظني موعظة فقال (عليه السلام) : إن كانت العقوبة من الله عز وجل حقا فالفرح لماذا؟

وفي الدر المنشور ٥ : ١٣٧ عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ وــســلــمــ) : زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فانه معالج جسد خاو وموعظة بلية وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله يوم القيمة.

وسواها من النعم آفاقية ونفسية ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ لا فحسب هذه الأدنى ، إخالدا إليها ، ومشية المكب عليها ، ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ﴾ الحياة «الدنيا» فلا نصيب لك أخيرا فيها إلا الكفن ، إذ لا تسحب معك غيره فتصبحه في الأخرى ، ولا في الأخرى إلا متعها أن تشي ذلك الأركس الأدنى بالحياة العليا ، ولا لك قبلهما إلا قدر الحل من الحاجة المعيشية والزائد عليها وبال هنا وفي الأخرى ، فلتغتنم الفرصة السليمة لك فيها قبل فوات الأوان ، فما لك نصيب من الدنيا فيها وفي الأخرى إلا هذه الأربع ، من ينساها أخلد إلى الأرض واتبع هواه وكان أمره فرطا ، و ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لا «فيها» مما يدل على ان النصيب منها يعني صالح الدارين ، فالحياة الدنيا لكل على قصرها هي بكل جنباتها نصيب المتع للأخرى ، فليتزود منها لها ، من نسي النصيب المتع أقبل إليها مبصرا إليها فيعمى ، ومن تمنع بها للأخرى مبصرا بها بأبصره.

فالذاكر نصيب الحاجة من الدنيا يوسع على خلق الله فيما زاد عنها <sup>(١)</sup> والذاكر نصيب رأس المال فيها مالا وحالا يتجر بها للأخرى <sup>(٢)</sup> والذاكر نصيب الكفن منها لا يطمئن ويركن إليها ، «وأحسن» إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ «وأحسن» في نفسك أعمالك الله <sup>(٣)</sup> ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

(١) نور الثقلين ٤ : ١٣٩ في الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤتى يوم القيمة برجل فيقال : احتج ، فيقول : يا رب خلقتني وهديتني وأوسعت علي فلم أزل أوسع على خلقك وأيسر عليهم لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسيره فيقول رب جل ثناءه تعالى : صدق عبدي أدخلوه الجنة.

(٢) المصدر عن معانى الأخبار بسانده الى موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال حديثي أبي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الآية قال : لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك ان تطلب بها الآخرة.

إحساناً بإحسانٍ وain احسان من إحسان.

ف «أحسن» حالاً ومالاً واعمالاً ، كما وكل ذلك مما ﴿أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وذلك تمثيل المخارقة ، وإلاًّ فما احسان العبد بجنب إحسان الله بشيء يذكر!

﴿وَلَا تَنْبُغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> بما أحسن الله إليك ، جزاء الإحسان بالإساءة ، ولا تبدل نعمة الله كفراً تحلّ بها نفسك وذويك دار البوار. جهنم يصلونها وبئس القرار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ وهو يبغضهم ، فالمال والشراء ذريعة ضارعة هارعة إلى كل إفساد في الأرض عرضاً وعقلاً وعقيدة ونفساً ومالاً ، لا سيما إذا كان بأيدي مردة الشياطين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

ولأن هذه النصائح كانت مستأصلة لزهوة الشراء ، والالتهاء بالنعماء ، فهو بزعمه يستأصل أن تكون كنوزه مما آتاه الله ، قائلاً في جواهم قولته السكدة الجاهلة :

﴿قَالَ إِنَّا أَوْتَيْنَا عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثُرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ﴾

(١) المصدر في مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) فساد الظاهر من فساد الباطن ومن أصلاح سريرته أصلح الله علانيته ومن خان الله في السر هتك الله سنته في العلانية ، وأعظم الفساد أن يرضي العبد بالغفلة عن الله تعالى وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكثير كما أخبر الله تعالى في قصة قارون : ولا تبع الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده ، وأصلها من حب الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وهوها وإقامة شهواتها وحب الحمد وموافقة الشيطان واتباع خطواته وكل ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منه.

## الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

ذلك الجواب . في زعمه . يستأصل كل تأنيب في هذه التساؤلات المتبعة ﴿آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُز﴾ بـ ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ فلم يؤته الله اياتي . لو آتاه . دون علم وجدارة ، وقد تلمح «أوتته» دون ﴿آتَاهُ اللَّهُ﴾ أنه أتي إياه على علم منه دون مشية من الله ، فالأول إشراك بالله في ذلك الإيتاء ، والثاني إلحاد فيه بتوحيد العلم في ذلك الإيتاء! أن ليس لله أي مدخل فيه حتى إذا لم يكن على علم عندي ، صدفة فيه أم تقصدنا من سوى الله . وهذا مزعuman للأكثرية الساحقة من أتوا مالاً أو منالاً ، موحدين أو مشركين أو ملحدين ، مهما استثنى الأولون عن الإلحاد في الإيتاء : ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلَنَا نِعْمَةً مِنَا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قد قالها الذين مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُؤُلَاءِ سَيُصْبِيْهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ . أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَنْقُدُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٩ : ٥٢).

وتلك القولة الفاتكة من قارون هي قوله المغرور المطموس الناسي مصدر النعمة وصادرها حيث تعميه الشراء ، قاله خاوية مكرورة على مرّ الزمن للأكثرية المطلقة من أوتتها مهما اختلفت دركاتها فيما تعنيه.

وتراه ماذا عني بقالته القالة : ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ مع العلم انه يحصر إيتاءه به مهما كان الإيتاء من الله أم سواه؟  
 أهو علم التوراة؟ وقد أتي موسى وسائر المسلمين أكثر منه يوحى صارم لا دخيل فيه ، ولم يؤتوا كنوزا كما أتي ! وكان ذلك يكفيه نقضا لما ادعاه ، دون النقض بإهلاك قرون قبله !.  
 أم علم جمع المال؟ ولا يختص به علمه! فكثير هؤلاء الذين يعلمون

ما يعلمه واكثراً ولا يؤتون معاشر ما أويت! ثم وما هو . إذا . دور «عندِي» وكان يكتفيه «علمِي»!

إم إنه علم محال الكنوز؟ وقد تؤيده «عندِي» اللاحمة إلى اختصاصه به ، كما وأن «على» الإحاطية هنا ، تجعله يحيط علماً بمحال الكنوز! والكنوز مع العلم بمحالها هما من الله! .

أم إن «عندِي» تعني رأيه الخاص ، فـ«عندِي إنما أويته على علم» مني يحيط بمقدار الكنوز أما ذا من علم مدعى؟ وإيتاء الكنوز على أية حال ليس إلا من الله امتحاناً أم امتحاناً!

وعلى أية حال يدعي أن **﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾** هو فقط السبب لذلك الإيتاء ، فقد أويته بجدرة واستحقاق ، سواءً أكان المؤتي هو الله أم سواه فلي التصرف فيه كما أريد ، فلا حق لله ولا لمن سواه فيما يختص بي.

وهنا الجواب كلمة واحدة مشيرة إلى سواها **﴿أَوْلَمْ يَعْلَمُ﴾** معطوفاً على مذوف معروف كـ:

الم يعلم ان كثيراً من كان على علمه وأعلى لم يؤت ما أويت ولا معاشره ، فليس إذا **﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾** وإن لم يعلم ذلك لحمقه في عمقه **﴿أَوْلَمْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْفُرُونِ﴾** الماضية **﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾** كفرعون ونمrod وشداد بإرمه ذات العمداد ، فإن كانت هذه الكنوز أوتيت على علم ، فلما ذا الإفساد بها في الأرض وذلك جهل ، وليس من يحصل على نعمة بسعي وعلم ان يهد لها نعمة ويفسد بها ، وإذا أويته على علم ، فيعلم هو طرق الحصول على كنوز ، فكيف لم يعلم ان ليس كل ذي علم يؤتى ما أويته ، **﴿أَوْلَمْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ ..﴾** وعلم تحصيل المال أجهل من كل جهل إذا لم يعلم كيف يتصرف فيه ، ولم يعلم ما هو مصير المفسدين بأموالهم في الأرض! وذلك هو العلم النافع البارع أن يحجز صاحبه

عن وبال المال على أية حال ، لا . فقط . ما يجمع به المال ، إن صح أن العلم هو الذي يجلب الأموال ! .

فالشرعية الإلهية تحدد الملكية الفردية تحصيلاً بكيفيتها ، وتحميها وتصريفاً ، فلها في كل هذه الثلاث حدود مقررة في كتابات الوحي ولا سيما القرآن والسنة الحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فليكن تحصيل المال بوجه مشروع ، وإيقاؤه وصرفه بوجه مشروع ، والتخلف عن شرعة الاقتصاد قد يكون ثالوثاً محظياً في زواياه الثلاث ، أم حلاً في اقتناءه محظياً في الآخرين ، أم وحلاً في مصارفه محظياً في إبقاءه ، أو معاكساً له ، فلا حرية . إذا . في التصرفات الاقتصادية مصرفيًا بحججة الحال في اقتناء المال .

فكمما أن الحصول على المال بغير الحال إفساد في الأرض ، كذلك إبقاءه تكيناً ، أم صرفه بغير وجهه ، هما أيضًا إفساد في الأرض .

فهاب إن قارون أويَّ كنوزه بحلٍّ كما تلمع له «وآتيناه» . ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أم على جهل ، ولكنها على أية حال مال الله يؤتاه هو وأحزابه فتنـة وابتلاء ، وأصحاب الأموال الطائلة إنما هم مستخلفون فيها إنفاقاً صالحاً دون إسراف ولا تبذير : ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ (٥٧ : ٧) فالمختلف عن الإنفاقات الصالحة ، تكيناً أم تصريفاً غير صالح ، هو من المفسدين في الأرض ، المهددين بالدماء والبوار ﴿جَهَنَّمَ يَصْلُوُهَا وَبِئْسَ الْقُرْأَنُ﴾ : ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ . ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسُنٌ وَلَا جَانٌ ..﴾ . إذ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْتَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٥٥ : ٤١) .

وهذا السؤال المنفي هو الاستعلام ، حيث الملك العلام يعلم كل إجرام فلما ذا . إذا . سؤال الاستعلام ، لا هنا عند ما يهلكون ، حيث

بياغتهم عذاب الاستئصال ، ولا هناك مهما سئلوا سؤال التنديد والإفحام دونما استفهم : **﴿وَقُفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون﴾** (٣٧ : ٢٤) ، وعذاب الجرمين مباغتة دون تساؤل الاستعلام ، فهو عذاب فوق العذاب ، وهذا هو مصير الأثرياء المفسدين في الأرض بشرواهم الهائلة ، ولا سيما هؤلاء الذين يحصلون عليها بغي ، بسعى أم دون سعي . تلك النصيحة الفسيحة الفصيحة لم تزد صاحب الكنوز إلا عتوا ونشوزا ، وإفسادا في الأرض أكثر مما كان :

**﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾** . ٧٩

«على» هنا تلمح لخروج عال غير متعدد إظهارا لقوته الزاهية وشكوكه العالية «في زينته» كأكثر ما يمكن ، فقد خرج بمسرح هذه المسيرة الغالية في كل زينة له ممكنة ، ليقطع ألسنة الناصحين ، ويقمع الحاسدين عليه الناقمين ، فقد تصدق ما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه «قال في اربعة آلاف بغل يعني عليه البزيون»<sup>(١)</sup>.

في ذلك الخروج ينقسم قومه قسمين : **﴿الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** و **﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾** والأولون وهم الأكثري الساحقة في كل زمان ومكان ، هم الذين تستهوي زينة الحياة قلوبهم وتبهرون دونما تطلع إلى الحياة العليا ، فتهافت نفوسهم كما الذباب على الحلويات ، وتهماوى في هوات ، سائلة لعابهم على ما في أيدي الأثرياء ، ذوي الرينة والكرياء ، يتمنون لو أن لهم مثل ما لهم ، إذ هم - فقط - يريدون الحياة الدنيا ، ويرونها الحظ العظيم ، وذلك

(١) الدر المثور ٥ : ١٣٨ ، اخرج ابن مردوية عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

**﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾** قال : ...

هو الجهل القاحل : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٣٠) : ٧) . ﴿فَأَغْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (٥٣) . (٣٠) :

و «يا ليت» التحسير لهؤلاء المجهولين يخلق على حياتهم غصة على غصة العدم ، متجاهلين عن أسباب الشراء ومسئولياتها وخلفياتها ، فأما الآخرون :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَيُلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ . ٨٠.

«العلم» هنا هو الناصح صاحبه وذويه ، فهو علم الإيمان والمعرفة الربانية ، إيمانا صالحا بالتوحيد والوحى واليوم الآخر ، دون مجرد الصالحات الجامدة التي تحجب عن ذلك العلم بدل ان تكون نورا ، فهو . إذا . العلم الذي يخشع صاحبه أمام ربه دون إلهاء ، ف ﴿إِنَّمَا يَنْخَشِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَمَاءُ﴾ (٣٥) .

و قضية ذلك العلم النور أن ينير الدرب على المظلومين ، دون كتمان عنهم ولا ضئنة ، وهنا ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ أدوا واجب النصيحة البالغة لهؤلاء المجهولين «ويلكم» وهي إما تركيبة عن «وي . لكم» أم مخففة عن «ويل . لكم» وما متقابلا معنى ، هتافا عليهم بتاؤيه من قولتهم الجاهلة ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ وما أوتى قارون شر ، فلا تعني «خير» هنا المعدّاة بـ «من» تفضيلا ، إذ لا فضل فيما أوتى حتى يفضل عليه ثواب الله .

ومن ذا الذي يناله ذلك الثواب ؟ ﴿لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ والثواب الناتج عنهما يعم النشأتين ، فإن منه النصرة الربانية : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ الْأَشْهَادُ﴾ (٤٠) : ٥١) كما منه اللذات الروحية من عبادة الله وزلفاه ، ولقد كان

رسول الله (صلى الله عليه وآلـه

وسلم) إذا همه أمر استراح إلى الصلاة فانها كانت قرة عينه في الحياة.

**﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾** وترى ماذا تعني «ها» والسابق عليها **﴿ثَوابُ اللَّهِ﴾**

مذكرا لا يتحمل ضمير التأنيث؟

التلقية هي التفهيم كما التلقى هو التفهم ، ولكن تفهم يلقى شعاف القلب ، فهو أخص من التلقن ، ولقد عد الصبر هنا ظرفاً لذلك التلقى ، وليس هكذا صبر إلا من حسائل الإيمان والعمل الصالح ، فقد تعني «ها» تلك العظمة . سواء أكان استثناء «الصابرون» من الذين أوتوا العلم ، أم تلحيقه معتبرة من الله ، فلا تصل هذه العظة إلا إلى «الصابرون» على فتنة الحياة وزينتها وإغرائها ، و «الصابرون» على حرمانها ، فهم أعم من اوتى متع الحياة ومن حرمها ، بل والصبر على وجданها أحجى وأقوى.

هؤلاء الصابرون ، وهم المؤمنون العاملون الصالحات ، هم يلقون هذه العظة من قبل

الله وأهل الله فيتقونها.

وأما رجوعها إلى هذه الثلاث **«ثواب الله . آمن . عمل صالح»** فغير صواب ، حيث الصبر هكذا هو من مخلفات الإيمان والعمل الصالح ، فكيف يلقىان مع الشواب للصابرين ، اللهم إلا إيماناً أؤمن ، وعملاً صالحًا أصلاح ، هما من خلفيات ذلك الصبر ، وهذا من باب الاستخدام ، أن لا يلقي ثواب الله ومزيد الإيمان والعمل الصالح إلا الصابرون ، إلا أن ثواب الله هنا يتبع أصل الإيمان والعمل الصالح لا مزيدهما ، والتلقية التفهيم لا تناسب واقع هذه الثلاث أم سواها ، فهي إذا تلقية العظة ، فلكل عظة ظرف له صالح ، وهذه العظة ظرف الصبر على زخارف الحياة الدنيا لمن أويتها أو حرم عنها.

هنا . وقد بلغت فتنة الزينة ذروتها . حيث تتهافت أمامها بعض النفوس المؤمنة وتتهاوى فضلاً عن سواها . هنا من الرحمة الربانية ان تتدخل يد القدرة ، تحطيمًا للغرور الجاهل الفاحل ، وحافظًا على ضعاف الإيمان :

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ . ٨١

ومهما كان مع قارون . في خروجه بزنته . أهله وهوامشه ألم يكونوا ، فالخسف حسب هذا النص خصه دونهم ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ﴾ قارون «وبداره» التي كان فيها . بطبيعة الحال . قسم عظيم من ثروته ، فقد ابتلعته الأرض بداره ، هاوليا فيها بلا فعة ينصرونه من دون الله ، حيث تركته وشأنه الشائن ، كما هو دأب الهوامش المتملقين دائمًا أنهم شركاء في رغد العيش فإذا جاء البلاء فحيدى حياد! ولا فحسب ان لم تنصره فته ، بل ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ يائسا عنهم ، بائسا في الخسفة! .

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَنَّنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا حَسَفَ بِنَا وَيُكَانُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ . ٨٢

﴿الَّذِينَ تَنَّنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ وهم ﴿الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وما كانوا من الصابرين على زهرتها وزهوتها ، ولم يلقو العزة من الذين أوتوا العلم ، هم الآن . وقد رأوا كيف خسف الله به وبداره الأرض . يتبعون قليلا ﴿وَيُكَانُ اللَّهُ ..﴾ دون ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ إذ لم يبلغوا بعد إلى اليقين بأن الله يبسط ويقدر ، ولا أنه لا يفلح الكافرون ، وإنما» ويُكَانُه» في النفي والإثبات فهم بعد في سبات ، وعلى أية حال وقفوا يحمدون الله أن لم يستجب لهم ما تنووه بالأمس وهم يرون مصير قارون وهو رأس الزاوية! فاما الشراء هي ابتلاء قد تعقبها البلاء ، فقليل هؤلاء الأثرياء الذين لا ييدلون نعمة الله كفرا ونعمـة ، وكثيرهم الكافرون .

وهنا يسدل الستار على الفريقين ، نقلة إلى ضابطة صارمة للناجحين في هذا الميدان:

**﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . ٨٣**

إن الدار الآخرة بالزلفى والمكانة العليا ، «تلك» البعيدة المدى ، العالية الصدى ،  
الغالية المدى **﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾** الحسنى ، حصيلة لحسنى الأولى «تجعلها» تكوينا وتشريعا  
**﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾** أيا كان ، وحتى في منصب العدل والحكم الحق ، إذ لا  
يريدون في ذلك الحقل إلا تحقيق الحق وإبطال الباطل ، وما العلو الحكم عندهم إلا ذريعة  
لذلك ، وكما أشار إمامهم أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى نعله المخصوص قائلا : «والله  
هي أحب إلي من إمرتكم هذه إلا أن أقيم به حقا أو أبطل باطل». فالعلو في الأرض لهم  
غير مراد ، ثم **﴿وَلَا فَسادًا﴾** بعلو وغير علو ، والعلو أيا كان يستتبع فسادا مهما كان لأهل  
العدل إلا من عصم الله وهداه.

فارادة العلو هي بطبيعة الحال من أقوى مصاديق الفساد في الأرض ف **﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِجِّلُكَ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّا يُحِصِّمُ . وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقِ اللَّهُ أَخْدَتُهُ الْعِزَّةُ بِالْإِيمَانِ فَحَسِبَهُ جَهَنَّمُ وَلَبِسَ الْمِهَادُ﴾ (٢٠٦ : ٢) ... وليس ان إرادة العلو في  
الأرض متنوعة . فقط . لألد الخصوم ، بل وعدول المؤمنين ، لأن كراسى الحكم مازق بطبيعة  
الحال ، وقل من ينجو منها ، وقد يروى عن رسول المهدى (صلى الله عليه وآلہ وسلم) قوله  
في الآية : «التجبر في الأرض والأخذ بغير الحق» (١)**

(١) الدر المنشور ٥ : ١٣٩ . اخرج الحماملي والديلمي في مستند الفردوس عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في قوله **﴿تِلْكَ الدَّارُ ..﴾** قال : ...

و «لما دخل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) عدي بن الحاتم ألقى إليه وسادة فجلس على الأرض فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : أشهد انك لا تبغي علوا في الأرض ولا فسادا فأسلم»<sup>(١)</sup> و «أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم ﴿إِنَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ألا تعلوا على الله في عباده وببلاده فان الله تعالى قال لي ولكم ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ جَعَلْنَا لِلنَّاسِ لَا يُرِيدُونَ عُلُّوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن وصيه وخليفته في أمته علي امير المؤمنين (عليه السلام) «فلما نھضت بالأمر نکثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه انه يقول ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ..﴾ بل والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقبهم زيرجها»<sup>(٣)</sup>.

فقد يعني منها اني لست من هؤلاء الذين يريدون علوا في الأرض ولا فسادا فلما ذا .

إذا . ثالوث النکث والمرور والفسق ، فلا يصلح لولایة أمور المسلمين إلا مثلی ، وكما يقول «نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من ساير الناس»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر . اخرج ابن مردویه عن عدی بن حاتم قال لما دخل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عدی بن حاتم ..

(٢) نور الثقلین ٤ : ١٤٣ في امالي الطوسي باسناده إلى ابن مسعود انه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلام طويل : ...

(٣) المصدر عن نهج البلاغة عنه (عليه السلام).

(٤) عن مجمع البيان وروى زادان عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه كان يمشي في الأسواق وهو واليرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرء هذه الآية ويقول : نزلت ...

أجل فقد «ذهبت والله الأمانى عند هذه الآية»<sup>(١)</sup> أمانى العلو في الأرض حتى  
للمؤمنين العدول فضلا عن سواهم!

وهذه الآية طليقة في التنديد بمن يريدون علو في الأرض أيا كان فتنونين التنكير تنكير  
على تلك الإرادة على آية حال ، وحتى «ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله أجود من  
شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها»<sup>(٢)</sup>!

فإرادة العلو في الأرض دركات أسفلها ارادة القيادة الكبرى للأمة ، وأدناها إرادة  
الأجود من المال أو الحال ، إلا أن يتغى مرضات الله وتحقيق شرعة الله ، وكثير هؤلاء الذين  
يريدون علو كذرية **﴿وَإِذَا تَوَلَّ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾** وكما  
نراه على مدار الزمن الرسالي للرساليين فضلا عن سواهم.

وفي كلمات الإمام علي (عليه السلام) حول قيادة الأمة نbras ينير

(١) المصدر عن تفسير القمي حديثي أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) يا حفظ! ما منزلة الدنيا من نفسي إلا منزلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها ، يا حفص إن الله تبارك وتعالى علم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون فحمل عنهم عند اعمالهم السيئة لعلمه السابق فيهم ، فلا يغرنك حسن الطلب من لا يخاف الفوت ثم تلا قوله : تلك الدار الآخرة .. وجعل يبكي ويقول : ذهبت والله الأمانى عند هذه الآية ، قلت : جعلت فداك بما حد الزهد في الدنيا؟ فقال : قد حد الله عز وجل في كتابه فقال : **﴿لَكِنَّا لَّا تُسْأَلُ عَنِ مَا فَعَلْتُمْ وَلَا تُهْرَجُوْنَا بِمَا أَتَيْتُمْ﴾**.

وفيه عن كتاب سعد السعود وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال : ان الرجل ليعجبه ...

(٢) المصدر ١٤٤ سلام الأربع عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

الدرب على من يريدون صالح الحكم بلا علو في الأرض :

فحينما تجتمع عليه الأمة الحائرة المظلومة . قاصرة ومقصورة . ليتابعوه يقول : «دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمحاجة قد تنكرت واعلموا إن أجابتكم ركبتك بكم ما أعلم ولم أصح إلى قول القائل وتعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسعكم وأطوعكم لمن وليتهموا أمركم وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا» <sup>(١)</sup>.

«وبسطتم يدي فكشفتها ومددتموها فقبضتها ثم تداككتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطيء الضعيف وبلغ من سرور الناس بيعتهم إياي أن ابتهج بما الصغير وهدح إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعب» <sup>(٢)</sup>.

«فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون : البيعة البيعة ، قبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجذبتموها» <sup>(٣)</sup>.

«فما راعني إلا انتقال الناس حولي كعرف الضبع يتشالون علي حتى لقد وطيء الحسنان وشق عطفا مجتمعين حولي كربضة الغنم» <sup>(٤)</sup>.

«إني إلى لقاء الله مشتاق وإلى حسن ثوابه لمنتظر راج ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاءها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في

(١) نوح البلاحة الخطبة ٨٨ ص ١٨٢ عده.

(٢) الخطبة ٢٢٤ ص ٢٤٩.

(٣) الخطبة ١٣٣ ص ٢٧.

(٤) الخطبة الشقشيقية ١٣٣ : ٢٧.

الإسلام ، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليكم وتأنيكم وجمعكم وتحريضكم ولترككم إذا أبیتم وونیتم<sup>(١)</sup> : «اما والذی فلق الحبة وبرء النسمة لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كثرة ظالم ولا سغب مظلوم لأقيت حبلها على غارها ولسقیت کأس آخرها بكأس أو لها ولأقيت دنیاکم هذه أزهد عندي من عطفة عز»<sup>(٢)</sup>.

«فو الله لأسلمن ما سلمت أمر المسلمين ولم يكن جور إلا علي خاصة»! ...  
 «فقمت بالأمر حين فشلوا ، وتطلعت حين تمنعوا ، ومضيت بنور الله حين وقفوا ، وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوتا ، فطرت بعنانها ، واستبدلت برهانها ، كالمجبل لا تحركه العاصف ولا تزيله القواصف ، لم يكن لأحد في مهمز ، ولا لقائل في مغمز ، الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوى عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه ، رضينا عن الله بقضائه وسلمنا لأمره»<sup>(٣)</sup>.

اجل وان هؤلاء الطيبين لا يقوم في نفوسهم خاطر العلو في الأرض والاستعلاء  
 بأنفسهم لذوات أنفسهم ، ولا يهجمس في قلوبهم الاعتزاز باشخاصهم ، فانما يتوارى شعورهم  
 بأنفسهم ليملأها الشعور بالله وإعلاء كلمة الله.

(١) الكتاب ٦٢ ص ١٣١ عبده.

(٢) تتمة من الخطبة الشفشقية.

(٣) الخطبة ٣٦ ص ٨٤ . أقول : راجع كتابنا علي والحاكمون تجد فيه تفصيل البحث عن حق الحكم والولاية  
 الحقة.

**﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْتَقِيْنَ﴾** وهي الحياة العاقبة لمسيرة الحياة ومصيرته لمختلف الأحياء ، هنا في الرجعة وهناك في البرزخ والقيمة ، والمتقون هنا هم الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، فضلا عن أن يحاولوا الاستعلاء ، اللهم إلّا إعلاء لحكم السماء في أرض الله .

**﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيْئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيْئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** ٨٤

على «الحسنة» هنا هي الحياة الحسنة المخلقة على العقيدة والنية والعمل ، والسيئة خلافها ، و **﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾** هي أضعافها بادئة من عشرة **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهِ ..﴾** (٦ : ١٦٠) وهذه ضابطة ثابتة ، وقد تزيد حسب مزيد الحسنة أثرا وكيانا كما في آيات ، ولأن السيئة لا يجازى بها صاحبها إلّا العملية ، دون سوء النية **﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيْئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**.

فالحسنة المضاعفة الجزء يعم الأعمال والنيات والطويات ، والسيئة المكافحة تخص الأعمال دون النيات ، وأما العقائد السيئة فبارزة الأعمال فيها داخلة في الأعمال ، وسيئه العقيدة دون عمل تشملها الآيات الواعدة سيئي العقائد النار ، أم هي داخلة في **﴿عَمِلُوا السَّيْئَاتِ﴾** شهولا لأعمال القلوب والقوالب ، وليس النية عملا ، بل هي نية العمل ، يثاب على حسناتها دون سيئتها ، ثم **﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** حصر لجزء السياسات على قدر الأعمال ، فنفس العمل السيء هو جزاءه إذ يبرز بحقيقة يوم تبلى السرائر ، وليس غير المحدود صورة واقعية للسيئة المحدودة إلّا مزيدا غير محدود وهو ظلم **﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾** !

ثم **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ ..﴾** تحدد موقف الحسنة والسيئة أنه حين

المجيء إلى عالم الجزاء ، فالحسنة . إذا . هي عاقبة الحياة الحسنة ، مهما كانت سابقتها أيضا حسنة أم سيئة .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ﴾ . ٨٥

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ هو الفرض الرسالي تلقياً لوحيه وتفهمها له وتطبيقها بنفسه وتبلیغاً للمرسل إليهم ، وقد ذكر من فرضه عليه تلاوته ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ..﴾ (٩٢ : ٢٧) و﴿وَأَنْلَمْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (٢٧ : ١٨) ﴿يَتَلَوُا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْيِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

ولأن القرآن هو الوحي الأخير الشامل كافة المكلفين إلى يوم الدين ، ففرضه الرسالي البلاغي هو البلوغ إليهم أجمعين ، وبآخر منزل وحيه الأول أم القرى فانها عاصمة الدعوة القرآنية .

ثم ﴿لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ وهذه آية منقطعة النظير في صيغة الفرض والرد إلى معاد ، مما يضخم أبعاد رده (صلى الله عليه وآله وسلم) الموعود إلى معاد ، فما هو «معاد»؟ أتراه معاد الآخرة إلى الجنة (١)؟ ولم يكن فيها حتى يرد إليها! والصيغة الصالحة له «الجنة» دون «معاد» منكرا ، ولا حتى «المعاد» معرفا ، لأنها اليتيمة التي تحمل لفظ «معاد» دون سواها من كل آيات المعاد!

(١) الدر المنشور ٥ : ١٤٠ . اخرج الحاكم في التاريخ والديلمي عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لرادك إلى معاد «قال : الجنة.

أَمْ هُوَ الْمَوْتُ (١)؟ لَمْ يَكُنْ مِّيتاً حَتَّىٰ يُرْدَ إِلَى الْمَوْتِ! وَلَا يَخْصُهُ ذَلِكُ الرَّدُّ الْمَمْنُونُ فِيهِ  
عَلَيْهِ! ثُمَّ وَلَا مُنْتَهَىٰ فِي الْمَوْتِ مَا دَامَتِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَدْرَسَةُ الْآخِرَةِ! .

أَمْ هُوَ الرَّجْعَةُ أَيَّامُ الْمَهْدِيِّ الْقَائِمِ عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ (٢)؟ وَلَا يَنْسَبُ خَصْوَصَهَا  
الْمَقَامُ وَلَا الْطَّمَانَةُ الْحَاضِرَةُ لَخَاطِرِهِ الْخَطِيرِ عَنْ بَأْسِ الْمُشْرِكِينَ!

أَمْ هُوَ الرَّجْعَةُ إِلَى مَكَّةِ الْمَكْرُمَةِ (٣)، رَدًا إِلَيْهَا بَعْدَ هَجْرِيَّةٍ؟ وَالسُّورَةُ مَكِيَّةٌ وَلَا يَهَا جَرِ  
النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَدِينَةِ! .

«مَعَادٌ» هُنَا كَأَصْلٍ فِي الْمَوْعِدِ رَدِّهُ إِلَيْهِ هُوَ فِي الْحَقِّ مَكَّةَ الْمَكْرُمَةَ، وَقَدْ

(١) المصدر . اخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري «لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ» قال : الموت .

(٢) نور الثقلين ٤ : ١٤٤ عن تفسير القمي حدثني أبي عن حماد عن حرزي عن أبي جعفر عليهما السلام قال : إنه سئل عن جابر فقال : رحم الله جابرًا بلغ من فقهه انه كان يعرف تأويل هذه الآية يعني الرجعة وفيه عنه حدثني أبي عن النضر بن سويد عن يحيى الحنفي عن عبد الحميد الطائي عن أبي حald الكابلي عن علي بن الحسين عليهما السلام في الآية قال : يرجع نبيكم (صلى الله عليه وآلها وسلم) وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم .

(٣) الدر المنشور ٥ : ١٣٩ . أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال لما خرج النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) من مكة فبلغ الحجفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله : ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد إلى مكة وفيه اخرج ابن مردويه عن علي بن الحسين بن وائده قال : كل القرآن مكية أو مدين غير قوله : ان الذي فرض ... فانما أنزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قبل الهجرة فهي مكية نزلت بمكة أو بغيرها من البلدان ، وكل آية نزلت بالمدينة بعد الهجرة فانما مدينتها نزلت بالمدينة أو بغيرها من البلدان .

أقول : وقد أخرج إلى مكة في تفسير إلى معاد عن ابن عباس ومجاهد .

نزلت الآية في غضون هجرته عنها إلى المدينة ، بالغ الحجفة ام دونها ام ولما يخرج من الغار ، إذ تكفي في نزولها حالة الهجرة ، ثم وجو السورة المستعرضة قصص موسى ومن أهمها رجوعه إلى «معاد» الدعوة الرسالية «مصر» يناسب وعد هذا الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بردہ إلى معاد الدعوة الرسالية وهو مكة المكرمة ، فكما خرج موسى من مصرها ربا مطاراتا يتربّب ، كذلك الرسول محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ، وكما وعد موسى ان يرد إلى معاد الدعوة كذلك الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فامض يا رسول الهدى في مهجرك ، ودع امر الحكم فيما بينك وبين قومك الله الذي فرض عليك القرآن ، وانما سمي مكة معادا لأنّه مكان العود ، وعد محظوظ في ذلك الرد لحد يسمى مكانه «معاد» كما وسمى مكة معاد لكل مسلم على مدار الزمن ، أخذنا من رسالتها المحمدية وعودا إليها.

كما وهي معاد

الحج و Miyadah .

ف ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحُقْقِ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ (٨ : ٥)  
 كذلك ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ . ذلك تفسير رده إلى معاد ومن تأويليه رده بعد موته إلى معاد الرجعة ، فكما «معاد» إلى مكة المكرمة كان له فتحا مبينا ، كذلك معاد الرجعة حيث الدولة الأخيرة الإسلامية العالمية ، وقد رد إليه معه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) عترته المعصومون وسائر النبيين وكل من محض الإيمان محضا ، كما يرد إليه كل من محض الكفر محضا ، وقد يعود في معاد رجعته إلى معاد هجرته فهما معا . إذا .  
 مكان عوده قبل مماته وبعده ، وقد يعني تكبير «معاد» جنسه الشامل لمعاد الدعوة ومعاد الرجعة ومعاد القيامة ، والرد إلى الأخير اعتبارا إلى لقاء الله ف ﴿إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فلو عني واحدة من هذه لعرف : «المعاد» .

ف «قل» على أطلال تلك البشرة السارة بكل قوة وسداد ، لهؤلاء الذين كفروا بك وانكروك وأخرجوك «ربى» الذي رباني هذه الرسالة القرآنية المفروضة على **﴿أَعْلَمُ مِنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾** وذلك لاتح من التربية الرسالية الباهرة في ، وهو **﴿أَعْلَمُ ... مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** وقد بيّن ذلك في «معاد» مكة و «معاد» الرجعة ، ثم في «معاد» يوم القيمة! ذلك رجاءك بما نعدك غير مكذوب ، كما وألقينا إليك الكتاب ولم تك ترجمه :

**﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ . ٨٦**

**﴿مَا كُنْتَ تَرْجُوا﴾** حيث المعدات . المتعودة العلمية لتلقي ذلك العلم القمة . منفيّة ، ومكة بلدة جاهلة قاحلة ، والفترّة البعيدة الرسالية ، وقومك اللّد ضد الرسالة ، هذه واضرابها مما تقطع الرجاء عن إلقاء ذلك الكتاب الكافل للدعوة العالمية في الطول التاريخي بالعرض المغرافي.

و **﴿أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾** دون ان ينزل ، لمحّة أخرى إلى عدم الرجاء ، حيث الملقي إلى مكان قد تلغى فيه ظرفية المكان ، وكل ذلك اليأس هو قضية الحالة الظاهرة ، ولكنما الهمة الباطنة الراهرة ، كانت تتطلب تلك الرسالة الباهرة ، ف **﴿مَا كُنْتَ .. إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** حيث رياك تربية خفية حفية لتلك الرسالة البهية ، ليناسب منزل الوحي نازله ، مهما لم يكن يرجوه صاحب المنزل.

و **﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** استثناء متصل إذ كانت رحمة ربّه له مرجوة ، عائشة بين **﴿مَا كُنْتَ تَرْجُوا﴾** كنفسه بظروفه آفاقية وانفسية مهما كان بالغ القمة المعرفية ، وبين **﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** إشراقة رحيمية من ربّه الذي رياه لهذه الكرامة الكبرى والدرجة العليا ، فجملة القول في هذه الآية هي الحالة

## العون لرسول الهدى بين الخوف والرجاء!

إذا فلم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتطلع إلى الرسالة ، فانها اختيار الله له كما لسائر الرسل ، حيث المعرفة مهما كانت قمة لا تتطلب بعفدها الانتصار للرسالة ، فهي رحمة من الله و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حِينَ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ رحمة غالبة توهب للمتأهلين كما يعلم الله وبختار ، دون المتطلعين ، وقد اختار للرسالة الأخيرة من لم يتطلع إليها ، بل ولم يرجها ، أو لم ير نفسه مستأهلا لها تطامنا لله واتكالا على رحمة الله؟ .

أو كان يرجوها ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ الذي رباك تربية تؤهلك لهذه الرسالة السامية ، رجاء رحمة من ربك ، وعدم الرجاء اعتبار بنفسك كأحد من الناس مهما كانت بالغ العقل والزهادة! .

إذا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ كما لم يكن ولن ، وإنما ذلك النهي إعلان على رءوس الأشهاد في هذه الإذاعة القرآنية استئصالا لآمال الكافرين أن يظاهرون أو يماريهم ، بل هي مفاصلة دائبة ، أم مواصلة بالحق المبين والدين المبين ، دون تقسيم للبلد بلدين ، بانقسام الدعوة شطرين.

وهنا صلة وثيقة بين ﴿مَا كُنْتَ تَرْجُوا ..﴾ وبين ﴿لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ ان عدم الرجاء في إلقاء الكتاب أولى من عدمه في رده إلى معاد ، وهنا وعد دونما هناك فلترج ما وعدناك من ردك إلى معاد ، أكثر مما لم نكن نعدك من إلقاء الكتاب ، ولتعش رجاء رحمة من ربك دون تلکّع ولا تزعزع مهما عارضك العالمون ، فموسى الذي قتل القبطي خطأ خلف عليه تأحرّر الرسالة وبعد عن معاد الدعوة ، ردناه إليه رسولا ، فأنت الذي ما أخطأت طول عمرك في أيّ من أمرك ، اقرب إلى الرسالة إلقاء للكتاب عليك ، واقرب إلى ردك إلى معاد الدعوة ، وهذه نعمة لك عظيمة تتطلب ألا تكون ظهيرا للكافرين ،

وكما موسى ﷺ **رَبِّ إِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ** ﴿٢٨﴾ (١٧ : ٢٨).

وهنا الله بما أنعم على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلقاء الكتاب والردد إلى معاد ، يتطلب إليه ما تستحكم به عرى الدعوة الرسالية ، لا جزاء فإنه غير مفتاق إلى جزاء ، وإنما تنمية للدعوة الحضرة للعلمانيين ، فهنا نجده في خماسية الطلبات الربانية كدعامتين خمس لهذه الدعوة الواضحة الناهضة الباهظة : هي سلبيات أربع بایيجابية واحدة **أَدْعُ إِلَيْ رَبِّكَ** حيث الدعوة الصالحة إلى الرب تتطلب هذه السلبيات قبلها لستحكم عراها وتحمى حماها.

**وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَيْ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ٨٧ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ٨٨ .

مواصلة واحدة **وَادْعُ إِلَيْ رَبِّكَ** تقوم بمقاصلات أربع ، وهي تتوسطها هنا ، وفاعل **لَا يَصُدُّنَّكَ** هو كونه . وعودا بالله . ظهيرا للكافرين ، كخلفية أولى لذلك الظاهر الظهير ، أن يصد عنه آيات الله ، في اي حقل من حقوقها ، والتأكيد في **لَا يَصُدُّنَّكَ** يؤكد النهي عن كونه ظهيرا لهم ، أن يتهاون في تلقي الوحي وإلقائه ، بإلغائه عن فاعلياته ، ام يتهاوى بما يكذبونه فيه أنه سحر أو جنة أم كهانة أما فيه؟.

ثم **وَادْعُ إِلَيْ رَبِّكَ** امر بالمضي الصارم في دعوته الناصعة الناصحة ، بعيدة عن كافة التزعارات والانتزاعات والرغبات إلا إعلاء كلمة الله العليا ، وإلغاء كلمة الذين كفروا السفل ، ثم **وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** بالله على أية حال ، وإن شركا خفيًا كدبب النمل ، فانه يقصم ظهر الداعية ، ويقصمه عن صالح الدعوة.

**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** **م**هما كان مصلحيا لاجتذاب المشركين كما اقترحوه عليه : «أعبد آهتنا سنة نعبد إلهك سنة» فنزلت سورة «الكافرون» ثورة

فاصمة على ازدواجية الدعوة ومصلحتها ، ف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في كل شئون الألوهية ، و

:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ ..﴾ : إذ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٥٥ : ٢٧)

والشيء هو الكائن أيا كان ، إلها وملوها ، إذا فالله شيء كما الخليقة كلها أشياء ، وإن كان شيء الله هو الذي شيئاً سائر الأشياء ، وبين شيء الله وسائر الشيء تبادل كلي ، لا مشاركة بينهما إلا في لفظة الشيء وأصل الوجود ، دون أية مشاركة في ذلك الأصل ، فالأشياء المخلوقة كلها خلو عن شيء الله ذاتاً وصفات وأفعالاً ، كما الله تعالى خلو عنها في مثلث الجهات ، ف «هو خلو من خلقه وخلقه خلو منه». «باب عن خلقه وخلقه باب عن منه». «لا هو في خلقه ولا خلقه فيه» كما : لا هو من خلقه ولا خلقه منه : مباعدة ذاتية أماهية؟.

وترى «وجهه» هنا تعني الجارحة؟ وهي تأويلة عليلة جارحة كيان الربوبية ، انه يهلك . وعوذا به . بسائر اجزاءه كسائر الكون إلا وجهه! مهما أولاً انه وجه جارحي لا كسائر الوجوه ، حيث الجارحة لله جارحة ألوهيته على كل الوجوه ، إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فلا ترکب له حتى تكون له جوارح وسوها من اجزاء وحدود متربطة ف «من الحال ان يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه» (١) ، ل «وجهه» هنا وجهان ثانيهما وجه كل شيء

(١) نور الثقلين ٤ : ١٤٥ في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل وفيه : واما قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ﴾ فالمراد كل شيء هالك الا دينه ، لأن من الحال ان يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه ، هو اجل وأعظم من ذلك وانما يهلك من ليس منه الا ترى انه قال : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ففصل بين خلقه .

المتجه إلى الله ، رجوعاً لضمير الغائب إلى الحاضر الذكر وهو «كل شيء» فالهلاك شامل كل شيء ، إلّا وجهه المواجه للتّوجه إلى الرب ، فإنه باق ببقاء الله بإذنه ورحمته ، كالربانين من السابقين والمقربين واصحاب اليمين ، والجنة بأهلها ، فلا هلاك كلياً لهم ولها<sup>(١)</sup>.

ثم وفي الوجه الأوّل لا وجه لوجه الجارحة ، فان لكل شيء وجهها يناسبه ، وهو في الكل ما يواجه به ويواجه ، والله يواجه الكائنات علماً وقدرة ، ويواجه معرفياً وعبودياً ، والوجه الوجيه هنا لوجهه هو ذاته بصفاته ذاتية وفعالية ، والروحانيون الذين يواجهونه حيّاتهم معرفياً وعبودياً.

فاختصاص «وجهه» هنا بذاته يقتضي تبديل وجهه بذاته ، فانها صريحة في ذاته ، ووجهه غير صريح ، كما اختصاصه بغير ذاته إدخال لها ضمن الحالتين ، أن ذاته يهلك وسائل وجهه تبقى !.

إذا ف «وجهه» تعم ذاته كقمة الوجه ، إلى متعلقاتها الربانية ذاتياً وخارجياً ، ومن الثاني دينه<sup>(٢)</sup> والدعاة اليه ، فإنهم وجه الله الذي يتوجه

. ووجهه ، وفيه عن التوحيد عن أبي حمزة قال قلت لأبي جعفر عليهما السلام قول الله عز وجل : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ﴾؟ قال : يهلك كل شيء ويبقى الوجه؟ إن الله أعظم من ان يوصف بالوجه ، ولكن معناه : كل شيء هالك إلّا دينه والوجه الذي يؤتى منه.

(١) راجع الى تفسير آية ﴿وَيَنْتَهِ وَجْهُهُ رَبَّكُوكُلُّ ذُو الْجُلُلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الفرقان ٢٧ : ٣٣.

(٢) المصدر عن التوحيد باسناده الى خيثمة قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الآية قال : دينه ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) دين الله ووجهه وعيشه في عباده ولسانه الذي ينطق به ويدله على خلقه ونحن وجه الله الذي يؤتى منه ولن نزل في عباده ما دامت لله فيه رؤية ، قلت : وما الروية؟ قال : الحاجة ، فإذا لم يكن لله فيه حاجة رفعتنا اليه وصنع ما أحب .

بهم إليه ، وكما يرى «نحن وجه الله الذي لا يهلك»<sup>(١)</sup> وكما ان المتجهين الى الله بهم ، هم من وجهه<sup>(٢)</sup> والإضافة في «وجهه» تختلف حسب مختلف مصاديق الوجه ، ففي وجه الذات هي من إضافة الشيء إلى نفسه ، وفي وجه صفات الذات هي إضافتها إلى الذات ، وفي وجه الدعوة والدعاة ، هي إضافة الفعل إلى مصدره ، فإنهم صادرون عن الله فموجّهون إلى الله! فالمتخلّفون عن الله هم هالكون في حياتهم وبعد موتهم وإلى النار حيث تحمله ومن فيها ، والمتوجهون إلى الله باقون وإن ماتوا فإنهم في الجنة باقون كما هي دون نهاية.

هذه وجوه وجيهة من «وجهه» هنا مهما اختلفت درجاتها ، فوجه الذات لن يتغير ولن يهلك بأي هلاك<sup>(٣)</sup> كما صفاته الذاتية ، وصفاته

(١) نور الثقلين ٤ : ١٤٦ عن كتاب التوحيد بسانده إلى صفوان قال أبو عبد الله (عليه السلام) : ...

(٢) المصدر عن التوحيد بسانده إلى الحارث بن المغيرة النصري قال : سألت أبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : كل شيء هالك إلا وجهه؟ قال : كل شيء هالك إلا من أخذ طريق الحق ، وفي محاسن البرقي مثله وفي آخره : من أخذ الطريق الذي أنتم عليه ، وعن التوحيد بسانده إلى صفوان الجمال عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : من أتى الله بما أمر به من طاعة محمد والأئمة من بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الذي لا يهلك ثم قرئ : من يطع الرسول فقد أطاع الله.

(٣) المصدر في أصول الكافي عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن فضيل بن عثمان عن ابن أبي يعفور قال سألت أبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل **«هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ...»** وقلت : أما الأول فقد عرفناه وأما الآخر فبين لنا تفسيره. فقال : إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير أو يدخله الغير والزوال وينتقل من لون إلى لون ومن هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة ومن زيادة إلى نقصان ومن نقصان إلى زيادة إلا رب العالمين فإنه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة ، هو الأول قبل كل شيء وهو .

الفعالية وهي أفعاله لن تهلك مهما تغيرت كما يشاء بحكمته ، ودينه لا يهلك ، مهما تبدلت شرائعه ، والدعاة اليه لن يهلكوا مهما ماتوا أو قتلوا.

و «هالك» لا تعني . فقط . مستقبل الها لاك حين تهلك النار من فيها ، بل الحال على أية حال ، وهو عبارة أخرى عن البطلان ، فهو هلاك الكون والكيان ، ولكن «وجهه» لا هلاك له كوننا ولا كياننا ، مهما طرءه موت أو تغيير آخر في غير وجه الذات والصفات.

ثم «له الحكم» تكوينا وتشريعا لا سواه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لا إلى سواه .  
والمرجع للضمير الأول هو وجه الذات أصليا ، ووجوه الدعاة إليه رساليا وبلاطيا ، فإنهم الحكام من قبل الله ، وأما الثاني فلا مرجع له إلّا الذات ، إذ لا رجوع إلّا إلى الله ، اللهم إلّا للدعوات المقصومين أيضا لأنهم موازين الأعمال ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (١٧) ، فهناك رجوع إلى كتب الشريعة وأئمتها كموازين للأعمال والعقائد ، والمرجع الأصيل هو الله .

. الآخر على ما لم يزل ولا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة ومرة لحما ومرة دمها ومرة رفاتا ورميمها ، وكالبسر الذي يكون مرة بلحا ومرة بسرا ومرة رطا ومرة تمرا فتبدل عليه الأسماء والصفات والله عز وجل بخلاف ذلك.

(سورة الشعراة) «ذكر محدث» من أدلة حدوث كلام الله ..... ١٧٠ . ١٥	١٧٠ . ١٥
موسى ﷺ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ؟ حوار بين فرعون وموسى في إثبات وجود الله وتوحيده ..... ٣٨٠ . ٢٧	٣٨٠ . ٢٧
فرعون يهدد السحرة المؤمنين ..... ٤٤ . ٤١	٤٤ . ٤١
نوح في حوار مع قومه ..... ٧٩ . ٧٢	٧٩ . ٧٢
هود مع عاد في حوار ..... ٨٤ . ٨٠	٨٤ . ٨٠
صالح مع ثمود في حوار ..... ٩٠ . ٨٥	٩٠ . ٨٥
لوط مع قومه في حوار ..... ٩٦ . ٩١	٩٦ . ٩١
شعيب مع أصحاب الإيكة في حوار ..... ١٠٠ . ٩٧	١٠٠ . ٩٧
﴿وَإِنَّهُ لِتَنزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هل هو اللفظ أو المعنى أم هما ..... ١٠٨ . ١٠٣	١٠٨ . ١٠٣
من هم الشعراو المذمومون؟ ومن هم الممدوحون ..... ١٢٩ . ١٢٢	١٢٩ . ١٢٢
(سورة النمل) ﴿بُورُوكَ مَنْ فِي الدَّارِ﴾ من هو؟ ..... ١٤٢ . ١٤١	١٤٢ . ١٤١
﴿لَا يَخَافُ ... إِلَّا مِنْ ظُلْمٍ﴾ فكيف خاف موسى؟ ..... ١٤٧ . ١٤٣	١٤٧ . ١٤٣
﴿وَرَثَ سَلِيمَانَ دَاوُودَ﴾ من براهين أن الأنبياء يورثون ..... ١٥٨ . ١٥٥	١٥٨ . ١٥٥
﴿مَنْطِقُ الطَّيْرِ﴾؟ جنود سليمان؟ تلكم النملة؟ وحياتها ..... ١٧٧ . ١٥٩	١٧٧ . ١٥٩
رسالة المدهد العجيبة . ملكة سبا وملكتها ودعوة سليمان إليها ..... ١٩٧ . ١٧٧	١٩٧ . ١٧٧
إحضار عرش بلقيس في وجه رباني وتوجيه علمي ..... ٢١٣ . ٢٠١	٢١٣ . ٢٠١
آية المضطرين في قول فعل ..... ٢٤٣ . ٢٣٥	٢٤٣ . ٢٣٥
ما هي دابة الأرض التي تكلمهم؟ ومتى وكيف؟ ..... ٢٦٧ . ٢٥٩	٢٦٧ . ٢٥٩
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُ مِنْ أَمَّةٍ فَوْجًا﴾ من براهين الرجعة ..... ٢٧٢ . ٢٦٧	٢٧٢ . ٢٦٧
﴿وَتَرَى الْجَبَالَ مُحْسِبِهَا جَامِدَةً﴾؟ ..... ٢٧٧ . ٢٧٤	٢٧٧ . ٢٧٤
(سورة القصص) ﴿وَنَرِيدُ أَنْ نُنَزِّلَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ ...﴾ تشمل كافة المجاهدية في سبيل الله ..... ٢٩٨ . ٢٩٣	٢٩٨ . ٢٩٣
موسى الرضيع حتى الرسالة .. كيف هذا من عمل الشيطان وهو رسول؟! تلقاء مدین - ..... ٣٣٧	٣٣٧
﴿قُضِيَ مُوسَى الْأَجَلُ﴾ ..... إِنِّي أَنَا اللَّهُ ..... ٣٤٢ . ٣٣٧	٣٤٢ . ٣٣٧
قارون مع موسى وقومه ..... ٤٠٧ . ٣٩٥	٤٠٧ . ٣٩٥
﴿لَا يَرِيدُونَ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ ...﴾ عام يشمل أهل الحق ..... ٤١٢ . ٤٠٨	٤١٢ . ٤٠٨